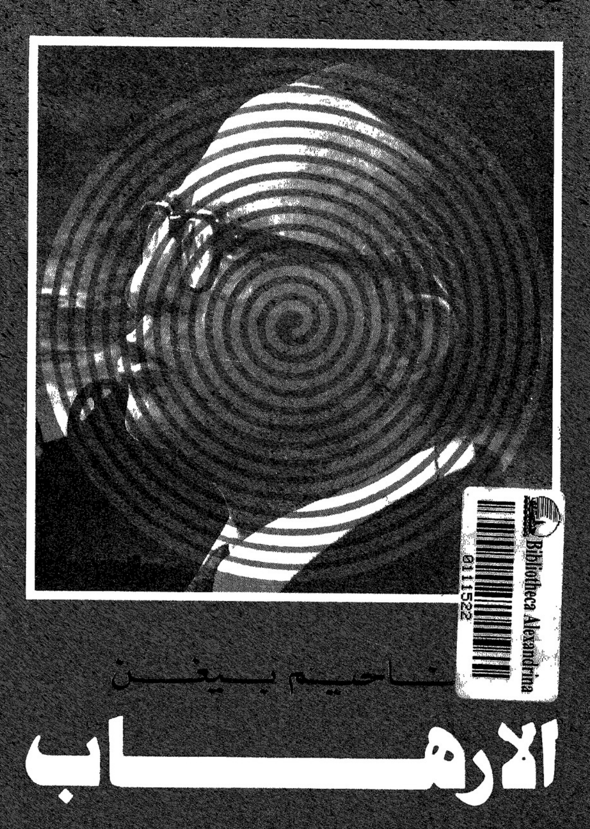
يوميات قادة العدو



مناحيم بيغن

الارهاب

دار المسيرة



الإرهاب

مناحيم بيجن



ترجمة وتقديم
معين أحمد محمود



هذه هي الترجمة العربية لكتاب :

THE REVOLT

by

MENACHEM BEGIN

Published by
Essex St

تقديم بقلم المترجم

« العالم لا يشفق على المذبوحين ··· لكنه يحترم المحاربين ··· »
هذه العبارة تلخص كل رؤيا « مناحيم بيجن » السياسية التي ترجمها منذ ان تعرف على الفيلسوف الصهيوني المتطرف « فلاديمير جابوتنسكي » الى سلسلة طويلة من القتل ··· و « التبشير » بالقتل ·

ويعترف بيجن ان طائرا توراتيا اوحى له بتشكيل عصابة « الارغون » الشهيرة · وان النبي داود حرضه على نسف الفندق الذي يحمل اسمه في القدس ··· وقرر ذات يوم ان يقتل « بن غوريون » ثم راح يشنق الجنود البريطانيين ويغني لزهرة البرتقال ·

هذا هو « مناحيم بيجن » او الجريمة التي تمشي على قدمين ··· والتي ستعود من جديد الى « لائحة الشرف » في الشرق الاوسط ·
فهذا اليهودي ، القادم من مدينة « بريست ليتوفسك » الروسية الى فلسطين ، لكي يحول ارضها ، كما يقول في كتابه « التجربة والامل » ، الى « امبراطورية تتفجر عسلا ·· وبطولة » · كان تلميذا شديد التعصب للمنظر المتطرف « فلاديمير جابوتنسكي » الذي اشتهر بعباراته التحريضية الصلبة « السياسة هي فن القوة » ··· « عندما تضرب الفولاذ بمطرقة فان الجميع يتهيبون صوت الدوي ، وعندما تستعمل القفاز فان احد لا ينتبه الى وجودك » ··· « ان الاحذية الثقيلة هي التي تصنع التاريخ » ·

هذه الشعارات اجتذبت « مناحيم بيجن » الى حد قوله في الكتاب نفسه : « كان انكار او حتى تجاهل افكار جابوتنسكي يعني الخيانة اذ لم

يكن من الممكن ان نستمر في المسيرة حفاة فيما يكتظ التاريخ بالتضاريس المدببة » ·

لكن « بيجن » او « بيغي » كما يطلق عليه بعض اصدقائه لم يكن يعتقد انه سيصبح ذات يوم « عراب العنف » في الصهيونية ··· فقد كان يحلم ، منذ طفولته ، ان يصبح حاخاما ··· لا لأن ذلك يخفي بعض مشاكله المرضية ــ اصيب بذات الرئة ولم يشف تماما ــ وانما لانه كان يريد ان ينقذ اليهودية من محنتها الايديولوجية ··· وهذا التطلع « الروسي » كان وليد احتكاك قوي وطويل بباحث يهودي يدعى « ايرما روبول » الذي كان يقدم التراث اليهودي الى يهود اوروبا بشكل يمتزج فيه الحنين بالتحريض ·

كان « بيجن » يعتقد ، نتيجة ذلك الاحتكاك ان القرن العشرين يتجاذبه عاملان ايديولوجيان مركزيان هما التصاعد التكنولوجي بانعكاساته الفكرية ثم الانتشار المركزي الذي يسقط التوراة ، بالدرجة الاولى ، من ذمة التاريخ ··· وكان في اعتقاده ان اليهودية التي كانت في حالة ارتباك حقيقي ، نتيجة لليأس والحصار ، قد تجد في احد هذين العاملين ، او في كليهما معا منفذا للخلاص ··· اي التوحد ، اما مع الاخلاقية التكنولوجية او مع الفلسفة الماركسية ··· وعلى هذا الاساس فانه كان يتحتم على كل يهودي متنور ان يسعى الى تكوين ما دعاه « بيجن » نفسه بـ « الحائط المقدس » ربما تيمنا « بحائط المبكى » للحؤول دون انهيار يائس للتماسك اليهودي « الذي قاوم شراسة التاريخ اكثر من خمسة وعشرين قرنا » ·

« القلنسوة » الحاخامية هي الحل : ان يتحول « بيجن » الى واعظ ذي كلمات مسننة يقنع اليهود بأن سقوطهم في جاذبية الفلسفة القائمة انما يعني « ان نبصق على اضرحة الاسلاف » ·· وننزع من العالم نقطة الارتكاز التي يستند اليها » ·

الا ان التطلعات الحاخامية السلمية لم تدم طويلا ، فقد تعرف الى « فلاديمير جابوتنسكي » واعجب به اعجابا شديدا الى الحد الذي دفعه الى القول في « التجربة والامل » : « في هذه اللحظة رفع الستار عن الفصل الحقيقي من حياتي ··· كان علينا ان نعمل اسناننا لا كلماتنا ، في جلد التاريخ » ·

و ··· التاريخ كان في نظره ، على ما يبدو ، « الشعب الفلسطيني »·

ففي مقال كتبه عام ١٩٤٤ وكان للتو قد اسس عصابة « الارغون » الارهابية قال : « من العبث القول بالمشاركة والتعايش ··· ان هناك حقيقة جوهرية لا يمكننا التخلي عنها ، لان في ذلك التخلي عن انفسنا ، وهي ان هذه الارض هي ارضنا وواجبنا ان نقضي على الاغتصاب الذي سادهــا رغما عنا » ·

ولم يكن « دافيد بن غوريون » أقل تصلبا منه ، وان كان يشار الى انه كان اكثر تعقلا ·· ففي اجتماع عقد بين الرجليــن في ١١ تموز ١٩٤٦ ، عرض مناحيم بيجن برنامجا للقتل اطلق عليه اسم « برنامج التحرير » ، وهو يقوم على اساس شن غارات صاعقة وواسعة النطاق على عدد من المجتمعات العربية يتم خلالها قتل اكبر عدد ممكن من العرب ، يدفع العرب الاخرين الى الهجـرة القسريـة عبـر الحـدود ··· الا ان « بن غوريون » نصحه « بشده » بأن يرجىء تنفيذ برنامجه هذا الى ما بعد التحرير الكامل ، لان من شأن عمليات من هذا القبيل لن تحرج الانتداب البريطاني الذي سيجـد نفسه « مضطرا » الى اتخاذ اجراءات متصلبة لا بد لها ان تعـدل جذريـا الجدول الزمني الذي وضعه « وايزمان » واطلق عليه « ورقة الخلاص » ·

ويقول « بيجن » ان فلسفــة جابوتنسكي كــانت السائدة في منظمة « الارغون » الا انه استعــان ايضا ببعض الجوانب « الخلاقة » في فلسفة « هرتزل » في فهمه الانسان ، فقد كان « تيودور هرتزل » يعتبر ان الانسان هو « مخلوق سطحي ساذج لا عقل لــه يخضــع لارادة العباقرة ويضحي بنفسه من اجل الرموز والطلاسم ··· وهو حيوان خال من البراءة » ···

وقد طبق « بيجن » الفهم الهرتزلي للانسان في عملية التشكيل النفسي لاعضاء « الارغون » ويقول « هارون بليدي » احد الارهابيين الكبار في هذه المنظمة (انتحر عام ١٩٥٩ لاسباب لم يعلن عنها) ان « بيجن » يتعامل مع « الارغونيين » وكأنه نبي حقيقي ··· كان كل صباح تقريبا يجلس ، قبل ان يتخذ أي قرار ، جلسة تأملية تمتد حوالــي الساعــة ، ثم يتحدث بعد ذلك مشيرا الى ان الوحي كان يقدم لــه ، على الطبيعــة ، اجزاء من التوراة محرضا اياه على انقاذ بني اسرائيل ···

ويروي « بليدي » ان احدى فرق « الارغون » اسرت ذات مرة اربعة من الجنود البريطانيين وقد تبين من التحقيق ان احدهم ينتمي الى ام يهودية ، وعندما مثل الرجل بين يدي « بيجن » ظل هذا يحدق به حوالي المئة دقيقة ، وعندما لم يظهر أي اثر للخوف على وجه الجندي البريطاني سحب « بيجن » مسدسه واطلق عليه النار ··· ويقول « بليدي » ان « بيجن » كان يأمل ان يعتري الذعر الجندي البريطاني الاسير فيعلن توبته امامه وانضمامه الى « الارغون » وبهذا يوهم « بيجن » افراد المنظمة بقدراته الغيبية ، الا ان شيئا من هذا لم يحدث ، فقد حافظ الجندي البريطاني على رباطة جاشه ··· وان لم يتمكن من المحافظة على حياته ·

وعندما امر « بيجن » بتفجير فندق « الملك داود » في القدس ، كان يشغل باله هاجس واحد هو : كيف ينسف فندقا يحمل اسم نبي يهودي ؟ ويقول « بليدي » ان اثارا مرضية ظهرت على وجه « بيجن » الى ان جاء ذات يوم وقد سطع فوق وجهه شعاع غريب ، وراح يردد : « لقد شاهدت النبي داود هذه الليلة وقال لي : لا تتردد في صنع مجد اسرائيل · ان اسمي لا يعرف الطمانينة الا اذا كانت قلوبكم مطمئنة » · وكانت هذه كلمة السر التي جعلت فندق « الملك داود » ينهار بعد اقل من اربع ساعات فوق مئة نزيل ···

وقال « بليدي » الذي وضع مذكراته عام ١٩٥٨ ، اي قبل عام واحد من انتحاره (وقد اختفت هذه المذكرات فجأة من الاسواق) ان « مناحيم بيجن » كان يمتلك نزعة للقتل والتمثيل بالجثث ، وفيما كان احد اعضاء « الارغون » يتقيأ وهو يرى جنديين بريطانيين مشنوقين على شجرة برتقال ، كان « مناحيم بيجن » يردد بمرح ، الاغنية العبرية المعروفة « هلمي لاقدم لك زهرة برتقال » ·

وكشف « بليدي » النقاب عن ان « بيجن » وصل الى نقطة كان يريد فيها اغتيال « بن غوريون » وقد وصفه بأنه : « هو يحاول ان يثبت للناس ، دون جدوى ان له حنكة الثعلب » لكن بيجن نفى ـ هذا القول ووصفه بأنه نتاج خيال مريض عرف به « بليدي » منذ ان كان عضوا في الارغون ثم طرد منها لانه حاول القيام بانقلاب داخل المنظمة ·

والرجل الذي عرض الانتداب البريطاني ثمنا له يساوي عشرة آلاف

جنيه استرليني لم يقتصر ، في نشاطاته الارهابية ، على فلسطين فحسب ، بل انه انسحب بها على اليهود انفسهم في اكثر من بلد لارغامهم على الهجرة الى « اسرائيل » ويقال ٠٠٠ انه هو الذي نظم عملية اطلاق النار على يهود العراق لدفعهم الى الهجرة الى (ارض الميعاد) ٠٠٠

وفي كانون الاول ١٩٤١ ، وصلت سفينة ماشية قديمة متهالكة موشكة على الغرق الى ميناء استانبول حاملة ٧٦٩ مهاجرا يهوديا غير شرعيين لا يحملون تأشيرة دخول بريطانية من البلقان ، فمنعتهم السلطات التركية من النزول ٠٠٠ واقترحت السلطات البريطانية ارسالهم لاي مستعمرة بريطانية، لكن « الوكالة اليهودية » كانت مصممة على ان يذهب المهاجرون الى فلسطين فقط ٠٠٠ ودخلت الوكالة ، لمدة شهرين ، في مفاوضات طويلة مع السلطات البريطانية من اجل الحصول على تأشيرات ٠٠٠ وفي نهاية الامر وافقت هذه السلطات على اصدار تأشيرات دخول للاطفال بين ١١ و ١٦ سنة ٠

وحينما ترك القارب في ٢٤ شباط ١٩٤٢ حدث انفجار فيه ولم يلبث ان غرق ولم ينج الا شخص واحد ٠٠٠ وقد اعلنت الوكالة ان الحادث كان انتحارا جماعيا ، والقت باللوم على السلطات البريطانية ٠٠٠ الا ان تحقيقا اجري بهذا الصدد اثبت قيام اعضاء منظمة « الارغون » بتنفيذ هذه العملية لاثارة الرأي العام ضد بريطانيا وللتحريض على الغاء القيود المفروضة على الهجرة اليهودية الى فلسطين ٠

وهذا ما حدث ايضا بالنسبة للسفينة « باتريا » التي قتل فيها ٢٤٠ مهاجرا يهوديا ٠ فقد كانت هذه السفينة تحمل في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٠ بعض المهاجرين اليهود « غير الشرعيين » تمهيدا لترحيلهم الى جزر « موريشيوس » ٠٠٠ وفجأة ضرب جرس الانذار وطلب الى الركاب ان يقفزوا طلبا للنجاة ، ثم سمع انفجار ، وكالعادة اعلنت « الوكالة اليهودية » ان الحادث جاء نتيجة انتحار جماعي ٠٠٠ الا ان رساما يهوديا مغمورا ، يدعى « موشي اهاشيم » ذكر في عام ١٩٥٤ انه شاهد رجلا يصعد الى متن السفينة قبل اقلاعها بشكل مشبوه ثم ينزل منها وهو يعدو ٠٠٠ ويقول « اهاشيم » انه شاهد الشخص نفسه في (اسرائيل) ، وعندما سأل عنه قيل انه يهودي من اصل مجري ، وقد قام بعمليات « رائعة » خلال « حرب التحرير » عندما كان عضوا في « الارغون » ٠

بعد انتهاء حرب ١٩٤٨ واعلان قيام الدولة الصهيونية وحل منظمة الارغون ودمجها في الجيش الاسرائيلي ، بدا « بيجن » حياة سياسية لا تقل عن حياته العسكرية تطرفا · ولقد تميز « بيجن » عن معظم الساسة الاسرائيليين بأنه يقول علنا ما يدور في عقل كل قائد اسرائيلي · فهو لا يحب الدخول في اللعبة السياسية التي تفرض التحايل والكتمان احيانا ، بل يجاهر بآرائه المتطرفة ، ويقود المعارضة داخل اسرائيل ·

اسس « بيجن » حزب « حيروت » في اواخر العام ١٩٤٨ · ثم تراس كتلة جاحال التي ساهم في تكوينها في العام ١٩٦٥ بضم حيروت الى حزب الاحرار·ولميشغل بيجن او حزبه اي منصب وزاري الا في الوزارة التي شكلت عشية حرب حزيران ١٩٦٧ ، اذ دخل على راس كتلة جاحال التي حصلت على ست حقائب وزارية · في الانتخابات التي جرت في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٩ ، زادت قوته داخل الكنيست بازدياد تطرف الاسرائيليين وازدياد النهم في ضم الاراضي المحتلة · وقد انسحب هو وكتلته من الوزارة عقب قبول الحكومة الاسرائيلية لمبادرة روجرز في آب ١٩٧٠ · واستمر في معارضته لانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧ · ولقد حاولت جولدا مائير ، رئيسة الوزراء آنذاك ، ابقاءه في الحكومة · فلقد كانت تخشى قدرته على اثارة الشغب ونفوذه القوي لدى عناصر كثيرة داخل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ولدى الاحزاب الدينية ·

ويعتبر « بيجن » من اشهر « الصقور » في اسرائيل ومن مؤيدي « اسرائيل الكبرى » وهو لا يعترف بوجود الشعب الفلسطيني ويرفض حتى استعمال كلمة فلسطين ، ويرى ان في ذلك نسفا لحق اسرائيل في البقاء حيث هي · ويعتبر ان اقامة دولة فلسطينية عبارة عن عمل انتحاري للشعب اليهودي ·

وبعد حرب ١٩٧٣ استغل « بيجن » حال الضياع والنقمة التي عاشها الاسرائيليون وكان يعقد الاجتماعات الانتخابية قبيل انتخابات الكنيست في ٣١ كانون الاول ١٩٧٣ ، ويدغدغ عواطف الجماهير بديماغوجية ، ويوجه اللوم لحكومة تكتل المعراخ الحاكم المسئولة عن التقصير « الذي عرض أمن اسرائيل لخطر جدي » ، محاولا اكتساب المزيد من المؤيدين لكتلة « ليكود » التي شكلت بزعامته في ايلول ١٩٧٣ ·

واصبحت اكبر كتلة معارضة في الكنيست · ومن المؤكد ان « بيجن » نجح في هذا المجال وعرف كيف ينتزع بعض المواقع من خصومه السياسيين · ولقد تمسك « بيجن » بعد حرب ١٩٧٣ بجوهر استراتيجيته التوسعية المبنية على العنف القمعي ، ولكنه عدل اساليبه التكتيكية · ويلاقـي « بيجن » وسياسته تأييدا واسعا في اسرائيل ، ولكنه شخصية غير مقبولة عالميا ، حتى في العالم الغربي · ويعتبره البريطانيون ارهابيا دمويا ، ولا تنظـر اليه الاوساط الاميركية كمحاور ناجح ·

نجحت كتلـــــة « ليكود » التي يقودها « بيجن » في انتخابـــــات ١٧/٥/١٩٧٧ للكنيست التاسع وحصلت على ٤١ مقعدا من اصـل ١٢٠ مقعدا ، الامر الذي وضع « بيجن » في الصف السياسي الاول ، واهله لان يكون مرشحا لرئاسة الحكومة بعد انتظار دام ٢٩ سنة ·

ولقد طرح « بيجن » بعد نجاحه مفهومه عن الحل السياسي لازمـة الشرق الاوسط والمتمثل بالنقاط التالية :

١ ـ المفاوضات المباشرة مع الدول العربية المعنية ·

٢ ـ الاستعداد للانسحاب من بعض اراضي الجولان وسيناء مقابل الصلح والاعتراف العربيين باسرائيل ·

٣ ـ عدم الاستعداد للتخلي عن شبر واحد من قطاع غزة والضفة الغربية والرغبـــة في ضمهمـــا لدولة اسرائيل نهائيا على اعتبارهما جزءا « محررا » من « ارض اسرائيل الكبرى » ·

٤ ـ ضرورة العمل على اقناع الولايـــات المتحدة بأن الاحتفـــاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة مسألة هامة لحفظ السلام ، وانه لن يكون هناك اي سلام بدون الاحتفاظ بالاراضي الفلسطينية المحتلة المذكورة ·

الا انني اجزم ان مناحيم بيجن البولوني المولد والثقافة والجنسية ، انـــه لا يستطيع أن يظهر حرصـــا على الالتزام بمبـادىء السلام التـي طرحها من خلال نقاطه الاربعـــة التي تمثل مفهومـه للحل السياسي لازمة الشرق الاوسط ٠

والدليل على ذلك هو مابين ايدينا من الاحاديث التي يدلـــي بها ، والاقوال والبيانات التي يصدرها وكلها تؤكد انـــه لم يتورع عن اللجوء الى الكذب ، وافتعـــال الاباطيل ، والتمسح بالمزاعم والاساطير الفارغة ، ثم هو لم يتأخر عن الاستهتار بمن يسمع اكاذيبـــه ، او يكشف حقيقة مزاعمه واباطيله ٠

وانهما لمشهدان يبعثان على التقزز والغثيان ، يمثل فيهما زعيـــم عصابـــة الارغون دور الكذاب : مشهـد على ارض الاسماعيلية في شهر كانون اول من عام ١٩٧٧ ومشهد قبله بعشرة اعوام ، وعلى وجه التحديد في شهر حزيران الحزين من عام ١٩٦٧ وتحت قبة الكنيست الصهيوني ! الصهيوني !

وليأذن لي القارىء ان اضع بين يديه تفصيلات المشهدين ، تاركا له استنتاج ما لا بد ان يستنتجه منهما ٠

ففي المؤتمر الصحفي الذي عقد في الاسماعيلية قبل ظهر يوم الاثنين ٢٦ كانون الاول من عام ١٩٧٧ نقلت شاشات التلفزيون واذاعات العالم الحوار التالي :

* سؤال من مراسل صحيفة « نوفيل اوبسرفاتور » الفرنسية الى مناحيم بيجن :

- ما هي المعايير الاخلاقية التي تفكرون بمقتضاها على الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ان يحققوا مصيرهم بأيديهم ؟

- جواب رئيس وزراء اسرائيل بالحر ف :

ـ اريد ان اصحح سؤالك ايها الصديق ، انني انتمي الى الشعب الفلسطيني ، لانني يهودي فلسطيني ، وهنالك عرب فلسطينيون ، ونريد ان نعيش في كرامة وفي ظل العدالة والمساواة ٠٠٠

وفي الجلسة التي عقدها الكنيست الاسرائيلي بعد ظهر يوم الاربعاء ٢١ حزيران من عام ١٩٦٧ دار نقاش حول مستقبل عرب فلسطين بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ، وكان المتكلم هو يوري افنيري (ممثل القوة الجديدة المعروفة بأسم هاعولام هازيه) وعندما ورد على لسانه ذكر « عرب فلسطين » قاطعه مناحيم بيجن ـ وزير الدولة يومذاك ـ قائلا :

ـ لماذا تقول فلسطين : ؟ ولماذا لا تقول « أرض اسرائيل » ؟

فرد عليه افنيري قائلا :

هو الشيء نفسه ٠ في لغتنا « أرض اسرائيل » قلت فلسطين على حد تعبيرهم ٠٠٠ لكن بيجن لم يقنع بهذا الرد فعاد الى المقاطعة قائلا :

ـ « فلسطين » كلمة هزء بالنسبة الى الشعب الاسرائيلي ، وانت تعرف الفترة التي منحت فيها هذا الاسم ٠

وامام هذا التحدي الصلف، تراجع افنيري ـ الذي يزعم بعض اليساريين العرب بأنه يتعاطف مع الحق العربي ـ ليقول :

ـ في نظرنا هي أرض اسرائيل ، كانت وستكون ٠

- ٣ -

مشهدان ، لجأت الى نقل تفصيلاتهما بالنص الحرفي من الوثائق والمحاضر ، ولم أسمح للخيال ان يسهم في شرحهما أو تسليط الاضواء على أبعادهما ، انما اترك للقارىء وحده ان يستكشف من خلال الاطلاع عليهما ٠٠٠ اي « شيلوخ » جديد نتعامل معه اليوم من يهود هذا العصر !؟

واذا كانت فلسطين كلمة هزء بالنسبة للشعب الاسرائيلي ، فأي هزء يمثله بيجن الذي حاول التشرف بالانتساب لفلسطين ، وهو المهاجر المجهول الاصل والفصل والذي تسلل الى الارض المقدسة في غفلة من الزمن برداء مجند بولوني ، وتحت علم القوات البريطانية في عام ١٩٤٢ ، بعد ان امضى في سجون الاتحاد السوفياتي شهورا ـ كما اعترف بذلك بنفسه ـ وكان من

عملاء الانكليز الذين استوردوا لفلسطين ، شباب يهود العالم ، لينشئوا فيها الدولة الجسر ـ التي تحمي المصالح البريطانية في الوطن العربي وعلى ضفاف قناة السويس ، وتمنع قيام وحدة الامة العربية المسلحة التي ستهدد مصالح الاستعمار العالمي ٠

ولسنا الان بصدد العلاقة التي تربط بيجن بفلسطين ، فهذا السفاح الذي قدمه المجتمع الاسرائيلي ليكون عنوان السلطة فيه ، من الفصيلة ذاتها التي ينتسب اليها ادعياء وراثة بني اسرائيل ، وهم أبعد الناس عن اسرائيل والاسباط أصلا ، لانهم ليسوا أكثر من اخلاط شعوب ونفايات أمم اعتنقت اليهودية ، أو بتعبير ادق خلقت لنفسها يهودية جديدة هي ليست بالقطع الدين الذي جاء به موسى عليه السلام ، ولن نتحدث عن الاكاذيب التي تحفل بها تلك الكتب التي توصف بالدينية والعالم كله يعلم ٠ متى وكيف وضعت هذه الكتب ، حتى بلغ التزوير والتحريف والتزييف والتصحيف فيها حدا ، تم معه « صنع » توراة هي غير الكتاب الذي انزله الله على موسى ، ولا صلة لها بالوصايا التي عاد بها من جبل الطور ٠

أقول اننا لسنا الان بصدد الدخول في مثل هذه المتاهات التي يريد لنا بيجن واخوانه ان نغرق فيها ، لكننا لا بد ان نفند أكذوبة صارخة يواصل بيجن ببجاحة متناهية التشدق بها والاصرار عليها حتى لجأ اخيرا الى استصدار قرار حكومي لتأكيدها ، ونعني بها محاولته اطلاق اسم « يهودا والسامرة » على الضفة الغربية من نهر الاردن ، وهو يعرف جيدا ، ان كان قد قرأ التاريخ اليهودى حقا ، ان السامرة اسم عاصمة الدويلة التي كانت تحمل اسم اسرائيل وان اسم « يهودا » هو اسم الدويلة التي كانت عاصمتها اورشليم ٠ وان الدولتين الهزيلتين قد نشأتا على انقاض ملك سليمان ونتيجة الصراع المرير الذي وقع بين اليهود انفسهم بعد موت سليمان سنة ٩٣١ قبل الميلاد ٠ وقد وردت تلك الحقائق في سفر الملوك الاول من التوراة ، وجاءت نهاية دويلة يهودا أو اسرائيل عام ٧٢٤ قبل الميلاد ، في حين لفظت دويلة يهودا انفاسها الاخيرة في عام ٥٨٦ قبل الميلاد ٠ بعد ان لعبتا دورا مخزيا في اثارة الفتنة والصراعات في المنطقة وخاصة ان روجتا للوثنية ، وخرجتا على عقيدة التوحيد وتنكرتا لدين موسى نفسه ، فكانت نهايتهما جزاء على مسلكهما الذي ادى بشعبها الى السبي المرة تلو المرة ، والقضاء نهائيا على الوجود اليهودي ـ الاسرائيلي فقط ـ في فلسطين ٠

ولا ندري بواعث اصرار بيجن على « نبش » الماضي الكريه ، وهـــو يستطيع ان يعرف ، ومن التوراة التي كتبت بعد السبى البابلي ، أي مــاض كان ذلك الذي يحلو له ان يفخر به ، وكم من السنين عاش اليهود فعلا فـي فلسطين ، ليكون لهـــم فيها كل هــذا الحق عندما يجسر بيجن ويحاول ان يعتدي حتى على التاريخ ، وهو يعلم جيدا ان فلسطين لفظت اليهود وتطهرت منهم منذ نيف والفي عام على الاقل !!!

– ٤ –

ومع انني لست من المؤمنين بالدعوة الى سلام ينتهي بالعرب الى القبول بوجود دولة تحمل اسم اسرائيل بأي شكل من الاشكال على ارض فلسطين ٠ ولطالما جاهرت بهذا الرأي ، وسأبقى اردده وسأظل افعل ما بقيت في العمر بقية لانني مؤمن ان التسليم بوجود اسرائيل هو بداية النهاية لهذه الامة التي تتربص بها الاطماع وتحاصرها المخاطر والمؤامرات من كل جانب ٠

ولكنني برغم التزامي مبدأ رفض الكيان الصهيوني على ارض فلسطين ، اسمح لنفسي ان اناقش هذا الذي يدور على الساحة العربية ، وما تنشغل به الدنيا من حديث السلام بين العرب واسرائيل ٠

فلا يكفي لوضع النقاط على الحروف في محاولة فضح حقيقة اسرائيل وكشف نياتها العدوانية واغراضها التوسعية ان نترك هذا الكلام الذي يردده مناحيم بيجن وموشيه دايان وشمعون بيريز وغولدا مائير واريك شارون ، وكل منهم يذكرنا بلهجة واسلوب « طيب الذكر » ادولف هتلر في تطلعاتـــه للسيادة على العالم !!!

انما لا بد ان نقف قليلا عند هذا الذي تطلع به علينا عصابات صهيون ٠

لقـــد عشنا حتى سمعنا رئيس ما يسمى بـاسرائيل ، يقول بصوت ينضح بالوقاحة والصلف والتحدي ٠ اننا لسنا بحاجة الى اعتراف مـــن احد !!!

والغريب ان يعلن مناحيم بيجن هذا الموقف الان ، وان يتحدى العـــرب والمجتمع الدولي كله ، مؤكدا الاصرار على عـدم الانسحاب مـــن الارض العربية التي احتلت في عدوان ١٩٦٧ ورفض قبول قيام دولة فلسطينية على بقايا فلسطين ، مع ان قرار التقسيم الصادر في ٢٩ تشرين الاول من عـــام

١٩٤٧ والذي استمدت منه اسرائيل شرعية وجودها ، قد نص على قيام دولة عربية على الجزء الاكبر من ارض فلسطين !

بل انه من الغريب ان يكون موقف اسرائيل كلها ـ باحزابها واعضاء الكنيست فيها وصحافتها ـ على هذه الدرجة من التعنت في حين ان ليفي أشكول رئيس الوزراء السابق قد رد يوم ١٠ حزيران من عام ١٩٦٧ على سؤال وجهه اليه الصحافي الاسرائيلي يحزقيل همئيرى عما اذا كان اليهود سيحتفظون بالهضبة السورية بعد احتلالها ؟ قائلا : « ربما لو كنا وحدنا في العالم لكان هذا الامر ممكنا ، ولكن يجب ان نذكر انه توجد ايضا نيويورك ، وليس فقط امريكا، وانما نيويورك هيئة الامم هناك جميعا يتناقشون ويقترعون ويبحثون في موقف الشعب القائم هنا» !!

وفي ١٢ حزيران من عام ١٩٦٧ واسرائيل في ذروة نشوتها بانتصار العدوان ، قال هارمان سفير اسرائيل في الولايات المتحدة الاميركية لصحيفة « هارتس » الصهيونية « ان هناك ضرورة لمحادثات مباشرة بين اسرائيل والعرب ، وذلك لحسم مستقبل الاراضي التي احتلت من مصر والاردن وسوريا • »

اما في ١٩ حزيران من عام ١٩٦٧ فقد قال دافيد هاكرهين عضو الكنيست ورئيس لجنة الخارجية والامن فيه لصحيفة (هارتس) : «المهم ليس الارض ولكن المهم السلام مع العرب والمفاوضات معهم تستلزم منا التنازل عن المناطق المحتلة مقابل سلام دائم • »

وفي الجلسة التي عقدها الكنيست بعد ظهر يوم الاربعاء، ١٩ تموز من عام ١٩٦٧ اقترح يورى افنيري مبادرة اسرائيلية لاقامة دولة فلسطينية ، في الاراضي المحتلة • فرد عليه دافيد هاكرهين قائلا :

ـ « اريد ان اؤكد لعضو الكنيست افنيري ، والكنيست بأسره ان الحكومة لا تتجاهل مناقشة هذه القضية التي قال عنها افنيرى انها قضية مصيرية كما اعتقد • والحقيقة ان القضايا المصيرية نواجهها بعد الحرب الاخيرة •»

واضاف هاكوهين « ليس الوقت في هذه اللحظة ملائما لاي نقاش علني في مثل هذا النوع من القضايا التي اثارها افنيرى وهذا لا يعني ان

الحكومة لا تبحثها بصورة مباشرة وبواسطة لجان من الخبراء ، فهي تبحث جميع المشكلات الناجمة عن حرب الايام الستة • »

- ٥ -

هكذا كان اليهود يتكلمون عشية عدوانهم في عام ١٩٦٧ ، حين الحقوا بالعرب ابشع هزيمة عرفها تاريخهم الحديث ، وعندما كانت نشوة الانتصار تعبث براس كل يهودي فتملاه صلفا وغرورا !!

فلماذا تغير الموقف الان ، وصـــار المجتمـــع اليهودي ، يرفض اليـــد الممدودة اليه بالاعتراف وبالسلام وبكل ما كان يتمنى الحصول عليه ولو في الاحلام ؟ !

انه لامر في غاية الغرابة ، ان يقول العرب المهزومون في عام١٩٦٧، لا •• للتفاوض ولا للاعتراف، ولا ، للصلح••• ثم عندما يقوم من بين هذه الامة من يتجاوز عن تلك اللاءات، يرد عليه بيجن والاسرائيليون قائلين: لا!!!

- ٦ -

واذا كنا كما يقول عنا موشيه دايان ـ امة لا تقرأ ـ فعلى الاقل ينبغي ان نخلو لانفسنا ، نفكر ونتذكر ونتدبر !

وليس من الاسرار الدفينة ان اسرائيل ، حتى هذه اللحظة ، دولـــة بلا حدود ••• فهي ترفض ان تقيد نفسهـــا ، بالارض التي تدعي السيادة عليها، بنص الدستور كما تفعل دول العالم جميعا ••• وهي حتى الان لـــم تعلن خريطتها امام الامم المتحدة التي اعترفت بوجودها ، أو بالنسبة لايـة دولة من دول العالم التي تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي •

ولو دل هذا على شيء ، فانما هو الدليل القاطع على ان اسرائيل ليست الكيانالذي يهفو للسلام وينشده، وما دامت تدرك جيدا انالسلام يحولبينها وبين تحقيق الاحلام التوسعية التي قامت لها ومن اجلها والتي اتخذت ارض فلسطين نقطة انطلاق لبلوغ اطماعها في السيطرة على الوطن العربي كله بعد بناء دولة اسرائيل الكبرى التي تريد لها المخططات اليهودية أن تمتد من الفرات الى النيل ، ولا ترتضي باقل من استرداد خيبر وديار بني قريظة وبني

النظير وبني قينقاع في يثرب الى جانب شرهها الذي لا يقف عند حد قبل ان تبتلع ديار الشام كلها سوريا ولبنان والاردن مع فلسطين ٠

- ٧ -

وبعد ،

فاننا نقدم للقارىء العربي كتاب « مناحيم بيجن » الذي اطلق عليه اسم « الثورة » لنعرف حقيقة الخطر الاسرائيلي وكيفية تنظيم الاسرائيليين ، واستعدادهم المتواصل واسباب نجاحهم ، واساليب الارهاب والافناء التي اتبعوها وسيتبعونها حتى يحققوا مطامعهم التوسعية ٠

وعلى العرب ان يطبقوا الاعلام العصري الذي يقول : « اعرف عدوك » ٠ وفي الماضي كان الرقيب يشطب كل خبر او مادة تتعلق بالكيان الصهيوني ، حتى الصورة كانت ممنوعة ، وكان الرقيب يقطعها ، لان معركة اسرائيل هي اعتراف بوجودها ٠ ولما كانت اسرائيل اغير موجودة بالمنطق الرائج في ذلك الزمان ، فلماذا نظهرها ونعطيها نعمة الوجود ٠ فاسرائيل هي دولة العصابات ، وهكذا كان التصور الاعلامي لكيفية محاربة اسرائيل ٠

اما اليوم فيجب ان يتغير الموقف ، وعلى العربي ان يكون عربيا اكثر ، وعربيا افضل كلما اطلع بشكل عميق ، على حقائق الوضع في الدولة العدوة ٠ خصوصا وان العربي اصبح موجودا في كل مكان ٠ فهو في كل عاصمة اوروبية ، فهو في الولايات المتحدة ، واطراف امريكا، ولم تعد الامور اسرارا بالنسبة اليه ، ولم تعد الوقاية هي الاسلوب الصحيح في منع جرثومة التساهل مع اسرائيل تمتد الى العربي ٠

والمعرفة قوة ، ٠٠٠

لا خيانة ٠٠٠ ولا تعني الاعتراف بالخصم ، بقدر ما تعني التسلح بالعلم والحقائق في المواجهة التي لا تقتصر على العسكرية وحدها ، بل تشمل السياسة والاعلام والثقافة ايضا ٠

ومن اجل هذا نقدم هذه الرسالة الى المواطنين العرب الذيـــن يحبون بلادهم ولن يتخلوا عنها ، وسيقاتلون في سبيلها الى النهاية ...

ومن اجل الظفر في هذا القتال يستعدون ويتكاتفون ويتعلمون ، ومما يتعلمونه ويجب ان يتعلموه ان عدوهم ضار ، متكالب ، ولا يعرف الشفقـــة او الرحمة ، ولا يرضى عن هدفه بديلا ، وهو مستعد ان يصنع كل شيء في سبيل هذا الهدف ...

ومن اجل هذا نقدم كتاب « مناحيم بيجن » الذي تحدث فيه عن عملـه العسكري في فلسطين واطلق عليـــه اســـم « الثورة » واراد ان يقدمـــه دليلا ثوريا ، فجاء كتابه دليلا للارهاب والثورة المضادة .

معين احمد محمود

نذير . . وو عُيد

كتبت هذا الكتاب اولا لشعبي اليهودي لئلا ينسى ـ كما نسى ويـا للكارثة من قبل ـ هذه الحقيقة البسيطة ٠٠ وهي انه توجد اشياء أثمن من الحياة وافظع من الموت ٠٠٠ لكنني كتبت هذا الكتاب لغير اليهود ايضا ٠٠٠ لئلا يكونوا غير راغبين في ان يدركوا ، او ميالين الى التغاضي عن حقيقة انه من خلال الدم والنار والدموع والرماد ، قد ولد نوع جديد من الكائنات البشرية ، نوع لم يعرفه العالم على الاطلاق خلال اكثر من ١٨٠٠ عام ، هو « اليهودي المحارب » ٠٠٠ ذلك اليهودي الذي اعتبر العالم انه مات ودفـن الى الابد ، قد بعث !

والان ٠٠ هل كانت اعمالنا توحي بالكزاهية الشديدة للحكم البريطاني في ارض اسرائيل المسماة بفلسطين ؟! ان الجواب الصريح هـو « نعم » ٠

ولكن هل كانت هذه الكراهية للشعب البريطاني بكامله ؟ ان الجواب الصريح هو « لا » ٠

فمن المعروف ان على كل محارب ان يكره شيئا ما او شخصا ما ، وكان علينا ان نحارب هؤلاء اولا ، وقبل كل شيء ، ضعف شعبنا المشتت في جميع انحاء الدنيا ٠٠٠ ذلك الضعف الذي كان يسهل لبعض الناس قتلنا وذبحنا ٠

وكان علينا ان نكره ونحارب ايضا ـ كأي امة ذات كرامة ـ الحكـم الاجنبي في ارضنا ٠

فهل هناك من يشجب الكراهية للشر ٠ المنبعثة من محبة الحق ؟!

ان الذي يحب الحرية يجب ان يكره العبودية ، والذي يحب شعبه يجب

ان يكره اعداء شعبه ، والذي يحب وطنه يجب ان يكره اعداء شعبه ، والذي يحب وطنه يجب ان يكره كل دخيل٠ وبكلام ابسط: اذا كنت تحب امك، الا تكره

الرجل الذي يحاول قتلها ؟! الا تكرهه وتحاربه حتى ولو قدمت حياتــــك في سبيل ذلك ؟

انني اكتب هذا الكتاب لاظهار الحقيقة ٠ والحقيقة تضطرني ان اســـأل نفسي امام القارىء ، العدو والصديق ، السؤال التالي : اذ وجد شعبك مرة ثانية في حالة تشبه تلك التي اضطرتك ان تحارب بالطرق السرية وتــــلاحق وتضطهد وتعرض للموت ، في هذه الحالة هل تقوم مرة ثانية بعمل ما فعلت سابقا ؟

الجواب الاكيد هو ٠٠٠ نعم !!

مناحيم بيجن
رئيس « الارغون زفاي ليومي » *

* الارغون زفاي ليومي تعني حرفيا : المنظمة القومية العسكرية ٠ (المترجم) ٠

الطريق الى الحرية

في بناء قديم يدعى لوكشكي في ويلنو انتهك السكون الغريب لمعاهد معاناة البشرية ـ المستشفيات والسجون ـ حيث فتحت ابواب الزنزانات وسط صرير الابواب وأنين الاقفال والمزالج والمفاصل وخرج النزلاء ، اثنين اثنين ، حالقي الرؤوس ، شاحبي اللون وقيدوا الى منضدة صغيرة وسط رواق طويل مظلم، وخلف المنضدة جلس رجلان صامتان وعلى المنضدة كومة من قصاصات الورق

تلك الليلة كنت من بين الذين استدعوا الى المنضدة في الرواق في لوكشكي · كنت واحدا من بين العديد ، من بين الآلاف بل من بين عشرات الالوف الذين انغمسوا في بحر الابادة والمحنة التي غمرت اوروبا من غربها الى شرقها عندما أطلق النازيون حملتهم بقصد السيطرة على العالم وتدمير الشعب اليهودي · اقتربت من الطاولة سويا مع رفيق زنزانتي ـ خليط من البشر الذين لا تستطيع جمع شملهم تحت سقف واحد الا حوادث ذات طبيعة بهلوانية خيالية ـ عندما اتى دوري صرحت للمرة المائة بأن اسمي هو «مناحيم ودلفوفيتش بيجن »· لم ينظر الرجلان الي، بل اخذ احدهما يبحث بين الاوراق المكدسة حيث وجد ما كان يبغيه وناوله الى رفيقه الذي قرأ عاليا :

« ان اللجنة الاستشارية الخاصة للشؤون الداخلية تجد ان مناحيم ودلفوفيتش بيجن عنصر خطير في المجتمع ، وتصدر حكما بسجنه لمدة ثمانية سنوات في معتقل اصلاحي للعمال » ·

وصرخت بدون وعي : « الاول من نيسان » · ورمقني الرجل الذي يمسك الورقة بنظرة حادة وقال بأدب :

« وقع ، من فضلك » ٠

بدون مبالاة وقعت كما وقع الاخرون ٠ ثمانية اعوام ؟ معسكر للاعتقال في مكان ما في الشمال ؟ كان كل شيء بعيد ومبهم ٠ وفي نفس الوقت عليك ان توقع الوصل ووقعت كما توقع فاتورة مصبغة او قسيمة ضريبة من قسم الضرائب الداخلية ٠

منذ ذلك الحين كانت هذه الحادثة الاكثر اهمية لفترة ايامها قصار ولياليها طويلة خلال فترة اتهامي ، بكل فخر ، كوني احد المساعدين المهمين، عمليا كعميل لبريطانيا العظمى ٠

أمضيت ايامي في رحلات مضاعفة من والى الحائط او من النافذة الى الباب، وفي رحلات عقلية الى الماضي والى المستقبل المجهول مثل تلك الرحلات تنسي السجين بيئته المادية وتساعده على ان يصيغ الحقيقة الغامضة (سديمية) لرغباته وتقصر ايام سجنه الى درجة كبيرة اكثر مما يتصوره اولئك الذين لم يختبروا سعادة حجيرات السجن ٠ ايام السجن كاحلام عابرة وربما اكثر الايام تنظيما والتي يمكن تخيلها ، ايام مملوءة بالترقب والتوقع ٠ من نعيب الصباح عند الفجر الى غروب الشمس يظل السجين ابدا في انتظار شيء ما ٠ ان شعور الترقب قوي ، غامر ، بالضبط لانه موجه نحو ابسط الاشياء واكثرها بدائية في حياة الانسان ابتداء من وجبة طعام غير مشبعة وانتهاء بابعاد دلو الكنيف الصحي (مرحاض مزود بأسباب النظافة) من الزنزانة ٠ بالنسبة للوجبات غير المشبعة كان لدينا منها ثلاث وجبات يومية، وكلما قلت الوجبات غير المرضية زاد شوقنا اليها ٠ ان الدلو كان يفرّغ مرتين في اليوم وحتى ذلك كان مشكلة ٠ اذا أضفت الرحلات العقلية ، حيث فقط اولئك الذين هم عاجزون عن التفكير لا يستمتعون به ، يكون لديك الصورة الكاملة لساعات النهار في السجن ٠ لا ، ليست الايام التي تصورها لنفسك بأنك طليق : أياما ليس لها بداية وليس لها نهاية ٠ انها الايام المختصرة كالحلم العابر ٠

اما بالنسبة لليالي فهي تختلف اختلافا كليا ٠ فهي طويلة ، طويلة جدا ٠ انا لا أقصد الليالي التي تنام فيها : النوم في السجن كان على سرير حديدي ضيق أو ارض حجرية واسعة ، فهو نوم عميق ومريح ، ولكن هناك في السجن

ليالي اليقظة • ان ليالي القلق والارق في لوكشكي أطالت ايام سجن بعضنا وقصرت ايـــام بعض آخـــر •• كانت ليـالي نقاش وجدال بين المستنطق والمجيب • تطول عادة ساعة او ساعتين بعد ان يكون السجين قد استيقظ من نومه ولكنه لا يدري كيف ومتى ينتهي ؟

وفي مرحلة هذه الليالي اللانهائية من الاستنطاق اشتركت في سلسلة مناقشات مطولة حول الثورة الروسية ، بريطـــانية والصهيـونية ، هرتزل وجابوتنسكي ، اجتماعات وايزمان وموسوليني، الكوميون الروسي والكابوتز اليهودي، الحركات الصهيونية الشابة، ماركس وانجلز، بوخارين وستالين، الراسمالية ، الاشتراكية والشيوعية ، اسرار الحياة والموت ، التوحيـــد والعلوم ، الحرب الاهلية الاسبانية والجبهة الشعبية الفرنسية ، النظريات المثالية والفلسفة المادية • وفي احدى المرات تكون اقرب الى النقاش منهـا الى الاستنطاق •

مستنطقي كان شابا طويلا ، وسيما رفيع الاخـلاق • واتهاماته كلها كانت هراء • لم يكن بحاجة الى براهين او شهود • الحقائق التي لم احلـم يوما بأن أنكرها كانت كافية • في اول شبابي لقنت بواسطة والدي الذي ، كما علمت مؤخرا ، لقي مصرعه على ايدي الالمـــان وهو ينشد النشيد الوطني اليهودي « الهاتكفا » الذي ، يقول باننا ، نحن اليهود ، يجب علينا ان نعود الى ارض اسرائيل • ليس ان نذهب او ان نرحل او نهاجر بل نعود اليها •

وعندما كبرت اصبحت طالبا نشيطا في حركة « البيتار » • وهي الحركة الشعبية للرواد الشبان، حيث سكب فلاديمير جابوتنسكي الشخصية اليهودية العظيمة في منطقتنا بعد هرتزل ، حبه وعبقريته • وقبل نشوب الحرب بسنة أصبحت رئيس الحركة في بولندا ، بلد الملايين من اليهود المبتلين بداء المجاعة المضطهدين والذين يحلمون ببيت المقـدس وجبـل صهيون بالقدس • عملت وأصدقائي على تثقيف جيل يكون جاهزا ليس للعمل على اعادة بناء دولـــة يهودية بل ايضا للمحاربة من اجلها ، والمعاناة من اجلها ، واذا احتاج الامر الموت من اجلها • بينما كنا مشغولين في تثقيف الشباب وتنظيم اعادتهم الى ارض اسرائيل ــ بدون اذونات بريطانية ــ قامت هناك في ارض اسرائيل ،

اول قوة عبرية ، « الارغون زفاي ليومي » (المنظمة القومية العسكرية) بقيادة قائدها العظيم « ديفيد رازائيل » ورفيقه الهادي الرزين والمقنع « ابراهـــام شتيرن » ٠

ومن هنا ابتدأ الهجوم المعاكس ضد الذين سعوا الى دمارنا ، ومن اجل هذا الهدف كان الانتاج الاول لسلاح اليهـــودي ، جمع الســلاح ، اساتذة التدريب ، كسر سياسة ضبط النفس التي تبناها الجبناء من القادة اليهود في وجه الهجمات العربية ، كاسرين ابواب البلد الموصدة حيث كان هذا العمــل بالنسبة لي وللآلاف من الشباب كله عملا في ذروة العدالة ٠ والشروع في هذا العمل كان امتيازا عظيما وواجبا مقدسا ــ واجبا تجاه بلدنا الذي كان مهددا بالاغتصاب من الآخرين ، وواجبا اتجاه شعبنا حيث كان على حافة جحيم الدمار وقد حاولنا ان نقوم بواجبنا ٠

أما مستنطقي اللطيف فكان ينظر الى عملنا هذا نظرة مختلفة كليا ٠ وقد كان افتراضه الاساسي هراء مذهل بينما كانت لغته العالية التي بني عليهــا قاعدته تامة تقريبا ٠ خلال تلك الليالي الطويلة من الاستنطاق قال لي الضابط الشاب: ــ «الصهيونية في جميع اشكالها ما هي الا مسرحية هزلية مضللة، او بالاحرى معرض للدمى المتحركة ٠ انه ليس حقيقيا انك تهدف الى ان تشيد دولة يهودية في فلسطين وانك تقصد ان تجلب الملايين من اليهود الى هناك ٠ كلا الهدفين غير عملي تماما وان قادة الصهيونية يعون هذه الحقيقة وعيا تاما ٠ وهذا الكلام عن « الدولة » يوازي الغرض الحقيقي للصهيونية والذي هــو تحويل الشباب اليهودي من قوات الثورة في اوروبا ووضعها تحت تصرف الرأسمالية البريطانية في الشرق الاوسط ٠ هذا هو جوهر الصهيونية ومــا تبقى ما هو الا قشرة مزيفة وقد قصد بها التضليل فقط ٠ اما بالنسبة لــك . مناحيم ودلفوفيتش ، سواء أكنت تدري الحقيقة أم لا ؟ فانك واحد من اولئك المخادعين المعتمدين الذين يخدمون بريطانيا العظمى والبورجوازية العالمية ، او احد المغفلين السذج الذين يساعدون على تحويل الطبقـــات العاملة عن واجبهم القتالي هنا ، نعم هنا ، في محاربة الاستغلال ٠ وفي كلا الحالتين فان ذنبك في الحقيقة عظيم » ٠

حاولت ان اظهر له خطأ آرائه وذلــــك بشرح حفز اليهود للعودة الى ارض اسرائيل هو حافز عميق وحقيقي · كيف يكون ذلك مجرد تمويه وقـــد دافع عنه اليهود اكثر من ألفي سنة ، من جيل الى جيل ، قبل ان يحلم الناس بالرأسمالية والاشتراكية وكيف تكون الصهيونية مسرحية هزلية واسسهـــا تقبع في الروابط الروحية بين اليهودي وارض اسرائيل وعبرت عن نفسهـا في الصلوات والنصيحة النفسية للملايين ؟ في ايامنا هذه الم يتخلى الالاف عن ثروتهم وراحتهم ودراساتهم الجامعية والاعمال السامية مــن اجـــل ان يصبحوا عمالا في ارض اسرائيل ·

كل جهودي ضاعت صدى كل مناقشاتي لم تفشل فقط في اقناعه بل انها ارتدت علي · فأجاب :

« ما تقوله يدعم رأينا · بالطبع هناك شعور نحو فلسطين ولكن هـــذا الشعور هو نفسه بين اليهود ، وذلك ناتج عن نوع معين من الثقافة فحتـى هذا الشعور كان نتيجة تطور تاريخي معين · ولكن هذا الشعور هو نفســه الذي استغله هرتزل من اجل تنفيذ العمل الذي انيط به من البرجوازية العالمية لتحويل انتباه اليهود عن واجبهم الثوري بوساطة هذه الاوهـــام المتطرفـة والمسعورة ، للدولة · ما فائدة نكران ذلك ؟ أمـا بالنسبـة لهجر الـدراسات الجامعية فهذا ليس الا برهان اخر للشخصية الرجعية لحركتهـم · المهندس يبقى مهندسا والطبيب طبيبا · ما تفعلونه هو انكم تأخذون المفكرين وتدفعون بهم الى هناك ··· احد السجناء هنا الذي ينتمي الى حزب « هاشومـــار هاتزائير » السياسي يفاخر بأن الصهيونة اقامت مستعمرات في فلسطين · الغبي ! كيف فعلوا ذلك اليس ذلك بمال اصحاب الملايين الاميركيين ! ان الخطابة لن تغير الحقائق · كل هذه الروايات هي سخريات جافة· الصهيونية هي مسرحية هزلية او بالاحرى معرض للدمى المتحركة !!

في احدى الليالي تركز نقاشنا حول الثورة والحل للمشكلة اليهوديـــة على اســـاس الاستقـلال الذاتـي لجمهورية يهوديـــة تأسســـت قبـــل سنة في الاتحاد السوفياتي) واللاسامية او معاداة اليهود · اصر مستنطقي على ان انتصار الثورة سوف تحل مشكلة القومية كون المشكلة اليهودية هي جزء منها · » وصرح بامتعاض « ان الثورة تحتاج الى مقاتلين وليس الى

مهاجرين يهربون الى دولة لا وجود لها · لماذا لا تنضم الى الجبهة الشعبية التي لعنت تيار الرجعية » ·

حاولت ان اشرح له اتجاهنا بقصة رمزية :

« تصور نفسك سائرا في الشارع ورأيت بيتا يحترق ، فماذا تفعل ؟ بوضوح سوف تطلب فرقة الاطفاء ، ولكن اذا سمعت فجاة صراخ امرأة او طفل اتيا من ذلك البيت · اتنتظر قدوم رجال الاطفاء ؟ بالطبع لا ، سوف تندفع محاولا أنقاذهم · هذا هو موقفنا · لنفرض ولو للحظة ان الثورة هي الحل الاخير لليهود الذين يعيشون بلا ماوى مع ذلك فان خبرة البروبيدجان تظهر ان الاتحاد السوفياتي يدرك حاجة اليهود الى حدود خاصة بهم ــ الا ترى ايضا اننا كرجال ونساء وقعوا في مصيدة بيت يحترق ؟ انت تعلم ماذا فعل بنا النضال ضد السامية · بيوتنا ليست وحدها التي تحترق بل ان عائلاتنا هي ايضا في اللهب ، هل نستطيع انتظ ر وصول فرقة الاطفاء ؟ ماذا يحدث لو تأخرت ؟ لا ، شعبنا يجب ان ينقذ · حاولنا ان نخرجهم من قلب اللهب الى وطننا · أيعد هذا شيئا سيئا ؟

في لحظات مثل هذه انا اميل لاصبح اقرب الى الخطابة · ظروفنا منفرة وكالحة في غرفة صغيرة خالية في الليل ، وراسي حليق وذقني مكسوة بالشعر · جلست ، بدون معين ، وأواجه ممثل دولة قوية ــ واكثر من ذلك نظرية لا تسمح لاي ظل من الشك · لماذا النقاش والحجج ؟

ولكن في مثل تلك اللحظات كل ما يحيط بي يبدو يتقهقر ويتقلص وشعرت في داخلي بأني كنت انجز مهمة لشخص ولكن للدفاع عن شعبي ونهضته القومية ·

ولكن مستنطقي بقي هادئا تماما مكتفيا بوضع حد لنقاشي المتقد حماسا بوصف مغرور وهو « مماحكة » ·

استمر نقاشنا ليلة بعد اخرى ومع ذلك فقد احتفظ مستنطقي بهدوئه وكياسته · وفي بعض الاحيان كان يولج تعليقا موجزا فيه من روح الدعابة

فيقول :

« انتم مثل باقي السجناء ، بدل ان تجلسوا على مؤخرتكم وتفكرون بعقولكم فانكم تفعلون العكس » ·

وفي بعض المناسبات كان يحتد الى الحد الذي يفقد به مزاجه وطبعه · كان يضرب الطاولة بقبضته ويستعمل الفاظا كنت اذكره بشأن القانون السوفياتي يمنعها بوضوح وجلاء · احدى تلك المناسبات تستحق ان تعاد للاذهان ·

احد الليالي أوردت على سبيل المثال مادة من دستور الاتحاد السوفياتي وذكرته ان الفقرة رقم ١٢٩ من دستور ستالين تؤكد بوضوح ان الاتحاد السوفياتي سوف يعطي الملاذ والملجأ لمواطني الدول الاجنبية الذين اضطهدوا بسبب نضالهم من اجل التحرر الوطني والقومي) · وكما كنت اخيرا قادرا على الجزم بأن النص يقول « ان الاتحاد السوفياتي يعطي الملجأ والملاذ لمواطنين أجانب اضطهدوا لدفاعهم عن مصالح الطبقة العاملة أو لعملهم العلمي أو من أجل كفاحهم للتحرر الوطني » ·

واخيرا قلت له « ليس لك الحق ان تضعني في المرمى بل على العكس يجب ان تمدني وتمد مثلي من الناس بالملاذ والمساعدة فنحن على الحدود مطاردون حتى الموت وذلك لمجرد كوننا يهودا ولاننا نناضل مباشرة أو غير مباشرة من اجل حقوقنا القومية في ارض اسرائيل · وكوننا الان موجودين في الاتحاد السوفياتي فنحن مؤهلون لان نسأل ونتوقع الملاذ والملجأ » ·

عند هذه الكلمات تراوح وجه الروسي بين الامتقاع والشحوب وبعدها احكم الضابط قبضته ورفع صوته · وقال : كفى هراء ايها المحامي الاحمق ، وجرأ على الاستشهاد بدستور ستالين : انك تتصرف مثل ذلك الكلب المسعور ، عدو الانسانية ، الجاسوس العالمي » ودوى صوته : « بوخارين » انت مثل ذلك الخائن بوخارين ولكن لا فائدة · علمنا ستالين بأن تعاليم ماركس وانجلز هي وحدة قائمة بذاتها ولا يمكن تجزأتها وضحك بسخرية : والان اكتشف جديد في ويلنو ، ويبدو انه يحاول ان يقنعني بفقرة من الدستور ·· »

صعقت بهذا الهيجان لقد كان، بالطبع ، على حق· فاقتباسات منسياق الكلام عادة متعمدة مقصودة فكيف بحيث يودي الى غرض به التضليل · ولكني اخبرته انه رغم كون الدستور هو وحده كاملة بذاتها فان فيها من الفقرات ما يعبر عن فكرة تامة ولا يتاثر بفقرات اخرى وما استشهدت به لم يكن جزءا من فقرة ولكن فقرة تامة · اني اشرت الى حق اللجوء الى الاتحاد السوفياتي وليس الى شيء اخر مثلا الى اسلوب او صيغة الانتخاب للقادة السوفييت (مجلس حكومي) ·

لم يكن لنقاشي ادنى تاثير ، واصر على المقارنة مع الجاسوس العالمي بوخارين · وعندما سمعت بأية الفاظ تكلم هذا التابع للثورة الشيوعية عن الكاتب الشهير للاداب الشيوعية » ابتدأت اعي كثيرا من الاشياء التي كانت تحيرني · ادركت كيف اجبر بوخارين واخرون مثله على الاعتراف بانهم جواسيس واعداء المجتمع السوفياتي ·

كلنا قرأنا كيف ان الروس كلفوا في الخفاء لاستعمال مخدر خفي لتنويم نزلاء سجونهم او جعلهم يتصرفون وفق ارادة موجهيهم · وصلت الى النتيجة بان هذه الاشياء السخيفة هي ملفقة ومختلفة · ماذا بعد ذلك ؟ وكيف فعلت ؟ تعذيب جسماني ؟ ضرب ؟ كل ما استطع قوله ان طيلة وقت استنطاقي لم اضرب مع انه كان ينظر الي كمجرم سياسي خطير وسلسلة جلساتنا كانت عاصفة في بعض الاحيان · من مئات المساجين الذين قابلتهم مؤخرا لم يتذمر احدهم من قسوة اية معاملة خشنة · وحتى اذا افترضنا ان الشرطة السوفياتية ستلجأ الى القوة فان اولئك الذين لم تلجأ شرطتهم (قوات بوليسهم) وقوى الامن وضباطهم الى اشكال بربرية من الاقناع الجدالي هؤلاء وحدهم لهم الحق برمي حجر · تعلمنا شيئا في ارض اسرائيل عن العادات السادية للشرطة وحتى على عهد بريطانية الديمقراطية المنتدبة واذا كنا نحن امناء فاننا لا نستطيع ان نرى شرطتنا اليهودية من بعض هذه العادات المكروهة ، من الصعب الاعتراف به ولكن مما لا شك فيه ان الشرطة اينما وجدت لها من الاشياء المشتركة التي تميزها ·

كيف حدث ، اذن ، ان قدر للشرطة السوفياتية بطريقة استنطاقها ان تحقق ما لم تستطع اي شرطة اخرى المفاخرة به ؟ ، كيف قدر ، مثلا ، لمواطن

سوفياتي وربما قارىء مجتهد لـ « أ ب ث » الشيوعية ان يحصل على نتيجة محددة لا لبس فيها ، بان بوخارين هو خائن بكل معنى الكلمة ؟ . في اجابتنا على هذا السؤال يجب ان نكون على اطلاع على عقل بوخارين نفسه وآخرين يشاركونه مصيره ، وعندئذ سوف نرى رجلا عالمه بسيط كله ويجد نفسه في عزلة تامة ، ليس فقط ماديا (عزلة جسمانية ولكن ما هو اسوأ من ذلك ألا وهي العزلة العقلية والسياسية .

هذه العزلة المزدوجة هي مطلقة . وهكذا كانت فئة مثلنا في لوكشكي وهكذا كانت العزلة لفئة كبيرة في سجن لوكشكي في موسكو . في العزلة اية كلمة نقولها لن تصل الى مطلق شخص في العالم الخارجي . فقط تلك الكلمات يريدها اولئك الذين لديهم نظرية غير قابلة للشك يتعلمها للعالم الخارجي هي التي تخرق جدران السجون . في بعض البلاد ، في اوقات معينة توجد جرائد غير شرعية تنشر اخبارا وآراء لا ترى النور اذا ما نشرت في جريدة رسمية (شرعية) . ولكن هنا لا يوجد خرق لجدران الصمت ، لا يوجد انسان يسمع او يقرأ ، تصريحات داخل جدران السجون سوف تبعث حركة ثورية جديدة . ولكنه لا توجد حركة معينة تستقبل الهاما من هذا المصدر وهكذا فان الهام سلوك الثوري يتبخر والاسس تدمر . في مقدور الثوري ان يشمخ برأسه عاليا امام متهميه ، قضاته او جلاديه فقط طالما يدرك ان وراءه كثيرين يعون صموده وممن يقدر لكلماته ان تصلهم . فيصبح مرتبطا بفكرة يقضي من اجلها . لن يكون خائفا من تعذيب او موت لانه يؤمن ان فكرته سوف تجد ناطقين بلسانها وانها ستنتشر وتنتصر .

ولكن ماذا يحصل لو ان هذا الايمان والاعتقاد دمر كليا ؟ او اجبر الفرد ان يتحقق ان عزلته مطلقة، ولا يمكن لاية روح بشرية ان ترى أو تسمع؟ في هذه الحال فان استعداده للتضحية بنفسه للفكرة يموت في داخله والعنصر الاساسي في بناء الشخص الثوري والذي يمده بالاجنحة ويقوي قلبه قد دمر . ويصبح الثوري النشيط متسولاً يستدعي الشفقة يطلب النجاة لنفسه بدلا من النضال من اجل عقيدته . آنذاك هل يكون قد اعطي الفرصة لمخاطبة العالم ؟ بالاضافة الى ذلك اذا ما وعد ضمنيا بفرصة لحياة جديدة بعد ان يكون قد امضى فترة العقاب لخطاياه السابقة او لمح له بأنه سوف يغفر له ولن يعاقب بتاتا سوف ترى بأن سر الطريقة الروسية

للاعترافات العلنية والاتهامات الذاتية ليست في الحقيقة سرا ابدا لا علاقة للعمليات الكيميائية • ولا العنف الجسدي من قريب او بعيد • قاطع العامل النفسي هو العامل الحاسم القاطع وتاثيره جلي ، بالتأكيد على اولئك الذين يأتون من دوائر النفوذ والسلطة للمجموعة السوفياتية الحاكمة والذين لسبب او لآخر تخاصموا مع قادتها •

فكرت كثيرا في هذه الاشياء في لوكشكي وخاصة انني أعطيت فرصة ممتازة للتفكير بعد مناقشتي حول الدستور السوفياتي حيث كان نصيبي سبعة ايام من السجن الانفرادي • لم يكن للمستنطق يد في ذلك • في الحقيقة لقد كان السبب تافها وسخيفا • لقد سمعني الحارس وأنا اقص نكتة غير محتشمة باليدية (لهجة من لهجات اللغة الالمانية تكثر فيها الكلمات العبرية والسلافية وينطق بها اليهود في الاتحاد السوفياتي وبلدان اوروبا الوسطى وتكتب بأحرف عبرية) وفيها ثورية عن انسان غبي فظن اني اقصده بذلك فقدم تقريرا بي وهكذا وضعت في العزلة (الانفراد) • وضعت في مكان طوله ثلاثة اقدام ونصف حيث كان علي ان اسوق جسدي في ذلكالشكل المثلث ، الخالي من النوافذ • في تلك الحجيرة ذات الرائحة الكريهة كان علي ان اؤدي التمرين العقلي •

لم تكن المائة والسبعون ساعة مريحة جدا • لم أعط شيئا لآكله وانما فقط ماء وخبز جاف • ولكن كان هناك اشياء اسوأ • الاوساخ بكميات كبيرة ودلو المرحاض لم يفرغ ابدا وارض الغرفة عارية اما بالنسبة للوسادة فكنت أستعمل ذراعي كوسادة صغيرة ولكنها وسادة قاسية ومؤلمة • حارة فيالنهار وباردة جدا في الليل بالاضافة الى انني نزلت ضيفا على مستعمرة مزدهرة من الجرذان •

ولكني عايشت الوضع • رفاقي في السجن كانوا قلقين علي • سبعة ايام في الانفراد هي زمن طويل • احد السجناء ، لص شاب سجن بسبب غير معلوم مع السجناء السياسيين طلب أن يقاسمني بيتتي • وكان اكيدا ، كما قال بأن شخصا واهنا ضعيفا مثلي لنيعيش ليرى النور بعد سبعة ايام في ذلك المكان • ولكن خاب ظن ذلك الرفيق • (على اية حال فان اعضاء اخر في مهنته قاسموني مؤخرا ما عانيته ولكن كان ذلك في مناسبة أخرى) •

ان اقامتي في حجيرة الانفراد علمتني درسا في القيم سوف يصطحبني طوال حياتي ·· كم هي قليلة احتياجات المرء حتى للانسان المثقف · طوال الايام التي اقضيها في زنزانة الانفراد لم تتوقف تماريني الفعلية · ولكن كلما فرضت الحقيقة الكريهة لبيئتي نفسها علي كنت احلم ولكن ليس بالعالم الحر ولا ببيت لائق او بحمام دافيء ، او التنزه في الغابات او في اية نعمة تعطيها الحرية للبشر المتحدثين وانما كنت احلم بزنزانة السجن ، الزنزانة المدعمة بمزلاج او اكثر حيث كان لي رفاق اعزاء ، وفراش مزيل على ارض الغرفة · أظن ان السعادة ليس لها درجات ولكن بالتأكيد هناك تدرج للمعاناة· اذا اخضعت انسانا ما للدرجة الاولى منالمعاناة فسوف يجاهد ليعود الى (مراحل) البداية ولكن اذا دفعته بعيدا الى اسفل السلم فانه لن يحلم بالعودة الى حال عدم المعاناة بل انه سوف يحلم بالرجوع حالا الىمرحلته الاولى وانهسوف ينسى ماذا يحدث خارجا وراء المرحلة الاخيرة من المعاناة ولكن في كلا الحالين الدرس واحد وهو الذي يلقي الاضواء على كثير من الظواهر او الوقائع لعصر شرير مروع الا وهو العصر الذي نعيش فيه ·

عندما رجعت الى زنزانتي كان رفاقي لطفاء معي حتى ان اللص ابتسم لي سواء اكان ذلك ليداري خيبة ظنه ام لا لست ادري· انالقذارة التيجمعتها في بداية هذا الفصل والذي نهض بأعباء الثماني سنين القادمة من حياتي · الاصدقاء مد يد العون لي في الاستحمام ·

بعد اسابيع قليلة من عزلة السبعة ايام جاء الاول من نيسان المشار اليه في بداية هذا الفصل والذي نهض بأعباء الثمانية سنين القادمة من حياتي · شهران اخران مرا بسرعة ومرة اخرى كان هناك نشاط غير عادي في لوكشكي · استدعينا من زنزانتنا ولكن هذه المرة كان في وضح النهار وطلب منا ان نجمع اشياءنا ·

حزمنا حاجياتنا وعبرنا خلال اسئلة وسجلات مختلفة وبعد ذلك جمعنا في سيارة سوداء صغيرة · كان هناك متسع لثلاثة اشخاص وربما اربعة ولكننا كنا اكثر من دزينة فصرخ احد الرجال بانه لا يستطيع التنفس في السيارة· ما هذه المبالغة ! ان الانسان هو اقوى المخلوقات ولا

يمكن اخماده بسهولة · لم يكن ركوب السيارة في الحقيقة مريحا ولكنه لم يدم طويلا ، ربما خمس عشرة دقيقة وهو الوقت الذي استغرق من السجن حتى محطة سكة الحديد ·

عندما فتحت ابواب السجن وخرجت السيارة الى الشارع المقفر همس أحد الاشخاص « هذه بداية الرحلة الى ارض اسرائيل » ·

هل هو ايمان غير قابل للتنفيذ ؟ ربما · ولكن وربما يكون الايمان اقوى من الحقيقة لان الايمان نفسه هو الذي يخلق الحقيقة ·

أرض آبائنا

لم يكن للقطار الطويل الذي حملنا في اتجاه شمال شرقي البلاد متجها الى اعماق روسيا ٠ لقد كـان قطـار بضائـع وكـان هنـاك خمسـون رجـلا حشـروا في سجـن العربـة (سُلفا) انطلقنا باكرا في يوم من ايام حزيران ٠ لقد كان الطريق طويلا بينما كان القطار بطيئا ٠ عندما وصلتنـا الانباء عن هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتي ٠ مثل هذه الاخبار تسللت حتى خلال قضبان العربة السجن ـ كنا قد سرنا فقط نصف الطريق ٠ وكلما تقدمنا مررنا بقطارات تحمـل الامدادات الى جبهـة القتـال ووراءنـا كان هناك قطار محمل بأناس مثلنا كانت هجرة حقيقية للناس٠ وعندما وصلنا المكان المقصود كانت الساعة ، كما اخبرنا ، تقارب الثانية صباحا ، ولكـن نور النهار كان بيننا (واضحا) ٠ كان باستطاعة الانسان قراءة كتاب اذا ما وجد هذا الكتاب ٠ كيفما كان استمتعنا بجمال الليالي البيضاء التي أنارت لنا ايامنا السوداء ٠ في احدى ليالي الخريف ، وأنا مغموم ذليل ، نظرت الى الفجر المنبعث من الشمال المجيد الذي يحيل الارض الى وهج ايضا من آلاف الانوار ، احد رفاقي المقعدين (بدون رجل) تنهد بعمق وأشار الى الافق وقـال : هناك شعب يبكي ٠

أنا لا اقصد ان اكتب عن اناس يبكون فهذا الكتاب لم يكرس للدمـوع بل للثورة ، ليس للمساكين بل للثوار، ليس لروسيا ومخيمات عملها بل لارض اسرائيل والنضال من اجل الحرية من حكـم الاجنبي ٠ واذا ذكرت بعض العبارات عن المقعدين فاني أفعل ذلك والامل ضئيل بأن تصل الى اسماع بعض اولئك الذين يمسكون بالسلطة وتنير في المعاناة وتمسح الدموع ٠ اعلم بأنها ليست الاماكن الوحيدة في العالم بحيث يبكـي الانسان وأعلـم ايضا ان مؤسسات وبنايات عظيمة بنيت برجال مثلي اعطوا ثمانية سنين من اعـادة التثقيف مثلي ٠ ان البلد الذي ارسلت اليه سجينا لم تطأه قدم انسان منـذ

خمس وعشرين سنة · ولكن اليوم تجد سكك الحديد والجسور وانتاج ضخم لمصادر طبيعية لم تستغل سابقا · ولكن الثمن يا الهي ·· الثمن عظيم ·

اكتب هذه الكلمات بدون تدخل اي شعور شخصي وبغض النظر عن ايدولوجيتي في المقام الاول والاخير المقصد هو الحرية ـ حرية وسعادة الفرد · ليس لشعوري الخاص دور يلعبه في هذه الحال · ان نصيبي من الالم والمعاناة لم يكن الا نقطة صغيرة في محيط من الدم والدموع حيث اغرق ستة ملايين من اليهود · اية اهمية لمتاعب عابرة في وجه المحنة العامة ؛ بعد ان انتهى كل شيء اكتسبت خبرة ، بالتأكيد خبرة قوية ، مشجعة ومتينة. وليس اكثر من ذلك · ومن جهة اخرى فانني لا استطيع ان انسى ولا يمكن ليهودي ان ينسى حقيقتين اساسيتين نشكر الاتحاد السوفياتي عليهما . اولا ان مئات الآلاف من اليهود قد انقذوا من بين ايادي النازية مع ان بعضهم عانى كثيرا ومات بعضهم في السجن او في المنفى او كلاجئين ·

ثانيا وذلك عندما استنتج الاتحاد السوفياتي ، ولو مؤقتا ، بأن كفاحنا والاستقلال اليهودي في فلسطين لم يكن مسرحية هزلية امليت من الامبرياليين البريطانيين ولكنه هدف فيه من الجدية جدية الموت ـ موت الثوار والجائرين ـ ذلك ساعدنا على ان نحقق المرحلة الاولى من استقلالنا · لقد ذهل العالم اولا بسبب المذكرات السابقة والتي دار الجدل حولها في لوكشكي وايضا لان مساعدة السوفييت لنا جاءت في وقت واحد مع تأييد الولايات المتحدة الاميركية ·

سوف أحاول مؤخرا ان أفسر هذه المفاجآت ولكن هذه هي الحقائق وسوف لن ننساها ـ مع انه في الوقت ذاته حدثت تحولات فاجعة (تراجيدية) فالنظريات السخيفة لمستنطق لوكشكي سائدة ومستمرة · لا يمكن ان ننسى انه كانت هناك براهين دائمة ذات حدين تواجه الانسانية : كيف الجمع والتوفيق بين حاجة الفرد للحرية والكفاح من اجل العدالة الاجتماعية · ان حرية الفرد تطلب من الدولة ان لا تتدخل بحياته ، ولكن ازالة التباين الاجتماعي الجائر مستحيل بدون تدخلات مدروسة لمجتمع منظم وبعبارة اخرى تدخل الدولة · وليس لدي اي شك بان

الحل يكمن في الاعتدال وعدم النظـر ، ولكن السؤال المحـير الذي يواجه الرجال المفكرين العقلاء هو مكان ذلك الاعتـدال السـعيد وكيف للمرء ان يكتشفـه ٠

ان عمل الثوار الفرنسيين كان اسهل بكثير ٠ صحيح انهم كانوا يطلبون الحرية والمساواة في المقام الاول ولكن التباين والتفاوت الاجتماعي الذي في وجه ما قاموا من اجله كان كبيرا وجليا وكان يمكن ان يصحح في الحقيقة بضربة قلم ٠ من الممكن ازالة الامتيازات الموروثة والقاب النبلاء ورموزهم ولكن الحياة نفسها تخلق تباينات حقيقية ليس لها علاقة بالالقاب الموروثـة او بأخرى كالامتيازات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ٠ ماذا عن هذه التباينات وتستمر البشرية في البحث عن حل ٠ ان شعوب الاتحاد السوفياتي هم ايضا يبحثون ولم يجدوها بعد ٠ وكنتيجة لخبرتهم العملية في بلدهـم فانهم رفضوا الفكرة الاساسية للاشتراكية ـ فكرة المساواة المطلقة ٠ ان مبدأ « كل فرد الشيء عينه » توقف عن العمل وأبدل مبدأ «لكل حسب عمله»٠ ولكن ليس كل عمل متساو ٠ والساعات وحدها لا تقرر قيمته لكل شكل من اشكال العمل في روسيا السوفياتية له نوعيته الخاصة به وقيمته النوعية لا تتقـرر بالعمال ولكن بوساطة الحكام او الدولة ٠ وهكذا ، فان عامل سكك الحديد، مثلا ، يأخذ اقل من نجم السينما ٠ وحقا انه اعطي وعدا بأنه في يوم مـن الايام سوف يبدل مبدأ « لكل حسب عمله » الى مبدأ اخر « لكل حسـب حاجاته » ولكن حتى هذا لن يعني النوعية المطلقة لان حاجات الانسـان تختلف على كل حال يبقى السؤال التالي : من يقرر ماهية تلك الاحتياجات٠ هل هو الفرد نفسه ؟ واننا علينا الرجوع مرة اخرى الى السلطة العليـا الحكام ، الدولة ٠

ان الدواء الناجع لكل امراض المجتمع لم يكتشف بعد مع ان بعضـا يدعي باكتشافه ٠ لقد قدم الشعب السوفياتي تضحيات جمة في محاولتـه للبحث عنه لقد ضحى بحريته الفردية وهذه حقيقة مستحيل انكارها ولقـد قدم ايضا تضحيات اخرى ٠ اذ اخـذت الدولة عـلى عاتقهـا أمـر تـزويد احتياجات الشعب من الآلات الثقيلة ، وفراشي الاسنان والصابون وأربطـة الاحذية معا. لا بد منه انها اولا سوف تنتج الآلات الثقيلة بينما انتاج الصابون وأربطة الاحذية عليها الانتظار ٠ هذا شيء طبيعي ومنطقي ، ولكن المنطـق

والقانون يتعا، ضان مع الشروط التي تجعل للحياة قيمة· لان شروط استمرار عمل الملايين من الناس يعتمد ليس بالتاكيد على الآلات العظيمة ولكن على هذه الاشياء الصغيرة ، كزوج احذية ورباط حذاء · على المرء ان يختار الحاجة لمثل هذه الاشياء التافهة كي يقدر ما تعنيه في حيـــاة الفرد اليومية بدون ذكــــر اهمية مغنية (شرسة) للحاجة لمثــل هـــذه الحاجيات البدائية كالخبز وقليل من السكر ونقطة من الحليب في روسيا يمكن للمرء أن يتعــلم المعنى المأساوي للمجاعة العامة ولا يسع المرء ايضا الا ان يتعلم احـــترام اولئك وتكريمهم ، الذين قبلوا هذه المجاعة حتى ولو كان قبولـهم قسريـــا خلال بحثهم عن الدواء الناجع المأمـــول · ان حـــدود معـــاناة الانسان مع انها قبلت في أجزاء اخرى من العالم كشيء نهائي ابعد ما يمكن للحيـــاة أن تطيقة فلا حـــدود لـــها لـــو امتدت الى ما لا نهاية ، في الاتحـــــاد السوفياتي ولكن علينا ان نتذكر ان جعلت روسيا قادرة على الصمود امـام القبضة الحديدية للنازيين ، صامدة تحت ضرباتها وأخيرا تحطيمها ·

ان الدرس عن الحياة في مخيم للاصلاح منيــر ومثقف جـدا (روحيا وثقافيا) · ويصبح واضحا ان ما ندعوه العيش المدني ، ليست حاجة ملحة فهو ليس اكثر من عادة · يستطيع المرء ان يخلص نفسه مـن عادات المدينة تماما كما يتوقف عن عادة التدخين ، قد يصادف صعوبات في باديء الامر ثم يبدو الامر اسهل وأخيرا من يريد ان يدخن ؟

في داخل المخيم يوجد شعــار يلخــص فلسفــة بكــاملهـــا « ســوف تتعود عليه او يمكن لاحدهم القول « سوف تتعود العمل بدونه » وهكذا هــو فعلا ·· عندما تجد اول قملة على جسمك فان جسمك كله يثور ، ولكن سوف تعتاد عليه وحالا سوف تعتاد العمل بدون قميص نظيف وتعتاد مئات من القمل حيث تغطي ما تعودت ان تبقى نظيفة ألا وهي ثيابك الداخلية · اول قملة هي مخلوقة مروعة ، ولكن القملة المائة سوف تقبلها كجارة لك · ولا يعد الامر مشمئزا ، انـــه جــزء مــن وجودك قد تجـد انـــه من الصعوبـــة ان تنـــام بدون بيجاما (سروال النوم) · شيء سخيف ولكن في غضون اسبوع فانـك سوف تتعلم النـــــوم ليس فقـــط بقميصك الرث بل سوف تتعـــلم كيف تنـام وانت عـــار تماما وســوف تعتـــاد ان تنـــام وانت ترتـدي ثيابك النتنـــة وتنـــام مُرتاحـا · لا يمكـــن ان تاكـل قبـل ان تغســل يديـك

اولا ولكنك سوف تكون ممتنا لاي شيء تفيض عليه بيديك القذرتين وتضعه في فمك ، عليك من الواجب ان تغسل ثغرك (اسنانك فانك سوف تعيش وتستمر في العيش ، تحتاج الى سرير للنوم لترتاح عليه ؟ هذه سخافة سوف تنام على الواح من حشب على الارض ، في الثلج وعلى التراب وفي جميع الحالات فانك سوف تنام ٠

لا ، ليست المدنية ضرورية ٠ يمكن ان تتخلص منها اذا اضطرتك الظروف الى ذلك ، ومع هذا فان كل الغرابة انه كلما قلت المدنية في حياتك كلما كانت رغبتك في العيش اكبر ٠ فقط العيش ، العيش ، العيش ٠

الانسان هو حيوان نشيط ٠ عندما يخفض (يصغر) الى ظروف شبه بهيمة او وحشية فان ارادته في العيش هي عنصر اساسي ، يعتاد على اي شيء الا الموت ٠

ولكن ، هل من الضروري ان نخلق ظروفا حيث الناس دائمو التفكير في الطعام مع انهم نسوا تماما ما طعم وجبة نظيفة؟ اهل من الضروري تحويل الانسان الى نصف وحشية على المرء ان يتوسل هذه الاسئلة في اي مجتمع وجد ، ومهما كان شكل النظام فيه اضطرته على العيش وكأنه نصف حيوان او يحتمل العيش في هذه الطريقة ٠

من المستحيل تجنب طرح هذه الاسئلة عن امكنة رآها المرء بأم عينه ٠ لماذا ولماذا تذرف الدموع في نهر بيكورا المظيم ؟ أليس في مقدور اولئك الذين يقررون مصير الملايين ان يحرروا من القلق كثيرا من الساكنين على ضفافه؟

ان مصير احد هؤلاء التعساء لا يزال مطبوعا بحدة في ذاكرتي لست على يقين اذا ما كان لا يزال حيا ٠ اسمه المعروف به في سجلات الدولة هو غارين ولكني اجهل اسمه الحقيقي ، اسمه اليهودي ٠ في بادىء الامر لم يكن يتكلم لغته الام ، اليديية ، وحتى انه لم يكن ليعترف او يعلن بانه يهودي ٠ كلنا كنا نتكلم الروسية وتكلمناها كثيرا ٠ كان يوما ما شخصية بارزة في السياسة السوفياتية السكرتير العام للحزب الشيوعي في اوكرين ومساعدا لرئيس تحرير جريدة البرافدا من شبابه المبكر كان عضوا مخلصا في الحزب الشيوعي ولكن توقف عن هذا العمل في سنة ١٩٣٧ المشؤومة حيث قبض عليه واتهم بأشنع الجرائم في الاتحاد السوفياتي الا وهي

انتمائه الى التروتسكية (مذهب تروتسكي في السياسة والاقتصاد والاجتماع نظرية تروتسكي في الشيوعية ودعوته الى الثورة العالمية) ٠ وبقي لمدة اربع سنوات تحت الاستنطاق ولكن لم يحاكم قط ٠ وفي سنة ١٩٤١ صدر ضده اقسى حكم اداري وحكومي الا وهو ثماني سنوات في مخيم عمل للاصـلاح وارسل الى ضفاف نهر بيكورا ٠ وهكذا جمعنا القدر سويا ٠

لقد اكد غارين لي انه لم يكن تروتسكيا ٠ كطالب في العشرينات كان حقا قد مال الى جانب التروتسكيين في الجدال العام الذي كان مستمرا في الحزب ولكنه كان جدالا حرا ومعترفا به وكثير من الطلاب الذين يحتلون اليوم وظائف هامة في الدولة قد نادوا بالرأي نفسه ، واخبرني انه بعد ذلك قطع كل صلة له بما يدعى التروتسكية ٠ وقبل بضعة ايام من القاء القبض عليه نشر مقالة في جريدة البرافدا يهاجم فيها الايدولوجية التروتسكية او « الانحراف عن الايدولوجية » كما كانت تسمى ٠ وقد كان عنوان المقال الاصلي هو « التراجع التام نحو المنشفية » (الحزب الديموقراطي الاشتراكي قبل الثورة الروسية وخلالها والتي تؤمن بتحقيق الاشتراكية التدريجي بالطرائق البرلمانية مخالفا بذلك سياسة البلاشفة) ٠ وباختصار لقد اتهم تروتسكي بهجر البلشفية من اجل حبه الاول للمنشقيين ٠ ولكن جواب مستنطقة الفوري عند ذكر المقال كشاهد دفاع عنه كان «ان رئاسة (الادارة) التروتسكية امرتك بنشره لتخفي عملك على تقويض الحزب والدولة » ٠

بالرغم من كل هذه المحن بقي غارين سوفياتيا وطنيا ٠ في ايام حزيران من سنة١٩٤١ كان مغمورا بالاهتمام بمثابرته علىمواصلة ترقبالاخبار الهامة القادمة من الجبهة ٠٠ وعندما انفجر احد الاشخاص السياسيين ، شيوعي منغص ، انفجر برغبته انه ربما للالمان ان يتقدموا بأنه سوف ينقذ ويخص غارين بألقاب شائعة في المخيم مثل طفيلي وحشرة طفيلية او مؤذي كشيوعي مخلص استمر غارين بمنازعته اعتقادي الصهيوني لقد استرجع نضاله ضد الصهيونية وخصوصا من الصهاينة ممن نظر اليهم كخونة للطبقة العاملة ٠ لقد ناضل ضدهم في شبابه في اوديسا ولم يبدل آراءه ٠ لقد حاول خلال الاحاديث الطويلة التي كنا نجريها ونحن ممددين على ألوح من الخشب ان يقنعني بأن الصهيونية ما هي الا مسرحية هزلية من اللاسامية ٠

كلاهما قوميتان متناقضتان للتقدم الانساني • ان التماسك الوطني كان من استنباط البرجوازيين • ان التماسك الوطني الحقيقي هو التماسك الوطني لعمال جميع الشعوب ، بالطبع لم يغفل ان يؤدي المديح العادي « لخدماتي للامبريالية البريطانية » لقد أصر على ان فلسطين هي للعرب وان الصهيونية ما هي الا اداة استخدمت من جانب الامبرياليين البريطانيين لاخضاع البروليتاريا العربية واخماد جذوتها واستغلالها • ويمكن الاستنتاج ان جدالنا كان دائما عاصفا • ان المساجين مثلهم مثل الاطفال يلعبون وهم محاصرون بالخوف الالعاب بتركيز غير عادي او (ينسون) انفسهم تماما في مناقشات نظرية •

حدث ذات يوم ان شيئا ما قد تزعزع في (عقل) غارين • وبينما كنا نقرع قضبان سكك حديدية من مركب شراعي عندما وقع شجار بينه وبين احد السجناء المجرمين المعروفين باسم يوركي او زحوليكي • لقد شاكس المجرم غارين وناداه « باليهودي القذر » • صعق غارين كما لو ان السماء قد سقطت ظاهريا هذه هي افظع وأشد صفعة تلقاها • لقد سقط من علياء منزلته ولكن يستحقر الى هذا الحد •• غير معقول •• هو — هو •• يهودي قذر !

أدرك غارين ، كما تعلم الآخرون ان الحكومة السوفياتية ناضلت ضد اللاسامية بعناد • فقط المحرضون اللاساميون او الاغبياء المضللون هم الذين سوف يبحثون فيما اذا كانت الحكومة السوفياتية يهودية او مؤيدة للقضية اليهودية • الحقيقة هي ان الحكومة السوفياتية هي مقاومة للاسامية • وتنظر الى اللاسامية ليس فقط كظاهرة لعاطفة القومية العنصرية ولكن ايضا وربما بوجه الخصوص كسلاح خطير في يد اعداء النظام السوفياتي • ولكن هذا لا يمنع اللاسامية التي تنبع من الكراهية الفطرية والحسد المفعم • على اية حال فانه من المستحيل تماما النضال ضد مظاهر اللاسامية في مخيم للاصلاح • ان المخيم عالم مغلق ان الحراس المدججين بالسلاح يأخذونك الى مكان عملك ويعودون بك الى قسم نومك ، ولا يحاولون ان يتوسطوا في الخلافات التي تحصل في الداخل لم يكن يستطع المرء الاقتراب منهم خوفا من مناداتك ، واذا تذمرت لن

يجديك ذلك نفعا وربما يؤذيك سواء أكنت على خطا ام صواب · رواية القصص ممنوعة · هو المبدأ الاساسي لكل سجن وبكل تاكيد لمخيم الاصلاح ·

كان غارين يدرك كل هذا ويا للمسكين كان يدرك ايضا انه كان احد الرجال المقوتين في المخيم · ليس لكونه يهوديا لان اليوركيين كانوا على وفاق تام مع اليهود الآخرين ، ولكن لانه كان انسانا شيوعيا · وكقانون عام فان السجناء المجرمين لا يستطيعون تحمل الاذكياء وسطهم والويل للسجين المفكر الذي يزدري او يظهر انه يزدري رفيقه في السجن· بالرغم من ان غارين لم يظهر ذلك او يعلنه على الملأ ولكنه لم ينس الحواجز التي وضعت بينه وبين اليوركيين او الزحولكيين في فرقة العمل حيث كنا نحن من اعضائها ·

ومن السخرية انهم كانوا يكرهونه اكثر ربما لانه كان شيوعيا وبناء عليه كرمز للحكومة · لم يكن يهمني اي نوع من الشيوعيين هو سواء اكان مفوضـــا يعطي الاوامر أم سجينا مطارد ام ستاليني ام تروتسكي · امـــا بالنسبة لهم فجل ما كان يهمهم كونه شيوعيا وبذلك وجـــدوا الفرصة لكي يزيحوا عن ظهورهم ولو قيلا ما عانوه من ذلك بسبب مسؤولية النظام عـن الورطة التي هم فيها ·

وهكذا منطقيا يمكننا تفسير هيجان السفاحين ولكن ماذا تنفع التفسيرات المنطقية في وجه الانقباض الروحي السحيق · لقـــد كـــان غاريـــن محطما تماما · لم يعد اكثر من شخص تعيس ، لقد كان اتعس التعساء · لقد تحطم العامود الفقري لايمانه حتى انه لم يحاول ان يخفي هذا الشعور · لقد تذمر وأسر كل ما في قلبه لي انا عدوه الودود (المشجع) ولقد سالني ما الغرض من كل هذه الاشخاص اذا ما حدث هذا ·

لقد قيل ان هرتزل الصحفي المدرك الناجح مر بأزمة روحية قادته الى فكرة الدولة اليهودية وذلك عندما سمع احد السفاحين يصرخ « المـــوت لليهود » وذلك خـلال محاكمـــة · لم يكن غارين من اتبـــاع هرتـــزل · عندما قابلته كان محطما كليا ضعيف القلب ذاهل العينين · واظن ان المحنة الروحية التي اغرته بالعودة ولو قليلا الى شعبه بعد عشرين سنة من الانكار والتبرؤ بالتأكيد ابتدأت بصرخة « اليهودي القذر » ·

لقد وصلت الازمة اعلى مراحلها خلال etape هذه الكلمة في معناها الدقيق مجهولة خارج الاتحاد السوفياتي وليست معلومة في داخل الاتحـاد السوفياتي فيما عدا المخيمات الاصلاحية ولكنها هناك مليئة بالمعاني ٠

لا يوجد احد يريد ان يذهب في etape وذلك لسبب بسيط ألا وهو ان الانتقال هو دائما الى الاسوأ والاكثر ترويعا هو فكرة الرحلة نفسها ٠

تحصل التنقلات برا وبحرا بغض النظر عن الظروف الطقسية ٠ كانت الرحلة عادة تستغرق عدة اسابيع ومن اجل ان ندرك لماذا يفضل السجيـن البقاء في كوخه القذر متحملا القمل والبراغيث على تغيير الهواء وتجربـة حظه في مكان آخر يكفينا ان نسترجع الى الذاكرة ان الشتاء في المنطقة التي اكتب فيها يطول اكثر من تسعة اشهر وليالي الشتاء تطول وتستمر لثمانية عشر او عشرين ساعة وتهبط درجة الحرارة الى ستين وسبعين درجة تحت الصفر ٠ يقولون « شتاؤنا » يطول تسعة اشهر فقط وبعد ذلك يمكن ان تحصل على ايام صيف كيفما تحب لا عجب اذن اذا كان لكلمة etape اهمية مروعة مخيفـة ٠

والانتقالات متـكررة الحـدوث ٠ ومـن المحتمـل ان يكـون أحـد الاسباب لتلك الانتقالات هو التدابير الامنية وعدم الاحتفاظ بنفس الاشخاص المنغصين مع بعضهم بعضا لزمن طويل ٠ ولكن السبب الرئيسي هو استمرار برنامج الحكومة للبناء والتعمير في مثل هذه الحالات فان العمل في المخـيم بطيء نسبيا ٠ ومع هذا فان كل عمل يجب ان يستكمل والبرنامج الانشـائي والتعميري في القارة الاوراسية الكبيرة (اوروبا وآسيا) منتشر وفي ازدياد مضطرد عندما تستكمل احد المشاريع حالا يبدأ المشروع الآخر ٠ مخيمـات تفرغ وأخرى تملأ ٠ والتحركات بين المخيمات متواصلة مثلها مثل العمـل نفسـه ٠

لقد قذفنا سويا أنا وغارين في احدى هذه التنقلات ٠ صديقي الحميم كـرول الذي رقـي الى عميـد (قائد لواء) (لم يسرح من المخيمات ويعتقد انه توفي في احـدى المخيمـات مؤخـرا) بـذل جهـدا شاقـا ومتقدا لكي يحذف اسمي من لائحة المسافرين ولكن جهده ذهب عبثا حتى ان اصحاب القمصان ذات الياقات بقلادات والبارزين في المخيم ومجموعة القواد والمشرفين لم تعط اية ثمار ٠ لقد أصدر الامر لكي نرسل الى الشمال البعيد ٠

لم يحاول غارين ان يبعد اسمه عن اللائحة · لقد اشير الى بطاقة هويته بثلاثة احرف ث · ت · م · ثوري تروتسكي معاد حيث ان الابواب كلها والقلوب كلها موصدة في وجهه فليس لديه قمصان بيافات

لحسن الحظ حصل انتقالنا قبل وقت قليل من حلول الشتاء · لقـــد كانت الظروف على أية حال قاسية كفاية · لقد سافرنا بوســاطة مركب نهري صغير مصمم لشحن البضائع · في هذه الرحـــلة حشر في المركب حوالي سبعمائة او ثمانمائة شخص · كانت هنـــاك ثلاثة او اربعة صفوف من ألواح الخشب تستعمل كأسرة · منعنا من الصعود الى ظهر المركب الا بعد استئذان الحارس المسلح فقط لقضاء حاجات جسدية · ولاداء هذه الحاجات كـــان علينا ان نقف في الطابور · فكنا نعد بالمئات ولا يوجد غير مكانين نجد فيهما التخفيف والنجـــدة ·

لقد كانت امعاؤنا في ثورة مستمرة ضد الطعام او الحاجة اليه وضد ماء النهر البارد الذي كنا نشربه لقد اكل القمل لحمنا والرائحة النتنة تتمزق في الرئى · كان هذا هو « الانتقال » ·

ولكن الرجال كانوا اشد قساوة من الظروف ان اليوركيين هنا هـــم ليسوا باليوركيين الذين كنا نشفق عليهم ونرثي لهم ونتعاطف معهم · وبعد ان تغير اسلوبهم وبدأوا باحترامنا · اليوركيون هنا هم غرباء لم نكن لهم سوى مفكرين وهدفا للعناتهم الشاملة الواسعة وفريسة لسرقاتهم · بالاضافة الى ذلك كانوا هم الذين يقررون طريقة الحياة في المخيمات وكانوا هم الاسياد المطلقون بفضل اعدادهم الكبيرة ، داخل المركب · من بين السبع او الثمانمائة سجين منفي كان لا يوجد الا دزينات قليلة من السجناء السياسيين ، الحارس على ظهر السفينة دائما ، ولن يتدخل في اي مشكلة لانه هو ايضا يعـــرف اليوركيين ·

في هذا الجو المحموم وصلت ازمة غارين ذروتها · احد الليالي وربما كان ذلك نهارا من يدري ؟ صحا غارين من نومه ونقطة عرق باردة تتوهج على جبينه فوجد ان روبياته الثلاثمائة قد اختفت · ثلاثمائة روبية ليســت بالمبلغ الضخم ولكن لم يكن يوجد مصدر للمال في المخيم · لقد كان يجـــد السجين نوعا من الارتياح في المبلغ الضئيل الذي يحمله لانه قد يساعده على شراء بعض التبغ او قطعة قاسية من الحلوى · لم يكن لغارين احد في العالم

ممن يأمل ان يمده بأي شيء • فزوجته ، محاضرة جامعية ، كان قد القي القبض عليها بتهمة انتمائها ايضا الى التروتسكيين وقد استطاعت لوقت ما ان تبرىء نفسها من هذه التهمة بعد محاولتها الانتحـــار كتبت الى ستالين وبمعجزة وصلته رسالتها فتقبل ستالين توسلها وأمر بنقلها الى المستشـفى واستعادة بطاقتها • في ذلك الوقت غارين نفسه كان لا يزال حرا • ولقد قال غارين انهما كانا اسعد يومين في حياته ولكن لاحقا كان كل شيء قد تغـير فالقي القبض على زوجته وربما تكون قد كتبت الى ستالين ولكن لم يكن هناك اية نتيجة وبعدها ألقي القبض على غارين وافترقا عن بعضهما البعض ولـم يريا بعضهما منذ ذلك الحين ونشبت الحرب وكل ثروته ثلاثمائة روبية والآن لا يملك من متاع الدنيا غير القذارة على جسده والالم في قلبه •

ولكن الغم الذي أتـــــاه مـــن اللص الذي سرق مالـــــه الضئيل لم يكن سبب ازمته النهائية • لم يكن غارين غاضبا من اللصوص بل على العكس لقد توسلهم ان لا يغضبوا منه • لم يحتمل اليوركيون الشكاوى التي قدمت ضدهم الى الحارس • لقد سرت شائعات قبل أن نبحر على نهر بيكاورا ان اليوركيين سوف يستخدمون اساليب غير شرعية ضد اولئك الراشدين لهـم حتى لا يعاودوا الوشاية• لقد كنا نسمع انهم كانوا يلعبون الورق منوقت الى آخر ورهانهم كان على الرؤوس وكل من كان يخسر الرهان يتحـدد مصيره كضحية مختـــارة •

كان غارين، ظاهريا، متاثرا بهذه القصص وخوفه النابع من قناعتهلنفسه، صور له ان اليوركيين الذين سلبوه ماله يشكون بأنه انه هو الـــذي وشى بهم الى الحارس مما جعله يتخيل اشياء كثيرة • لقد كان قانون منع لعبةالورق متجاهلا تماما في روسيا وخاصة في مخيمات الاصلاح • كل من كان يمـر بجانب المجرمين الذين يلعبون الورق كان يظنهم يلعبون على رأسه • لقد تعلق غارين بي ليل نهار كالطفل الصغير • لا ، لم يصبه مس (يجن) لقد بقـي الرجل المفكر والعقل الراجح • وعندما نجحت في جعله ينسى خوفه تكلمنا في الادب والفلسفة ودوستيوفسكي وسقراط • لقد كان مليئا بالحكمة والظرف والحصافة والذكاء ولكن في الظاهر كان يبدو وكأن شيئا ما قد تحطم داخله•

بينما كنا مستلقين على الاسرة بدأ احد اليوركيين النزول ببطء من على سريره في الرف الاعلى ، فحشر غارين ، الذي كان يضطجع بجانبي ، حشر نفسه تحت ذراعي هذه المرة لم يتكلم اللغة روسية بل تكلم اليدية ، «انه قادم ليقتلني ! لقد نظرت الى حيث اشار فكان المشهد مروعا فعلا » . لقد كـان الرجل يزحف ببطء مما خلف ظلا كبيرا في نصف الظلام الذي كان يتحكم في بطن السفينـــة واقترب منا وبيـــده شيء مـــا ، ولكننا لم نستطع ان نعلم ماهية هذا الشيء . في ذلك المركب وفي مثل ذلك الجو كان كافيا لرجل محموم الخيال وأعمـــاق كيانـه محطم لان يصـــدق بان نهايتـــه تقترب وان اليوركي على وشك اغتياله . ان اليوركي لم يكن يفكـر في غارين لان الاداة التي كان يحملها لم تكن اكثر من ملعقة . لقد كان غارين يمر بنوبات مفاجئة من الهلع والذعر سكنته بصعوبة ولكن لمدة قصيرة .

لقد استمر بالاقتناع بان اليوركيين سوف لن يغفروا له وان مصيره قد قرر وانهم عاجلا أم آجلا سوف ينهون حياته . وفي احد الليالي وربما كان ذلك ايضا نهارا فاستدار الي بسؤال مدهش :

« مناحيم ، هل تذكر الاغنية « لوشوف » ؟ ،

لقد تفوه بالكلمة انها اولكلمةعبرية اسمعها منه بلفظ اشكنازيولكني لم أفهم حالا اي اغنية كان يشير اليها ..

اصبح غاضبا نوعا ما :

« كيف لا تذكر ؟ انها اغنية الصهيونيين التي كانت تغني في اوديســا عندما كنت شابا «لوشوف» . انشدهـــا لي . قد تكون هذه هي آخر ايامي وربما آخر ساعاتي . سوف لن نلتقي مرة اخرى . انشدها لي » .

لقد كان هناك يهود آخرون غيرنا في المركب لميكونـــوا سياسيين ولا سجناء مجرمين . لقد قبض عليهم وهم يجتازون الحدود . لقد كان من بينهم شابان اعضاء في حزب بيتار Betar وسريراهما بجوار سريري . فقد كنا لا نزال قادرين على الغناء وفعلنا ما طلبه غارين وانشدناه « لوشوف »

ـ الها تكفا ـ النشيد الوطني العبري ، لوشوف ، ليريتز افوتني ـ أملنـــا بالعودة الى ارض آبائنا ٠

هناك كان المركب ينساب بنا شمالا نحو المناطق القطبية وفي داخلـه الظلام والقذارة والرائحة النتنة والبراغيث والقمل وسبعمائة يوركي انصاف وحوش وعدد قليل من اليهود ، وحفنة ممن يحلمون بصهيون ٠ لماذا قدموا الى هنا ؟ من بينهم احد اليهود او بالاحرى روسي من اصل يهودي الذي لم يحلم ابدا بصهيون ولم يؤمن يوما بصهيون وقيل انه امضى حياته بوعـــظ الناس على ان صهيون ما هو الا انسان رجعي ، طوال حياته كان في خدمة عقيدة اخرى ـ المثالية العالمية ـ قاتل من اجلها في المتاريس وقبض عليـه وعذب من اجلها بوساطة الروس البيض ٠ لقد كان يخدم باخلاص ومن اجل هذا ارتفع ليصبح سكرتير اللجنة المركزية للحزب وبعد ذلك مساعدا لتحرير جريدة الحزب اليومية ٠ كم كان بعيدا عن صهيون ! وكم كان المكان الـذي قادنا اليه القدر بعيدا عن صهيون ! وهذا الرجل ، وفي اعتقاده انها هـذه الساعات هي آخر ساعاته على الارض ٠ يطلب منا ان ننشـد لـه نشيـد صهيون ٠

وانشدنا ، هل قدر لنهر بيكورا ان يسمع الهاتكفا من قبل ؟ هل قـــدر لليوركيين المذهولين ان يسمعوا اغنية عبرية من قبل ٠ ومـن بطن السفينة انطلقت الاغنية « لنعود الى ارض آبائنا » ٠

الى اللقاء مع الحرية

من بين كل المراكب في هذا المركب اعيدت الي حريتي · كنا لا نزال في طريقنا الى المكان المقصود في القطب الشمالي عندما وصلت الاوامر القاضية بتحرير جميع المواطنين البولنديين · لقد وقع سيكورسكي معاهدة صلح مع ستالين ·

بالنسبة للحروف الابجدية ، اسمي كان في اول قائمة اولئك الذين على وشك التحرير · فصرخ احد اليوركيين :

« انه يهودي وليس بولنديا ! »

يوركي المسكين · لقد كان احتجاجه طبيعيا · لا يوجد حسد اقوى من ذلك الذي يحسد من سجين نحو سجين على وشك الخروج · واشك ما اذا كان اي من اليوركيين يعرف الفرق بين المواطنية والوطنية ·

اقتربنا من الشاطىء واقتـــرب منا مركب صغـير ، مركب الحرية ، ليأخذنا من السفينة السجن · ونزلنا الى الشاطىء واصبحنا احرارا ·

مكثنا بضعة ايام في مخيم المرور · وعدنا على الطريق نفسها التي اتينا منها · مررنا بالمخيم حيث ساعدت ببناء سكة الحديد الشمالية وهناك على الشاطىء كان ماكاروف ، قائد المجموعة ·

« مرحبا ، (هاي) ايها الرفيق ماكـــاروف ، كيف تسير الامور ؟ أين كـــرول ؟ »

« كل شيء على ما يرام · لقد نقل كرول الى مخيم آخر · وسوف يطلق سراحه قريبا ، وانت هل اطلق سراحك ؟ »

« نعم ، ايها الرفيق ماكاروف · انا حر طليـــق · أتذكر انك لم تكن لتعتقد باننا سوف نعود من [illegible] رحلة التنقل » ·

« أتذكر ، ايها الرفيق بيجن · انتم محظوظـــون معشـــر البولنديـــين· ولكن من يعلم ؟ ربما نرحل حالا لان الحرب لا زالت مستمرة وانهم يتحدثون

عن العـفو » ·

« حظا سعيدا ايها الرفيق ماكاروف · وأتمنى العفو عنكم قريبا · حظا سعيدا · الى اللقاء مع الحرية » ·

لقد تقدمنا في طريقنا الى الحرية · على الاقدام ، في قطارات الشحن، نحو الجنوب · التساؤلات لم تتوقف · بحثت عن شقيقتي · هي ايضا نفيت مع انها لم تسجن · كيف السبيل الى ايجادها ؟

ان روسيا ليست صغيرة واللاجئون فيها بالملايين · ولكني وجدتها بالصدفة ووجدت بعض اصدقائي · أرسلت اول برقية الى ارض اسرائيل واستلمت اول برقية لي من ارض اسرائيل · من بين الامضاءات كان امضاء زوجي ·

استعدت الى الذاكـرة آخر الاخبار التي اتتني منها · قبل ان ارسل شمالا من لوكشكي الى الشمـال سمح للاقـارب بزيارة لتوديع اقاربهم السجناء وبدل ان تأتي زوجتي اتتني فتاة تنتمي الى حزب الشباب البيتاري وتدعى « باولا ديتشز » ، «باولا» هذه خلدت اسمها في النضال ضد النازيين وأصبحت احد المساعدين الرئيسيين لصديقي وزميلي جوزيف كلازمان بطل حي اليهود في ويلنو ومات فعلا ويده على السلاح مناضـلا للنهاية · لقد اتت لتزودني بمعلومات · ولما كان علينا التكلم بلغة لا يفهمها الحراس فقد تكلمنا بالبولندية · وهذا ما كانت «باولا» تجيده ·

« خالتك تبعث بتحياتها لك » · ثم تمتمـت بالعبرية « الرسالة في الصابونة » لقد قطع الحارس الصابونة الى قسمين ولكن الرسالة كانـت موجودة في احد النصفين · وهكذا ، حتى في سجن روسي وصلت رسالة الى غايتها · تخبرني هذه الرسالة ان زوجتـي وكذلك بعض من اصدقائي الحميمين هم في طريقهم الى أرض اسرائيل كان ذلك مشجعا · مـاذا أفعل لو عثر على الرسالة في داخل الصابونة يمكن ان اضع في الانفراد لمدة سبعة أيام اخـر ·

بعد عدة شهور من التجوال انضممت الى الجيش البولنـدي ، حيث وجدت جوا معاديا للسامية · مليئا بالاهانات والاحتقار ولكن لم يكن هذا ليستمر طويـلا فقد تحركنا جنوبـا نحو ميناء كاسبيان في مقـاطعة

لراسنوفودسك ، مرورا بالميناء الفارسي الصغير • « بساهليري » الطريق الرئيسة للقاهرين الفارسيين • لقد عبرنا الجبال القوية الى بابل فبغداد وبحيرة الحبانية • لم أكن اعلم انه على مسافة خطوات قليلة كان قبر قائد الارغون ـ دافيد رازائيل ـ الذي قتل وهو ينفذ مهمة خاصة بالجيش البريطاني • كنت أعيش على أمل وضع نفسي تحت تصرفه والقتال تحت قيادته •

هنا ما وراء الاردن تراثنا تركتنا من حقول واسعة سعة البحر • لقد تحققت عندئذ لماذا كان الرومان يدعون هذا الجزء من ارض اسرائيل • لقد كانت مخزنا لقمح الشرق الاوسط والآن برغم الاهمال وبروز الاعشاب الخضراء الطويلة للعيان من بين الصخور التي تغطي الحقول اللامتناهية • ان المنطقة بكاملها خالية ، وعلى امتداد النظر يمكن للمرء ان يرى خيم البدو والجمال منتشرة هنا وهناك • ويمكنك ان ترى عددا قليلا من الناس وحقول الحنطة فقط عندما تقترب من الاردن نفسه• اخذنا قسطا من الراحة حيث تركت اسرائيل توقفت القافلة العسكرية ، هناك اخذنا قسطا من الراحة حيث تركت السيارة وانحرفت قليلا وغصت في العشب وشربت من نكهة الحقول ـ حقول وطني •

« انه لمن النعمة ان يجد الانسان نفسه في وطنه ايه » لم يصدر ذلك عن يهودي بل عن جندي كان يقف بجانبي •

عندما تفوه بذلك استرجعت الى الذاكرة ذلك الموظف الرسمي للتسجيل عندما كنا في مخيم المرور وهو يقول « سوف يطلق سراحك في ٢٠ من أيلول ١٩٤٨ » •

ان احتمال قضاء السنين حتى ١٩٤٨ في فرقة العمل مع « ماكاروف » او « يرمنكي » لم تكن فكرة (ساحرة) جذابة • ولكن هل يستطيع الانسان ان يتنبأ بمصيره ؟ الآن نحن في صيف ١٩٤٢ ، فقط ١٩٤٢ •• ولكني الآن أقف على شرفات الضفة الشرقية من الاردن •

لقد تذكرت « غارين » واني استعيد ذكراه •• ألا زال على قيد الحياة؟ اذا كان كذلك هل سمع اننا عدنا الى ارض آبائنا وأصبحنا احرارا فيها ؟ هل

سمع ان هناك ثوره في اسرائيل ؟ · لقد كتبت «البرافدا» في فتراب عن اعمال الثوار وان دولة « اسرائيل » قد قامت وهل سمع بأن الدولــة العظيمة التي يحدمها وقفت في وجه كفاحنا لاقامة دولة يهودية قد ساعدتنا لان تؤسس تلك الدولة في خصم التنافس الدولي ؟ هذه التســـاولات ربما تمده بقسط من الراحة في الامن ·

انتهى فصل ابتدأ آخر · لقد سخر مني القدر · ابتدات رحلتي شمالا من « لوكشكي » · في اوائل ايار ١٩٤٢ وصلت ارض اسرائيل · لقد قبض علي واتهمت وحكمت ونفيت كعميل للامبريالية البريطانية· ماذا بقي من هذا العميل البريطاني ؟

وصلت ارض اسرائيل مع الجيش البولندي وعلى راسه اكبر المكافات والجوائز التي تقدمها الشرطة البريطانية لاعتقال اولئك الذين يحاولون تحطيم الحكم البريطاني في اسرائيل · هذا هو العمل الاول والوحيد الذي اعترف انني حققته وسوف أظل فخورا به ·

في هذا الفصل الجديد لعب القدر علي حيلة اخرى من حيله · لقد كان العمل التآمري مجهولا تماما قبل ان انعمس مضطرا في اعماقه · لم اكــن اعلم شيئا عن النشاطات السرية اكثر مما قرأته عرضا في كتاب ما · لــم أكن احلم في يوم من الايام بأن احارب بالسر · لقد كنت افضل الاعمـــال المكشوفة على الاعمال السرية ولكن ···

الانسان يطلب ويقترح والله يدبر ويقرر · حتى أيلول ١٩٤٨ لقد خدمت في فرقة العمل · ولكن لم تكن فرقة « ماكاروف » و « يرمنكي » الفرقة التي اتكلم عنها لم تكن لتعمل على ضفاف نهر · بيكورا » · لم تبن خط سكـــة حديدية لشحن الفحم · ان الفرقة التي خدمت فيها كانت فرقة ثوار عبريين تعمل على ضفاف الاردن وتبني طريقا للحرية الى اسرائيل ·

نحن نكافح ... فنحن اذن نحيا

في ذروة الحرب العالمية الثانية كان هناك حبقتان غالبتان في تقرير حال الشعب اليهودي • لقد كان هتلر ماضيا في ابادة الملايين من اليهود في اوروبا • وبالرغم من هذا كله استمرت بريطانيا بحفظ الابواب المؤدية الى الوطن اليهودي موصدة باحكام امام اليهود •

ان التقارير عن حملة الابادة في اوروبا لم تكن جلية في بادىء الامر ، ونشرها كان بطيئا • ومما لا شك فيه فان جمعيات الصليب الاحمر والممثلين الدبلوماسيين للبلدان المحايدة وفوق كل ذلك اهل الفكر البريطانيين ومن بينهم احد العملاء الذين كانوا يعملون في المانيا واسمه G.H.Q. مما لا شك فيه انهم كلهم كانوا على اطلاع بالمدى الذي وصله هتلر في ترحيل يهود هولندا وبلجيكا ويهود وارسو ولودز • ومع هذا مكثوا صامتين • في رأيكم لماذا كانوا صامتين ؟ الحقيقة انه بعد شهور من ابتداء حملة الابادة تسربت التقارير الاولية عبر شرذمة خاصة من النازيين الذين اوفدوا ومعهم الاوامر بأن لا يتركوا اي يهودي على قيد الحياة سواء أكان ذلك على الارض الالمانية أم في الاراضي المحتلة •

لقد قابل الكثيرون من اليهود ايضا هذه الطريقة بنظرة شكوكية ، ولا عجب في ذلك لانه من الصعب على انسان عادي ان يصدق ان آباءه او اولاده او اشقاءه وشقيقاته قد (أزيلوا) عن وجه الارض، وقيدوا للذبح مثل الخراف• ان الانسان يصدق ما يريد ان يصدقه• ان العائلات نفسها المحكومة بالهلاك هي وهم يقفون بجانب القبور التي امرهم النازيون بحفرها لم يكن ليصدقوا انهم يحفرون قبورهم بأيديهم • لقد كانوا يعتقدون حتى النهاية بأنهم ربما يسلمون • العجب ان اليهود في بقية العالم لم يكونوا ليصدقوا

بسهولة المقابر الجماعية في « بوناري » او في افران (محارق) «تريلنكي» ٠
كانوا يسألون انفسهم اذا ما كان في الامكان سحق شعب بكامله وخاصة في القرن العشرين ؟ ماذا سيقول العالم ؟

لقد كانوا سذجا ٠ لم يتحققوا بالتدقيق ان روح التقدم العلمي للقرن العشرين هي التي جعلت دمار شعب كامل ممكنا وخاصة اذا ما كان هذا الشعب هو الشعب اليهودي ، عندئذ لن يحرك العالم ساكنا ٠

ان ملاك النسيان والسلوان لهو مبارك فعلا٠ ان لمسة اجنحته تذهب الى حد بعيد لتشفي جراحنا ٠ ان قدرتنا على النسيان هي من جميع النواحي مهمة كقدرتنا على التذكر ٠ لهذا يجب ان لا نغضب او نصاب بالدهشة اذا ما وجدنا كثيرين قد نسوا ما حصل تماما بعد انقضاء سنوات قليلة على المذبحة الواسعة لأمة من الامم ٠٠ مذبحة ليس لها مثيل في تاريخ الانسانية٠ ولكننا لا نجرؤ ان نروض انفسنا على هذا النسيان ٠ من اجل مستقبلنا وربما من اجل مستقبل الانسانية لا نجرؤ ان ننسى ما حدث لنا في عصر المدنية الممكنة في قلب اوروبا المتقدمة ٠

ان حملة الابادة هذه لم تكن فجائية ٠ لقد خطط لها بعناية لسنين عدة تنظيميا وعلميا ٠ في سنة ١٩٣٦ صرح هتلر قائلا في خطاب له في الرايخ :
« ان حربا اخرى تعني نهاية اليهودية الاوروبية » ٠ وفي سنة ١٩٣٩ بدأ الالمان يحضرون منطقة لليهود لحجزهم قرب « لوبلن » وتكلمت الصحف الالمانية عن خطة لترحيل جميع اليهود الى دولة ما في قلب افريقيا بالاحرى الى « مدغشقر » ٠ بعد ذلك اتت الاخبار عن بناء احياء لليهود مصحوبة باراقة الدماء ٠

بعد ان سويت حياتهم بالارض كانوا يذبحون ويحولون الى رماد ٠
وخطوة بعد خطوة ومرحلة بعد اخرى حول الجزار الالماني شعبنا الى شعب مصاب بداء الهلع والذعر ، الى مجموعة منشقة تكافح من اجل البقاء ساهية عن كون امل العيش في بعض الاحيان هو في الاستعداد للمخاطرة بالحياة ٠

وفي سبيل تحقيق الغرض من هذه التجربة ، وفي الوقت نفسه كان امتحانا لردة فعل العالم الذي وقف لا مباليا عند هدر دماء اليهود ٠ لم يكن

مخطئا ابدا · فقد اكد السيد «باغيت» الاشتراكي البريطاني وعضو البرلمان M.P. في قاعة محكمة جرائم الحرب في « هامبورغ » ، بعد سنوات من بروز هذه الاعمال الرهيبة للعالم ، اكد ان قائد الجيش الالماني « ماينشتاين » قد حارب وتصرف بشكل ملائم في بولندا ـ حيث جرت مياه انهارها الحمراء بدماء المئات بل الآلاف من اليهود · لقد كان السيد «باغيت» محاميا محترما ومشهورا قبل ظهوره في تلك المحاكمة · لم يبدأ هتلر القتل بالجملة دفعة واحدة باديء ذي بدء سجن اليهود ولاحظ عدم مبالاة العالم وجعلهم يتضورون ويموتون جوعا ثانيا ولا زال العالم لا يحرك ساكنا · لقد غمس مخالبه وكشر عن اسنانه والعالم لا يرفع رمشا · وهكذا استمر ، خطوة بعد اخرى حتى وصل الذروة باستعماله غرف الغاز · لقد حضر هتلر في الاصل الغاز للاستعمال على الجبهة اذا ما سنحت الفرصة له بذلك ولكن الجبهة العسكرية تسرب اليها اليأس سنة بعد سنة · فكان الذين جرأ على جرهم الى غرف الغاز هم اليهود ·

اللامبالاة ·· هذا هو الخطر · كان للانسانية ان تدعي بأن ذلك على الاقل ، كان تقدميا اذا ما كان على حساب ظلم « ديريفوس » وجدة في باريس « ساكو » و « فانزيني » في اميركا ، او « ديوتز » في المانيا ، ولكن البشرية سوف تنحط الى ظلام الوحشية ، لذا بقيت غير مبالية بمصير الملايين من امثال ديريفوس · واذا كان العالم مهددا الى مدى كبير بعدو يدعى اللامبالاة فانه يشكل تهديدا اكبر للشعب اليهودي · لهذا السبب كان التحذير المقدس الموجه لليهود والمسيحيين على حد سواء في غالب الاحيان يتوجه الينا من خلال كلمات كابلن الخالدة « كي لا ننسى » ·

ليس في هذا التوسل بعدم النسيان من جديد · كنت أردد هذا النداء في المنشور الذي وزعناه بعد وصول التقارير الينا · والتي اكدت طوفان الدم اليهودي · اما أولئك الذين سدوا آذانهم عمدا ، عن سماع صرخة الدم اليهودي وهو يصبغ انهار اوروبا كانوا مواطنين من بلد السيد « باغيت » ، ألا وهم حكام الوطن القومي للشعب اليهودي ، الحكام البريطانيين ·

لا يمكن للمرء ان يقول ان اولئك الذين صاغوا السياسة البريطانية في الشرق الاوسط لم يريدوا في وقت من الاوقات انقاذ اليهود بل من الاصح القول انهم أرادوا بحماس ان لا ينقذ اليهود ·

لقد كان الرجل الانكليزي العادى غير مبال لحياة اليهود كغيره من الرجال من غير اليهود في العالم ٠ اما اولئك الذين حكموا فلسطين والشرق الاوسط فلم يكونوا على الاقل غير مبالين ٠ لقد كان جل اهتمامهم في انقاص عدد اليهود الذين يسعون الى دخول ارض اسرائيل ٠ اني اكتب هذا ليس لاخلق مشكلة او اعرف اتجاهي نحو الحكومة البريطانية او اتجاهها نحونا ، اني اقرر حقيقة ولا شك لدي بان اي رجل دولة انكليزي شريف على اطلاع على سياسة الحكومة البريطانية في ذلك الوقت سوف يعترف بان الغرض من السياسة البريطانية في ارض اسرائيل خلال سنوات الحرب ، كان انقاص عدد اليهود الذين يودون الدخول الى اقل قدر ممكن ٠

لقد نسب الى « تشرشل » روايته التي يذكر فيها ان اباه تجنب مقابلة الدكتور « وايزمان » حيث قال الاخير « عندما اراه لا استطيع نوم الليالي » ولكنه كان من الممكن ان يقابل الدكتور « وايزمان » ويظل يستمتع براحة لياليه ولكان فتح ابواب ارض اسرائيل للذين كانوا يجرون الى المحارق « أوسشفيز » ولاولئك الذين جاء وايزمان يتوسل من اجلهم ٠

لكنه لم يفعل ذلك ٠ تجنب مقابلة وايزمان ، واليهود يذبحون بالملايين ، رجالا ونساء وأطفالا تبعا للخطة الالمانية وبسخرية الاقدار الشرسة والمروعة وبوساطة وسائل رهيبة غير متوقعة أنجزت الخطة الالمانية البريطانية الاساسية في ارض اسرائيل ٠

ان السياسة البريطانية الشرق اوسطية ظلت طويلا تريد فلسطين ٠ لقد أخبرني السيد « ايفان كرينبرغ » المحرر السابق للتاريخ اليهودي (الاحداث اليهودية) والذي ضحى بعمله من اجل مبادئه ، أخبرني وفي حديث مطول عندما كنت سريا ، آن والده وهو احد مساعدي « هرتزل » القياديين واحد مندوبيه الخصوصيين الى مصر للتحضير لبعثة التحقيق في العريش قال له اللورد « كرومر » ، نائب المندوب السامي البريطاني في مصر « عندما تتقوض الامبراطورية العثمانية آجلا أم عاجلا ، بالتأكيد سوف نحصل على فلسطين » ٠

كان هذا في بداية القرن العشرين حين اصبحت المصالح البريطانية المباشرة في تقرير مصير ارض اسرائيل حقيقة واضحة وجلية · هذا يساعدنا على تفسير سبب وجود العديد من الانكليز في صفوف الصهيونيين الاوائل الذين سبقوا « هرتزل » · وتفسر لنا ايضا لماذا كانت الحكومة البريطانية مهتمة في تلك الايام بحماية اليهود المضطهدين من السلطات ·

ان النزعة الغريبة لرجال الدولة البريطانيين كانت فقط لتعطي المصالح البريطانية الشكل الخارجي للمثالية العامة · لقد قال « دزرائيلي » عن السيد « جولدستون » اني لا اعترض على حمل صديقي « الاص الخامس » في ردنه (كمه) ولكني احتج على ادعائه بأن « اللورد هو » هو الذي وضعه هناك · انها النزعة الغريبة لرجال الدولة البريطانيين لجعل « الاص الخامس » يظهر ليس فقط شرعيا وعادلا بل ايجابيا مقدسا · ان اتحاد ميترنيخ الثلاثي كان بكل تاكيد غير مقدس · ان عهد القياصرة كان بلا شك رجعيا وحكم السلطان بدون اي سؤال شنيعا وشائنا · لقد وقفت بريطانيا مع التقدم والازدهار · وانتقلت بريطانيا من قوة الى قوة ويدها في القفار من اجل التقدم والازدهار الانساني ·

ان الثورة اليونانية ضد الجائرين الاتراك كانت احدى مظاهر روح الحرية التي لا تقهر · لقد كان من المستحسن مساعدة الشعوب الضعيفة · ولكن كان من الاهمية بمكان كذلك اضعاف الباب العالي وليس تدميره بينما لا تزال روسيا قوية ، بل اضعافه وترويضه لانه يساعد على التقدم وبدوره يساعد بريطانيا · هل كان خطأ بريطانيا ان تكون مساعدة التقدم تعني مساعدة بريطانيا ؟ ان تزويد الملهوفين السياسيين المبعدين بالملجأ واجب انساني مقدس · لقد اعطى الثوار الروسيين الملجأ في بريطانيا · كان هذا عملا نبيلا وفي الوقت ذاته سياسة سليمة · لقد ساعدت من الداخل في اضعاف القوة العظيمة التي كانت ترنو بأبصارها نحو القسطنطينية والهند· وذلك من مصلحة التقدم الانساني · وفي مصلحة بريطانيا معا · وليس على بريطانية اية لوم لو ان الاثنين سارا سويا · وهل هناك اكثر انسانية من بسط الحماية لليهود المضطهدين ـ شعب التوراة ـ ضد تظلمات القائمقام التركي حيث يعود بالربح والفائدة على الملكية ·

ماذا بهذا الخصوص ؟ كل قوى العالم كانت متلهفة للتدخل في شؤون تركيا وفي تحطيم رجل اوروبا المريض · باسم المسيحيين الكاثوليك تدخلت

فرنسا وباسم مصالح الكنيسة اليونانية تدخلت روسيا بينما ادعت المانيا المصالح البروتستانتية وفي كل الاحوال كانوا اصدقاء للسلطان وكان فكين على رسم خط سكة حديد برلين ـ بغداد · ماذا تبقى لبريطانيا ؟ اليهود ·· وعرضيا لمن هي فلسطين ؟ طبعا لليهود · فقد جاء ذلك في التوراة ·

انا لا اقدم بهذا التحليل بروح النقد نحو اتجاه سياسة بريطانيا لاني لا أنكر ان سياسة بريطانيا عملت جهارا لمصلحة الانسانية ولكن وفي بعض الاحيان العكس هو الذي حدث · بالاضافة الى ذلك فمن العدل ان نسأل : هل هي السياسة البريطانية وحدها التي سارت في هذا الطريق ؟ وهل الحكومة البريطانية هي السلطة الوحيدة التي تذرعت باسم التقدم والحرية والعدالة في مواصلة سياستها ؟ بالطبع لا ·

اللعبة نفسها حدثت ايضا في اسرائيل · ولكن هنا انتهت اللعبة مأساويا · كان الانكليز يريدون ارض اسرائيل لانها تقع على شواطىء البحر الابيض الشرقية ولانها على مفترق الطرق المؤدي الى القارات الثلاث ولانها تسيطر من جهة على قناة السويس ولانها تقع عبر الطريق الى الهند ولان ولان ··· هناك اسباب عديدة مهمة · لقد كانت فلسطين محط انظار حكام العالم منذ « نبوخذ نصر » · ولكن اذا كان هناك طمع لقوة عظيمة في بلد ما فانها تؤخذ ببساطة ، تستولي عليها وتلحقها بها ولكن لن يحصل هذا اذا كانت القوة قوة ذكية ·

وهكذا فان السياسة البريطانية كانت على اهبة للاستعداد وللرجوع الى مفهوم عظيم يجعل بريطانيا قادرة على السيطرة على فلسطين دون ان يبدو عليها ذلك · لقد كان المفهوم جاهزا ، ان اليهود من وعدتهم الثورة بفلسطين مضطهدون وبحاجة الى وطن · لقد كان المفهوم مغريا وكان في مقدور بريطانيا ان تعد اليهود بوطن في فلسطين · ليست فلسطين كوطن بل لليهود وطن في فلسطين · وبهذه الطريقة تتمكن بريطانيا ان تمتلك فلسطين ويكون لليهود وطن فيها · مثل هذه السياسة كانت لتساعد المصالح البريطانية في اميركا وذلك لتأثير اليهود هناك ·

ما العمل اذا كان هناك العديد العديد من اليهود الذين يودون الذهاب الى وطنهم القومي ؟ في البدء لم يكن هذا الاحتمال ماخوذا على محمـــل الجد ٠ ولقد بدا بعد ذلك للعالم المفهوم العام (الفكرة العامة) القائل بان اليهود يفضلون التجارة على الاعمـــال اليدوية ولن يكـونوا راغبين في الاستغناء عن محلاتهم ومكاتبهم من اجل صعوبات الحياة في الاراضـــي الضائعة في فلسطين وفي تلالها الجرداء وأرضها الصخرية بعيدا عن حفنة من المفكرين المثاليين والقليل من الفقراء فان القسم الاعظم من اليهود سوف يبقى حيث هو ٠

على اية حال في غمرة تجاهل اليهود كان هناك كثيرون من العرب الذين يثيرون القلاقل ٠ قد يكون اليهود تجارا ناجحين ولكن ان يصبحوا جنـودا مقاتلين فهذا ضرب من المستحيل ٠ مجرد التفكير في ذلك كان كافيا لجعل الادارة البريطانية تضحك ٠ لم يحمل اليهود السلاح منذ آلاف السنين وعلى هذا فان اليهود الذين يسكنون خارج فلسطين سوف يكرهون على الرعب والخوف بسهولة اما أولئك الذين يقطنون فلسطين فانهم سوف ينظرون الى الحماية البريطانية ٠ وهكذا فان المخطط قد وضع وباستطاعة العرب عنـد الحاجة ان يثوروا ، ضد الغزو الاجنبي ويبقى لليهود اقلية مهددة ويحمي الآخر من الآخر بوساطة الحراب البريطانية ٠

- ٢ -

وهكذا تقريبا كانت الصفة المميزة والغالبة للمفهوم الضمني لوعـــد بلفور ٠ وعلى هذا الاساس ظل الانتداب البريطاني وتطورت السياســـة البريطانية في ارض اسرائيل ، وقد وصلت ذروتها خلال الحرب العالميـــة الثانية ٠ لقد كانت الخطة واضحة ومتماسكة في الهدف والمحتوى ، ولتحقيق هدفهم كان البريطانيون متلهفون فقط لعدد محدد من اليهود ليدخلوا ارض اسرائيل ولكن ليس اكثر من ذلك ٠ في مثل هذه الحال ماذا يفعل المرء ؟ بالنسبة لردات فعل اليهود فقد كان اليهود ناجحين في التجارة ولكن لـــم يكونوا كذلك في السياسة فصح ما توقعه البريطانيون ٠ على اي حال فانهم لم يكونوا اذكياء كفاية لكي يتعلموا اهمية اختيار قياداتهم ٠

على أي حال ان هذه الخطة او كما ادعوها خطة الحاكم البريطـاني اثبتت انها خطة غير ملائمة لمواجهة الوضع في اوروبا خلال الحروب ٠ قارة

كاملة سعت بالكراهية والثراء · في بولندا عاش ملايين من اليهود محاصرين بالعنف المعادي للسامية وفي بلاد البلطيق والبلقان كان هناك مئات الالوف من اليهود حيث كانت اللاسامية تنمو بسرعة · وبالرغم من قابليتهم وقدراتهم وشهاداتهم الجامعية والكلية فان عشرات الآلاف من اليهود الذين لم يجدوا مكانا في الحياة في البلدان التي يعيشون فيها كان من الطبيعي ان يتوجهوا بابصارهم نحو ارض اسرائيل · كتل بشرية من اليهود كانت يجهـــدون اعصابهم للذهاب الى هناك ·

ان القلاقل والهجمات التي كان يقوم بها العرب كانت تحدث بلا ريب وكنا نحصد ثمارها · لقد وضعـــت وسيلتان بالغتا الاهميـة موضـــع التنفيذ · كانت الاولى بعثة التحقيق حيث ان سلسلة منها تعاقبت الى المنطقة · فكان لهذه البعثات المميزة السيكولوجية (النفسية) لتاكيد حقين متنازعين في فلسطين واعادة وجودهما امام قضاة متجردين مؤكدين الحاجة لوجـود سلطة الانتداب في فلسطين كقوة ثالثة حاسمة وفاصلة · الوسيلة الثانيـة كانت الكتاب الابيض او التقرير الحكومي الرسمي الذي نشر باعداد ضخمة مدعيا وبلغة حصيفة مميزة وموزونة الذرائع المختلفة ومبررات سياسة بقاء اليهود خارج فلسطين وحصر تطورهم هناك ·

لقد تكررت حلقة الاحداث ايضا وأيضا · لقد شجع العرب ، وفي بعض الاحيان علينا على تنظيم هجمات ضـــد اليهود فتاتـي بعثة التحقيق مـــع تقاريرهم وينشر الكتاب الابيض (الحكومي) وتتوقف الهجرة او تقف عند نقطة الصفر ·

لقد جاء هتلر الى السلطة عام ١٩٣٣ وهزت المجتمعات اليهودية في اوروبا في الصميم ، فاقتحمت موجة جديدة من اليهود المهاجرين فلسطين · لم يعد تدفقا بقدر ما كان قرارا جماعيا ·

وفي عام ١٩٣٦ والضغط اليهودي على ابواب ارض اسرائيل في ذروته نشبت قلاقل دامية واستمرت ولم يعد بالامكان ايقافها · نشبت لتمهيد الامواج المهاجرة واكراهها واستمرت من اجل التزود بالاعذار لبقاء الابواب موصدة ·

البعثة الثانية كانت بعثة ملكية ٠ وآخرها كان الكتاب الابيض عـــام ١٩٣٩ وكان مصحوبا بامضاء الغبي ومشوش التفكير (اصوف الشعر) « رامزي ماكدونالد » ٠ لقد وضع هذا « الكتاب » مـــن اجل تدمير آمـــال الشعب اليهودي دفعة واحدة ، فيما يتعلق بفلسطين ٠ وبعدها بأربعة اشهر نشبت الحرب العالمية ٠ ملايين من اليهود كانوا على ابواب الاصطياد من صياديهم القساة وكانوا في ذلك الوقت متمثلين في « هتلر » و « هملر » ٠٠ وماذا بعـــد ؟

بالنسبة لرجال الحكومة البريطانية فان الكتاب الابيض لم يكن هذا ليمثل مشكلة جديدة ٠ ان حل مشكلة فلسطين قد جزم به ٠ لقد احتـــاط الكتاب الابيض لكل شيء وفي النهاية ميع الادعاء اليهودي في فلسطين بقطع الوعد للسماح لـ ٧٥٠٠٠ نسمة للدخـــول الى فلسطين حتى عام ١٩٤٤ بالاضافة الى ٢٥٠٠ من اليهود الالمان المنبوذين ٠ بعد خمس سنين من ذلك ياتي الاستقلال المبني على الصداقة التقليدية بين بريطانيا والعرب المضمـــون بمعاهدة بين حكومة .H. M والحكومة الشرعية الجديدة للبلد ٠ وفي هذه الحال فان اليهود ايضا سوف يبقون في الذاكرة ٠ وبعدهـــا تدعي بريطانيا بانها قد وفت بجميع تعهداتها والتزاماتها وان اليهود سوف يحصلون على الاستقلال الثقافي ، وعلى حقوق متساوية وعلى نصيب نسبي بمقدار الثلث في الحكومة وسوف تؤمن لهم الحماية ٠ العرب يحكمون والمستشـــــــار البريطاني سوف يرى اذا كان بامكان العرب ان يسيروا في الحكم بالاتجـــاه الصحيح ٠ كل هذا كان واضحا وبقي تاكيد تطبيق الخطة والتي سميت في ذلك الوقت « القانون » او النظام والامن الناشئان عن فرضه وتطبيقه ٠

ان الصعوبة تكمن في رغبة اليهود اليائسة لانقاذ ارواحهم والهروب من « هتلر » واي اعتقاد كامن بأن الحدود الاوروبية المغلقة سوف تمنع الفرار قد تحطم ٠٠ لان « الارغون زفاي ليومي » بالتعاون مع حزب الثوار الصهاينة ومنظمة بيتار للشبان قد جلبوا كثيرا من المهاجرين اللاشرعيين الـــى البلد ولم تتعثر نشاطاتهم ٠ ولكـــن السلطات البريطانيـــة بذلت ما بوسعهـــا بالتهويل امام العالم وذلك عن طريق التصوير الرهيب لاوضاع سفن اللاجئين بتسميتها « السفن الاكفان » وبانها سفن قديمة وغير صالحة للابحار وبانها مزدحمة حتى شفير الحافة العليا من جوانبها ٠ وان القنصل البريطـــاني في « كوستانزا » ، والذي زار احد السفن قدم تقريرا يقول فيه انه ليس هناك

اي شخص انكليزي على أهبة الاستعداد لان يسافر تحت وطأة تلك الظروف غير اللائقة وغير الصحيحة ٠٠ ولكن النقل مستمر ٠

لم يدخر اي جهد دبلوماسي في بلاد شرق اوروبا لوضع حد للمساعدة التي كان يتلقاها المنظمون او الرسميون من الوكالات الحكومية او الرسمية في تلك البلاد سواء أكان ذلك في السراء أم في العلانية ٠ لقد اعيد ألفان من اليهود الذين وصلوا الحدود الرومانية ويحملون سمات مرور رومانية على جوازات تحمل سمات دخول الى بوليفيا ، أعيدوا تحت الضغط البريطاني على وزير خارجية رومانيا « سلينكو » ولكن هذا لم يمنع من وصول بعضهم وأجتياز الحدود والانضمام الى يهود آخرين من تشيكوسلوفاكيا واستراليا ورومانيا بوساطة جهد جديد والوصول الى ارض اسرائيل ، (لقد نجحوا) ٠ لقد وصلوا الى ارض اسرائيل مع حملة بعثة سكاريا والتي نظمها السيد جابوتنسكي ٠

ولقد وصلت ايضا الى مسامع الرسميين الانكليز الاخبار القائلة بأن عددا كبيرا من السفن الايطالية راسية في « تريسني » حيث يوجد كثير من السياح اليهود في ذلك المرفأ كان من الجلي ان اليهود لم يستسلموا فقط بل انهم كانوا ايضا يخططون لغزو واسع النطاق من المهاجرين اللاشرعيين في هذا الوقت أصبحت منظمة « الهاغاناه » التي استندت بحصارها على الوكالة اليهودية اكثر غنى من منظمة « الارغون » وأكثر نشاطا في حقل الهجرة ٠

ولكن الادعاء المزيف للحكومة البريطانية ، على اية حال ظل قائما ولم يتداع ٠ لقد كان العطف على اليهود الفارين من غرف الغاز متسما بالمقاومة والعداء وذلك عن طريق الاسئلة التي اوحيت الى مجلس العموم البريطاني ، اسئلة كالشكل الآتي : هل كان الوزير على اطلاع بأمر الالمان الذين يحشدون في ميناء « تريسني » بقصد نقل اعداد كبيرة من اليهود الى فلسطين وبطريقة غير شرعية وذلك من اجل ان يخلقوا المصاعب لبريطانيا العظمى في الشرق الاوسط ؟

ولقد كانت الدعاية الحكومية جاهزة لتطلق فيضانا من المبررات والاعذار وذلك بالقول بأنهم ليسوا قساة، انما هم في الحقيقة غير سعداء من اجل اولئك الناس المساكين ، وان الحرب انما قامت وفي الدرجة الاولى

مـــن اجلهم وان الحكومـــة تأمـل ، وبعد أن حطت الحرب أوزارهـــا ، ان يعودوا الى اوطانهم · ولكن الجواسيس الالمان لا يمكنهم التسلل الى الشرق الاوسط ويهددوا المصالح البريطانية ، والتي هي مطابقة لمصالح الانسانية · لقد اعطيت الا في الحرب للمندوب السامي البريطاني في القدس ان يستعمل هذا النقاش كرواية جديدة لمهام بدل الرواية القديمة المشكوك فيها في المثالية من اجل تبرير سياستهم الجديدة لاعادة مهاجرين يهود شرعيين الى اوروبا هتلـــر ·

- ٣ -

ان حصاد المأساة المحتوم لم يبق له الا ان يثمر · فلقد وصلت الى سواحل ارض اسرائيل وعلى متنها اكثر من سبعمائة مهـــاجر يحاولون الدخول الى البلد رغم العقبات والانذارات · ولكنها اعيدت الى نقطـــة انطلاقها في رومانيا وذلك تبعا للتعليمات · ولكن السفينة غرقت وقد قطعت نصف المسافة الى رومانيا وغرق جميع من كانوا على متنها · اما السبب المباشر لهذا العمل فقد ظل مجهولا ·

بعد فشل الدعاية في تبرير تلك المعاملة في نظر الرجال والنســـاء المتمدنين استنبطت الحكومة البريطانية وسائل انسانية جديدة في التعامل مع المهاجرين · فلقد اعلن السير « هارولد ماكمخائيل » المندوب السامي ، ان المهاجرين لن يعادوا الى اوروبا ولكن سوف يجمعوا في « موراتيوس » وعلى اية حال ، اضاف « ماكمخائيل » فانهم سوف يعادون الى اوطانهم بعد انتهاء الحرب · ولتعليم المهاجرين اللاشرعيين درسا فان القوات المسلحَة التي كانت مخولة بتنفيذ عمليات ترحيل الاجانب غير المرغوب فيهم وضعت قوات رمزية امام السفن التي سوف تبعد الى «موراتيوس» ولكن «باترا» لم تبرح المكان لان ارهابيين يهودا وضعوا قنبلة فيها لمنعها من الرحيل · انفجرت القنبلة فأغرق اكثر مـــن مائتي يهـــودي قتلوا او اغرقوا · ولقد اشارت السلطات البريطانية الى ان هذه العملية لم تكن من عمل منظمة الارغون بل ان « الهاغاناه » هي التي قامت بوضع القنبلة ·

في هذه الحال الخاصة فقط اظهر « ماك مايكل » الرافة والرحمـة بأن سمح للناجين بالدخول الى ارض اسرائيل ولكن القرار الذي رافق الرحمة اكد على نحو صريح لا لبس فيه بانـه لن يكون سابقة لغيرهـا وانه لـن يتسامح او يسمح للهجرة اللاشرعية • وان القانون يجب ان يفرض واي انسان يقبض عليه وهو يدخل بطريقة غير شرعية فانه سوف يعاد الى وطنه الاصلـي •

وهكذا وصلنا الى عام ١٩٤٢ حيث بداوا بتطبيق برنامج هملر بخطى واسعة ووصل ذروته • وكل الاستفتاءات التي كان يأمل اليهود بأن تقابل بضمير بريطاني حي ، كانت كلها غير مثمرة • لقد بقيت السياسة البريطانية في فلسطين ثابتة على نحو تام • لقد كان البيان الرسمي هو القانون والقانون هو البيان الرسمي • دخول اليهود الى ارض اسرائيل غير مسموح به ولقد حلت مشكلة ارض اسرائيل نهائيا بواسطة البيان الرسمي •

ولقد اسدل ليل من احلـك الليالي ستاره على الشعب اليهودي في اوروبا • لقد نقل مليونا ونصف المليون من الاطفال اليهود بوساطة قطارات الموت الى غرف الغاز • ملايين من الرجال والنساء اعدموا او اغرقوا او حرقوا أو خنقوا بالغاز او دفنوا احياء • عندما يتحول الانسان وحشا فانه لم يعد ينظر الى اليهودي كانسان • لا يوجد هنا مكان لخداع النفس • لقد كان النازيون وحلفاؤهم هم وحدهـم الذين نظروا الى اليهود نظرتهم الى الحشرات التي يجب التخلص منها • وابتدأ العالم الذي يدعو نفسه متمدنا بالاعتياد على فكرة فلربما يكون اليهودي لا يشبه البشر الآخرين • وكمـا ان العالم لا يأبه للآلاف من المواشي التي تقاد الى حظائر الذبح في مسالخ « شيكاغو » فانه لا يأبه او انه اعتاد ان يـرى عشرات الالوف مـن البشـر تجر فقط الى الذبح كالخراف • لا يشعر العالم مع المذبوح ولكنه يحترم الذين يحاربون • هذه هي الحقيقة المرة •

ان شعوب العالم كلها تعلم هذه الحقيقة المقيتة ما عدا الشعب اليهودي ولهذا السبب كان بمقدور اعدائنا ان ينصبوا لنا الفخاخ ويسفكون دماءنا في نفس الوقـت •

ولقد فرضت بريطانيا حصارا اقتصـــاديا على المناطق التي احتلها الالمان ، وفي الوقت نفسه فقد فرضت حصـــارا سياسيـــا ضد اليهود الذين يعيشون في تلك المناطق · فساند هذا العمل النازيين وان لم يكن يقصد به كذلك ولكنه ساعد في تحقيق احد اغراض النازية الا وهو تدمير جماهيـر الشعب اليهودي او بتعبير آخر تقليل عدد اليهود الذين يودون القدوم الى فلسطين الى اقل عدد ممكن وذلك بدوره يساعد على انجاز الخطة الرئيسة · مع ان تعدد الاسماء لهذه الخطة وشكلها مرن وقابل للتكيف تبعا للافكـار الجارية فان هذه الخطة بقيت ثابتة « البيان الرسمي » او « الكتاب الابيض » كان من بين تلك الاسمـــاء ونـداء التقسيم لبعثـة التجـــزئة عـام ١٩٣٧ كان اسما آخر و « الخطة المريشية » (المريشـة : رقصـة انكليزية نـاشطة يؤديها الرجال وهم يرتدون ملابس طريفة ويحملون اجراسا) كان اسمـا ثالثا و « خطة بيجن » كان اسما رابعا · وكانت تدعو في اوقات مختلفة الى الفدرالية « اتحاد منظمات حكومة فدرالية » او الى التجزئة الى اقاليـم وكانتونات او الى الحكم الذاتي والاستقلال · وكان الهدف من كل ذلك بقاء سيطرة الحكومة البريطانية على ارض اسرائيل بعدد من اليهود يكون تحت الحماية وسط بحـــر من العرب حيث تحكـــم امواجـه بحكام تلك الموجات التقليديـــة ·

يملك حكام تلك الموجات آفاق واسعة وهم يدرسون الاهداف والخطوات المحتملة لاعدائهم ولقد وقعت في ايادي منظـــمة « الارغون » سنة ١٩٤٥ وريقة تعكس تلك الروح بواسطة « المكتب العربي » المشهور في القاهرة وكتب عليها « سريا للغاية » لقد تطلع هذا المكتب والذي يقع تحت سلطة وزارة الخارجية الى ابعد من الانتصار على « هتلر » · ولقد افترض باقتناع ان عدد اليهود الذين يودون القدوم الى ارض اسرائيل بعد الحرب يجب ان يقلل كما افترض ايضا محاولة اليهود للمقاومة حتى بالقوة للخطـــة البريطانية في التنفيذ وان زيادة ضئيلة في عدد اليهود في ارض اسرائيل يسمح به من اجل تهدئة اولئك الذين يثيرون القلاقل ، وليس اكثر من هذا مما يجعل عدد اليهود يوازي ثلث عدد السكان وفي لغة الديمغرافية ، كما عبر عنه في شارع دوانغ كان ذلك هو « الحقوق المتساويـــة » وفي لغة الحقائق اليهودية كان حيا لليهود · وفي لغة التاريخ المحتم عن الاحياء اليهود كان يعني الدمار ·

لقد تأكد للمحرضين في القاهرة انه ليس من السهل بمكان تنفيذ ذلك المخطط · ولقد جاء في وثيقتهم ان منظمة « الارغون » و « شتيرن » سوف تقومان بأعمال تخريبية · وبعد ذلك تنضم اليهما منظمة « الهاغاناه » ومن المحتمل ان تتحد مع « الارغون » سامحة بذلك لمجموعة شتيرن بأن تبقى خارج هذا الاتحاد وتستقل بعملها · الهجرة اللاشرعية سوف تنظم وبشكل واسع وسوف تبذل الجهود من اجل خلق المشاكل بين السلطات البريطانية (في القاهرة والقدس) وبين الحكومة في لندن وفي الوقت ذاته يمارس التاثير اليهودي في الولايات المتحدة · ذلك التأثير كان عنصرا هاما · بالرغم من ذلك فقد افترض المكتب في القاهرة بأنه من الممكن التغلب على المقـــاومة اليهودية وعلى هذا الاساس فانه بات من الضروري في الدرجة الاولى تأمين اذعان الحكومة الاميركية بالمخطط الانكليزي أو قبوله ·

كان لهذا الاذعان العظيم الاهمية بالنسبة للحكومة البريطانية وذلـك لانهم وعوا حقيقة اعتماد اليهود الى درجة كبيرة على الدعم الاميركي · ومن ناحية اخرى فقد أدركوا ان الخمسة ملايين يهودي في الولايات المتحدة يؤلفون عاملا جوهريا في الانتخابات وهي حقيقة يلتاع لفقدها ولكنها حقيقة لا تتبدل ولا تتغير وبالتالي فقد فكروا انه من الاهمية بمكان ان يسبقوا اليهود ويؤمنوا مسبقا اقتناع الاميركيين بذلك المخطط ولقد اعدوا خطة الاقناع ·

لقد بذلوا ما بوسعهم ليطبعوا في اذهـان الاميركيين انه بالرغم من ان الحرب مع المانيا وايطاليا واليابان لا تزال دائرة فان روسيا السوفياتية بالتأكيد سوف تسدد اليها الضربة مؤخرا · في ذلك الكفاح فان بريطانيا ايضا ستكون في الخط الامامي للدفاع عن الديمقراطية والحرية · وبالتالي وجب على الولايات المتحدة عدم اعاقة الخطط البريطانية في الشرق الاوسط · ولقد أعطى هذا الطريق السهل نتائج جيدة لانه مع وجـــود الظهير الاميركي ـ البريطاني فان اليهود ببساطة لن يجرءوا على التصدي لهم · وان «الهاغاناه» باشراف السلطات اليهودية الرسمية بالتأكيد سوف لا يسمح لها باطـلاق عنانها والانخراط في الارهاب · اما بالنسبة للارهابيين الذين لم يرضوا ظاهريا بنظام السلطات فان مسؤولية عدم تقيدهم بالسلوك الجيد تقع على عاتق قياداتهم التي سوف تحمل على التعاون في تمييع التخريب ولقد اثبتت التوقعات صحتها ·

ضد هذه الخلفية نشبت الثورة اليهوديـــة في ارض اسرائيل ٠ ان الحقيقتين الرئيسيتين واللتين كانتا من اسباب نشوب الثورة المباشره هما اولا حملة ابادة اليهود في اوروبا وثانيا الابواب المغلقة في وجههم في اوائل هذه الحملة ٠ واني اؤكد كلمة «مباشرة» لانه في كل حرب وفي كل ثـورة فان الاسباب الرئيسة التي لا بد وان تخلق الحروب والثورات يجب ان تميز عن تلك الاسباب المباشرة التي تقرر فقط وقت نشوبها ٠

ان انتشار المجاعة في فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر وضريبة الملح لم تسبب الثورة العظيمة بل انهما عجلا بدايتها تمـــاما كما ساعدت ضريبة الشاي في اشعال فتيل حرب الاستقلال الاميركية ٠ وكما كان القاء « بريك » من النافذة سببا في حرب الثلاثين سنة واغتيال « سرايـيفو » سببا في الحرب العالمية الاولى وقضية « دانزيغ » عام ١٩٣٩ التي حولت النزاع بين المانيا وبقية العالم الى حقيقة تامة ٠

هذه القوانين التاريخية عملت على بروز قضية اعـلان العصيان في ارض اسرائيل ولكن على اسس وموازين مختلفة ٠ كان لا بد من اعلان ذلك العصيان ٠ ولقد شجب القادة الصهاينة طوال عدة سنين فكرة استقـلال اليهود وفكرة الدولة اليهودية ٠ ولكن فلاديمير جابوتنسكي حذرهم بانه لن يوجدمن يصدق احتجاجاتهم سواء اكان ذلك من جانب البريطانيين ام العرب ام العالم على حد سواء ٠ جميع هؤلاء قـــرأوا التوراة وعلموا انه في حـــال شروعنا نحن اليهود في العودة الى ارض اسرائيل فان هدفنا يجب ان يكون جليا وذلك بأن تعود ارض اسرائيل ارضا لنا مرة اخرى ٠ وهذا كان هدفنا اولا وأخيرا ٠ لقد كان يجري في عروقنا ونـــادى به نشيدنا القومي ٠ ان البريطانيين لم يلاحظوا التغيرات التي طرات على النشيد القومي اليهودي في ارض اسرائيل ٠ في الـ Diaspora سيرة (اليهود المشتتون في ارجاء العالم بعد الاسر البابلي) ٠ فقد تغنى اليهود بأملنا القديم في العودة الى ارض آبائنا ٠ وفي ارض اسرائيل تغنى اليهود بأملنا القديم لان نكون شعبا

حرا في وطننا . شعب حر ... في وطننا . شعب لا يحكمه الاجانب والغرباء ويجب ان يحرر نفسه من نيرهم وعبوديتهم وان مسألة التحرير ما هي الا مسألة وقت .

ومما لا شك فيه انه لو لم يكن هناك ابادة للشعب اليهودي في اوروبا ولو لم يكن البريطانيون ثابتون في سياستهم ، فان الثورة اليهودية سوف تندفع بشكل او بآخر ضد اي حكم اجنبي يحاول ان يفرض نفسه لاي فترة زمنية على شعبنا العنيد المحب للحرية ، ولكن هذان العاملان اللذان جاءا متوافقان معا في التهديد بخس الآمال في اسرائيل وتدمير الشعب اليهودي تدميرا تاما قررا لحظة نشوء الثورة .

ومن ناحية اخرى فان من الواضح لو انه لم يوجد في طائفة يهودية القوة والروح في اعلان الثورة رغم تضافر تلك العوامل لما أشرقت الشمس على شعبنا . ولكان قدر المخطط ان ينفذ ولكنا اليوم لم نحصل على دولة بل كنا حيا يهوديا يحاول اعداؤنا ان يجعلوه مقبرة لنا . ان الثورة ولعدة اسباب لا تعتمد على التوا، لم تسبب الترميم الكامل (فك الرهن التام) . لقد أسست الدولة فقط على جزء من اجزاء وطننا ولكنها لم تمنع الدمار التام لنا .

لقد انطلقت الثورة من الارض . ان الرواية الاغريقية القديمة عن انتايوس والقوة التي استمدها من الارض الام ما هي الا اسطورة كذلك فان القوة المتجددة التي اسسنا وخاصة لشبابنا من خلال احتكاكنا بتربة ارضنا القديمة لم تكن هي بدورها اسطورة بل انها حقيقة . ان الرسميين في وزارة الخارجية البريطانية لم يكن بمقدورها استيعاب هذا عندما رسموا خططهم ماذا كان يمكن لهم ان يتنبأوا عن تلك القوى الخامية التي تكلم عنها هرتزل بأنها غير قابلة للوزن ... خطأهم لم يكن حسابيا او رياضيا . لم يكونوا مخطئين في حساب عدد اليهود الذين يودون القدوم الى ارض اسرائيل . كان خطأ ادبيا . لم يكن باستطاعتهم قياس شخصية اليهود الذين قدموا الى ارض اسرائيل . فلقد افترضوا ايضا انهم حتى في ارض اسرائيل سوف يستمرون لان يكونوا متسولين جبناء مخلوعي الفؤاد يتسولون الحماية . ان ... اليهود او بالاحرى اتجاه القيادات الرسمية التي عبر عنه في ... المشهورة في ضبط النفس (هافلاغا) اتت

لتبرر هذا الافتراض وتدعمه · ولكن القوى غير المرئية والتي بدأت على انقاذ الشعب اليهودي من الزوال هدمت بنيـــان الافتراض البريطاني · لقد ظهر فلاديمير جابوتنسكي ليثقف جيلا بكامله ويمتد على المقاومة وليكون مستعدا للتضحية مستعـــدا للثورة ومستعـــدا للحرب ولقد ظهـــر دافيد دزرائيل العقل العسكري لجيلنا ، ظهر لينفذ العمل الحاسم ، الهجوم الاول للسلاح اليهودي · لقد نهض الجيش اليهودي السري وكذلك منظمة سرية اخرى تدعى المحاربون من اجل الحرية في اسرائيل · لقد نهض جيل جديد وادار ظهره للخوف · لقد بدأ يقاتل بدل ان يتوسل · ان اليهود كيهود لم يحملـوا السلاح تقريبا لالفي سنة من الزمن ولقـد بنى مضطهدونـا حساباتهم على ظواهر عوامل نفسية وعوامل طبيعية في نزع سلاحنا الكامل · ولم يتحققوا ان كلا الظاهرتين متداخلتان · لقد تخلينا عن سلاحنا عندما نفينا من وطننا وبعودتنا الى ارض آبائنا اعيدت لنا قوتنا ·

هدر الدماء كا ن احد الاسباب التي أشعلت الثورة من اجل البقاء · ان دم شعبنا الذي هدر في التربة العربية هو الذي اشعل الثورة في قلوبنا ومد الثوار بالقوة · وعندما تأكدت لنا التقارير الرهيبة القادمة من اوروبا ادركنا اننا يجب ان نقاتل ليس فقط من اجل حرية شعبنا ولكن ايضا لبقائه· هل لدينا شيئا نخسره ؟ ان هذا ليس سؤالا خطـــابيا · كانت هناك بعض النداءات الشهيرة للحرب التي كانت عادة مثيرة في تاثيرها اكثر من جدية محتواها « يجب ان نقاتل الى آخر نقطة من الدم » مثلا فيها كثير من المبالغة اذا ما قورنت بأشهر المعارك في التاريخ · « ليس لدينا ما نخسره » هو مثل آخر · ان الناس عادة لا يقاتلون الى آخر نقطة دم من دمائهم · طبيعيا فان لديهم شيئا ما يخسرونه ·

على اية حال ان قضيتنا كانت وحدة لا تتجزأ · عندما انطلقنا بثورتنا ضد نير العبودية وضد السفك المفرط للدم اليهودي كنا على يقين ان شعبنا ليس لديه ما يخسره ما عدا احتمالات الابادة · لم يكن هذا مجرد كلام او غلو او مبالغة · لقد كان ذلك هو الحقيقة التي شدت من عزائم الثوار وقدرتهم على التضحية · ان القدرة على التضحية هي مقياس الثورة وأب النصر · ويمكن للمرء ان يشعل نار الثورة فقط عندما يكون جاهزا للوقوف في وجه « زيوس » (كبير آلهة اليونان) نفسه لكي يوقف النار عن الانسانية · طالما

يجزم الانسان بأن الارض تدور حول الشمس يمكنه الجزم ليس فقط انه غير قابل للانهزام بل ان عقيدته ٠٠ عقيدة الحقيقة سوف تنتصر في النهاية حتى ولو كان ذلك تحت التهديد بالاعدام حرقا ٠ باختصار في التاريخ كله لم يكن هناك قوة اعظم من الاستعداد للتضحية بالنفس تماما كعدم وجود حب اعظم من حب الحرية ٠ ان تربة بلدهم ودم شعبهم المسفوك غرس في نفس الثوار اليهود بالقوة والحب ٠

ان التحولات التي حدثت في الروح اليهودية بوساطة هاتين القوتين وجدت التعبير عنفسها في الاعمالوفي الكلام في المعركة وفي قاعات المحاكم٠ لم يكن الثوار الذين جلبوا امام المحاكم العسكرية ليسالوا ولو مرة واحدة الرحمة والشفقة من اجلهم فانهم اما ظلوا صامتين من اجل ان لا يقدموا اية معلومات او انهم اخذوا نضالهم معهم الى قاعات المحاكم مهاجمين بذلك القضاة الذين هددوهم بالمشانق ٠ كانوا مهاجمين بدل ان يكونوا مدافعين عن انفسهم ومتهمين بدل ان يكونوا متوسلين هذا ما قاله احد ابطال جيلنا المسلحين « مير فيستان » الى القضاة البريطانيين في احد التصاريح البليغة الحادة ٠

هذا هو النظام الذي ارادوا ان يؤسسوه في وطننا ، نظام مقدر له ان يخدم كمنارة للانسانية ٠ ولقد صورت لهم روحهم الشريرة الغبية انهم بوساطة الوسائل سوف ينجحون ويحطمون روح الشعب ، الشعب الذي تحولت بلده كلها الى مشانق ٠ لقد كانوا مخطئين ٠ وسوف يتعلمون ان ما وقفوا ضده هو الفولاذ ، الفولاذ المصهور بنار الحب والكراهية ، حب الوطن وحب الحرية والكراهية للظالمين والغزاة ٠ انه فولاذ محرق ولن يكون بمقدور اي شخص ان يحطمه وسوف يحرق يديه اذا ما حاول ذلك ٠

« كم انتم عمي ايها البريطانيون » ألم تتعلموا مع من تتعاملون في هذا الكفاح ٠٠ ألم تتعظوا بالتاريخ البشري ؟ اتؤمنون باننا سوف نخاف من الموت نحن الذين سمعنا ورأينا لسنين عديدة ارتال الشاحنات التي كانت تحمل اشقاءنا وآباءنا وافضل ما في شعبنا الى الذبح حيث لم يسبق لمثل ذلك في التاريخ ، نحن الذين سألنا ونسأل انفسنا كل يوم هل نحن افضل منهم ، من الملايين من اشقائنا ؟ واين تقع فضيلتنا ؟ فضيلتنا في ان نكون معهم في ايام الخوف وفي اللحظات التي تسبق الموت ٠

على هذه الاسئلة المتكررة ليس لدى ضميرنا الا جواب واحد : لم نوفر لكي نعيش في العبودية والاضطهاد في انتظار قدوم مجازر جديدة مثل تلك التي حدثت في « تريبلينكي » لقد استبقينا من اجل توفير الحياة والحرية والشرف لانفسنا ولشعبنا ولابنائنا وابناء ابنائنا · لقد استبقينا من اجل ان لا يتكرر ذلك الذي حدث في اوروبا وما حدث ويحدث هنا تحت حكمهم حكم الخيانة ، حكم الدم ·

« لهذا سوف لا نخاف · لقد ضحينا كثيرا من اجل ان نتعلم ان هناك حياة اسوأ من الموت وموتا اعظم من الحياة » ·

هذه الكلمات التي قيلت ونحن على شفير الهلاك تعبر عن الشعور الذي غرس في الثوار · ان الشعور نفسه هو الذي إجري للرأي العام للثورة الذي نشر بوساطة « الارغون » على طول ارض اسرائيل وعرضها عام ١٩٤٤ · ذلك النداء الذي تضمن مسحا للماضي الذي حدد المطالب السياسية للشعب اليهودي في نهاية الحرب العالمية الثانية والذي رسم الطريق للثورة والنضال ووصل ذلك الى النتيجة :

« اربع سنوات مضت على بداية الحرب وكل الآمال التي كانت تنبض في قلوبنا تبخرت ولم تمنح وضعا شرعيا لنا ، فلا جيش اليهود قد أسس ولا فتحت بوجهنا ابواب البلد · فلقد وقعت الحكومة البريطانية خيانتها المشينة تجاه الشعب اليهودي حتى ان وجودها في ارض اسرائيل لم يكن له اي قواعد وأسس ادبية او اخلاقية ·

« وبدون خوف نستنتج انه لم يعد هناك في ارض اسرائيل اي هدنة بين الشعب اليهودي والادارة البريطانية التي سلمت اخواننا الى هتلر ·· ان شعبنا في حرب مع ذلك النظام ــ حرب حتى النهاية ·

« ان مثل هذه الحرب تتطلب كثيرا من التضحيات الكبيرة ولكننا دخلناها ونحن على يقين باننا دخلناها ونحن مخلصون اوفياء لاطفال شعبنا الذي ذبح ويذبح · من اجلهم نحن نحارب من اجل استشهادهم بقينا مخلصين ·

« هذا هو اذن مطلبنا : التسليم السريع للسلطة في ارض اسرائيل الى حكومة يهودية مؤقتة ٠

« سوف نحارب ، كل فرد في الوطن سوف يحارب . اله اسرائيل وسيد القربان المقدس سوف يؤيدنا ٠ لا تراجع ٠ اما الحرية واما الموت ٠

لن يخاف الشباب المقاتل من المحنة والبلية ، ولن يثنيهم عن التضحية ولا عن دفع ضريبـــة الدم والالام ٠ لن يستسلموا حتى يكونوا قد اعادوا ايامنا الغابرة وأمنوا لشعبنا الوطن والحرية والشرف والخير والعدالة ٠ ولكن اذا ايدتموهم بالمساعدة فانكم سترون منا هذه العودة الى جبل صهيون واسترجاع ارض اسرائيل ٠

— ٥ —

لم يظهر هذا النداء في حزيران ١٩٤٤ ولكن في منتصف سنة ١٩٤٣ حيث عملت جنديا في جيش اجنبي ٠ نظرا للظـــروف غير المباشرة التي طرأت على « الارغون » في الداخل والخـــارج فقد اجلت ساعة الصفر ٠ واخيرا حانت وخرجنا للقتال وارتدينا درع الحرية ونطقنا بمطلبنا المحدد : حكومة يهودية مؤقتة ، وأخذنا العهد على انفسنا بأن لا نتراجع ٠ لقد بدأنا نصلا لا يمكن التكهن بنهايته٠ حاضرنا مر ومستقبلنا غامض ولكن جهدنا ، تضحياتنا ، دماؤنا ، وآلامنا سوف تأتي لنا بالنصر ٠

قبل بيان الثورة فان قائد « الارغون » اخذ بعين الاعتبار وبتحمس فيما اذا كان من المستحسن ان ينشر هذا البيان في ظل التاجيل الذي طرأ ٠ الم يكن من الافضل ان يبدأ الفرد بالعمل قبل ان يبدا بالشرح والتفسير ٠

ان بعضا من زملائي شعروا ان هناك اسباباداخلية واخرى خارجيةتحتم علينا البدء بهجوم عسكري وليس بأطروحة او رسالة ٠ ولقد كان نقاشهم وجيها ٠ ان شعبنا هو شعب عملي ٠ العالم لا يحترم الكلمات الا اذا كانت

بمرونة بالعمل وبالتالي فقد بنى الزملاء نقاشهم على ان العالم سوف لا يأخذ بياننا بعين الجد · سوف يقراه النـاس ويهزون روؤسهم ويقولون لانفسهم لقد قرانا افضل منه وحتى كلمات اكثر انفعـالا ويسيرون في طريقهم دون ان يحركوا ساكنا · اما بالنسبة لصفوف شعبنا فان ارادتهم للقتال كانت خارجة عن السؤال ولكن كم من مرة اخبروا ان القتال قد بدا · لقد كثرت الوعود التي لم تنجز مع انه كان القصد الوفاء بها · لقد كانت خيبة متكررة · وان وعدا آخر ، بيانا آخر لن يأسر قلوبهم ولن يضر ابدا · فهم ايضا سوف يقراونه ويهزون رؤوسهم ويقولون بأنهم سبق لهم وأن قراوه ·

بالرغم من نقل هذه المناقشات مدعمة بالحقيقة القائلة بأن العمل الاول سوف يعود علينا بالفائدة العسكرية لمفاجاة تامة بالرغم من كل هذا فقـد قررنا نشر البيان · وكان جليا لنا انه كيفما تطورت الامور فاننا سوف نشرع في كفاح طويل · صدى عملية واحدة لن يكون كافيا ، علينا ان نقوم بعدة عمليات · سوف يكون هناك معاناة · وبالتالي كان من واجبنا ان نشرح قواعد كفاحنا واهدافه ليعلم العالم من اجل اي شيء نكافح · ويجب ان يعلم الشعب لماذا عليه ان يكون مستعدا ليتحمل المصاعب التي تستجد نتيجـــة لعملياتنا · ويجب ان يدرك الشباب لماذا يخاطرون بحياتهم · ولقد أدركنا ان نضالنا لن يكون عسكريا فقط · لم يكن هناك اية نسبة بين قوة المغتصبين وقوة الثوار · فكان علينا ان نعدل الموازين مع عوامل اخرى · كان احد تلك العوامل العامل السياسي ، وسيكون النضـــال سياسيا متبوعا بوسائـل عسكرية· وبالتالي فان تفسيرا واضحا ومستمرا يجب ان يصاحب العمليات العسكرية · وهكذا ولد ونشر البيان الطويل ، والذي دعي « بالبلابزا » ·

عندما سمعت كلمة « بلابزا » لاول مرة لم أكن لاعلم ماذا كانت تعني · ولكن بعد البحث اكتشفت انها كلمة من اصل اسباني وتعني « كلمة » العالم ولم أستطع ان ادرك الصلة · ولكن اصدقائي اخبروني انها تحمل معنى « الثرثرة الهادئة » ، وطبقت على بياننا بوساطة عامل المطبعة · لقد كـــان الرجل مولع بطبع نشراتنا السرية بمساعدة ابنائه لعدة سنوات ولكن كان في تلك المرحلة المبكرة نوعا ما عصبيا لانه كان يريد ان يطلق هذه النشرات من بين يديه بأسرع وقت ممكن · ولقد تذمر من طول ذلك البيان الذي سماه « بالنبلانزا » ·

وكان للطابع اسبابه الخاصة التي تبرر فكرته هذه ولكن لسوء الحظ كان هناك الكثير من الذين أيدوه اصدقاء وغير اصدقاء · لم يأخذ احد منهم بياننا بعين الجد · ولم يفكر احدهم بأنه سيكون لنا اتباع واتباع لاتباعنا · لقد سمعت تعليقات مجاملة نموذجية : « بيجن » ضالع في فن الخطابة والآن يعمل سريا ولم يعد يخطب بين الناس وكل ما يفعله هو كتابة تلك الخطب على الجدران · فقط « بالبلانزا » ·

يبدو ان هذا هو رأي البريطـانيين ايضا · من بين المشككين كان « ولكان » ضابط في مركز البوليس السري .C.I.D المشهور · لقد كان « ولكان » ماكرا كالثعلب وأحد الاعضاء البارزين في المباحث البريطانية · لقد نهض من بين صفوف عامة الشعب ويتكلم العبرية جيدا وعالما نفسانيا ممتازا · عندما يقبض على احد المتهمين يواجهه بالسؤال التالي :

«الى اي منظمة تنتمـي» ، «الارغـون» او مجموعـة « شتيـرن » ؟ وعندما يكون الجواب بالنفي يثور « ولكان » ويقول :

« ماذا ، يا خائن ؟ ان هتلر يقتل اليهود في اوروبا ، والبيان الرسمي « الورقة البيضاء لا تزال سارية المفعول ولا تنتمي الى العمل السري ؟ » ·

لم يكن لينجح دائما في عمله هذا ولكن بعض مسجونيه كانوا يزدرون طعامه المسموم ·

مع تعـاظم النضـال السري رقي « ولكـان » وأرسل الى .C.I.D مركز البوليس السري في القدس حيث اغتيل مؤخرا ·

عندما اخبر ان هناك مشاكل جمـة ستقع في المستقبل القريب وان « الارغون » اعلنت الحرب ضد النظام البريطاني ودعت للثورة العامة عندما أخبر بذلك بقى هادئا ، كان ذلك عندما نشر بياننا الطويل · وعلق بازدراء « لا يوجد ما يوجب القلق » ·

تلك كانت ردة الفعل المشتركة بين اليهود والبريطانيين · سخرية عارمة وايمان ضعيف كان ذلك نصيب الـ « بالبلانزا » · ولكننا نحن الذين نزلنا الى الاعماق ، الى السرية لكي نبدأ بالنضال من اجل الحرية ، كنا نعلم هذا العمل بالفعل ، كان عملا جديا · لم يترك لشعبنا الذي اهلك القسم الاكبر منه الا طريق واحدة · طريـق الثورة حيث كانـت هي الطريق الوحيدة

والطريق الصحيحة نتيجة لطبيعة الاحـوال · ان الكلمتين الرئيسيتين اللتين غيرتا تاريخا ووضعتا تاريخا آخر الهبتا الصراع فـــي ارض اسرائيـــل هي الحرية او الموت ـ كلمتان بسطيتان ·

لا تراجع بعد الآن · لقد نزع عبء ثقيل عن قلوبنا · كم سيطـــول الصراع ؟ انها البداية فقط · كم سيطول النضال ؟ ما هي التضحيات التي يجب ان نقدمها ؟ الدم ··· عائلات محرومة أطفال مهجرون ابناء يسقطون في ارض القتال امهات ارامل · المسؤولية كانت مخيفة وكبيرة ·

ولكن كان هناك في عقولنا المعرفة الثابتة لما تخططه السياسة البريطانية لنا حيث لا تزال صدى ارتال الشاحنات في اوروبا ترن في آذاننا ولقد قوينا قلوبنا ضد جميع الشكوك وضد الحلول البديلة ·

ما الفائدة من كتابة المذكرات ؟ وما قيمة الخطب ؟ اذا هوجمت بوساطة ذئب وانت في غابة ، أتحاول ان تقنعه انه ليس من العدل ان يمزقك اربا وانه ليس ذئبا بل حملا وديعا ؟ هل ترسل له مذكـــرة بذلك ؟ لا ، لا يوجد بديل للقتال · اذا لم نقاتل فاننا سندمـــر · وكان القتـــال هو الطريق الوحيد للخـــلاص ·

عندما قال سقراط « انا افكر فاذن انا موجود » فانه نطق بفكرة عميقة ومؤثرة · ولكن هناك فترات في تاريخ الشعوب حيث ان التفكير وحده لا يبرهن وجودكم اذ يمكن لشعب ما ان يفكر ابناؤه رغم انكارهم فانهم يتحولون الى قطيع من العبيد · وهناك فترات من الزمن حيث كل شيء في الداخـــل يصرخ ويقول : ان احترامك لنفسك كانسان بشري يكمن في مقاومتك للشر · نحن نقاتل فاذن نحن موجودون ·

الاستراتيجية اليهودية

انه لخطأ فاضح ان نستنتج مما قلته في الفصل السابق ان مصدر قوة الثوار وعملهم كانت عواطفهم ٠ والافتراض ان الثورة لم تكن الا مغامرة بطولية لشعب يائس حيث بالصدفة لم تنته بفشل او كارثة كان اكثر من خطأ٠ انه حماقة ٠ على اية حال كان هذا هو احتمال اللورد « صموئيل » ، حيث كان في وقت من الاوقات الحاكم المفوض في فلسطين ٠ في نقاش جرى في مجلس اللوردات البريطاني من صيف ١٩٤٦ دعا نظراءه من اللوردات لاجراء مقارنة بين ما يحدث في ارض اسرائيل في القرن العشرين وتحت الحكم البريطاني وبين ما حدث في القرن الاول حينما كان هناك الرومان يحكمون٠ الآن توجد جماعة من « الارغون » ٠ وقبل قرون كان هناك مجموعة تطلق على نفسها (الزيلوتيون) (طائفة يهودية قديمة عرفت بمقاومتها الشديدة للسيطرة الرومانية على فلسطين) الذين أظهرو بطولة عظيمة وتضحية نفسية في وقفتهم الشجاعة ضد عظمة الامبراطورية الرومانية ٠ وعاد وسأل اللورد « صموئيل » وماذا كانت النتيجة ؟ لقد ماتوا جميعهم ولم ينج منهم احد ٠ في الحصار التاريخي « للمسادا » فان آخر من بقوا على قيد الحياة قتلوا زوجاتهم واطفالهم وبعد ذلك قتل بعضهم بعضا بحيث انه لم يبق منهم واحد ليقع بين ايادي الرومانيين عندما دخلوا القلعة ٠ كانت تلك هي الضربة القاضية للشعب اليهودي الذي نفي من بلده وشتت في جميع جهات المعمورة فذكرهم بأن ذلك العمل البطولي لم يحقق شيئا وعلى الشعب اليهودي ان يكون حذرا في سلوكه نفس الطريق ٠

لكن الحوادث المتتالية اثبتت ان سيادته كان على خطأ٠ فان الثورة ضد البريطانيين لم تنته كما انتهت الثورة ضد الرومان ٠ انها ليست أل «مسادا» بل « موديين » هي رمز الثورة لعصرنا ٠ ان السبب بسيط ٠ ان الثورة

الحديثة لم تكن فقط نتاج العواطف الطبيعية بل انها كانـــت تسير بمنطق سياسي معقول ٠ ان العواطف امدت الثورة بالبطـــولة والمنطق هو الذي استحدث استراتيجيتها والاستراتيجية القوية تؤمن النصر ٠

في المراحل الاولى من الثورة حققنا شيئا استراتيجيا هاما ألا وهو اننا نجحنا في ابطال مفعول العامل العربي المحلي لانه ومنذ عشرين سنة والعرب يأخذون المبادرات العسكرية والسياسية وبدقـــة اكثر ان الادارة البريطانية طوال مدة الانتداب كانت هي التي تكـره العرب لكي يتسـلموا المبادرة ٠ من جهة اعطى هذا العمل الحجة والذريعة لعدم السماح لكثـير من اليهود ليدخلوا البلاد ومن ناحية اخرى فقد اقترح ضرورة وجود القوات البريطانية في ارض اسرائيل ، من اجل حماية اليهود ٠ ان الحقائق التاريخية للهجمات العربية معروفة : ان المذبحة التي ذهبَ فيها كثير من الآمنين في القدس القديمة سنة ١٩٢٠ والهجوم الاجرامي في حيفا سنة ١٩٢١ وحمامات الدم عام ١٩٢٩ وحملة العنف المستمرة عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٩ ٠ كانت للنتائج السيكولوجية لهجمات الجانب الواحد آثارها المدمرة كآثارها السياسية (وما ترتب عنها من آثار سياسية) ٠

ان العرب الذين لا يمكن ان تتهمهم بالجبن والذين لا ينظر اليهم بانهم شجعان بدأوا جديا بالنظر الى اليهودي وكأنه « ولد الموت » ويتطلعون الى مهرجانات عظيمة للذبح الجماعي (ذبح اليهود) لقد ترسخ الاعتقاد والى حد كبير بان اليهود في ارض اسرائيل كما في مكان آخر كانوا فقط عبئا على قوات الامن المسيحية ٠ تبا لتلك العدالة التي تذبح بخنجر ابن الصحراء ٠

لقد وضعت الثورة حدا لذلك الوجه الخطير والمخزي ٠ ان البريطانيين الذين يهاجمون الثوار اليهود ويعلنون الفكرة القائلة بان وجودهم في فلسطين هو لحماية اليهود ٠ وحالا نسي العرب « طفل الموت » وابتدأوا يحترمون وحتي يعجبون باليهودي « الجدع » ٠ ان هذا الاعجاب لم يكن نتيجة مباشرة بل كان نتيجة لمغزى عملي عظيم ٠ لقد فقد العرب زمام المبادرة العسكرية ولم ينجح المنتدب في الضغط على العرب لاخذ زمام المبادرة ليس لانهم لم يحاولوا بل على العكس فانه طوال فترة الثورة لم تدخر الحكومـــة جهدا لان تعيد المد والجزر وتحول القتال الانكلو ـ يهودي الى نزاع عربي يهودي ٠

ان اتصالات العرب بكل من « الهاغاناه » و «الارغون» كانت تدور حول زيادة مندوبي الحكومة للقرى العربية وحول الخطب المثيرة الموجهة الى العرب · ولكن هذا الحماس لم يثمر وذلك لان العرب كانوا يسمعون ولكنهم يبقون سلبيين ·

واخيرا استحدث احد الضباط الانكليز وهو برتبة عالية ويدعى الجنرال « دارني » ، نظريـــة جديـــدة بخصـوص البعثة البريطـــانية في ارض اسرائيل · لقد اخبر جمعية تقصي الحقائق الانكلو ـ امريكية بأنه اذا ما رحلت بريطانيا فان اليهود سوف يسيطرون على البلد بكامله وبكلمة اخرى، فان واجب الانكليز ان يحموا العرب من اليهود · وهكذا بالتأكيد فقد تغـير النغـــم ·

في الايام الاولى للثورة توفرت لي مناسبة لكي اشهد التاثير النفسي الذي اثارته هجماتنا الفجائية بين العرب · بعد يوم واحد من هجومنا الثلاثي على مقر رئاسة الشرطة في القدس وحيفا ويافا ذهبت الى تل ابيب · ومن اجل السلامة سافرت سويا مع رفيق لي في سيارة عربية كبيرة · لقد اوقفنا عدة مرات ونحن في الطريق من جانب الدوريات البريطانية بينما كان تفتيش المركبات اليهودية تفتيشا دقيقا فان التدقيـــق في مركبات العرب الموالين تفتيشا روتينيا · ولكن آراءنا كانت منتظـــمة وتركنا نمـــر · ان صاحبي « شمشون » الذي يجيد العربية استمع الى المحادثات التي كانت تدور بين العرب المسافرين معنا · كان موضوع حديثهم الوحيد الهجوم على مقـــر رئاسة السلطة · كانوا مملوئين بالدهشة ولقد اطلق العنان لمخيلاتهم المثيرة · ومن جملة ما قالوه « أليس للشرطة وجود في البلد ؟ »

وعندما وصلنا القدس شاهدنا تجمعات كبيرة من العرب وهم يتجمعون في المنطـقة الواقعة بين بنك « باركلي » ومركز البريد ويشاهدون من بعـد اكثر الدمار والخراب الذي سببته منظمـــة « الارغون » في مقـر القيادة العامة للشرطة · لقد درسناهم عن كثب · لقد كانوا مصعوقين بشدة · ولقد استمع اليهم « شمشون » في بعض احاديثهم · لقد كان حديثهم مزيجا مشوشا من الدهشة والخوف والاعجاب · وكان هذا هو الحال بالنسبة للهجمـات الاخيرة والنتائج المترتبة عليها حيث كان باستطاعتهم مشاهدتها ·

استحدث نوع جديد من « الحاح » بين المواطنين العرب · لقد كانوا يأتون من كل مدينة وقرية الى الاماكن التي كنا فيها سلطة الاضطهاد وننسف ابنيتهم حيث كانت تسوى بالارض ، كما وصفهـــا احد اعضـــاء البرلمان الانكليزي خلال المدة التي اعتدنا ان نخاطب العرب بلغتهم فان الآلاف من اعضائنا قد وزعت في المدن والقرى العربية حيث كانوا يشبهون العـــرب بمظهرهم او انهم عرب اصدقاء لنا · ان العرب ، حقيقة ، لا يقرأون كثـيرا ولكن فضولهم لمعرفة ما كان يقوله ذلك الذي يعمل تحت الارض (في السر) · ان العربي المثقف عادة ، يقرأ للمستمع الذي يملأه الشوق وذلك لكونه لا يستطيع القراءة ·

لقد اعلمنا العرب انه ليس لدينا أي رغبة في قتالهم او ايذائهم · واننا متلهفون لان نراهم مواطنين آمنين للدولة اليهودية المقبلة وأشرنا الى الحقيقة التي لا يمكن نكرانها اننا في عملياتنا في المناطق العربية لا نحمل اي ادنى تعريض لسلام العرب وأمنهم .وحذرناهم بأن هدف الرسميين الانكليز اثارتهم ضدنا ولحضنا لان نتقاتل مع بعض · ولقد تأملنا باخلاص ان لا يعيروا اي اهتمام لمثل هذا النوع من الدعاية · وعلى اية حال اذا هم فعلوا ذلك ورفعوا يدا ضد اليهود فاننا لا نملك اي خيار غير ان نتحرك ضدهم بكل قســـوة وعنف ·

كما كان لبياننا من تأثير فان من التأكيد انه كان لاعمالنـــا التأثيـــر الاكبر · الحقيقة انه لم تفشل حكومة بريطانيا العظمى في وضع حد لكفاحنا فقط بل على العكس فانها بقيت تخضع للضربات التي تتزايد عنفا وحدة حيث مارست تأثيرها على الحالة الصحية للعرب · ومخيلتهم اكملت تأثيرها على ما تبقى ·

لم يكتف العرب في الاحجام عن اعاقتنا في هجماتنا على السلطة فقط ولكن بعضا منهم ساعدنا ايضا بكل فعالية ان مساندتهم لنا في الحقيقة لم تكن لتوهب مجانا ولكنها كانت حيوية بالنسبة لنا · ان بعضا من سلاحنـــا القليل كنا قد حصلنا عليه من العرب · حتى وجدنا وسائلنا الخاصة في تصنيع كميات ضخمة من المتفجرات حيث كانت السلاح الرئيسي في كفاحنا من اجل الحرية · وبغض النظر عن كل ما استعرناه من البريطانيين انفسهم فان القسم الاكبر من الـــ ت·ن·ت· حصلنا عليه من الممولين العرب ·

وفي المرحلة الاخيرة من الثورة تقـــدم الينا ممثلون لبعض القبائل العربية باقتراح يقول بأن نقيم « جبهة حرب مشتركة ضد البريطانيين » وكل ما كانوا يريدونه هـو المال لتمويـن الدعايـــة مـن اجـل الحـــرب التي سينشرونها بين قومهم لكننا لم نكن قادرين على الموافقة على عرضهم هذا لان المال القليل الذي كان معنا نحتاج اليه لشراء المتفجرات من العرب ·

لقد رفع العرب السلاح بوجهنا مباشرة بعد ان وصلت منظمة الامم المتحدة الى قرارها في تقرير مستقبل ارض فلسطين (القرار الذي كـان النتيجة المباشرة للثورة اليهودية) لقد فعلوا ذلك لانهم وعدوا بأن الجيوش النظامية العربية سوف تدفع الى المعركة لقهر اليهود وتدميرهم · ان اتجاه الاحترام المزوج بالخوف الذي أثـــاره السلاح اليهودي بين العرب، خلال الثورة ضد البريطانيين كان له التاثير الكبير خلال فترة القتال الذي نشب في ٣٠ تشرين ثاني ١٩٤٧ وخلال الغزو الذي بدا في الخامس عشر من ايار سنة ١٩٤٨ · ان القوة هي التي تقرر مصير المعركة · ولكن اية قوة ؟ انهـا ليست العامل الطبيعي وحده · ان العوامل الروحية والنفسية هي ايضا مهمة جدا وفي بعض الاحيان تكون عناصر حاسمة للقوة المقاتلة ، لانه مثلا « مخيف لاعدائه » ، و « دائما هو المنتصر » و « الذي لا يهزم » وهكذا · ان اسطورة القوة اليهودية خلقت بوساطة الناس الذين يعملون ســرا ، بوساطة الثورة اليهودية · ان هذه الاسطورة التي نمت وترعرعت خلال السنوات التي سبقت القرار السياسي العالمي لعبت دورا مهما في ردع الغزاة وزرع الرعب في قلوبهم الشيء الذي لم يعط حقه العادل ·

ان الهاغاناه لعبت دورا تاريخيا في القتال ضد العرب الغزاة قبل قيام الجيش اليهودي الموحد · ولكنه من الغباء الادعـــاء بأن وجود الهاغاناه ١٩٤٤ـ١٩٤٨ هو الذي منع تكرار القلاقل التي أثارها العرب ١٩٣٦ـ١٩٣٩· ومما لا شك فيه ان العرب كذلك سمعوا بعشرات الآلاف من البنادق المزعومة التي كانت تمتلكها « الهاغاناه » فانهم يذكرون الهاغاناه من ايام الهافلاغا · تلك الذكرى التي جعلتهم يحجمون · اذا كان هناك شيء يتوقفون عنده فانها عمليات ما قبل حرب الثأر والانتقام لمنظمة « الارغون » ·

وفي الحقيقة وبالرغم من عدم نشاطها لعدة سنين ، فان شهرة الهاغاناه كان لها مكانها بين العرب · ولقد اكتسبت هذه الشهرة نظرا للحســـابات

المنطقية التي قام بها العرب وذلك حينما شاهدوا هجماتها الفجائية الناجحة ضد البريطانيين · مما حداهم الى مضـــاعفة قوتنا ثلاثة اضعاف وبفضل مخيلتهم فانهم ضاعفوها اكثر من ذلك · ولقد ناقشوا الافتراض القائل : اذا كانت الارغون قوية واذا لم يكن في استطاعة بريطانيا العظمى اخضاع قوة صغيرة نسبيا من الخارجين على القانون التابعين للارغون فما هي قوة السبعين الفا من الهاغاناه وهكذا فان كل هجوم جديد على قوات الظالمين قوت من اسطورة القوة العسكرية اليهودية بين العرب ·

بهذه الطريقة أمنت الثورة حياد العنصـر العربي ولم تستطع الثورة البريطانية ان توجهه ضدنا كما كان يحصل في الماضي· وعندما حاول العرب اخيرا بأن يقيسوا قوتهم ضـــدنا بعد تشجيع البريطـانيين كانوا قد أتوا متأخرين · لقد قطعت ايديهم كما كنا قـــد حذرناهـــم من قبل · انتهـــى الصدام الاول وان يكن قد كلف اليهود غاليا في الارواح ·

ان «تأمين الجانب» خلال الثورة ضـد نظام الانتـداب كـان انجـازا استراتيجيا ضخما ولكنه حقق بطريقة غير مباشرة· ان الاستراتيجية العظمى قد وجهــت ضد الحكومة نفسهــا وفعـــلا حققــت اهدافـا مباشرة · لم تكن هذه الاستراتيجية مخطط لها في يوم من الايام وانما اتخذت صورتها وطورت خلال العمل الجدي الدؤوب وقومت بحرارة المعركة وعلى ضـوء التجربة والخبرة · لقد قامت استراتيجيا/ على ثلاث اسس سليمة : اولا : الدراسة الشاملة للطرق التي تتبعها الادارة المستبدة في البلاد الاجنبية وثانيا الدراسة الموضوعية للموقف العالمي وثالثا البحث والتنقيب وفحص مركـز بريطانيا رحالها في نهاية الحرب العالمية الثانية ·

ان الدوائر الحكومية البريطانية صاحبة الخبرة الواسعة في السيطرة على الشعوب الاجنبية وخاصة المتأخرة منها · لقد درسنـا وامتحنـا هـذه التجربة فرأينا ان الرسميين البريطانيين بشكل عام يتجنبون استعمال القوةفي حكمهم وسيطرتهم بل انهم يعتمدون على قوة الهيبة والمقام والنفوذ التي تنشأ عن تحقيق اعمال عظيمة · انهم يعلمون « بأنك تستطيع ان تفعل اي شيء بالحراب ما عدا ان تجلس عليهم » · ومن الافضل ان تجلس في ظل هـذه الحراب · وبالتالي عندما قوبل الاداريون البريطانيون بالمعارضة العنيفـة فانهم يميلون الى البحث عن مخرج بعـــدم اللجوء الى الحكم المباشر بل

بتعويضه بالحكم غير المباشر · وهكذا فان القائد العام يستبدل بمستشار والمندوب السامي بسفير · وهكذا يخرجون من الباب ليدخلوا من النافذة · ان تاريخ الشرق الاقصى والادنى يذخر بهذه الشواهد على هذا النظام في مختلف أوجهه ·

اذا ما توفر لنا النجاح في تدمير هيبة الحكومة في ارض اسرائيل فان التخلص من حكمه آليـــا سوف يتبع ذلك (اوتوماتيكيا) ومنذ ذلك الحين وصاعدا لم ندع لنقطة الضعف تلك الراحة والسلام · فخلال سنوات الثورة كنا تعمدنا ضرب هيبة الحكومة البريطانية بدون كلل او توقف ·

لقد فشل الاضطهاد والشنق والتعذيب والترحيل في تحطيم او اضعاف حيوية ونشاط الوجود الفعلي للعمل السري الذي ادى في النهاية الى تقويض هيبة النظام الاستعماري الذي يعيش على اسطورة السلطة او النفـــوذ المطلق · ان كل هجوم يفشل النظام في منعه هو ضربة لصموده وحتى لـو لم ينجح ذلك الهجوم ، بل انه يترك ثغـــرة في تلك الهيبة حيث تتسع حتى يصبح شرخا ويتسع الشرخ مع كل هجوم ناجح ·

مع انه كانت هناك هجمات فاشلة لكن معظمها كان ناجحا · لقد تعلمنا عسكريا ولكنها من الناحية السياسية تكون انجازا عظيمـــا · كانت هنـــاك هجمات لها تأثير محطم على هيبة الحكومة · ومن بين هذه الهجمات وبشكل رئيسي نسف سجن عكا الذي فرض على رئيس الحكـومة المحتـلة ان يعـلن عن اسفه لتلك الاعمال · فكان هذا بمثابة الاعتراف بالفشل في تدمير العمل السري او منع هجماته ·

وكما سبق وذكرنا كانت هناك الحوادث والاعمال غير العسكرية الكبيرة ومنها الصغيرة التي ضربت جذور هيبة الحكومة والتي كانت اكثر نجاحا من العمليات العسكرية · بين تلك الاعمال اعتقال ضباط بريطانيين من اجل ابطال حكم بالاعدام ، واعتقال المزيد من الضباط لم يمنع من اغتيال رفقائنا الاسرى مما حدا بحكام فلسطين الى التراجع الى الاحياء اليهودية الشهيرةان فشل القانون العسكري والمحاولة الاخيرة لاخضاع جلد الضباط بالمقابل لجلد جنودنا الشبـــاب الشنق مقابل الشنق · كـــل هـــذه الاشياء لم تهـــز هيبة الحكومة فقط ولكنها في الحقيقة دمرتها في ارض اسرائيل ·

وكنا نتوقع أن تقوم الحكومة البريطانية بأخذ الثأر منا جميعا وهكذا فان عملياتنا كانت تهدد جميع السكان اليهود ٠ في الحقيقة كان هذا امرا خطيرا وربما اخطر الامور التي كنا نواجهها ٠ ان الجنرال « كونغهام » ، آخر المندوبين الساميين ، اشار الى ذلك في تقريره عن نسف سجن عكا ٠ ولقد ناقش الجنرال القول بأنه لا توجد اية وسيلة لتدمير اليهود الذين يعملون سرا الا بتطبيق القوة ضد مجموع السكان الكلي ٠

وأضاف الجنرال : بأن الانكليز هم غير الالمـــان وليس بوسعهم ان يفعلوا مثل هذا الشيء ٠

ان الاعتماد على ضبط النفس الاخلاقـــي لعدونا لـــم يكـــن جزءا مـــن الاستراتيجية ٠ وهكـذا فاننا لم نعتمد على انسانيـة الحكومـــة ٠ لقـــد شهدنا الاعمال الوحشيـــة للجحافـــل المجوقلـة (١) في مدننـــا وقرانا والكيبوتز (المزارع الجماعية اليهودية) وقرأنا النشرات الداخلية التي كانت توزع على الجنود البريطانيين وكذلك الاتجاه المميز لبعض الجنود التي كانت تهدد وتوعد وذلك صفات لما ترسم وبشكل سريع على نسخ جريدتنا السرية ٠ لقد قتل هتلر ستة ملايين يهودي ٠ ولكن الفرقة المجوقلة السادسة سوف تقتل ستين مليونا اذا لم تردعوا انفسكم وتحسنوا سلوككم يا سفاكي الدمـــاء ٠

لقد كان أمامنا وثيقة رسمية صدرت في ارض اسرائيل عن G. H. Q. (القيادة العامة للقوات البريطانية في الشرق الاوسط) وبالتحديـد كتيب (كراسة) التدريب في الشرق الاوسط ، رقم ٩ الجزء الثالث عشر ، وتحتوي على تعليمات عن كيفية التعامل مع المسيرات والمظاهرات ، وهذا ما يقوله الكتيـب :

« منذ الحادث الشهير في Amritsar في نهاية الحرب العالمية الاولى والناس تنظر الى تفريق المتظاهرين كعمل خطير وكما ان اي الوسائل تتخذ لتنفيذه سوف ينظر اليها كشيء غير مجاز ٠ فكان هذا الافتراض لا مبرر له ٠

ويكون التصرف على النحو التالي :

---

(١) المنقولة بالطائرات ٠ (المترجم) ٠

أ ـ حذروا الجمهور بأنكم سوف تطلقون النار اذا لم يتفرقوا ٠

ب ـ اختاروا ثلاثة افراد من فصيلكم وابحثوا عن زعيم الفتنة او الثورة (الذي لا يكون عادة في مقدمة الجمهور وانما يحرك من الوراء) واظهروهم كهدف لرجالكم ٠ وعندما تتأكدون بأن هذا الامر قد ثبت ويمكن تبريره اعطوهم الامر باطلاق النار وليطلقوا النار لكي يقتلوا ٠

بهذه الروح درب الجيش المحتل لارض اسرائيل ٠

بالرغم من كل هذا لم نكن نخـــاف من الجنود الذين سوف يوجهون لتدمير ـ اليهود في فلسطين ـ كما خاف بعض الموظفين اليهود الجبناء او قالوا انهم يشعرون به ٠ لقـد كنـا مقتنعيـن ان هذا الامـر لا جـدال فيه وانه لا مجال لنا الا ان نتحلى بالحذر والاتزان مقابل ذلك ٠

ان السكان المدنيين سواء أكانوا بالمئات أم الالوف لا يمكن تدميرهم دفعة واحدة ٠ ولتحقيق مثل هذا الامر يستلزم حملة تدمير مستمرة ٠ ولقد أدركت السلطة او انها بدأت تدرك مع الزمن ان مثل هذا العمل لن يكون من جانب واحد وانه ليس فقط الدم اليهـــودي هو الوحيد الذي سيسفك ولكن الدم البريطاني سوف يسفك ايضا واكثر مما كانت تفعله بهم الهجمات التي كان يقوم بها الذين يعملون بالسر ٠ لقد قال الكولونيل « باترسون » القائد اليهودي للفيلق (الذي شكله «فلاديمير جابوتنسكي» في الحرب العالمية الاولى) وأحد الضباط البريطانيين من اصل ايرلندي حيث ذهب الـــى المنفى واستنكـر خيانة الحكومة البريطانية للشعب اليهودي قال مرة في حديث مع ضبـــاط الارغـــون :

« تذكروا ان الانكليز لا يرغبون في ان تقتلوا » ٠

بالطبع لا يوجد هناك انسان يحـــب ان يقتل ٠ ان الاحترام والعناية بالحياة هما مقياس المدنية الانسانية ٠ ولكن سقراط كان على حق عندما قال ان الحياة ليست هي دائما الشيء الاساسي فهنـــاك اشياء اكثر اهمية من الحياة نفسها ٠ وربما تعتقد الحكومة البريطانية او بعض الموظفين يعتقدون بأن المصالح البريطانية هي بالتحديد الاشياء التي لها اهمية اكثر من الروح، وخصوصا اذا ما كانت هذه الارواح هي ارواح شعب آخر ٠

على اية حال فاننا لا نزال نذكر كما اخبرنا اياه « باترسون » ولقد وجدنا ما يؤكد لنا ذلك من خلال تجربتنا العملية المستمرة · ومع هذا فان الموظفين البريطانيين كانوا اذكياء ومثقفين وكانوا يعلمون بانهم اذا ما حاولوا تدمير السكان المدنيين فانهم يعلنون حربا ثارية يائسة بحيث يكلفهم ذلك غاليا في الرجال قبل ان يحققوا اهدافهم ·

واكثر من ذلك فان تل ابيب ليست امريستار ولا ارض اسرائيل هي البنجاب · ان ارض اسرائيل هي مركز مصالح جميع العالم · لقد جعلتها الثورة كذلك · انها لحقيقة بأنه لم يعلن نضال شعبي في العالم كله اكثر ما كان ينشر عنا · بينما كانت ثورتنا مستمرة فان عددا من المعارك كانت تدور رحاها في جبال اليونان · لم تأخذ من الاهتمام بعض السطور في صحف العالم بينما التقارير عن عملياتنا كانت عناوين صارخة ومذهلة تستحوذ على الصفحات الاولى من صحف العالم وخاصة في صحف الولايات المتحدة · ولقد قيل ان الصحف الاميركية تفرد مثل هذه المساحات لعملياتنا · وحتى لاذاعاتنا السرية وتصريحاتنا العاملة انما هي تهدف الى الاثارة فقط · ماذا يضر اذا كان هناك شيء من الحقيقة في هذا التثمين او التقويم التجاري · ان اهتمامات الجرائد هو مقياس لاهتمامات الجمهور · والجمهور ليس فقط جمهور اليهود بل ايضا من غير اليهود كانوا بوضوح مهتمين بالضربات التي كانت توجه في ارض اسرائيل ·

وانها لصفة مميزة بأنه حتى العمليات المتلاحقة للجيش الاسرائيلي لم تكن لتحظى بالاهتمام بالقدر الذي كانت تحظاه عمليات الثوار في البداية في صحف العالم · ان السبب واضح وجلي · ان عمليات الجيش النظامي حتى ولو حقق انتصارات عظيمة ، فانها لا تحظى بالاهتمام الذي تأخذه الهجمات الجريئة لحفنة من الثوار ضد حكومة او جيش قوي ·

ولقد نظر الى هذا النشر الذي كان في بعض الاحيان مبالغا فيه ولكن المبالغة كانت غير مقصودة فقد نظر اليه كعامل ثان يحول بين المخطط المدروس لتوفير « اليوشوف » · لقد كنا نطلب ان يهتم الناس اكثر بما يجري في ارض اسرائيل · ولقد بنى هذا الاهتمام الذي خلقه كفاحنا ، نوعا من الحزم غير المرئي حول السكان اليهود · ان الحملة المكثفة للتنوير الثقافي التي قادتها الجمعية العبرية للتحرير الوطني في الولايات المتحدة لعبت دورا هاما في هذا المجال · لقد كانت الحكومات البريطانية حساسة

وسريعة التاثر بالأراء الاميركية بحيث انهم لا يستطيعون تجاهل شـــعور اعمامهم الاغنياء الدين يعيشون وراء المحيط الاطلسي · ولقد كان هنـــاك فعلا خطر الاعمال الثارية الفردية للجند ولقد فعلنا ــ ما بوسعنا لمنعهم من القيام بذلك · ومتى كانت تسمح لنا استعداداتنا العسكرية كنا ننشر تحذيرات تمهيدية للسكان المدنيين المتعاونين معنا وفي نفس الوقت كنا نصدر منها نسخا مترجمة الى الانكليزية خاصة بالمدنيين البريطانيين مثل هذا التحذير كان قد نشر في ربيع ١٩٤٥ وكنا قد خططنا لاقامة مدفع هاون كهربائي ضد القيادة العامة للجيش البريطاني ونشر تحذير آخر في ربيع ١٩٤٧ قبل ان يوجه عمال المناجم ضد نظام سكك الحديد ·

وهنا نموذج لتلك التحذيرات :

١ ــ ان حكومة الاضطهاد قد وعدت وبدون تأخير الى أجلاء الاطفال والنساء والاشخاص المدنيين والموظفـــين من مكاتبهم وأبنيتهم ومساكنهم وبيوتهم الخ الى خارج البلد ·

٢ ــ يطلب الى السكان المدنيين من يهود وعرب وآخرين ومن اجـل مصلحتهم الامتناع منذ الآن وحتى اشعار آخر من الاقتراب من الدوائر الحكومية · ولقد اعذر من أنذر ·

لم نكن لنؤمن بأن نضالنا كان ليسبب الدمار الكامل لشعبنا · لقد كنا نعلم ان ارض اسرائيل اصبحت تشبه البيت الزجاجي وذلك كنتيجة منطقية للثورة · ولقد كان العالم ينظر اليه باهتمام زائد وحيث كان باستطاعته ان يرى ما في الداخل · لهذا السبب كنا قادرين على مواصلة نضالنا حتى وصلنا به الى قمة النجاح عام ١٩٤٦ــ١٩٤٧ · القوة هي سلاحنا في الهجوم وشفافية الزجاج كان درعنا الواقي والدفـاعي · مستعينون بهذه الارادة واصلنا توجيه ضرباتنا الى هيبة الانتداب ·

وبالتاكيد فان الدعامة التي بنينا عليها استراتيجية الثورة كانت دراسة الاوضاع العالمية خلال الحرب الاخيرة وبعدها مباشرة · هذه الدراسة اقنعتنا ان الامور تجري في صالحنا · ولقد احدثت الحرب تغيرات جذرية وجوهرية فيما يختص بالقوى العالمية · اساطيل قوية اغرقت وجيوش عظيمة دمرت او شتتت وقوى عظيمة اصبحت من الفئة الثانية والقوات المتوسطة او الصغيرة ضمت بطريـــــق او آخر بوســـاطة كتـل او جبهـات عظيمـة · وقـامت

دولتـــان قوبتـــان عملاقتان تشمـــلان مساحـــات واسعـــة من الاراضي ومن السكان ومن الموارد الاقتصادية ومصادر عسكرية ضخمة وخطرة ٠

ان الزمن هو الذي سيخبر اذا ما كانت تلك التغيرات التي حصلت في زمننا ستستمر وتفيد البشرية ام لا ٠ ولكن مما لا شك فيه أنها كانت لصالح الثورة اليهودية ضد حكم الانتداب ٠ وكنتيجة للحرب العالمية الثانية فـان القوة التي كانت تضطهدنا كانت في الوقت نفسه تواجه العداوة في الشرق والمغرب ومشاكلها تزداد على مر الزمن ٠

خلال سنوات الثورة قابلت ممثلين للاتحاد السوفياتي واصدقائه من رسميين وغير رسميين وعلمت ان موقف الاتحاد السوفياتي من كفاحنا من اجل الاستقلال الوطني اليهودي قد تبدل وذلك تبعا لنضالنا من اجل الحرية٠ وهناك شخص يدرك كما ادركت انا خلال التجربة الشخصية ما هي عادات التفكير التي يجب ان تخضع امام التغييرات السياسية السوفياتية يستطيع ان يعيش التاثير الكبير الذي احدثته الثـــورة اليهوديـــة في فلسطين ٠ وحصـــل التغييـــر في الموقـــف الروســـي في مؤتمر صحفـــي عالمـــي عقـــد في براغ عام ١٩٤٧ اذا سأل « دافيد زافسكي » احـــد المحرريـــن الرئيسيين في برافدا الصحفيين اليهود لماذا لم يكن من بينهم ممثلا لصحيفة « الارغون » ٠ وعندما اعطي جوابا غامضا اصر على ان يكون هناك ممثلون لصحيفة « الأرغون » من بين مندوبـــي ارض اسرائيل مـــا دام للارغون صحيفتها الخاصة بها ٠ وقال « انهم رجال شجعان ويقومون بعمل عظيم » كما قسر ممثل آخر للسوفيات والذي له تاثير معتبر في جميع انحاء القارة فشرح الى رجل ينتمي الى منظمة « الارغون » الذي قابله بأن نضال المنظمة هو نضال تقدمي متأصل كونه يخاض ضد نظام استعماري وان الارغـــون نفسها هي حركة تقدمية كونها انطلقت من الشعب ٠ وأضاف : وان البرهان على ذلك هو عدم قدرة البريطانيين على تصفية الارغون ٠ ان التحول في الموقف الروسي كان تحولا كاملا ولقد عبر عنه في التعابير الحية القوية في الخطبة الشهيرة التي القاها اندريه غروميكو في اجتماع الامم المتحدة في ربيع ١٩٤٧ ٠

فقد قال المندوب السوفياتي : « ان الاحداث الدامية في فلسطين ليست خافية على احد منا • ولقد أصبحت هذه الاحداث من المظاهر العادية والتي تفرض نفسها اكثر وباصرار على الرأي العام العالمي وبالدرجة الاولى على منظمة الامم المتحدة • ان افلاس نظام الانتداب في حكم فلسطين أدى الى اسوأ الاوضاع وخلق الاضطرابات الدموية • وان هذا الافلاس هــو السبب الذي جعل لهذه المشكلة الاعتبارات الهامة التي تطرح امام الجمعية العامة » •

تلك الجمل المختصرة والمحددة ربما تعبر عما كان يفكر به الاتحـــاد السوفياتي • ان الاتحاد السوفياتي طبيعيا يتمنى افلاس النظام البريطاني الاستعماري في ارض اسرائيل • ان الاضطرابات الدموية لم تكن نتيجة لافلاس الحكم البريطاني ولكنها استعرضت امـــام اعين العالم كله • ان النتائج التي خلص اليها رجال دولة واقعيين من خلال الموقف الثوري الذي نما في ارض اسرائيل ـ وحكام الكرملين هم ايضا من هؤلاء ـ كان لا بد منها • ان الصحف الشيوعية المؤيدة للاتحاد السوفياتي في ارض اسرائيل كانت في حيرة تماما عندما وقف الاتحاد السوفياتي ، رغم مواقفه في الماضي ، وقفته مع الذين ساندوا قيام الدولة اليهودية المستقلة • حيث ان المقالات الرئيسة للصحف اليهودية الشيوعية كانت ، ولا تزال تهاجم فكرة الدولة اليهودية • ان الاقدام على الاعمال البهلوانية لملاءمة انفسها للتصريحات السوفياتيــة الحالية لم تكن عملا سهلا •

ان التحول الذي حصل في السياسة السوفياتية ما كان ليحدث بين عشية وضحاها فقط لاولئك المراقبين الذين يعانون من قصر النظر لان الحقيقة التاريخية لهذا التحول قد تطورت ببطء وذلك خلال ليالي الثورة الطويلة •

ولقد حذت الولايات المتحدة حذو الاتحاد السوفياتي في الطلب لايجاد حل عاجل لمسألة ارض فلسطين • وجدير بالملاحظة ما قاله المتدين الاميركي « وارن استون » في مجمل دعمه للمطلب الذي ينادي باحلال نظام او حكم جديد ليحل محل الحكم البريطاني في ارض اسرائيل حيث انه استعمل لغة مطابقة لتلك التي استعملها من قبله المندوب الروسي •

الجيش السري

لقد كان اعداؤنا يدعوننا بالمخربين استعمل اولئك الذين ليسوا باصدقاء تعبير اعداء مثل مراسلي صحيفة الهيرالد تربيون • استعملوا هذا التعبير اللاتيني اما تحت تأثير الدعاية البريطانية او نتيجة لعادة تسميتهم • اما اصدقاؤنا امثال « اوريللي » الايرلندي فقد فضل ان يستعمل كلمة لاتينية اسهل عندما كتب في رسالته « لنستمر في التاريـخ » ففضـل ان ينادينـا بالوطنيين • اما الجنرال ماكميلان الذي خلف الجنرال باركر كـ G.O.C. (كقائد عام للقوات الحكومية في اسرائيل) فقد ارتأى ان نعتنا بالمخربين هو نعت مناسب لنا • وادعى انه اكتسب عبيرا ومعنى للبطـولة • كلامـه هذا يتضمن المعنى بأن المخربين يثيرون الرعب في الجنود البريطانيين على هذا الاساس فقد أمر الجنرال ان لا يدعوننا مخربين بعد اليوم بل بالقتلة ، سفاحو الدماء ، قطاع الطرق و ••• حيث انه اضاف دزينة من الالقاب السارة التي اقتبسها من مفردات غرف الثكنات • ولكن أوامره لم تكن لتغير شيئا • فقد استمرت الصحف البريطانية والجنود البريطانيون بتسميتنا بالاسم الذي يعطي الانطباع العام عن الشجاعة من جانبنا والخوف من جانبهم • لقد ظلوا يدعوننا بالمخربين حتى النهاية • لا شك ان هناك تفسيرا نفسيا لهذا •

ولكن لم نكن مخربين• ان اصل الكلمة اللاتينية لـ terror يعني الخوف• واذا لم أكن مخطئا فان كلمة terror اصبحت متداولـة في سياسـة المصطلحات الفنية خلال الثورة الفرنسية • لقد عمد الثوار الى قطع الرؤوس بالمقصلة من اجل ان يدخل الخوف الى النفوس • ومنذ ذلك الحين فان كلمة رعب ـ terror استحدثت لتعرف عن اعمال كلا من الثوار او المعـادين للثورة للمقاتلين من اجل الحرية والجائرين على حد سواء • انها تعتمد على من يستعمل التعبير • وغالبا ما حدث واستعملت مـن كـلا الجانبين في تبادل المديح والاطراء المشترك •

ان الاصول التاريخية واللغوية لكلمة terror تبرهن على انها لا يمكن ان تطبق على حرب التحرير الثورية • ان الثورة قد تعطي الحياة الى ما

تسميته terror كما حدث في فرنسا • ويمكن ان يكون هذا الرعب terror هو النفير للثورة كما حدث في روسيا ولكن الثورة بحد ذاتها ليست رعبا terror ان التورة او الحرب الثورية لا تهدف الى غرس الخوف في نفوس الناس • بل ان هدفها هو الاطاحة بنظام معين لتقيم نظاما جديدا محله • في اية حرب تورية كلا النظامين يستعملان القوة • ان الحكومات الطاغية المستبدة مسلحة والا فانها تصفى بين عشية وضحاها والمقاتلون من اجل الحرية يجب ان يتسلحوا والا فانهم سوف يسحقون بين عشية وضحاها • وبالتاكيد فان استعمال القوة يضعف الخوف • الحكام الطغاة يبدأون بالخوف على مناصبهم وعلى ارواحهم او الاثنين معا • وبالتالي فانهم يحاولون ان يزرعوا الخوف بين النـاس الذيـن يـديـرون شؤونهـم • ولكـن زرع الخوف ليس هدفا بحد ذاته • ان الهدف الوحيد هو الاطاحة بالطاغية المسلح، ومن الجانب الآخر فان هدفه هو تخليد تلك الطاغية •

ان مقاتلي الارغون السريين نهضوا من اجن الاطاحة بنظام وابـداله بنظام آخر • ان الجوهر الاساسي لكفاحنا هو التصميم على تحرير شعبنـا من مرض الخوف كيف نستطيع ان نمضي في العيش في هذا العالم العـدائي حيث ان اليهودي يهاجم كونه يهوديا • وكيف يمكن لنا ان نمضي في العيش بدون سلاح ، وبدون وطن وبدون الوسائل البدائية للدفاع ؟ وهكذا نحن في منظمة « الارغون » نهضنا لنثور ونحارب وليس لزرع الخوف بل لنستاصله ونجتث جذوره •

اننا في بناء تنظيمنا لم نخصص أي مجموعة للاغتيال • من السريـة حتى العلنية اقحمنا جيشنا بالتخطيط للهجمات العسكرية، وضد اهداف حيوية وقد هزت عملياتنا اسس مؤسسة العدو العسكرية وذلك بفضل هجماتنـا الجريئة • لقد بدانا بالفعل بجيش سري صغير العدد لا يعد اكثر من عـدة مئات من الجنود • ولكن قوتنا ازدادت جنبا الى جنب مع تزايد نضالنا بسبب الاضطهاد ورغما عنه بنينا جيشنا السري وقسمناه الى شعب ووحدات • لم نكن مجموعة من المخربين لا في تركيبنا التنظيمي ولا في طرق حربنا ولا في روحنا •

- ٢ -

ان البناء التنظيمي لجيشنا الصغير كان بسيطا للغاية · على رأسه كان هناك القيادة العليا ، حيث كان يضطلع بهـا مجموعة مـن الجنرالات موزعين على اقسام تلائم متطلبات العمل السري · ان الجسم العام للجيش كان مؤلفا من مجموعات عسكرية لها احجامها التي تلائم متطلبات النضال· وجهازنا الاداري كان دائما قليل العدد · لقد كانت القوات المسلحة البريطانية وعملاؤها يعتقدون انه يوجد تحت أمرتنـا الآلاف مـن الجنـود المحترفين المتورطين في الارهاب ضد البريطانيين · لقد كانت استخبارات عدونا مضللة في هذا ، كما كانت مخدوعة من وجوه أخرى · الحقيقية اننا لم نكن اكثر من دزينات قليلة (ليس اقل من (٢٠) ولا اكثر من ٣٠ ــ ٤٠) وذلك عندما رحل البريطانيون عن فلسطين · وكنا دائما نعمل طوال الوقت في خـدمـة الكفاح السري · اما بقية المئات وبالتالي الآلاف من الاعضاء فكانوا يمارسون نشاطاتهم اليومية في اعمالهم مع انهم كانوا يخضعون لامرة المنظمة عندما يدعون · لقد كان فعلا جيشا من الشعب ·

لقد كانت القيادة العليا هي التي تسير نشاطات « الارغون » عـلى الصعيدين العسكري والسياسي · كـانت هذه القيادة تهتم بالمبادىء العامة كالاستراتيجية والتكتيك ، والاستعلامات والتدريب والعـلاقات مع الهيئـات الاخرى والمفاوضات او المباحثات بوساطة ممثليهم · وكانت القيادة العليـا هي التي تتخذ القرارات وتعطي الاوامر ، ولم يكن هناك مجال لقرارات على الصعيد الفردي · كان هناك دائما نقاش وكل عضو في القيادة العليا كان يحاول ان يطرح وجهة نظره ويقنع رفاقه · لقد كانت القرارات عادة تؤخذ

بالاجماع · ولم تكن المواضيع بحاجة الى التصويت الرسمي · لقد كانت الاراء موحدة · وعندما يحدث ويكون هناك اختلاف في الراي فان راي الاكثرية هو الذي يسود · ان المسؤولية الواعية والفهم المتبادل والاحساس العميق بالاخوة ، كانت كلها من العناصر التي جعلت هذا النظام ينجح في اتخاذ القرارات العملية والحاسمة · اجتماعاتنا . والتي كانت عادة دورية ، هي ايضا عملية جدا · اني لا اذكر اجتماعا واحدا حصل وغاص في نظريات عقيمة ، او انه حدث اختلاف يستلزم عقد اجتماع آخر · لقد كنا نقرر وننفذ · ان الحكومة لم تكن تعلم بقراراتنا الا حينما كانت تنفذ ·

عندما عينت ولاول مرة رئيسا للقيادة العليا كان من اعضائها « ياكوف ميرادور » و « آرييه بن اليسار » و « الياهو لوكور » و « شلومو ليفي »·

لقد كان «ياكوف ميرادور» اقدر القادة العسكريين اليهود في السنوات العصيبة ما بين موت «دافييد رزائيل» وبداية الثورة · اما «ياكوف» فقد احتفظ بالشعلة مشتعلة · فقد كان موقفه حرجا وفي بعض الاحيان لا يحتمل لقد قصد ان يستهل الثورة في عام ١٩٤٣ ولكن يداه كانتا مغلولتين لقد كنت ادرك الصعوبات حتى قبل ان استلم القيادة · لقد لفت انتباهي في اللحظة التي قدمت بها نفسي اليه وذلك حال وصولي من روسيا لاقول له ما كنت انوي ان اقوله للراحل «دافيد رزائيل» «اضع نفسي تحت امرتك» · تكلمنا في غرفة صغيرة يضيئها قنديل زيت ، يملكها «مستر هونغ» صاحب شركة مواصلات حيث كانت تدار شؤون منظمة « الارغون » · لقد تحدثنا كاصدقاء قدامى واستعرضنا الموقف · وقررنا رايا واحدا الا وهو الثورة ·

لقد بذل ياكوف اقصى ما بوسعه ليدرب الرجال ويجهز الاسلحة للكفاح · وعندما لم يتردد ، ذلك الرجل العظيم المتواضع ، المراكز الشخصية بالنسبة له لم تكن لتؤخذ بادنى اهمية · ان القضية هي كل شيء · ان انطلاق الثورة امده بالرضا وجعله يبتهج كمعلم حقيقي لعمل جيد يقوم به تلامذته · لكن لم يبق طويلا مع رفاقه في القيادة العليا · لقد وشى به احد اليهود الى البريطانيين وذلك عام ١٩٤٢ ، وقد وضعت الحكومة البريطانية طائرة خاصة لنقله الى السجن والمنفى في افريقيا · وفي القارة السوداء ومن خلف المذياع اشار الى انه «من الممكن ان يسجن المرء ولكن يستحيل لروحه ان تسجن» ·

لم يكن «ياكوف» المقاتل الوحيد من مقاتلينا الذي حاول الهرب والعودة الى الكفاح • لقد كان رفاقنا يكرهون السجن قدر حبهم للحرية التي يقاتلون من اجلها • في الاسر يكون بمأمن ، واما في الخارج فان الخطر يحوم في كل مكان • ولكنهم يفضلون الاخطار في القتال من اجل الحرية على امن الهدوء والكسل • اين تقع تلك السجون التي حاول المقاتلون الهرب منها ؟ ما هي الوسائل التي استعملوها من اجل ان يكسروا القيود ويأتوا ليساعدوا في تدمير الاغلال والاصفاد التي تكبل شعبهم • لقد كان «ياكوف ميرادور» مثلا ساطعا لجميع من حاول ذلك • في مخيمات الاصلاح كان كطائر الحرية • ان حواجز الاسلاك الشائكة لم تكن لتقف في وجهه • لقد هرب مرة واعيد اعتقاله ، وهرب مرة اخرى ، وعندما قبض عليه مرة ثانية عاد وهرب مرة ثالثة ورابعة وخامسة ••• حتى نجح اخيرا في العودة على رأس الافواج السرية لمنظمة «الارغون» وليقودهم في الحرب الدفاعية ضد القوى العربية الغازية واخيرا الى توحيد الجيش الاسرائيلي • كتب قصة هروبه الجريء في مذكراته حيث يقول : «ان طريق الحرية طويل» •

اما «آرييه بن اليسار» فقد امضى السنوات الاولى للحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة كممثل لمنظمة «الارغون» ، واتى الى ارض اسرائيل عام ١٩٤٣ باسم الجمعية العبرية للتحرير الوطني التي أسسها «هيلل كوك» و«سموئيل ميرلن» • وعندما وصل الى فلسطين كانت منظمة الارغون تمر في ازمة قاسية • ولقد تغلبت على هذه الازمة بوساطة «آرييه» • ولقد اصبح أعز اصدقائي منذ بداية عملنا المشترك • لقد وضعت أسس كفاحنا الثوري خلال محادثاتنا التي لم تنقطع قبل أعلان الثورة وبعدها وذلك خلال تجوالنا الليلي، او في منزل شقيقته ، وفيفندق «سافوي» في تل ابيب• لقد تحملنا سويا الازماتالنفسية التي نشأت عن انطلاق الثورة• لقد كانت ازمات من الاسى والالم مع انه كانت هناك في بعض الاحيان فترات من السرور بما انجز • لقد قلنا لأنفسنا بعد الهجوم الناجح على قيادة مركز البوليس السري بأنه لا يهم وان متنا • لقد كنا متأكدين ، بعد هذه العمليات التي اثارت دهشة العالم ، ان الثورة قد تأكد استمرارها حتى ولو القي القبض علينا او قتلنا •

لقد عملت ايضا وقتا ليس طويلا مع «آرييه» لقد قبض عليه فيربيع عام

١٩٤٤ • وربما يكون اسره نتيجة الابلاغ عنه ، او نتيجة سذاجة صادرة من جانبنا ، او خطأ صدر بما يختص بعمل رفاقنا في الخارج • لقد كنا نخاف انه في حال الاختفاء الكلي لـ «أرييه» فانهسيكونمصدرا لشهادة خطيرة ضد اولئك الذين كان معلوما عنهم بأنهم زملاؤه في الجمعية العبرية في الولايات المتحدة ، وفي الوقت نفسه فان البريطانيين سوف ينجحون في اقناع الاميركيين لكي يشددوا على الجمعية وربما يرحلون اعضاءها • وفي الوقت نفسه افترضنا انه اذا بقي في حالة شبه سرية فحينئذ نستطيع ان نفيد كل الافادة من كلا الجانبين • وهكذا ، وبينما كان يقوم بعمله سرا فانه عاش بشكل مفضوح في فندق ، لقد كنا مخطئين ، فان « أرييه » قد قبض عليه ولم يطلق سراحه حتى استطاع الهرب من مخيم الاصلاح في ارتيريا • لقد كانت مغامراته ملحمة بحد ذاتها •

اما «الياهو لوكور» الذي أتى من «هابرين» فقد اصبح احد اعمدة النضال • انه شخص مثالي كان مستعدا لان يهب حياته لصديقه وكان له روح الغيرة ، وكان غير اناني ، لقد احببته من كل قلبي ، وكنت اجد متعة في الاستماع الى كلماته • سواء اكانت في تقدير شيء انجز ، ام في نقد شيء ترك دون انجاز • لم اكن الوحيد الذي يتملكه هذا الشعور ، فقد احبه كل العاملين في السر • لقد كان احد اعضاء القيادة العليا وفي الوقت نفسه قائدا لمنطقة القدس وقد اشترك في العملية التي تمت ضد قيادة مركز البوليس السري تحت امرة قائد ادنى منه مرتبتين من رفاقه • لقد طويل على الهجوم حتى لحق «الياهو» بخطوات الكثيرين من رفاقه • لقد وشى به الى البريطانيين في قلب القدس حيث نفي الى ارتيريا • وهو ايضا هرب من مخيم الاصلاح • ان ملحمة تجواله الطويل في الحقيقة لا تقل في اثارتها عن ملحمة الاوذيسة لهوميروس • لقد كان اول الفارين الى اوروبا حيث استلم قيادة منظمة «الارغون» في الخارج وحيث قاد اخيرا رجالنا على ظهر السفينة «الالتيلينا» •

اما «داني» اصغر الاعضاء في القيادة العليا ، فهو ابن احد العائلات الرائدة التي اتت من « بتاح تكفا » • لقد كان جنديا ومن ثم ضابطا مخلصا لمنظمة «الارغون» ثم اصبح رئيس اركان الحرب منذ بداية الثورة وحتى وقوعه في الاسر • لقد كنت قريبا منه • كنت انظر اليه كأخ او ابن شاب لي •

ولكنه ايضا وقع في اسر العدو · عندما اسر « الياهو » ارسل « داني » ليحل محله في القدس ، وعلى الطريق اوقفت سيارته بوساطة احدى الدوريات البريطانية ، وفي الوقت نفسه نزل احد المخبرين من سيارة كانت تتبعه واشار الى « داني » موضحا : « هذا هو الرجل » ·

«داني» كان من بين المجموعات الكبيرة التي فرت من مخيم الاحتجاز في اريتريا ولكن الحظ لم يسعفه فقد اعيد اسره وعاد الى وطنه مع نهاية الحكم البريطاني ·

ولقد ضم « آثان » الى القيادة بعد عدة اشهر من تشكيلها حيث شغل منصب رئيس غرفة العمليات · لقد كان ذا افق غير عادي حيث اظهر مقدرة عالية في التخطيط للهجمات العسكرية لمنظمة «الارغون» · ولكن قبض عليه بعد عدة عمليات عسكرية قمنا بها في الجنوب ·

لقد تعود «آثان» دائما ان يزورني في بيتي وذلك من اجل العمل ، سواء اكان ذلك في الليل ام في النهار · وعندما كان يجد الباب مقفلا كان يدخل من النافذة ، حيث كانت تلك ضرورة لا يمكن تجنبها لانه اذا ما لاحظ الجيران ذلك فربما يستدعون البوليس لكي يحموني من اللصوص· ولكن لحسن الحظ كان جيراني دائما يغطون في نوم عميق · لقد كان ابني «بني» متعلقا بعمه البشوش حيث تعود ان يراه وقد كان يناديه بالعم «موش» فكل عم كان يزورنا كان له اسمه الخاص يناديه به · ان الاطفال هم بالطبيعة الداعداء الاسرار · لذلك كنا حذرين جدا ، ولكن من الواضح ان ابن السنوات الثلاث كان قد سمع شيئا فسالني احد الايام وعلى شفتيه ابتسامة انزعاج :

بابا ، اين العم «موش» الذي يدعى «يروحام» ؟

لقد اخذت نوعا ما بهذا السؤال المدهش والخطير · ومن جهة اخرى كنت لا استطيع ان اخفي الشعور بالسعادة للذكاء الحاد الذي يتمتع به هذا الطفل ·

فقلت له : «ان العم «موش» ذهب الى حيفا وسوف يعود» ·

انه لمن اسوأ الاشياء ان لا يكون الولد قادرا على اطلاع والده علـى الحقيقة ، والاسوأ من ذلك ان لا يكون الوالد قادرا على اطـلاع ابنـه على الحقيقـة ٠

بالاضافة الى التضحيات الواضحة والكبيرة التي يتطلبهـا النضـال السري فانه في بعض الاحيان يتطلب تقديم تضحيات غير مرئية قد تبـدو سخيفة ولكنها في الحقيقة مؤلمة جدا اذا ما وجب تقديمها ٠

«ولماذا ذهب الى حيفا؟» ربما يغفر الآباء لابنائهم اذا ما اخفوا عنهم بعض الحقائق وذلك من اجل ضروريات النضال ٠ وربما يغفر الابناء لآبائهم هذه الخطيئة ٠ ان العم «موش» قد اقتيد الى السجن ومن هناك الى سجـن عكا حيث سيمكث خمس عشرة سنة هكذا قال البريطانيون ٠ ولكن العـم «موش» عاد الينا من عكا وليس من حيفا ٠

- ٣ -

هل يصنع الرجال الحوادث ام ان الحوادث التي يمكن تجنبها هي التي تصنع الرجال ؟ لم نجد جوابا لهذا السؤال الخطير في خلايانا السريـة ٠ ولكننا تعلمنا ان الفكرة بعد ان تكون قد اتخذت شكلها النهائي هي التـي تعطي الميلاد خفية للرجال الذين يستطيعون ان يجعلوها تثمر ٠ اذا اعترفنا بهذه الحقيقة فاني اؤكد بانه اذا ما قبض علينا او اسرنا او قتلنا في اية مرحلة من مراحل الثورة ، فان آخرين سوف يأخذون مكاننا ويحاربـون الجائرين حتى يهزموا ٠ ولقد تعلمنا ان الهدف هو الذي يجعل الضعفـاء ابطالا ، والمدنيين ضباطا ويمكن الافراد العاديين من التحكم في عقولهـم وقلوبهم ، ويدفع الرجال الى العمل ٠ عندما القي القبض على « آرييه » فان كل شيء بدا مظلما ٠ وعندما وقع « ياكوف » في يـد الاعداء ظننت ان هـذه الضربة هي القاضية ٠ وعندما أوقع بـ « الياهو لوكـور » لـم أجـد طعمـا

للراحه · وصعقت وبت مهموما عندما اخبرتني شقيقة « شكوم ليفي » بامر شقيقها · وعندما وقع « آثات » مع ثلاثين آخرين بما فيهم افضل ضباطنا في الاسر ، بدا وكاننا قد فقدنا كل شيء · لقد كان هؤلاء الافراد هم اعمدة منظمة « الارغون » من سيحل محلهم ؟ ومن سيقوم بعملهم ؟

ولكن شغل مكان كل واحد منهم · والعمل انجز لانه كان يجب ان ينجز · والفكرة كانت اقوى منا جميعا ·

وجاء « ابراهام » · لقد كان احد الضباط في مدينة حيفا · وحالا اصبح حجر الزاوية لمنظمتنا · لقد كان ينبوع مستمر من النشاط والعطاء بحيث كان لا يعرف التعب او الصعوبات ، وخلال سنوات الثورة كان اكثر الرجال نشاطا في ارض اسرائيل · لقد كان يعمل ثماني عشرة ساعة في اليوم · ودائما كانت ترتسم على شفتيه تلك الابتسامة التي لم تكن لترتسم في قلبه · فكل الانباء غير السارة كانت تمر عليه اولا ، ويظل صامدا كالصخر ·

« هل سنصحو من هذه الكبوة يا ابراهام ؟ »

« ما هذا السؤال ؟ سوف اكون على ما يرام ·· لا تقلقوا » ·

وجاء «جدعون» او «جدي» كما كان يحلو لنا ان نسميه ، وكان صغيرا في السن ، لا يزال في اوائل العشرينات حينما خلف « آتان » كرئيس لغرفة العمليات · ان الاعمال التي قام بها هذا الرجل الذي يمتلك قدرات توازي قدرات العباقرة سوف يذكرها اعداؤه طالما بقوا على قيد الحياة · ان اكبر عملية لاسترداد السلاح المصادر واعظمها خطط لها « جدي » ونفذها · ففي احدى العمليات خرج لكي ياتي بكميات كبيرة من المدافع الاوتوماتيكية والبنادق والذخيرة · بادىء ذي بدء عارضت قيادته تنفيذه العملية ، وكذلك لان ضباطنا ارادوا هم ان يقودوا رجالهم في العمليات · كنت ادرى الناس بهذه الرغبة ، لم يكن الذهاب مع الشباب مفيدا فقط ، بل انه اسهل ان يذهب الانسان معهم من ان يجلس وينتظر عودتهم · لم يكن

الضباط الذين يعملون سرا كضباط الجيش النظامي الذين يحصون الخسارة بين الرجال ، وانما هم اباء واخوان لهم · لذلك كان كل واحد منا يقول : « دعوني اصطحب الشبان » ·

كنا نتشاجر مع بعضنا بعضا من اجل هذه الرغبة · لم تكن هناك مشاهد درامتيكية بل كان هناك كثير من الاقناع · والحق يقال «الاقناع مستمر » · كان من الممكن ان يطلب اذنا باصطحاب الشباب ومن الممكن ان يكون هناك رفض لطلبه · ولكنه كان يثور في بعض الاحيان ويناقش باقناع لدرجة تجعل رأيه هو الذي ينتصر في النهاية · احدى هذه العمليات كان الهجوم على قاعدة سلاح الجو الملكي · كانت هناك كميات ضخمة من الاسلحة والذخيرة ، قالها «جدعون» بهدوئه المعتاد « انها لفرصة لن تعوض ومن المستحيل ان اتخلى عن هذه العملية لشخص آخر » ·

« جوشوا » و « آرييه » و « حاييم » ··· ادرجت اسماء عدد من ضباط الميدان ، الذين لم أعرفهم شخصيا وانما كنت اعرفهم من خلال شهرتهم وانجازاتهم التي حققوها ، وقدراتهم التي كانوا يتمتعون بها ·

« نعم وربما علي ان اقود تلك المجموعة ايضا · ان العملية اكثر العمليات خطرا · هناك صعوبات امام كل خطوة ، ولكنني اشعر بأنه يجب ان اذهب بنفسي ،واني في الحقيقة لا استطيع ان اتكهن بنجاحها» ·

وهكذا استمر النقاش · وفي هذه المرة أنتصر احد العاملين بالسر ، المعروف انه قليل المرح كثير الجد ، الا وهو « جدعون » · لقد عمل بسرعة ، نظم المجموعة كوحدة بريطانية : اللباس ، القبعات ، السلاح ، كل شيء كان تاما ، حتى اللكنات واللهجات ، وخاصة اللهجة الاسكتلندية التي كان يتمتع بها « جاكسون » كانت تامة · اذونات المرور كانت حاضرة لانها ضرورية · لقد قام جنودنا بغارات ناجحة على معسكرات بريطانية وكسبوا اسلحة زائدة عن متطلبات البريطانيين ، بينما كنا في أمس الحاجة اليها · نتيجة لتلك الغارات اصدرت الاوامر لجميع المعسكرات محذرة من محاولات

« الارغون » ولقد وقعت احدى هذه الاوامر بين ايدينا حيث تقول : « يبدو ان الارغون تعاني نقصا بالاسلحة الاوتوماتيكية (لـم يكونوا مخطئين) · بحيث انها ستحاول ان تسد هذا العجز من مستودعات الجيش البريطاني » · ولقد اعترف كاتب الامر بأن غزوات « الارغون » كانت تنفذ « بعناية فائقة وجرأة متناهية » وبالتالي فقد تبع ذلك لائحة من التعليمات كـانت تهدف الى التزود بأقصى درجات اليقظة لحماية المستودعات ولمنع الوصول اليها ، وذلك بوضع الحواجز للتدقيق بهويات القادمين وهكذا · ولكن حتى آخـر نضالنا لم نتوقف عن التمون بالاسلحة من القوات البريطانية ، بالرغم من كل الاحتياطات والاعلانات الكبيرة التي الصقت في جميع المعسكرات محذرين فيها جنودهم : « ان زيكم لا يعرف عن شخصيتكم أبدا ·· على كل جندي ان يحمل الاوراق الثبوتية لابرازها للحراس لاثبات كونك جنديا بريطانيا » ·

ان الاوراق الثبوتية اللازمة لدخول معسكر « عكير » كانت جاهزة · لقد أعطي « جدعون » التفاصيل المعتادة بسرعـة · وفتش في المجموعـة فوجدهم جميعا على اتم الاستعداد · وقد دقق الرجال ايضا بـ « جدعون » فوجدوه مستعدا استعدادا تاما كضابط بريطاني ·

« حافظ على نفسك » كانت هي العبارة التقليدية للموادع قبل الشروع في المعركة · تلك العبارة كانت نداء الحرب غير الدراماتيكي ، العبارة التي لا تحمل معنى واضحا · انها العبارة التي كان يستعملها ايضا كل انسـان ومن ضمنهم افراد من غير اليهود الذين يتكلمون لغة اهـل فلسطـين · وكذلك اليمنيين الذين ربما لم يكونوا ليفهموا معنى الكلمـات ومع هذا فانهم كانوا يدركون تماما دلالتها واهميتها ·

ان عبارة « حافظ على نفسك » كانت ترمز الى الهدوء الباطني لمقاتلينا ولحريتهم ولحقوقهم التي تتعرض للاذى · ان الطيار الذي له برنامج مـن آلاف الساعات من الطيران يبحث عن كل انـواع الظـواهر والعلامـات في

السماء والارض ليتأكد من هبوطه سالما على الارض · وحتى بالنسبة للطلاب الذين يجلسون لامتحان قد يكون مصيريا ، فانهم ينظرون الى اشارات الحظ · اني لا ازال اذكر طلاب جيلي وقد كانوا دائما يودعون انفسهم بعبارة «ربي يكسر رقبتك» انهذا الدعاء الغريب بالاذىكان يوحي لهمبانطلب الاذية له هي التي ستستعمل كتعويذة ، واذا سلوت ان اذكر هذه الكلمات السحرية تمنيت لهم الحظ والنجاح فقد يقذفونك بجميع الكتب التي بين ايديهم ·

مع وجود قلة شاذة فان المقاتلين الذين يعملون سرا كانوا احرارا من هذه الخرافات · لقد كانوا يدركون وهم ذاهبون الى محاضرة في التدريب بأنهم يسيرون وخطر الاسر ، وكذلك كان خطر الموت يسير بمحاذاتهم · ولكنهم كانوا يسيرون وعيونهم يقظة ، ولم يكن يروعهم التفكير بالمستقبل وهم ذاهبون الى المعركة · لم يكونوا ليبحثوا عن التعاويذ ولكنهم كانوا يسيرون بروح مرحة ، فقط « حافظ على نفسك » ان السلطات العسكرية تدفع غاليا لمعرفة كنه هاتين الكلمتين والمكان الذي قيلتا فيه · ولكن هذه الكلمات كانت سرا للمقاتلين السريين · لقد وصلت مجموعة القائد « جدعون » الى « عكير » بسلام · شاحنة محملة بالجنود مدججين بالسلاح وجاهزين لرد الارهابيين ، وسيارة جيب تحمل الضباط والمساعدين · كل شيء كان يبدو طبيعيا بالنسبة للبريطانيين الذين كانوا يمرون بهم على الطريق · وكذلك للعرب الذين كانوا يتمتعون بتدخين النارجيلة ، ويراقبون بكل روية الغبار الذي كانت تثيره السيارات · ولكن هذا لم يكن يبدو طبيعيا لاهالي حي الهاتيكفا (ضاحية كان يسكنها يهود اليمن) · جنود بريطانيون ضابط بريطاني ·· ولكن حي الهاتيكفا كان يعرف كيف تصان الاسرار ·

عندما وصلت المجموعة الى مدخل المعسكر تفحص الحرس بالاوراق بدقة · كلشيء كان نظاميا وخاصة لكتة «جاكسون» الاسكتلندية · ودخلوا المعسكر وعثروا على المستودع الكبير · لقد اوقفت الشاحنة فيمكان ما بحيث لا يمكنلاحد مشاهدتها منالخارج · داخل المستودع كانهناك العديد منالجنود البريطانيين والعمال · القسم الاعظم من العمال كانوا من العرب والاقلية من اليهود ، وانتشر الشباب واخذوا مراكزهم · كانت عيونهم تتوهج بمنظر السلاح ، سلاح بهذه الكميات الضخمة ·

حيا احد الجنود البريطانيين القائد الطويل «جدعون» الذي قابله بالتحية ٠

وضع « جدعون » يده على المسدس وقال بهدوء : « ارفعوا ايديكم من فضلكم » ٠

ولقد ظن الجنود البريطانيين بان قائدهم سكرانا فقال احدهم : « ما هذا » ٠

«ايديكم مرفوعة !»

«سيدي ٠٠ »

«ارفعوا ايديكم بسرعة ٠٠٠ اني لست دمويا بريطانيا ٠٠٠ اني ارهابي من منظمة الارغون» ٠

وبسرعة ارتفعت جميع الايادي الى اعلى ٠ ولقد اصبح للجنود الخبرة بان ما تطلبه منظمة الارغون يجب ان ينفذ ٠٠٠ واجبروا على المساعدة في حمل السلاح ٠ لقد كان شحن الحمولة سريعا لانه لم يكن هناك مجال لتضييع الوقت ٠ فلقد عمل شباننا بجهد مضاعف وكذلك فعل البريطانيون ٠ ملئت الشاحنة بالبنادق الرشاشة والذخيرة ٠ «ربما هذا كاف ، لا ليس كافيا ٠ خذ المزيد» ٠

ربما اخذوا الكثير ٠ كان ذلك في فصل الشتاء حيث كانت الطرقات موحلة ٠ لقد كنا نحاول ان نستعمل الممرات والطرقات الفرعية بقدر الامكان مما ساعد على خلق عنصر المفاجأة في الهجوم وايضا كانت تسهل عملية الانسحاب ٠ ولكن ذلك الطريق الذي سلكته المجموعة كان قريبا من المعسكر وموحلا للغاية حيث «غرقت» الشاحنة في الوحل وتوقفت عن السير ٠ ويمكن للانسان ان يتصور المجهود الذي قام به الشباب من اجل ان يجعلوا الشاحنة تسير ٠ واطلقت صفارات الانذار في المعسكر وراحت السيارات المدججة بالسلاح تندفع هنا وهناك ، والطائرات تقلع لتبحث وتصطاد ٠ لقد كانت قوات الاعداء قوية ، ومع انهم سوف يتكبدون خسائر فادحة في الارواح ، فمن المستحيل الاشتباك معهم ، والشاحنة لا تتحرك ، ولن يكون باستطاعة الرجل انقاذ الكنز (الذخيرة)٠٠ ولم يكن هناك مجال للاختيار، فقد حمل كل ما باستطاعته من الشاحنة الى سيارة الجيب ٠ سيارة الجيب بدأت تئن تحت

هذا الحمل الثقيل · ولكن سيارات الجيب لها قوة سحب غير عادية ·

وعاد الشباب ومعهم كمية قليلة من السلاح ، والاكثر اهمية من هذا كله انه لم يكن هناك خسائر في الارواح · من يستطيع تخيل مدى الاكتئاب الذي الم بنا ، والسخرية المرة من جراء ذلك ، لم نتوقف يوما عن التاسف ، حسارة حمولة تلك الشاحنة من الأسلحة ·

كان لنا ولع غريب بمثل هذه العمليات حيث كنا ندعوها بمصادرة الممتلكات · لقد كانت بمثابة لطمة للعدو ونعمة او هبة لنا · لم تكن جميع العمليات لتنتهي كما انتهت العملية التي حدثت في معسكر «عكير» دقد كان هناك عمليات اخرى حصلنا بوساطتها على كميات كبيرة من الاسلحة الحديثة· وكانت هناك عمليات توسعت فيها المعارك · ومع أن قوات الحكومة كانت متفوقة عدديا وبشكل واسع فانها لم تحرز النصر اوالغلبة · كانت هناك عملية الصرفند حيث جرح واسر «شبل» و«سيمون» وحيث انهما افتتحا فصلا كاملا في تاريخ الثورة · وكانت عملية «رامات غان» حيث جرح «دوف غرونر» · وكانت هناك عمليات ادى فيها اتحاد العقل اليهودي التقليدي مع البطولة اليهودية المنبعثة والصاعدة اعمالا خارقة وصلت حدود المعجزة ·

لقد كان « جدي » بعد اسر « آثان » الروح القائدة لهذه العمليات ، حيث كان يملك مجموعة غير عادية من السجايا · فكان له عقل مخترع ويدان بناءتان · فهو المخطط والمنفذ في آن · ويعزى اليه عدد وفير من الاختراعات التكنيكية والاختراعات التكتيكية · فقد اخترع مدفع المورتر (الهاون) الثقيل حيث كان الجيش البريطاني يسميه لسبب او اخر بـ V3 حيث تطور على اساسه « ديفيدكا » السلاح الشهير للجيش الاسرائيلي · واخترع « جدي » كذلك اللغم الكهربائي لتدمير شبكة سكة الحديد حيث لا يمكن تفكيكه ، وكل من حاول ذلك دفع حياته ثمنا · ويمكن للقاطرة الليلة (١) ان تمر في المنطقة الملغومة دون حدوث اي شيء · ولكن عندما يتبعها القطار فانه سوف يقذف في الهواء · نفسر ذلك بان الوزن الخفيف لن يجعله ينفجر ، ولكن الوزن الثقيل يتحطم عندما يلامسه · ولقد اعطبنا معظم خطوط شبكة سكة الحديد التابعة للبلد بوساطة هذه الالغام · واستمر عقل «جدي» في الاختراع · الالغام الخاصة بالطرقات ، قاذفات اللهب ، قنابل الاعماق ، القنبلة الاسطوانية ·

(١) قاطرة تتقدم القطار للتاكد من ان الطريق سالكة (المترجم) ·

ان « جدي » هو الذي خطط للهجوم على عكا · فقد وجـــه « جدي » بالاشتراك مع قائد عملية عكا «سيمون» ضربات كبيـرة لقـوات الحكومـة خلال فترة القانون العسكري ·

ولقد لقب بعد « سيمون الهاسموني » بقاهر يافا · وهكذا كان رجلنـا «جدي» ، محافظا ، عنيدا ، ومحبوبا من الجميع ، رجـلا متواضعـا يمقت الدعاية ، اذا رأيته فانك لن تتصور ان هذا الرجل النحيل المتواضع قد كتب بيديه صفحات كاملة في التاريخ العسكري لشعبنا ·

من اين اتى ؟ لقد كان سابقا في منظمة «الهاغناة» ، وكـان شقيقـه سكرتير « اسرائيل غاليلي » · لقد جذبته الينا اهدافنا ومثلنا العليا ·

بالاضافة الى « جدي » هناك « اميتسزور » و « افرايم » · ولقد عززت القيادة العليا مع مرور الزمن بـ«بول» و«رينغن» و«يتحساق» و«شموئيل» كان «بول» رئيس دائرة الاستخبارات ·

«رينغن» كان رجلا عمليا وذا عمل منتج · لقد كـان لمدة سنين طـويلة قائدا لمنطقة تل ابيب الكبيرة · لقد نظم المفرزة الطبية ووكالة الانباء للاذاعة السرية ، ونظام خزن السلاح حيث كانت مشكلة حساسة ولقد عهد اليه بمهمة انتاج السلاح ، لاننا بدأنا نجهز انفسنا للصدام مع العـــرب المأجوريـــن لسياسة الحكومة البريطانية ·

«يتحساق» كان اقدم الضباط التابعين لمنظمة «الارغون» والذي عهـد اليه بالمسائل المالية والتنظيمية ·

«شموئيل» كان آخر من اضيف الى القيادة العليا · لقد جاء الينا من جنوب افريقيا ، وفي غضون اشهر قليلة اصبح فردا منا ومحترما من الجميع · لقد كان المتكلم الرسمي تجاه الصحفيين الاجانب · وفي الفترة الحاسمـة كان الضابط المسؤول عن القدس ، حيث بقي في هذا المركز حتى وقت حـل الافواج العسكرية التابعة لمنظمة «الارغون» ·

ان قصة اعضاء القيادةالعليا هي قصة جميع الضباط التابعين للارغون · الكثير منهم اقصي او نفي او اسر او قتل · واولئك الذين حلوا مكانهم كانوا شبابا لا يملكون الخبرة · هل استطاعوا ان يكونوا والاخلاص بنى هيبتهم · ان منظمة «الارغون» لم تتداع او تدمر تحت الضربات الكثيفة التي تلقتها · لقد اسر ثلاثة قواد هنا ، اسروا الواحد تلو الآخر في حيفا · واربعة قواد مناطق قد وشي بهم واحدا تلو الاخر للسلطات البريطانية · كان ذلك في مدينة القدس · فأخذ مكانهم ضباط شبان وهم : «دريبه» و«عمون» و«رانان» و«لون» و«تامير» و«ايلتزور» · اخذوا اماكنهم ، وبرهنوا على انهم اهل للثقة التي منحت لهم ·

لقد اصبحوا جميعا اصدقائي · واكثر من ذلكفقد كنا جميعا كالاخوة · لقد كان الود العميق المتبادل ، ود وعاطفة المقاتلين ، ود ولا اعظم هو مصدر سعادتنا ، وربما السعادة الوحيدة في ظلام العمل السري · لقد سادت روح الاخوة العميقة بين افراد جيشنا حيث كان من الصعب ان تجد مثلها · فحقا كنا كعائلة واحدة ، ولقد كانت هناك ثقة متبادلة · فكل فرد فينا كان مستعدا للتضحية بحياته في سبيل رفيقه · ويوما بعد يوم كانت الصحف تكتب اشياء منفرة عن «الارغون» وخاصة عنا نحن الضباط · ان الاعضاء كانوا يعلمون القليل عن رفاقهم · لم يكن ليروا ضابطهم الاعلى رتبة ، وفي اغلب الحالات كانوا لا يعلمون من هم الضباط · وعندما وجدت هذه الثقة المطلقة وظهرت الحقيقة بان هؤلاء الرجال المجهولين لم يكونوا مخلوقات شريرة كما كانت تصفهم الصحف باقلام غمست بمداد النقد اللاذع · لماذا يواجهون الردى بدون احجام ! من اين اتى اخلاصهم الذي لا يسبر غوره ؟ علينا العودة الى مثل هذه الاسئلة هنا وانا اكتب عن العمل السري ، فانني اذكر احد العوامل التي جعلت من «الارغون» حقيقة وليس كلاما فقط «عائلة مقاتلة» · ان هذا العامل هو عامل الحب ، حب الغاية ، او الهدف الذي نفح المقاتلين بعاطفة الاخوة المتبادلة · كان ذلك هو مصدر قوتهم ·

ان هذه العلاقات لم تكن لتتداخل مع النظام ، بـل كـانت في مـوقف المقوي للنظام • لقد كان النظام قويا داخل «الارغون» • لم تقم «الارغون» في الاصل على مبدأ الالزام او القسر • ان منظمة «الارغون» هي احدى المنظمات القلائل التي تسمح لاعضائها بالاستقالة من صفوفها • وبالرغم من المخاطرة بفضح الاسرار لم تكن ابدا نحاول ان نجبر اي شخص كان ان يبقى في المنظمة اذا هو ابدى رغبته في تركها • هناك عدد كان قد ترك وعاد بعض ولم يعـد بعض آخر • انني لا اريد ان اترك انطباعـــا بان كـل شيء كان تامـا فــي « الارغون » فان الضعف الانساني يسري في جميع المجتمعات • فهناك سوء للفهم وخيبات للامل • ولكن القاعدة هي الاساس وليس الاستثناء• الاخطاء؟ الفشل ؟ بالطبع لدينا هذه الاشياء ، لسنا بحاجة الى أساطير • ان الحقيقة هي افضل بكثير من اية اسطورة او خرافة • والحقيقة إن عائلة الثوار كانت حرة في نظامها ، تماما كما كانت نقية في ايمانها •

فيما يختص بالرتبفاننا احتفظنا بالسلسلة التي ادخلهـــا «دايفيـد رزائيل » وكلاء عرفاء ، عرفاء ، رتباء اول ، ضباط ، وملازمين ، ونقيب واحد هو «ياكوف ميرادور» • في احدى المراحل فان الرجل الذي كان يقود آلاف من الرجال مثلا في منطقة تل ابيب كان ملازما • ان الملازم في الجيش النظامي يقود في اقصى الحالات عشرات قلائل من الرجال • كان رقباؤنـا يقودون في بعض الاحيان عدة مئات من الرجال • بينما تقع مسؤولية قيادة مثل هذا العدد على نقيب او مقدم في الجيش النظامي • لم يكن هناك أي نزاع حول الرتب • كانت الرتب ترمز الى مقياس المسؤوليـــة • وكانت متواضعـــة كحامليها • لم يكن هناك اي فرق بين الضابط ورجاله الا في حجم العمـل والمسؤوليات • ان رتبته لم تكن لتعطيه اية امتيازات • ان العضـو الذي كرس حياته للعمل السري ، وكان مضطرا للحصول على اقل قدر ممكن من العيش والوجود من المنظمة كان معاشه لا يخضع لرتبته بقدر ما كان يخضع لظروفه العائلية • ان العازب مثلا كان من بين الجنود او من بين اعضـاء القيادة العليا لم يكن يحصل على اكثر من ٢٥ جنيها (١٠٠ دولار) في الشهر• لقد كان لدينا سائقون آباء عائلات يتقاضون معاشا اعلى من ذلك الذي كان يتقاضاه اعضاء القيادة العليا • ان المعاشات في منظمة «الارغون» لم تكن لتكفي الحاجات الفطرية • ان ميزانية النفقات على الاشخاص والموظفيـن لم تكن لتتعدى الـ١٤ بالمائة وفي بعض الاحيان كانت اقل من ١٢ بالمائـة • ان التبرعات التي كنا نحصل عليها من اليهود ، والمال الذي كنا نحصـــل

عليه من سلطات الانتداب كان كله مكرسا مباشرة او غير مباشرة لاحتياجات النضال ، والا لما كان في استطاعتنا ان نفعل ما فعلناه · فاذا كان «للتقشف» اي معنى فقد كان بالتاكيد قانـــون منظمة « الارغون » · واذا كانت عبارة « الجيش الديمقراطي » لها أي معنى فان عائلة الثوار في ارض اسرائيل كانت اكثر الجيوش ديمقراطية في العالم ·

لقد اخترنا يومين في السنة لاعلان الترقيات · في الرابع عشر مـــن تشرين الثاني ويصادف اليوم الذي نفذ فيه « دافيد رزائيـل » اول هجـوم لمنظمة « الارغون » على اعداء شعبنا · وفي التاسع والعشرين مـن تموز · في ايام الذكرى هذه كان اول عمل نقوم به هو مكافأة الضباط الذين ابلوا بلاء حسنا · وكان يسود منظمة « الارغون » في هذين اليومين جو الاعياد · ولكن الارغون كانت تخوض معركة حياة أو موت ولهـــذا كانت احتفـالات الترقية تجري بهدوء وفي اماكن مختلفة ، لاننا كنا نعلم بأننا لسنا بعيديـن عن المشانق · كانت هناك احتفالات قليلة في الكفاح السري ولكنها عـلى قلتها كانت مؤثرة ومثيرة للعاطفة ·

لم يكن من السهل ابدا الحصول على مرتبـــة اعـــلى في منظمـــة « الارغون » ولم يكن ذلك الامر سهلا كوني جربته بنفسي شخصيا · ولـــم يكن لي اية مرتبة او منزلة · ليس تواضعا ولكن كان هذا لحكم الظروف · لقد كنت جنديا عاديا في الجيش البولندي وحتى ولو كنت كولونيلا فانني لـن احصل على مرتبة في التنظيم المقاتل · ان الرجال كانوا ضباطا في الجيوش المختلفة ، ولكنهم كانوا فخورين جدا لحصولهم على رتبة عريف بعد عنـاء كبير · ان الشرط الاساسي للحصول على هذه الرتبة هو اتمام دورة تدريبية كاملة · ولسوء حظي لم تكن لدي الفرصة لاتمام مثل هذه الدورة · القانون هو القانون · وبدون تلك الخطوة الاساسية فانني لا استطيع ارتقاء ايـــة منزلة اعلى ولقد كان ذلك سببا لسوء فهم عالمي حصل عندما قابلت برزانة ووقار ممثلي الجمعية العامة للامم المتحدة · سألني القاضي «فما سبسترون» ما هي السلطة الرسمية التي تجعلك تتكلم باسم منظمة «الارغون» ؟

ـ هل انت جنرال ؟

لم اتمالك نفسي من الضحك وقلت :

ـ لا ليس لدي اية رتبة ·

ولقد انتهى حديثنا الاول بعاصفة من الضحك · وحامت ابتسامة على شفاه « ساندستورم » السويدي العابس ·

ومع هذا فقد كان لي رتبة لم يكن باستطاعتي اطلاع القاضي « فماسبسترون » عليها لم تكن منزلتي عسكرية بل هي غير عسكرية · عندما اكون حاضرا كان اصدقائي يدعونني بالقائد · اما بينهم وبين أنفسهم فكانوا يدعونني « بالعجوز » ·

واني لاعترف باني كنت أحب هذا اللقب · ولقد ساعد شعري المسبل على ان لا يكون هذا الاسم مجازيا اواستعاريا · · ولقد كان هذا الاسم يعكس العاطفة التلقائية الحميمة ·

تلك هي العلاقات التي قامت في سنوات الثورة على مستوى القيادة والرتب · اخلاص متين · استعداد غير محدود للتضحية وتكريس للنفس غير مشروط · الاخطار مشتركة والمعاناة مشتركة · وفوق كل ذلك قوة الارادة بالنصر · وهكذا فقد حارب جميع جنود « الارغون » وهكذا فقد قامت كل وحدة بما انيط اليها من عمل ·

- ٥ -

لقد قمنا في بداية الثورة بتقسيم « الارغون » الى عدد من الشعب بالاضافة الى التقسيمات الادارية الطبيعية والجغرافية ولقد اسمينا هذه الشعب :

١ ـ ج · ث جيش الثورة ·
٢ ـ و · ا وحدات الصدام ·
٣ ـ ا · ط القوات الهجومية ·
٤ ـ ق · ا · ث وحدات الاعلام الثوري

لقد قصدنا ان يكون لدينا أربع شعب ولكن الحقيقة دائما اقوى من قرارات اية قيادة نضالية · لقد كان جيش الثورة نظريا فقط · فقد كان مفروضا ان يخدم كقوات احتياطية تشمل جميع الجنود الذين لا ينتمون الى الشعب الثلاث الاخرى · لكن هذا التنظيم لم يعمل به ابدا · لقد كان المنتسبون الجدد يمرون من خلاله لانه بعد تدريبهم الاساسي كانوا يحولون الى الشعب الاخرى · وعندما خرجت « الارغون » من السرية الى الصدام مع العرب الغزاة ، ضم جميع الرجال في جيش نظامي موحد له شعبه الخاصة ومؤسساته الخاصة وفصائله الخاصة وكتائبه الخاصة ·

ولم تقم لشعبة وحدة الصدام قائمة • فلقد كان مجرد اسم اعطـــي لوحدة كانت قائمة قبل الثورة • لقد كانت مشهورة بالنسبة للذين عـاصروها باسم « الفرقة الحمراء » ان وراء هذه الوحدة فكرة مهمة • لقد كانت فكـرة « ياكوف ميرادور » النضال من اجل التحرير يتطلب رجالا مدربين تدريبـا خاصا للعمل في المناطق العربية ، سواء أكان ذلك مـــن ارض اسرائيل أم في البلاد العربية • وعلى هذا الاساس فان الرجال الذين اختيروا لهـــذا العمل كانوا شجعانا وسمر البشرة • لقد تلقوا دورات تدريبيـة عسكريـة ودورسا في اللغة العربية • ان انشاء « الفرقة الحمراء » كان يجب ان يبقى سرا حتى على الاعضاء الاخرين لمنظمة « الارغون » • ولقد كان ذلك عمـلا سريا داخل فكرة العمل السري • لقد كان عملا جريئا ولكن تنفيذه يتطلب تذليل بعض الصعاب المتداخلة حيث لم يكن بعضها سهلا • وفجأة بدأ أفضل الرجال وحتى الضباط يتركون منظمة « الارغون » • ان الهارب من الجندية كان يضيف الاهانة الى الاذى • لم يكن بتصريحاته العلنية التي كان يصرح بها بانه لم يعد له اية علاقة بمنظمة «الارغون» بل انه كـان يلعنهـا ويقسم على ذلك • ان هذا السلوك الغريب لرجال سابقين كرسوا حياتهم للثورة ، وكذلك سلوك ضباط مهمين كان مرتبطا باشياء غامضة لم يعرفها الجنود • لم يكن من المستحيل الشرح او المساعدة في اعطاء الحقيقة • بالرغم من ذلك على اية حال لم يتبع الهاربين من الجنديـــة أي مـن الثوار الحقيقيين لان رجالنا كانوا معززين بالعقيدة التي نجحنا في زرعها في قلوبهم • وهو ان المبدأ والمعتقد أهم من الاشخاص • ترك فلان وفلان وهرب فلان وفلان • مـا المسألة ؟ انتم ايها الجنود اخذتم على عاتقكم وباقتناع داخلي مهمة تاريخية وعليكم انجازها بغض النظر عما يقوله الناس هنا وهناك عن عقم هـــذه المهمة ووجود النقيض لها • سواء اكان هؤلاء الناس اعداءكم ام اصدقاءكم في الايام السابقة • وكجندي للحرية فان قائدك الاسمى هو القضية نفسها •

ان مسألة « الفرقة الحمراء » وان كانت قد افتتحت بالاسـى والحزن فانها انتهت بالغبطة والسرور • عندمـا بدأت الثـورة عـاد جميع الهاربين وانضموا الى وحداتهم النظامية• البارحة كان فلان وفلان يلعنون «الارغون» من على التلال وفي الوديان في العلانية والسر ، وها هم الان ضباط في الخطوط الامامية • فقد مسحوا عن اعينهم الغشاوة واعيدت لحمة الصداقة ، واصحاب المعنويات المنخفضة نهضوا مرة اخرى •

لقد كانت « الفرقة الحمراء » تضم مقاتلين ممتازين • وكان معظمهم يبدون كمواطنين عرب • لم يكن اهالي البلاد العربية وحدهم الذين يتميزون بسمرة البشرة بل كان هناك اليهود الاشكناز الذين قدموا من اوروبا • حيث لم يقلوا عنهم سمرة وحتى انهم في بعض الاحيان اكثر سمرة من السفارديم • الحقيقة ان كثيرا من المقاتلين الذين كانوا يعملون في وحدات الصدام هم من المجتمعات الشرقية ، فان رواية « الفرقة السوداء » التي نشرتها الصحف البريطانية والتي تزعم ان هذه الفرقة تتألف فقط من التابعين لمنظمة « الارغون » لهو محض افتراء • ولقد وقف وراء هذه الرواية بعض السياسيين اليهود الذين ارادوا التقليل من شأننا • لقد قال هؤلاء السادة وبصوت مرتفع بأن جميع اعضاء منظمة « الارغون » هم من اليمنيين • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد وصفنا « بحثالة اوروبا الشرقية » • وانه لمن المؤسف ان يغوص اعداؤنا من السياسيين اليهود في هذا القدح والذم العنصري الكريه ، والمحبب الى اعداء السامية ما بين الحربين • لقد اعتاد النازيون القول : ليس اليهود كلهم شيوعيين ولكن جميع الشيوعيين هم من اليهود » طبقا لهذا فقد كان بعض الصهاينة يقولون عنا : « ليس كل اليمنيين هم من « الارغون » ولكن جميع اعضاء « الارغون » هم من اليمنيين » •

لم يكن لهذا أي صلة بالواقع • ففي وحدات الصدام كما هو في بقية الاقسام فان منظمة « الارغون » كانت تضم اعضاء قدموا من جميع المجتمعات اليهودية ومن مختلف الطبقات الاجتماعية فلقد ضمت اعضاء من تونس وبولندا وايران وفرنسا واليمن وبلجيكا والعراق وتشيكوسلوفاكيا وسوريا والولايات المتحدة ورومانيا وانكلترا واسكوتلندا والارجنتين وجنوب افريقيا ، والاكثرية من سكان ارض اسرائيل نفسها • لقد كنا نقطة الانصهار لصورة الامة اليهودية المصغرة • لم نكن لنسأل عن الاصل • فقد كنا نسأل عن الاخلاص والقدرة والقابلية • لقد كان رفاقنا سعداء في الوطن وداخل المنظمة • لم يكن لاحد ليظهر روح التعالي على الآخرين • وهكذا فقد حرروا انفسهم من اي شعور بالاجحاف يقلل من شأنهم • لقد كان يكفينا انهم رفاق مقاتلين • كان باستطاعتهم الوصول الى اعلى المراكز والمسؤوليات ووصلوا • ان « سيتروم ليفي » رئيس اركان الحرب كان من سفارديا • كما أصبح اخوه « يوزي » بعد عودته من معسكر الاغتيال في ارتيريا قائد لمنظمة

تل ابيب ، وقاد آلاف من الرجال حتى سقوطه وهو يقاتل ببطولة في المعركة الحاسمة من اجل الاستيلاء على يافا . « وسيمون » قائد منطقة حيفا كان ايرانيا وقد ظل يقاتل حتى وشي به للسلطات بريطانية واعتقل . و « جدي » قائد منطقةالقدس الذي قاد العمليات التاريخية التي تمت على G.H.Q. القيادة العامة لجيش الاحتلال . لقد كان سفارديا . واثنان ممن علقوا على المشانق وهما « الكوش » و « كاشان » كانا سفارديين ايضا .

ان التهمة التي وجهت الينا والتي قصد اعداؤنا ومنافسونا التقليل من شأننا وتلويث سمعتنا كانت مصدر فخر واعتزاز لنا . ان الناس الذين اذلوا واهينوا اصبحوا مقاتلين اسطوريين بين صفوفنا . اصبحوا احرارا ، ورجالا ونساء متساوين . واصبحوا حاملي الحرية والشرف .

ان الاحصائيات لم تدخل في حسابنا . ولكني اعتقد بأني ساكون قريبا من الحقيقة اذا قلت بأنه في الشعب المختلفة لمنظمة « الارغون » لم يكن هناك اقل من ٢٥ ٪ او اكثر من ٣٥ ٪ من السفارديين الذين ينتمون الى مجتمعات شرقية . وبالنسبة للوحدات الصدامية فيما يختص بالبشرة السوداء فمن المحتمل ان تكون النسبة اكبر . ومن المحتمل ان تكون ما بين ٤٠ و ٥٠ ٪ .

لقد نفذت الوحدات الصدامية اولى عمليات الثورة ولكن وجود تلك الوحدات في اماكن مختلفة لم يساعد على امتحان قدراتها العملية . وعلى مر الزمن وعندما احتدم الكفاح وتعمق ، اندمجت الوحدات الصدامية بالقوات الهجومية . واصبحت اشهر قوة هجومية في منظمة «الارغون» حيث نفذت اقوى ضربات واوجعها في ارض اسرائيل . ومن بين الشعب التي خطط لها بقي منها اثنتان في العمل. القوة الهجومية وشعبة الاعلام الثوري. ولقد كان هناك دائما خلاف بين الشعبتين .

لم يكن هذا الخلاف هو الخلاف الوحيد في منظمة العمل السري . ان المنظمة السرية كانت هي الصورة المصغرة للدولة . ولكنها دولة في حالة

حرب · كان لها جيشها الخاص بها ، وسياستها الخاصة بها ، ومحاكمها الخاصة بها · كان لها مقومات الدولة الحقيقية · وفق كل ذلك كانت تحمل مسؤولية البقاء والموت ، ليس بالنسبة للافراد فحسب وانما بالنسبة للاجيال كلها · انها لا تشبه الدولة بهذا المعنى وحسب وانما كما للدولة وزارات واقسام كذلك كان للمنظمة اقسامها وشعبها · كان هناك التعاون ، كما كانت هناك الخلافات التي تنبع من طبيعة الانسان نفسه · لم يوافق قادة المناطق على الاستقلال الذي منح للوحدات الصدامية واخيرا للقوات الهجومية ، لقد قلنا بان قادة المناطق يتسلمون المناطق التي هي تحت قيادتنا · كنا نعلم السلاح الذي نملكه والسلاح الذي لا نملكه · كنا أعلم الناس بشعبنا · لماذا نأخذ على عاتقنا التحضير من اجل العمليات والقيام بتلك العمليات ؟ كان هذا النقاش منطقيا · ولكن الرد السريع والحاسم لقيادات القوة الهجومية لم يكن كذلك فلقد زعموا ان العمليات العسكرية يجب ان تجهز بسرعة ·

لم يكن من السهل ان نحكم بين الطرفين وخاصة انهما يسعيان للوصول الى افضل الوسائل لاستمرار النضال · وفي بعض الاحيان كنت اشعر بنفسي كالقاضي الذي رأى كلا الطرفين على حق في نزاعهما ، وعندما سألته زوجته كيف يكون ذلك ؟ اجابها بلطف : «حبيبتي انت ايضا على حق» ·

واستمر هذا النزاع على الاستقلالية · ان جهاز استخباراتنا لم يتوقف يوما عن المطالبة بنوع من الاستقلال الداخلي · ان هذا الجهاز قد قام باعمال عظيمة خلال الكفاح · بينما كانت القوة الهجومية تتعامل مع العدو بالحديد والنار، وكانت الاستخبارات تتعامل بوساطة الادمغة · وان انتصارنا على قوات الاحتلال البريطانية اعتمدت فعلا على جهاز الاستخبارات ، على معلوماته ، وعلى الحزام الامني الذي بناه بجد وحكمة · لقد كان يرئس هذا الجهاز «بول» وخلفه «مايكول» الذي كان متلهفا لانجازات اعظم · وكان يعتقد انه يمكن الحصول على تلك الانجازات اذا ما اعطي جهازه نوعا ما من حرية العمل ، وعلى نحو مميز ·

شكرا للفهم والتسامح الذي اظهره جميع رفاقنا · ولقد نجحنا في تذليل هذه الصعاب الداخلية المميتة التي انبثقت عن تجزئة العمل بين الاشخاص وتحمسهم الزائد للنجاح · وليس مبالغة في القول باننا اكتسبنا

بعض الخبرة من الاجهزة والطرق والوسائل والانظمة التي تدار بها الدولة. لقد خبرنا صورتها الحقيقية ، كما خبرنا ظلها ، خبرنا فضائلها كما خبرنا عيوبها . وبشكل عام فقد تغلبنا على المشاكل الداخلية ولكننا لم ننجح ابدا في وضع حد للنزاع المقدس بين القوة الهجومية وجهاز الاعلام الثوري .

-٦-

لقد اسند الى جهاز الاعلام الثوري مهمة نشر رسالة الثورة . ولقد قمنا بعمل عظيم كبير . ان ارض اسرائيل لا تملك المصادر الطبيعية . ولكن الشعب اليهودي مصدر القوة وهو يملك الادمغة . كان شعبنا ينتظر التفسير والايضاح لاعمالنا وكان علينا ان نمده بهذه التفسيرات والايضاحات لنؤمن ما نرغب في تأمينه الا وهو الفهم والتعاطف .

كان هناك سبب اخر لاقامة جهاز الاعلام الثوري . كنا مضطرين لان نصد عنا الهجمات الاعلامية ، كما كنا مضطرين لرصد الهجمات المعادية . لقد حاولت دعاية الاعداء تصويرنا باننا اسفل السافلين . فاطلقت العنان للشتائم البذيئة التي كانت دائمة ومستمرة . واستعملت وسائل اخرى . سوف يذكر الكثيرون هجومنا على قطار الرواتب التابع للحكومة حيث غنمنا مبلغا كبيرا من المال. اعطيت الاوامر لنا كما هو الحال في العمليات المشابهة التي اضطرتنا اليها متطلبات الحرب ، بان نتجنب ايذاء اي شخص . ان كمية المتفجرات كانت مدروسة وكافية لتجعل القطار يتوقف عن السير فقط . وان يكن قد احدث ارتجاجا في القطار ، فانه لم يحدث اي ضرر او تدمير . واندفع الشباب من الغابة حيث كانوا ينتظرون فاستسلم الحراس ونزع منهم السلاح . لم يكن القطار يحمل اي مسافر مدني. ولقد اسعف من كان قد اصيب باصابات طفيفة نتيجة الزجاج المكسور. وكانت مفاجأة انهم اسعفوا بوساطة اعضاء من كتائب الاسعافات الاولية التابعة لنا . لقد غنمنا ٣٨ ٠٠٠ الف جنيه وعاد الشبان الى قواعدهم سالمين . لقد كان الرسميون البريطانيون يعلمون ماذا سنفعل بالمال . وقد بذلوا جهودا جبارة من اجل استرجاعه . فقد اعلنوا منع التجول في منطقة «الخضيرة» المجاورة . ولقد ارسلت الى الطرقات دوريات خاصة من اجل هذا

الامر • وجرى البحث والتفتيش في جميع العربات والسيارات ، ولقد فتشت السيارة التيكانت تحمل المال المسروق تفتيشا دقيقا ولكنه لم يثمر عن شيء •

لقد نفذت العملية خلال المدة القصيرة لاتحاد حركة المقاومة ، عندما شاركنا «الهاغناه» القتال لمدة من الوقت ضد الحكم البريطاني • وفي احدى اجتماعاتنا الدورية مع رؤساء «الهاغاناه»، اخبرني «موشيه سنيه» انضابطا ذا رتبة عالية في الجيش البريطاني ابدى اعجابه بالخطة والتنفيذ اللذين جرت على اساسهما العملية • ولقد وصف العملية التي حصلت في الخضيرة بانها «عمل منسق» • لقد كنا جاهزين لاغفال المديح والاطراء ، ولكنه كان من الصعب ان نغفر لما كتب عن هذا العمل المنسق بوساطة محررة كبيرة لاحدى الصحف • هذه السيدة ارسلت الى احدى الصحف الاكثر انتشارا فيارض اسرائيل، تخبر الملايين من قرائها بانالهجوم قدتم بوساطة «خطيبتي» وهي سيدة شقراء تعودت حمل السلاح ليل نهار • وبعد وصف مصاصة الدماء هذه ، تاتي الرواية التي يقف لها شعر الراس عن تصرفات الارهابيين المتوحشين في الخضيرة • لقد ساعدتنا هذه الروايات بمرور الزمن على خلق انطباع بين مئات الالاف من الشعب البريطاني الذين لديهم اقارب يخدمون في ارض اسرائيل بان اولادهم التعساء قد نقلوا بوساطة الحكومة البريطانية الى الجحيم ، مما زاد في الحاحهم على انسحاب الجنود البريطانيين من ارض اسرائيل باسرع وقت ممكن • وهكذا فان تلك الصحيفة التي زفتني الى خطيبة شقراء مكان زوجتي السمراء ، تلك المؤلفة التافهة المفعمة بالكراهية ساعدت وبدون قصد في الاسراع في رحيل نظام الانتداب • لقد ارسلت للافتراء علينا وتشويه سمعتنا ، وكتبت اشياء مدروسة لكي تجعل الناس يكرهوننا • ومما يؤسف له ان بعض العناصر اليهودية وبعض محرري الاخبار شاركوا ايضا في هذا الذم وتشويه السمعة ، هذا العمل الذي يعد جبنا وخسة وغدرا •

لقدكنا مضطرينللدفاع عنانفسنا • لذلكفان تنوير الرأيالعام كانجزءا لا يتجزأ من كفاحنا • كانت الاذاعة الخاصة بنا اهم وسائلنا الاعلامية • لم نكن قادرين على استعمال الاذاعة بشكل منتظم وفعال • لقد بدأنا بفشل مضاعف • لقد قبض على مذيعنا بعد عدة فترات من البث ، وذلك في بيت « ايستر رزائيل » شقيقة « دايفيد » • لقد قبض على « ايستر » وزوجها تاركين طفلين وابوين عجوزين لا يزالان يبكيان ابنهما البكر • والحزن والاسى على

قبض «اثان» و«يهودا» كانا اكبر من الاسى والحزن · وبقي«يهودا» في معسكرات الاصلاح في افريقيا · ولكننا حصلنا على محطة ارسال احسن وافضل من الاولى ·

كنا نبث فقط لمدة خمسة دقائق في الفترة الواحدة · لقد قرأنا مؤلفات الاعمال السرية في اوروبا وعرفنا انالالمان كان باستطاعتهم بعد استعمالهم الات خاصة كشف محطات الارسال في خلال ست دقائق · وكنا نعتقد ان البريطانيين يملكون مثل هذه الآلات · وهكذا فان لدينا دقيقة واحدة لكي نبعد المحطة · ولقد سئمنا هذه الاستعدادات والترتيبات · ان الامور في البلد تنمو لتصبح اكثرا خطرا والقتال يتزايد اكثر واكثر · فكان من الضروري التوسع في مدى ارسالنا · ولقد نشرنا انذارا بان المحطة هي تحت الحماية المسلحة واذا ما حاولت القوات العسكرية ان تقبض على مذيعينا فانها ستدفع ثمن ذلك غاليا في الارواح · لقد كان لهذا الانذار اثره الفعال · ومنذ ذلك الوقت كنا نذيع لمدة عشر دقائق ، خمسة عشر دقيقة او عشرين دقيقة · ربما كان باستطاعة السلطات البريطانية اكتشاف الارسال ولكنها لم تحاول أن ترسل مكتشفيها بالقرب منه · ربما لانه شعروا اذا فعلوا ذلك فانهم سوف يتكبدون خسائر فادحة في الارواح · وقد لا ينجحون في ازالة الارسال ، واذا ما نجحوا في ذلك فان منظمة «الارغون» بمساعدة رجالها التقنيين الذين يعدون افضل التقنيين في البلد باستطاعتها ان يكون لها حالا ارسال آخر ·

لكنهم وجدوا وسائل اخرى للتشويش على ارسالنا هذه الوسائل التي جذبت وحتى اليوم انتباه عشرات الآلاف من المستمعين · لقد قام «جوبلز» خلال الحرب العالمية بجهود جبارة للتشويش على محطة الاذاعة البريطانية B.B.C. ·بي · بي · سي ·ولقد اطلقت الحكومة البريطانية الصرير والتشويش والعويل على طول الموجة التي كنا نبث عليها تماما كما فعل الالمان في محطة الاذاعة البريطانية · ولقد اجهد تقنيونا عقولهم لايجاد الطريقة التي تمكنهم من التغلب على هذا التشويش · لقد اقاموا محطة ارسال اخرى على نحو يجعل من الممكن التحول من موجة الى اخرى وهكذا لعبة «الغميض» في الهواء كما كانت تجري على الارض · في موعد معين

تبدأ الاذاعة اللاشرعية البث والارسال وبعد دقيقة من هذا البث تبدأ آلـــة التشويش بالعويل والنحيب فينتقل المذيع الى موجة اخرى · ويبدأ المستمعون بالعبث بمفاتيح اجهزة استقبالهم لعلهم يهتدون الى محطة الاذاعة · وفـــي بعض الاحيان يهتدون الى الموجة الثانية ، واحيانا اخرى لا يهتدون · وفي الوقت نفسه تظل آلة التشويش تتابع ملاحقتها المحمومة · فتنقطع الموجـــة الثانية فيفتقر المذيع الى موجة ثالثة او يرجع الى الموجة الاولى · المستمعون في اثر الاذاعة والآت التشويش تلاحقهم فكانت بذلك لعبة متعبة ·

حينئذ حاولنا استراتيجية اخرى · فنشرنا تحذيرا بانه اذا لم تتخل السلطات البريطانية عن جهودها لاسكاتنا فاننا سوف نسكتهم · فلم يعط هذا الانذار ثماره · فوضعنا الخطة لنسف محطة الاذاعة البريطانية في القدس· عدة مرات كنا على وشك تنفيذ الخطة · لكن في كل مرة كانت تبرز صعوبات غير متوقعة · كان علينا ان نتجنب ايذاء المدنيين العاملين في خدمة الاذاعة حيث كان من بينهم كثير من الرجال والنساء اليهود · وهكذا فقد اجلنا تنفيذ الخطة بيد اننا لم نتخل عنها كليا · وفي النهاية فقد جلى البريطانيون عـــن «ساروننا» حيث توجد معدات التشويش واصبحنا قادرين على الارسال بدون تشويش · ان الانذار الذي صدر بشأن الاذاعة كان احد الانذارات القليلـــة التي اصدرتها «الارغون» والتي لم تكن لها اية فعالية ·

لم نسكت ابدا · كنا نترجم ما نذيعه الى اللغات الاجنبية ونبعث به الى مراسلي الصحف الاجنبية والهيئات الدبلوماسية الاجنبية· كانت نشراتنا الاذاعية تحتوي على اخبار واقعية وتحليـــلات سياسية · لقـــد كـــان هـــذا مهما لكي تبقى قضية ارض اسرائيل في بؤرة الاهتمام العالمي ومركزه · لقد حمل صوت الثورة والحرية بعيدا وانتشر بشكل واسع بالرغم من تشويش الحكومة البريطانية · واذا كان قد منع عشرات الالوف من سماع اذاعتنـــا فقد سمعها الملايين · واستمرت ارض اسرائيل تشد انتباه العالم حتى عندما سكتت الانفجارات ·

احدى الوسائل في النشر والتنوير في ارض اسرائيل كانت الجدران · كنا ننشر اعلانات وتصريحات الثورة في طول البلاد وعرضها بكتابتها عـــلى الجدران · لقد فعلنا الشيء نفسه تقريبا مع مواد النشر باستثناء الكتيبات والمؤلفات · ولقد اصدرنا جريدة حائط «حيروت» وكانت الاولى من نوعهـــا

في ارض اسرائيل ، وربما في اي مكان آخر · ولقد نشرنا كراسات او وريقات تتضمن البلاغات الرسمية عن العمليات العسكرية · على الاقل مرة كل يومين او ثلاثة ايام ، واحيانا كل نهار او كل مساء · ولقد بلغت رسالتنا ولم نتعب من التفسير والايضاح · ان الشبان الذين يعملون في جهاز الاعلام الثوري لم يكلوا او يتعبوا · ولقد بدأ الناس يهتمون اكثر فاكثر بقراءة ما تقوله المنظمة السرية · صفوف طويلة من الناس كانت تتجمع لقراءة اوراقنا وكراساتنا وملصقاتنا · لقد خاطبنا الناس بلغة الحقيقة البسيطة· لم نخاطب اية طبقة معينة ، بل كنا نخاطب الشعب ككل · وقليلا قليلا تعلموا ان يصدقونا وقليلا قليلا تعلموا ان يتعقبونا لاننا كنا نمدهم بالحقيقة وحسب ·

احد مبادئنا المقدسة في اعطاء المعلومات كان قول الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة · ولكننا بالطبع لم نكن لنستطيع قول كل الحقيقة · لقد كنا نعمل سرا حيث كان في مواجهتنا عدو يستمع ويفتش ويكتب عنا التقارير · كان عملاؤه ومساعدوه في مواجهتنا يتجسسون علينا ، ويتعمدون ايقاع المكروه بنا · لم نستطع نشر كل شيء ولكن الحقيقة كانت في كل ما كنا ننشره ·

في احد ايام تموز من عام ١٩٤٤ هاجمنا مراكزالشرطة على حدود يافا ــ تل ابيب · وفي «ابو الكبير» وفي «نيف شانان» وقيادةالمباحث الجنائية في يافا نفسها · في هذه المناسبة لم يكن لدينا كما في الهجمات السابقة أي هدف ضد اية بلدة · فقط اردنا ان نحصل على بعض السلاح من الشرطة البريطانية · في ذلك الوقت كنا قد تخلينا عن مهاجمة المعسكرات العسكرية · لقد قررنا عدم مهاجمة القواعد العسكرية طالما الحرب قائمة معالمانيا النازية· ولقد اتخذ هذا القرار بحكمة وروية ولقد احترم هذا القرار حتى ايار ١٩٤٥ عندما توقف مفعول «طالما» · ولكن الشرطة البريطانية ومراكزها كانت الهدف التقليدي للقوات الهجومية التي ذهبت لتنفيذ اول عملية مصادرة املاك · لو كان لدينا الوقت لكنا جهزنا انفسنا وذهبنا لنقلد قيادة المباحث الجنائية احد اوسمتنا ، تلك القيادة التي انتقلت الى بناء آخر بعد اول زيارة قمنا بها في فصل الربيع· ولكن مخافر الشرطة اثارت اهتمامنا فقط ببنادقها الرشاشة احد اهدافنا الرئيسة كان بناء المباحث الجنائية الذي نسفناه في الربيع · لقد وصلت الينا معلومات تقول بان الجزء الذي لم يهدم يحتوي على بنادق واسلحة اوتوماتيكية ·

لقد نفذ جزء من العملية فقط لان شبابنا لم يستطيعوا الوصـــول الى مستودع الاسلحة وذلك لان متفجراتهم كانت غير كافيــة لتحطيـــم البـــاب الحديدي الذي يحمي ذلك الجزء · وفي محاولة جديدة وقع صدام على حدود تل ابيب ـ يافا واقفلت الطريق المؤدية الى المستودع ، فما كان من الرجال الا ان انسحبوا · لم تكن الغنيمة كبيرة · ولكن الشباب الذين اكتسبـــوا الخبرة من النجاح والفشل كانوا سعداء لانهم لم يرجعوا فارغي الايادي ، لقد قامت قواتنا الهجومية بواجبها · وقامت وحدات الاعلام الثوري بعملها في الحال · ونشرت البلاغات الرسمية في جميع انحـاء البلـد واصفيـــن باختصار الصدامات التي حصلت مع الاعداء · اما بالنسبة للســلاح فقـد كتبنا اننا استولينا على ١٤ بندقية من المخافر ·

الجملة الاخيرة او الاعتراف الاخير اغضب عددا من اصدقائنا الذين قالوا باننا لسنا مضطرين لان نقول كم عدد قطع السلاح التي غنمناها ، لماذا لا نترك الشعب الذي يحتاج الى الروح المعنوية ، يفكر بـان الكميـــة التي استولينا عليها ربما تكون اكثر من ذلك ؟ لم نكن لنغض النظر عن المناقشات السيكولوجية لاصدقائنا · بالطبع كان باستطاعتنـا تجنب التفاصيـل وقلنـا «كمية من السلاح» ولكننا فضلنا الحقيقة ، فنحن استولينا على ١٤ بندقية وسوف نخبر الجمهور باننا استولينا على ١٤ بندقية · ان هذه الحادثـــة كانت المؤشر للسياسة التي كان علينا اتباعها · لم نكن لنلوث افواهنـــا واقلامنا بالكذب · لقد قلنا الحقيقة · لقد جعلتنا هذه السياسة نخسر مكاسب مؤقتة ، لكنها في النهاية منحتنا ثقة شعوب العام · لقد كانوا يعلمـون ان بياناتنا حقائق وكانوا يعلمون ان تحذيراتنا تنفذ · وعندما مر الزمن اصبح عاما وشائعا ان تسمع الناس في ارض اسرائيل وهم يرجعون الى «الارغون» كمرجع موثوق به للدلالة على تؤكيد ثقتهم وجزمها : الم تسمـع لقـد قالت منظمة «الارغون» كذا ·· »·

لقد اخبرنا احد الصحفيين الذين خدموا كمساعدين محليين لمـراسلين اجانب ، انه عندما اعطوا بيانا من قيادة « الهاغناه » سألوا مساعديهم اليهود «هل تأكدتم منها ؟» · اما بيانات «الارغون» من جهة اخرى فكانت تقبل بدون تردد او استفسار ·

ان سياسية الاربعة عشر بندقية التي اتبعناها في اعلاناتنا منحتنا ثقة الشعب ، وهي اقوى مصدر واثمنه لاية منظمة سرية محاطة بالاعداء والانتهازيين ٠

كيف كنا نطبع مقالاتنا ؟ لقد كنا نتبع مختلف الطرق ٠ بادىء الامر كنا نطبع مقالاتنا في المطبعة القريبة من حدود يافا ـ تل ابيب حيث طبعنا « البلابرا » ٠ لم يكن لدينا الخيار ولم يكن لدينا المال الكافي لكي تكون لدينا مطبعتنا الخاصة بنا ٠ وفي خريف ١٩٤٤ نجحنا في شراء آلة طباعة صغيرة ٠ لقد كان شبابنا المتفرغون لهذا العمل يلبسون جميع انواع الطلبات التجارية ، ولكن بين طبع دفاتر الوصولات ودفاتر اسماء المؤسسات وعنواينها كانوا يقومون بالعمل الذي كلفوا به ٠ لقد ارهقتنا هذه الآلة بكثير من العمل ٠ ففي المراحل الاولى للثورة كان لدينا الكثير لنقوله ٠ وفي الوقت نفسه بدأت حملات الشجب ٠ ولقد وقعت آلة الطباعة ضحية المخبرين وبقينا بدون آلة طبع لمدة من الزمن ٠ وكنا فقط في بعض الاحيان قادرين على الطبع بوساطة صديقنا القديم صاحب مطبعة «مزراتشي» ٠ واخيرا ومن خلال التجربة نجحنا في اصلاح الموقف فقد قررنا اخيرا بناء مطبعة تحت الارض ٠ لقد وجدنا مكانا مناسبا ٠ ولقد استنبطنا وسائل التمويه الضرورية ٠ ولقد عمل الشبان بجد وحفروا وبنوا البناء اللازم لذلك واصبح كل شيء جاهزا وعندما علمنا ان احد الاشخاص قد اكتشف ذلك لم ننتظر حدوث المعجزات ٠ فتركنا البناء ٠وكما قدر له فقد دمر هذا البناء اخيرا باولى الهجمات الجوية المصرية على تل ابيب ٠

لم نياس ٠ فالضرورة تتحكم بالعمل السري ٠ ولقد وجدنا مكانا آخر فحفرنا ملجأ في الارض واقمنا حجيرة مستقلة لهذا الغرض ٠ وحل «جد-ي» مشكلة التهوية ببناء مروحة تهوية يدوية ٠ وعلمت مخابراتنا بان عمال السفينة السلونكانيين الذين حملوا آلة الطباعة يتناقلون سر آلة طباعة « الارغون » ٠ كان ذلك مثيرا للقلق والانزعاج ٠ اذ يمكن للكلام البريء ان ينتشر ٠ وبعد استعمال التهديد والعنف فهم «السلونوكيين» ضرورة السكوت المطلق ٠ واستمرت المطبعة بعملها ٠ لقد كان عملا جادا ومجهدا ٠ واصبح الجو خانقا وكانت الحرارة مرتفعة ومخيفة وتعطلت الالة عن العمل ٠ ولكن عمال «الارغون» لم يعرفوا الراحة ، كانوا يعملون عادة مدة ٢٤ ساعة دون

توقف · وفوق الارض كان شبابنا يعملون براحة تامة · فوق المطبعة كـان هناك نجار يلبي طلبات اثاث البيوت ومفروشاتها · وكانت هناك شاحنة تأتي الى الدكان ظاهريا لجلب الخشب وشحن المفروشات ، ولكن أيا من اعيـن الزبائن لم تلاحظ وجود رزم من الورق ، الرزم المكدسة حيث اقيم محل العمل هذا من اجله ·لم تكتشف السلطات البريطانية هذه الطوابق الارضية السرية· كشفنا الستار عن موقع هذه الطوابق فقط عند اقامة الدولة ، حيث كنا ندعو الشعب بأن لا يلهث تحت عار الجور ·

وكانت المواد المطبوعة تنقل من المطبعة الى مناطق التوزيع ، ومن ثم الى المراكز المحلية ، حيث يقوم جهاز الاعـلام الثوري بالصاقهـا عـلى الجدران · وكان طموحنا ان تعم صحفنا واوراقنا انحـاء البلاد في اليوم نفسه · وهكذا فقد اقمنا مراكز تسليم بريدية بينها · اما نقل المواد المطبوعة فقد كان يشبه وسائل نقل السلاح حيث كانت تجري امام اعين الشرطة ·

- ٧ -

عندما اشتد الكفاح وتعاظم ، واصبح عمل جهاز الاعلام الثوري اكثر خطرا · لم يكن ملصقو اعلاناتنا مسلحين · لاننـا كنـا نحتفظ باسلحتنـا للهجمات العسكرية · ولكـن الشرطـة والبوليس البريطانيين مسلحون · وهكذا كانت عمليات الصاق الأعلانات على الجدران مصحوبة بخطر اطلاق النار · كم من ملصقي الاعلانات دفعوا رسالة الثورة بدمائهم · من بينهم احد الشبان المحبوبين لم يجرح بل انه اغتيل وهو يقوم بواجبه بالصـاق بياناتنا ·

كان « تراتر آشر » تلميذا في الصف الثامن في مدرسة حيفا العالية · التحق بصفوف « الارغون » في بداية الثورة وعمل في جهاز الاعلام الثوري · وفي احدى الليالي وبينما كان يقوم بالصاق احد بياناتنا اطلق عليه البوليس البريطاني النار فجرح في فخذه · ماذا يمكـن لنظام يدعـي المدنيـة ان يفعل لرجل جريح حتى ولو كان عدوا جريحا ؟ انه لشيء مؤسف ان اسجل بأن بعضا من الضباط البريطانيين لم يكونوا ليعاملوا رجالنا كما كنا نحن نعامل اسراهم وجرحاهم الذين كانوا يقعون في الاسر · لم يعرض « آشر » على أي طبيب ولم يرسل الى المستشفى · وبدل ذلـك فقد اقتيد الى سجن

عكا · فتقيح جرحه والتهب · سجانوه قيدوه الى سريره · واستمر الحراس في اساءة معاملته · لقد اخبرني الحاخام « بلوم » الذي عينته السلطات كاهنا ملحقا للسجن بأنه نبه البريطانيين الى المازق الحرج الذي يعانيه السجين الشاب · فكان الجواب : « شأن القساوسة ؟ مع ارواح السجناء وليس مع اجسادهم · فاهتم بما يعنيك » واخيرا عندما أستدعي طبيب السجن شخص مرضه بأنه تسمم في الدم · وهكذا نقل الشاب الى المستشفى· لكن بعد فوات الاوان · حتى ان بتر ساقه لم ينقذه ، فمات بعد اسابيع من المعاناة في سجن عكا ومستشفى حيفا ·

ان « تراتر آشر » هو احد الاشخاص النبلاء الذين تعاودني ذكراهم كلما افكر في الثورة وبالجيل العظيم الذي نما فجأة كغابة من الشجيرات النضرة على ارض الوطن · لماذا اساؤا معاملته ؟ لماذا اذاقوه الموت البطيء ؟ لقد فجعت « بآشر » كما لو اني فجعت بأبني ·

- ٨ -

لقد كانت القوة الهجومية هي القوة الرئيسة التي حملت رسالة « الارغون » · لقد عهد اليها بعد اندماجها في وحدة الصدام مهمة ضرب العدو باسلحة جديدة ، وذلك من اجل تحطيم حكم الاجنبي ولقد قامت القوات الهجومية بواجبها على اكمل وجه · لم تعط العدو فترة راحة · فاحترقت المراكز الحكومية المعززة · ولم تنفع معها تفوق قوات الجيش البريطاني · ولقد حولت مؤسساتهم وثكناتهم الى مبان من الاثكب · كما انها تسللت الى قلاع العدو ولم تصمد المخافر والمراكز التي اوصى « تيكارت » بضربها · كما وانها اوقعت الفوضى وعطلت المواصلات ، ونسفت الجسور ودمرت خطوط سكة الحديد وازالة المحطات ونسفت القطارات ولغمت الطرقات · وبعد انتهاء الحرب ضد المانيا النازية عام ١٩٤٥ وجهت القوات الهجومية اهتمامها الى انابيب النفط الانكليزية العراقية (الانكلو ـ عراقية) ولم تسمح بالطمأنينة لشريان بريطانيا الاقتصادي في الشرق الاوسط · واحيانا كانت تتسلل الى المعسكرات وتحقق ضربات عظيمة ضدها · ونزلت الى المطارات الجوية وحولت دزينات من القاذفات الثقيلة ذات الاربع محركات الى ركام · ونفذت الى قلب النظام البريطاني ، الى القيادة العامة لجيش الاحتلال · واندفعت الى احياء الضباط المحاطة بالاسلاك الشائكة والمحمية بافواج من

الجنود المزودين بالمدافع الثقيلة في القدس ، وقيادة الشرطة في حيفا · هذه كلها كانت تقع في مناطق الامان ، فقد انهارت تحت ضربات القوات الهجومية ·

كان للقوات الهجومية اثرها في انهيار القانون العسكري في اذار ١٩٤٧ · بعد هجومنا على نادي « جولد شمديت » الذي كان مصحوبا بهجمات وعمليات تخريبية في جميع انحاء البلاد ، فاصدرت السلطات البريطانية قانونا عسكريا في المناطق المأهولة باليهود ، واحتلت المدن الكبيرة بوساطة الجنود · وعزلت كل منطقة على حدة بعد احكام الطوق حولها · وتوقفت حركة السير ، وشلت حركة البريد · وحيثما كان يذهبْ الانسان كان هناك نقط عسكرية قوية · القانون العسكري !! لكن القوات الهجومية اخترقت جميع الحواجز في كل مكان · وقد كان رجال هذه القوات بقيادة « جدعون » و « وسيمون » · لقد نفذت نحو عشرين عملية في زمن القانون العسكري ورغما عنه · ومن هذه العمليات الهجوم الذي وقع على وسائل النقل العسكرية في « ريشون ليزيون » · والهجوم بالرشاشات والقنابل اليدوية الذي وقع على مخيم عسكري قرب الخضيرة وهجوم على دورية عسكرية على الطريق الرئيسي قرب « بيت ليد » · وهجوم بالرشاشات والقنابل اليدوية ومدافع الهاون عيار ٢ بوصة على مخيم عسكري بالقرب من « كفار يونا » · وهجوم على دورية عسكرية على ضفاف نهر « يوركن » · وهجوم عسكري في الخضيرة ومهاجمة دورية عسكرية على مفترق طرق روش – حابين – ليدا · ونسف خطوط انابيب البترول في ثلاثة اماكن هي « يافا » وايضا في ثلاثة اماكن بالقرب من « كفار حاسديم » ·

ان قائمة العمليات هنا تامة ولقد توجت هذه الهجمات بهجمة على مجمع الثكنات في حي «شلنر» · كان على الشباب اجتياح جدار محصن ، وذلك تحت وابل من نيران المدافع الرشاشة المتبادلة ، وشقوا طريقهم خلال ثلاث من الدفاعات المسورة بالاسلاك الشائكة · ووضعوا المتفجرات في اماكنها وانسحبوا من المنطقة · حوصرت المنطقة بسيارات ودبابات عسكرية · وبالرغم من كل الصعوبات فقد انجز الشبان الهجوم كما خطط له · وطارت ثكنات جيش الاحتلال في الهواء وعاد الشبان الى قواعدهم سالمين · فقد صدت الدبابات والعربات المصفحة · بيد انها اوقفت قسم منها رشاشات البرن · والقسم الآخر توقف خوفا من الغامنا الفوسفورية · ما كنه تلك

القنابل ؟ كانت قنابل معلبة وبمعنى اصح معلبات نقش عليها باللغة الانكليزية وباحرف فوسفورية : الغام !! لقد كنا مي الحقيقة نعاني نقصا في المتفجرات وكانت تلك المعلبات لا تحتوي على اونصة واحدة من المتفجرات ، ولكنهـا كانت تبدو وكانها متفجرات حقيقية ·

حتى ان العدو الذي كان لا يعلم شيئا عن افتقارنـا الى المتفجـرات اضطر للاعتراف بشجاعة شباننا · ولقد قال القائد البريطاني لمنظمة انقدس لاحد مساعديه الضباط : « يقومون بضرباتهم تماما كالفدائيين » ·

ولقد قال السيد « غيرشـــون اغرونسكي » محرر صحيفة « فلسطين بوست » وعلى مسمعي ما معناه : اذا كان هناك شبان في الارغون مستعدين للنهوض في الثانية صباحا وتنفيذ هجوم ، فان ذلك يدل على ان « الارغون » « قوة ضاربة » ·

واستمرت القوات الهجومية في هجماتها قبل منتصف الليل وبعده · لقد نفذت العشرات من العمليات الكبيرة منها والصغيرة · ذكر بعض منهـا وساذكر بعض آخر · انها جزء من التاريخ العسكري للشعب اليهودي · لم تكن القوات الهجومية تنفذ هجمات على الافراد الا في حالات نادرة ، ولقد بدات المعارك وجها لوجه مع قوات الاعداء · وخاصة المعارك المتتالية للقوة العبرية ضد المضطهد وجيش الاحتلال منذ الثورة الهاسمونية · لقـــد وفت القوات الهجومية بما وعدنا « تشرشل » به عام ١٩٤٤ وفي كلمات مستعارة منه : « سوف نقاتل على الشواطيء وعلى الطرقات في الجبال والسهول وفي القرى والمدن وسوف نقاتل في الشوارع وفي البيوت · سوف نقاتل حتى ولو كنا وحدنا · سوف نقاتل حتى ولو استمر القتال طويلا » ·

قام تكتيك القوات الهجومية على اساس اقسى الاستغلال لعامل المفاجأة واستخدم قوات قليلة العدد لضربات كبيرة · فشكرا لاتحاد هذين العنصرين اللذين وضعهما العسكريون نصب اعينهم في دفع العمل في ارض اسرائيل · ان قوات الاستبداد لم تعرف الراحة لا في الليل ولا في النهار · كان شيئـا جيدا اليوم الذي لا تحدث فيه اية عملية وساعتئذ كانوا يتوقعون المفاجات · ويمكن مقارنة اعصابهم بآلة البيانو المحطمة ، فانـك تضغط عـــلى نغمـة موسيقية فيصدر البيانو صوتا منفرا · لم يكن علينـــا ان نهاجم عشـــرين

معسكرا بريطانيا دفعة واحدة خوفا من ردة الفعل الشديدة التي تنجم عن هذه العمليات كلها • كان كافيا القيام بهجوم واحد يومي •

لقد بلغت القوات الهجومية درجة عالية من المهارة في استغلال الهجمات المفاجئة بحيث كانت تقوم بوضع الالغام وتفجير الهدف ، حيث كانوا مغطين بالاسلحة الاتوماتيكية والرشاشات ، وذلك خلال التقدم وكذلك خلال الانسحاب • لقد اتهمنا الجنرال « هونج هام » باننا اخذنا هذا الاسلوب من الالمان وانه من المستحيل من الناحية العملية ايقاف ذلك ، وخاصة اذا ما كانت القوة الهجومية مؤلفة من رجال لا يحسبون للموت حسابا • اذا كان محقا في النصف الثاني من حكمه فانه قد اخطأ في النصف الاول منه • لم نأخذ هذا الشيء من احد • لقد علمنا انفسنا وادخلت التجربة التحسينات على التعلم • ان الاستعداد للتضحية في النفس فعل العجائب • ولقد كان صعبا على القوات المسلحة ان تصمد امام العمل المنسق للمخترقين ولمجموعات الحماية • واذا فشلنا في بعض الاحيان ، فانه كان نتيجة لسوء اخذنا بالحساب عامل الحظ الاعمى •

لقد كانت القوات الهجومية تقوم بهجماتها كل يوم طيلة الاسبوع ما عدا يوم السبت • لقد كانت الارغون تأخذ بعين الاعتبار الاعراف الدينية اليهودية والايام التي تصادف موت « دايفيد رزائيل » الذي كان متدينا مخلصا • ونحن كنا مؤمنين ايضا • آمنا بالله وبرسالتنا وبعدالة قضيتنا • لقد كان نضالنا ملزما اضطراريا بالتوقف يوم السبت • ولقد فضلنا بوجه عام ان تعطى الراحة لجنودنا في ذلك اليوم • ولقد كان البريطانيون يعلمون هذا الشيء ، وبالتالي فانهم كانوا يتطلعون لقدوم يوم السبت اكثر من تطلعهم ليوم الاحد •

ولكن كان هناك عدد من العمليات الاستثنائية • احدى هذه العمليات كانت الهجوم على اول منطقة للامن في القدس • لقد نفذ هذا الهجوم في منتصف نهار السبت ، لانه فقط في ذلك الوقت تكون المنطقة خاوية من المدنيين • في ذلك الوقت تم الهجوم غير المتوقع حيث كانت الشخصيات البريطانية تلعب التنس في منطقة امنية اخرى ، وعندما سمعوا صوت الانفجار المدمر ، اوقفوا المباراة •

النظام الداخلي

ان جهاز المخابرات البريطانية هو معهد محاط بالاسطورة · من لم يسمع بانجازاته ؟ وانتقلت هذه الاسطورة من جيل الى جيل ، ومن بلد الى بلد ، ومن قارة الى قارة ، حتى بدأ الكثيرون يعتقدون بأن المخابرات البريطانية معصومة عن الاخطاء · ان الاشخاص الذين ينشرون هذه الروايات يعلمون ان التجسس كالحرب ، واسطورة التفوق هي بحد ذاتها عامل تفوق · ان قوة المخابرات البريطانية ناتجة عن تجارب وخبرات قرون مخزونة ·

ولكن خلال الثورة في ارض اسرئيل لم يكن لجهاز المخابرات البريطانية فائدة ، ولم تأت بفائدة ، لا الخبرة العظيمة ، ولا البراعة والدهاء · ان العمل العبري السري اصاب المخابرات البريطانية في الصميم ، وبرهنا على ان الجهاز السري لم يكن كائنا كلي العلم ولا هو معصوم عن الخطأ · لقد بددنا الاساطير التي حيكت حول عملائهم السريين · وبرهنا ان الكثيرين منهم كانوا بلهاء عاجزين حتى عن التفكير ، ولم يكن من الصعب جعلهم كرجال عمي يتخبطون في الظلام ·

لماذا فشلت المخابرات البريطانية في بلدنا الصغير ؟ احد الاسباب هو عادة التفكير الروتيني بان العدو رقم واحد يملك الافكار الخلاقة والمبدعة · ان وزارة المستعمرات البريطانية تعودت ان تحكم شعوبا متأخرة حيث يسهل على العملاء ان يجندوا كثيرا من افرادها في خدمتهم · بعضهم بحاجة الى المال ، وبعضهم بحاجة الى المساعدة ، او القروض · وهكذا فان اليد المفتوحة تحكم قبضتها وتزيد المعلومات مع ازدياد المال ، واذا لم تأتهم الاخبار يعلق السيف فوق رأس الضحية ، ويحاول جاهدا ان يحرر نفسه وينقذها ، ولكن عبثا · ويبدأ الابتزاز ، اذا لم تمدنا بمعلومات اكثر ، فاننا سنفضحك امام

اصدقائك • ويقع الضحية في مازق رهيب وينزلق أكثر فاكثر ، فليس لديه اي خيار آخر •

ان هذه الطرق التي طورتها اجهزة الاستخبارات البريطانية لتصبح فنا ، فشلت فشلا ذريعا في ارض اسرائيل لقد واجهوا صعوبة في ابتياع مخبرين يهود • كان هناك وقائع خيانية من اجل المال ، ولكنها في الحقيقة كانت وبالاجمال قليلة الفائدة •

ولم يساعد الشرب والمسكرات عمل المخابرات في ارض اسرائيل • فهناك القليل ، او لا يوجد بتاتا من هم مدمنون على الشرب والسكر بين اليهود • وانا ، عكس «اثر كوستكر» اعتقد بان الاعتدال في الشرب هو من الصفات المسرة لشعبنا • ولقد اشتكى « كوستكر » مرة الي الادمان المفرط في الشرب عند اليهود •

ربما يكون هذا صحيحا ، ولكن يجب ان يبقى في الذهن ان دبلوماسية الويسكي قد تؤذي كلا العملين • على اي حال ، اعتقد بوجود اشياء يجب تعلمها من الاخرين • وعادة الشرب ليست من بين هذه الاشياء • ومن الافضل ان يتعلم الاخرون منا الامتناع عن الشرب •

ان حكم البريطانيين المبنى على التجربة العملية لا المعرفة العلمية ، لم ياخذ بعين الاعتبار حقيقة ان المنظمات اليهودية كانت جدية في عملها • لم يكن في الحركات السرية الاخرى الا القليل من الذين دفعوا للمشاركة بالعمل بوساطة عامل الحب لمغامرة اكثر من عامل الحب للمبدأ • لم يكن هناك مغامرون في حركتنا السرية ومراكزنا عبئت باصحاب المبادىء الذين يضحون بأنفسهم من اجل شعبهم • لقد قال لي « ريتشارد مور » الصحفي الاميركي الشهير واحد اصدقاء شعبنا : « اني اعلم ان شبانكم يقاتلون وعيونهم مفتوحة » •

لقد كانت هذه حقيقة عميقة • كانت عيوننا مفتوحة على الآم شعبنا • لقد كنا نصنع في اذهان ضباطنا ليل نهار ونأمرهم بان يغرسوا في اذهان الجنود بان العدوين الرئيسيين للمخابرات هما الفضولية والتفاخر • كانوا يعلمون بان الفضولية تنتزع السر من اولئك الذين يعلمونه• والتفاخر المختال يكشفه لاولئك الذين لا يعلمون • وكلاهما شيئان نقيضان • والقاعدة تقول : «لا تسأل ولا تخبر» • يجب ان يعلموا فقط ما عليهم ان يعلموه ، وليس اكثر من ذلك ولا يدعوا غيرهم يعلم ما هم يعلمونه • واذا لم تقبل بهذا فانك سوف تحل المصيبة ليس على رأسك وحدك بل على رؤوس رفاقك ، ليس فقط على الفرد وانما على مجمل العائلة المقاتلة •

لقد جنينا ثمار هذا التثقيف • لقد وظفت المخابرات البريطانية كثيرا من الآذان الصاغية ولكنها لم تسمع شيئا • لقد كنا محاطين بجدار من الصمت والسرية • وفي بعض الاحيان كانت المخابرات البريطانية تحدث تصدعات ، ولكن هذه التشققات كانت قليلة جدا ، اذ لم تنجح المخابرات البريطانية بالتسلل من خلالها الى العمل السري •

ان جدار الصمت هذا ، وهو اعظم الخطوطالدفاعية للعمل السري حمانا من نتائج الغضب والاثارة والاستفزاز • وكقائدة وكقاعدة ، فان المؤامرة والاستفزاز يسيران معا • لم يكن اي عمل سري في العالم خاليا من مرض العملاء المحرضين والمستفزين • وقليلة هي الحركات السرية التي لم تتصدع من الداخل بوساطة المحرضين من الخارج •

لقد بذلت المخابرات البريطانية ما بوسعها لدس المخبرين في صفوفنا واكتساب عملاء من بين اعضائنا • خلال سنين الثورة كانت هناك ثلاث حالات خيانية ، ولم تنجح مخابرات العدو ، وهذا هو الاهم ، في جعل عملائها يتسلمون مراكز عالية في الثورة •

لقد عمل جهاز امننا بنشاط وباخلاص وبقدرةعالية• لقد نجح مساعدوه حيث كان بعضهم جنودا يهودا في خدمة البريطانيين في التسلل الى معسكر العدو ، دون ان يسمحوا للعدو بالتسلل الى مواقعنا • وبالتالي كنا نعلم

ما تنوي عمله قوات الحكومة مسبقا · لقد كان نضالنا سريا بكل ما تحمله الكلمة من معنى· لقد كانت ضرباتنا تخطط تحت الارض، وتنفذ على السطح، وجها لوجه مع العدو · ما لم يره العالم هو الصراع الفكري · لقد كان هذا الصراع سريا وعميقا ، وربما كان المعركة الحاسمة في النضال من اجل الحرية · لقد واجه البريطانيون مشكلة محاولة تقسيمنا من الداخل · بينما كنا نواجه بمشكلة تهشيم نظامه وبالتالي تحطيمه · ولقد اصطدمت براعة جهاز المخابرات البريطاني بالعقول اليهودية وضاعت البراعة ·

ان اخطر المواقف من هذا النوع برزت في المراحل الاولى للثورة ، من جراء خيانة احد الاشخاص ويدعى «سيمون طورروس» · لقد ادركنا ان هناك شخصا بيننا له علاقة بنا هو الذي كان يسرب المعلومات الى العدو · ان الاعتقالات التي حدثت بعد عملياتنا الاولى لم تكن لتفاجئنا ، جميع الاشخاص الذين قبض عليهم كانوا مشهورين بارائهم ، وكانوا يعيشون حياة ظاهرية ولم يحاولوا أن يختبئوا · ولكن الشيء الذي فاجأنا كان اكتشاف البريطانيين لجهاز ارسالنا بدون اي جهد يذكر ، وقبل ان يتسنى لنا الوقت لاخفائه · وخلصنا الى النتيجة ان هناك من يسرب المعلومات من الداخل · ولقد حاولنا اخراج خدام اعداء شعبنا من مكانهم وتتبعنا الحلقات التي تؤلف حلفاء اعدائنا · ولم يمض وقت طويل حتى قادتنا الاثار الى «سيمون طورروس» ·

وقبل ان اقص رواية «طورروس» علي ان اشير الى تأثير الاعتقالات الجماعية ليس على الجمهور بشكل عام ، ولكن على العمل السري نفسه ايضا · كانت الثورة في اولى خطواتها · لهذا كانت تلك الصدمة قوية · اني لا انكر باني لم استطع النوم في تلك الليالي · وكنت مشلولا عن العمل · لقد كنت دائما افكر بالعائلات الممزقة ، ولقد زرت بعض تلك العائلات حيث شاهدت الاسى والحزن ، ولقد شاهدت السيدة «رافيل» الام العظيمة لابن عظيم ، وقد شاب شعرها ، ولكن روحها بقيت صامدة كالصخر · لم احاول التخفيف عنها · لقد سألت عن صحتها ، فشكرتني واضافت بهدوء ورباطة جأش وبجلال المؤمن ووقاره بان الله الذي اعطى هو الذي اخذ ، وسوف يرجع مرة اخرى ·

وبدانا نخضع للضغوطات • كانت تلك الضغوطات من مختلف الاقسام والاتجاهات • ورافق هذه الضغوطات صراع فكري • هل نملك الحق في تعريض حريتهم وحياتهم للخطر ؟ كيف يمكن لنا ان نتأكد ان نضالنا سوف يثمر ؟ من لم يخضع لمثل هذه المواقف الرهيبة لن يدرك الصدمة والتأثير اللذين تخلفهما هذه الحوادث •

هذا النزاع الفكري الذي بدأ مع بداية الثورة انتهى فقط عند هجر العمل السري • وكان هذا طبيعيا ، لا حاجة بنا لخلق الاساطير «حول رجال من فولاذ» حيث لا يكون اهتمام بالارواح ، يكون هناك انعدام الحس ، وقساوة القلب والحماقة • ان ضمور الشعور الانساني العميق ليس برهانا على الشخصية القوية • اذا كان هناك ما يسمى «بقلب من فولاذ» فان هذا القلب قد كلف غاليا من الآلام قبل اكتسابه وبلوغه •

وميزان النزاع الداخلي انبعث من جديد مع كل ضحية جديدة، والاحكام التي كانت تصدر على المحكومين فور القاء القبض عليهم • لم نخضع للضغوطات ، ورفضنا ان نؤمن اطلاق سراح السجناء وقلنا لاصدقائنا : سوف نستعين بمحام • وسوف نساعد العائلة باقصى ما نستطيع •ولكن لن نوافق على اية مقترحات للسلطات الحاكمة ، سواء أكانت تلك الاقتراحات رسمية ام شبه رسمية • ولن نقوم بجهد من اجل اطلاق سراحهم • لا يوجد نصر بلا تضحيات • وسوف نقف امام ذلك الامتحان ، والا فان العدو سيكتشف عقب آخيل فينا، (موقع غير منيع) ويضغط علينا، ويزودنا بالوعود ويبتزنا ، ويغرينا ، واخيرا يوقع الفوضى في صفوفنا ويضعف معنوياتنا» •

انطلاقا من هذا الاتجاه ، لم نتزحزح قيد انملة • ولقد قبض على المئات والآلاف من افرادنا خلال مسيرة الثورة • ولم نقف موقف التاسع والعشرين من حزيران ولم نشهد نتائجه • (في ٢٩ حزيران ١٩٤٦ قبضت السلطات البريطانية على عدد من الصهاينة وقادة الوكالات اليهودية ورسميين آخرين اشتروا حريتهم بالتخلي عن نضالهم والقبول بانسحاب قواتهم ـ الهاغاناه ـ من النضال) •

ككل المنظمات السرية على ايةحال كان فيهم الخونة• لم يكن «طوروس» ابدا عضوا في «الارغون» • لقد عمل في وقت من الاوقات في الصندوق

الذي كان يموّل «الارغون» بالمساعدات ، مما جعله قادرا على ان يكون على اتصال بعدد من الافراد النشيطين في «الارغون» وبعدد آخر من الذين اعتقدهم فعليين • انه لمن الصعب تحديد الوقت الذي بدأ فيه اتصالاته بالمخابرات ، واصبح عميلا لها • لقد كان انسانا مقامرا ، محبا للمظاهر مغرما بالملابس الانيقة ، لقد كان يعاني نقصا في المال • وكان انسانا جبانا • ما انانزلق مرة واحدةحتى استمر فيالانزلاق • وعندما وشى بجهاز الارسال في بيت «رانيل» كان غارقا في التعامل مع العدو حتى قدميه • وبعد اسابيع قليلة سلم الى «كاتلنغ» رئيس القسم اليهودي التابع لدائرة المباحث الجنائية البريطانية قائمة بالاسماء والمواصفات والعناوين • والمعلومات التي زودت بها المخابرات البريطانية كادت تفلح في القاء القبض على نائب رئيس منظمة «الارغون» • لقد ذهبت الشرطة الى مكان عمل «هونغ» ، ولكنه كان قد ترك المكان في الوقت المناسب • وبعد ذلك فان للبريطانيين سببهم في التأسف والندم لاستمرار حرية «هونغ» •

قد لا يصدق المرء هذا على مايبدو ولكن البوليس السري لم يأخذ بعين الاعتبار ان البثور تظهر وتختفي ، فلهذا استمروا في البحث عن انسان على انفه بثرة • ومما لا شك فيه ان «كاتلنغ» لم يكن باستطاعته القبض على «مولر» لو لم ينجح الخائن «طوروس» بمساعدة مكتب الاستخبارات •

عند تسلم القائمة من «طوروس» تملك «كاتلنغ» الشعور بالانتصار ولقد كان متأكدا بانه صفى «الارغون» • لقد كتب تقريرا بهذا الشأن الى رؤسائه في القدس والقاهرة ولندن • وفركت رئاسة الاستخبارات يديها ، وبدأوا يتصورون الاوسمة والترقيات • لم يكونوا يعلمون اننا نعلم ما كانوا يعلمونه عنا • لقد تفحصنا اللائحة بعناية ، وكانت تحتوي على اسماء اناس لا دخل لهم في المنظمة • وعلى اسماء لم يكن لهم اي نشاط في المنظمة منذ سنين • ولكن كانت هناك اسماء من المحتمل ان تكون قد وصلت الى البريطانيين على اية حال • ولكن من المؤسف حقا ان هذه الاسماء وصلت اليهم مبكرا • وفي الحقيقة القي القبض على القليل منهم • وبشكل عام لم يكن ذلك شيئا مروعا • فقد تبنينا مقاييس امنية جديدة • لقد ضربنا ضربة قاسية ، ولكننا ما لبثنا ان تعافينا • وادرك «كاتلنغ» ان فرحته لم تكتمل ، وفي الوقت نفسه كان لرؤسائه السبب بالشعور بخيبة الامل •

وفي الوقت نفسه ماذا يمكن ان نفعله فيما يخص «طورروس» • لقد طالب رفاقي باعدامه • وكان لهذا الطلب ما يبرره • تبعا لقوانين العمل السري ان المنظمة لم تكن لتمتلك السجون حيث تحتفظ باعدائها ، وتمنعهم من الغوص في عملهم المدمر • ان المخبر هو الد اعداء العمل السري • ومهما يكن من امر فقد عارضت فكرة اعدام «طورروس» • لقد كنت اخشى احتمال الخطأ • لم اكن لاصدق ان يهوديا ينغمس في مثل هذا العمل المشين • ولكني كنت مخطئا ومع الزمن ادركت خطأي واعترفت به •

لقد ابلغ «طورروس» عني شخصيا • لقد اتى الى بيتنا • ومر الوقت وتراءى لي انه من الشبان والابطال القديسيين • وادركت انه اذا ارتفع الانسان فوق نفسه فلن يكون لارتفاعه اي حدود، ومن جهة اخرى فقد تصورته وهو يقف بجانب سرير ابني حيث كان يضحك لكلينا • ولكن «طورروس» ضحك على الاب والابن • وادركت ايضا انه اذا ما سقط الانسان فلا حدود لسقوطه • ولكن شكرا للخالق ، فقد رأيت ان اولئك الذين ارتفعوا كانوا كثيرين وان اولئك الذين سقطوا كانوا قليلين •

- ٢ -

ان عادات التفكير الروتينية جعلت البريطانيين يخطئون ليس فقط في الجهود المبذولة لاستفزاز العاملين سرا ، وانما ايضا في تخيل طريقة الحياة التي يعيشها هؤلاء • لقد وقع البريطانيون الى حد ما ضحية دعايتهم ضدنا • ولقد طبعونا بطابع الارهابيين المخيفين • ودمغونا بعلامات مميزة • ولكن كما سبق واكدت بأننا لم نكن ارهابيين في يوم من الايام ، ولم يكن لنا اية رموز مخصصة • لقد وجد البريطانيون في غرفتي في القدس صورتين لي • كانت احداها لا بأس بها ، والاخرى كانت فوتوغرافية اخذت لبطاقة هويتي العسكرية والتي لا تحمل من ملامحي الا القليل • ولكن عندما ارسل البريطانيون جيش تحرياتهم وجواسيسهم وبددوا الاموال الطائلة في مسعاهم ورائي ، فانهم اختاروا الصورة الثانية • لكن الصورة كانت لتؤكد نظرية «داروين» • كانت تظهر وجها كنا دائما نقول ان صاحب مثل هذا الوجه يجب

ان يرسل الى السجن· ان علم الفراسة هو علم الجهل ، ففي تجربة اجـريت في اميركا حيث وضع امام رجل له معرفة في فراسة الوجوه صورا مختلفة بعد ان قام بفحصها بعناية وانتقى منها بعض النمـاذج على انهـا نمـاذج لمجرمين · ولقد اظهرت هذه التجربة أن صور المجرمين الذين اختارهم هـذا الشخص كانت صورا لاشهر الممثلين والكتاب والاساتذة والمخترعين ، بينما وضع صور القتلة والمجرمين الحقيقيين واللصوص بين الصور التي يحمل افرادها ملامح الود والعطف · ولكن حتى ولو سمع البريطانيـون او قرأوا عن التجربة الاميركية فانهمقد اخذوا بقانون الجهل· ان الصور الفوتوغرافية التي تحمل طابع الارهاب والتي نشرت في الحقيقة مروعة · وعندما كـان ينشر في صحيفة «ديلي ميل» الانكليزية اليومية ، صورتي وانا واقف قـرب سرير طفلي ممسكا بلعبته ، سأل المحرر عن ذلـك كيف تستطيـع اظهـاره بمظهر الارهابي وهو يلعب مع طفله ، ومثل هذه الصورة تثير عطف الـرأي العام ؟ ·

فقد افادتنا الحكومة حيث كان قصدها الايقاع بنا · فقد كان للصور التي تمثلنا كارهابيين صفة حسنة واحدة ، انها لم تكن تشبه اصحابهـا · ولقد وزعت آلافا من النسخ بين البوليس الانكليزي · ولكني كنت اتجـول نهارا في شوارع تل ابيب ، وكل يوم دون تنكر او تخفي · وهكذا فان العملاء السريين لبريطانيا لم يحصلوا على الجائزة الموعودة للامساك بي ·

وعلى اية حال كانت هناك نتيجة واحدة تتمثل في معاناة جماعة مـن الناس على حسابي وعلى حساب صوري · فقد القي القبض على «حيموش آفوت » احد ضباطنا المخلصين ، في القدس وفي حوزته متفجرات · وللاسف لم يكن اي شبه بيننا · واشك فيما اذا كانت الصورة التي يملكها البوليس تحتوي على ملامحه الجذابة · ولكن بعض رجال المباحث وضعوا ايديهم على الشبه · ولقد اثيرت شكوكهم مع استمرار المحاكمة · واصبحت قاعة المحكمة مشهدا لنشاط مسعور · فضوعف عدد الحرس مثنى وثلاث ورباع · واصبحوا يدخلون ويخرجون وعليهم ملامح الاهتمام اخذت لهم الصور· وكانت الاخبار السارة تثلج قلوب الرسميين ، ولكن شخصا واحدا اخيـرا اعطـى حكمـه المخيب للآمال ، لا ، انه ليس بذلك الشقي ·

«آرون» كان الصديق الآخر ، ومن افضل ضباط استخباراتنـا ، الذي ذاق من تلك التجربة · فهو كذلك لم يكن يشبهني او يشبه صورتي ، ولكنـه قاسى من صفتين من صفاتي · فقد كان نحيلا ويضع نظارتين سوداوين تلك الصفتان الواضحتان قادتا السلطات البريطانية الى الاستنتاج بان «آرون» هو انا · القوا القبض عليه وجلبوه امام رؤسـاء قيادة المبـاحث C. I. D الجنائية الذين امطروه بوابل من الاسئلة ·

لقد اعطى «آرون» اسمه كما هو مشار اليه في بطاقة الهويـــة · ولا استطيع الجزم ان اسمه الحقيقي كان كما هو مدون في بطاقة الهوية ، وانما كل ما استطيع انأؤكده ان اسمه كان «بيجن»· وشغلت دوائر الاستخبارات· انهم الان يعتقدون انهم القوا القبض علي ، واني اسخر منهم لاني لا اعترف بهويتي ··· لم يكن ذلك انصافا ·

ما هو اسمك الحقيقي : «اصر على آرون» · اتظن اننا لا نـدري من تكـــون ؟ ·

لقد كان «آرون» مسرورا لان البريطانيين لا يدرون من يكون ، ولانهم اشتبهوا به خطأ ، كونه انا · لقد كان يحسد نفسه لما كان يظن التهمة الملصقة به ، اما اتهامه بانه انا فلم يكن خطيرا ·

واستمر الاستنطاق طوال يوم كامل · جاء رجال المباحث وخرجوا ومل «آرون» الاستجواب · لقد نظروا اليه من الامام وتفحصوا صورته وجعلوه يمشي حول الغرفة · لقد كانت تلك الغرفة تجربة قاسية · وتأرجح رجـال المباحث بين الامل بان يكون هو وبين الشك ان يكون انا · اخيرا نفذ صَبرهم وصرخ احدهم في وجه «آرون» : «اذا كان كذلك فبرهن انك لست هو ؟» ·

لم يكن «آرون» قادرا على ذلك ليس لانه لم يكن ذاتي وانما لانه لا يجرؤ ان يكون نفسه · ان بطاقة هويته التي لا تكشف هويته هي التي تمثله · لقد كان «آرون» شابا عنيدا ومخلصا للتقاليد السرية · ولم يتزحزح عن الافكار حتى تخلى البريطانيون عن الفكرة ، ولم يكن يخطر على بالــهم انه هو نفسه وحسب ، فاطلق سراحه واستمر في خدمة العمل السري حتى النهاية ·

ولقد القي القبض على عدد من الاشخاص لتطابقهم مع صورتي التي لم تكن تشبهني • كل ذلك بسبب تصميم البريطانيين على اظهارنا للعالم بمظهر الوحوش وانه لا ضمير لنا •

لم يخطر على بال البريطانيين اننا كنا نعيش فيالبلد وبشكل مفضوح • لم يفهموا اننا استمددنا قوة من الضرورة • انى لنا الاختباء في هذا البلد الصغير ؟ ان الشعوب الاخرى المحاربة كانت تعمل في الجبال او في الغابات الكبيرة اما في ارض اسرائيل فلا توجد جبال ولا غابات لكيختبىء الثوار • لقد كنا دائما معرضين لعيون الاعداء ، لكننا في النتيجة كنا نرى ونحن غير مرئيين • لقد كان لكل فرد منا عدد من الاسماء • بينما كنا نستعمل اوراقا ثبوتية مختارة كلها من صنعنا ولكن لم نكن ابدا لنقع في المتاعب من جراء ذلك • لم نكن محاطين بالحراس ، ولم نكن نحمل سلاحا دفاعا عن النفس • لقد كنا معلمين وطلابا ، حقيقة او تصورا • ولقد كنا تجارا وبائعي كتب ، ومهندسين وميكانيكيين • باختصار كنا مواطنين عاديين لا يميزنا عنهم اي شيء • لقد كان العديد من اعضائنا يقعون في ايدي البوليس • ولكن ماذا يمكن ان يجدوا معهم ؟ فانهم عزل من السلاح ويحملون ادوات عملهم ، او ملفات الشركات التي تستخدمهم • من يستطيع ان يشك بمواطنين مسالمين وهم ذاهبون الى العمل او عائدون الى البيت ؟ • ولقد استطعنا ان نحول الاعداء الى رجال لهم عيون ولكنها لا ترى وآذان لا تسمع وانوف لا تشم •

ان مسالة الحراسة الشخصية كانت تسبب كثيرا من سوء الفهم المضحك • لم يكن اعداؤنا فقط مقتنعين بانني دائما مصحوب بالحرس اينما ذهبت ، وكثير من الاصدقاء شاركوهم هذا الاقتناع • ولقد عبر احدهم عن ترتيباتنا الامنية الممتازة • لقد زارني مرتين في بيت «مائير كاهان» شخص يدعى «الكس» وهو محارب قديم • لقد كان هذا البيت مقر اجتماعاتي السرية حيث كان محاطا باشجار السرو • لم يكن ليحتاج الى خيال خصيب للتصديق بان هذه الاشجار تخفي وراءها شبانا شجعانا يحملون المدافع الرشاشة وعلى اهبة الاستعداد • ولقد اعجب صديقي هذا بعدم رؤيته الحراس وعدم ظهور اي اثر لهم • ولقد كانت النتيجة التي اتى عليها صديقي بسيطة • وفي زيارته الثانية افتتح الحديث بقوله : «يجب ان اهنئكم

على ترتيباتكم الامنية الممتازة · فهذه هي زيـارتي الثانيـة ولـم الحـظ اي حارس» ·

وبقيت صامتا لا اجيب · لم استطع ان اخبر صديقي الحقيقة ، ولما لم اكن اريد ان اكذب عليه التزمت الصمت · فقط عندما خرجنا من السرية الى العلانية ، اكتشف ان السبب في عدم ملاحظته للحرس كان بكل بساطة انه لم يكن لهم وجود لكي يلاحظهم ·

ومسألة حمل السلاح من اجل الدفاع الذاتي اثارت كثيرا من الجدل · ولقد قررنا منذ البدء الاحتفاظ بجميع الاسلحة في المستودعات ، وتنقل فقط عند تنفيذ هجمات مخططة ومدروسة · لقد كان لهذا الرأي رأي منـاوىء ، وهو رأي قيادة منظمة شتيرن في ذلك الوقت حيث وضعوا قانونا يقضي على كل عضو سري بحمل السلاح ليل نهار ، فربما يأتي الاعداء لالقـاء القبض عليه فيكون باستطـاعتـه القيـام بواجبـه لحمـايـة نفسـه · واذا قضت الضرورة يقضي على نفسه بدل الذهاب الى الاسر · ولقد شرح «اسحـق يرنتسكي» قائد منظمة «شتيرن» هذا القانون لي · وبعد النهاية المأساوية التي شهدها «ابراهام شتيرن» الاعزل فان اصدقاءه قرروا ان لا يقعوا في ايدي من يكنون لهم الاسر ·

ان سبب هذا القانون كان مأساويا · وكذلك كانت نتائجه · ففي ربيع ١٩٤٤ كان هناك عدة صدامات بين العدو واعضاء «شتيرن» الذين صمـدوا ودافعوا عن انفسهم وحريتهم الشخصية ، ولكن بالطبـع كـانت القـوات البريطانية هي المتفوقة والمبادرة فقتل عدد من اعضاء «شتيرن» الشجعـان بوساطة الاسلحة الاوتوماتيكية للعدو ·

وفي عام ١٩٤٤ ، وفي غرفة صغيرة على سطح احد البيوت في «بنـي راك» ، قابلت قائد «شتيرن» «يرنتسكي» · ويومها لم يصبح حاخاما بلحيته السوداء الطويلة بعد ، ولكنه كان ذا شارب جميل معكوف · وتكلمنـا عـن السلاح ، فكرر «يرنتسكي» مناقشاته وابديت وجهة نظرنا في الامر ·

ان حمل السلاح الدائم يؤذي اكثر مما يفيد لان الرجل المسلح مقدر له في اية لحظة ان يحاط بقوة متفوقة من البوليس · وهذا يعني مسدس واحد ضد عدة اسلحة اوتوماتيكية · وفي هذه الحال فان سلاحه لا يؤمن حياته ،

ولكنه يعرضها للخطر • ومن ناحية اخرى علينا ان نفكر بطريقة تخطيطنا ، لن يكون باستطاعتنا الاحتفاظ بالمبادرة في التخطيط ـ والمبادرة هي المصدر الرئيسي لقواتنا ـ اذا كانت هناك حوادث غير مخطط لهابين عضو او عدد من الاعضاء السريين وبين القوات المعادية •

ولكي اصل الى الهدف قصصت عليه ما حدث لـ«ياكوف ميرادور» قبل عدة ايام • لقد كان في طريقه لزيارتي مع احـد الرفاق حين استوقفا وهما على عتبة بيتي من جانب البوليس البريطاني المسلح بالاسلحة الاوتوماتيكية• غسألهما البوليس عن بطاقة هويتهما الشخصية • لقد كانت البطاقات كاملة• ولما لم يكتف البوليس بالتحقق من الهويات فتشوا الرجلين ايضا • واخلـي سبيلهما عندما وجدوا ان جيوبهما لا تحمل اي سلاح • اخلي سبيل مواطنين خارجين على القانون ، وهما في طريقهما لزيارة صديق لهما خـارج على القانون ايضا • ولكن ماذا كان يحدث لو ضبطت معهما اسلحة من اجـل الدفاع عن النفس • ان فرص الدفاع الناجح عن النفس بمسدسات ضد خمسة او ستة رشاشات ضئيلة جدا • ان عدم التكافؤ هذا هو الذي ادى الى وقوع عدد من الاعضاء جرحى او اسرى في ايدي العدو • فبينما رجالنا وهم دون سلاح قد اعطوا الفُرصة من قبل البوليس لخداعهم خداعا تاما •

لست ادري اذا ما كانت مناقشاتي قد اقنعت قادة منظمة «شتيرن» أو ان خبرتهم علمتهم • فقد حصل بعد المقابلة في «بني براك» ان اصبح قرار حمل السلاح ساري المفعول• لقد كان هناك منذ البدء عدم رضى بين اعضائهم لانهم تشربوا النظرية القائلة بان مبدأ التسلح الشخصي وعدم الاستسـلام هو قانون غير قابل للتغيير• وهذا ما كان يميزهم عن بقية الحركات السرية• ولكن التعليمات الجديدة المصحوبة بالشروطات الكافية قد اطيعت • ومنـذ ذلك الوقت لم تستعمل اسلحتهم الا في العمليات المخطط لها •

هكذا فقد اتبعنا مبدأ «العمل العلني» لقد تعود «مائير كاهـان» الذي يطبع المسائل الجديدة بقالب من الهزل تعود القول : «بالطبع فان عملنا السري هو عمل علني وان اظلم بقعة هي التي تقع مباشرة تحت المصباح» •

ولكن من اجل ان نحتفظ بالعمل السري مكشوفا ، كنا نحتاج الى اكثر من تقنية الاسماء المستعارة • فالاكثر ضرورة هـو الوعـي الداخلي الذي

يجعل الشرعي لاشرعي واللاشرعي شرعيا مبررا ۰ لقد كنا نملك هذا الوعي بدرجة عالية جدا ۰ لقد كنا مقتنعين بالشرعية المطلقة لاعمالنا اللاشرعية ۰ لهذا السبب لم نفقد رؤوسنا عندما كنا نواجه الدوريات البريطانية ونرد على تساؤلاتهم ۰ ولهذا السبب لم نكن لنفكر فيما سيحل بنا عندما نقع اسرى بين ايدي العدو ۰ لقد كنا محاطين بالموت ولكننا لم نشاهده ۰ لقد سرنا تحت المصباح ليس فقط لاننا لم نخف الاسر وانما لم يكن ليخطر في بالنا ۰ لقد ركزنا افكارنا على الثورة نفسها ۰

لم نكن لنحظى بالعطف والتاييد الشعبي دفعة واحدة وانما مناقبيتنا ووضعنا المعنوي كانا يتسعا كل يوم ۰ وبهذا الصدد فان المدة ما بين ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ كانت حاسمة ۰ خلال تلك المدة فان الهاغاناه التي كانت مسيطرة على المؤسسات الصهيونية الرسمية انضمت الينا في النضال ضد الحكم البريطاني ۰ ووجد الناس انفسهم امام اولئك الذين كانوا يوصفون بالمجانيين قد تخطوا المؤسسات الرسمية بنظرتهم الى الاحداث وبالقيام بما يجب القيام به ۰ والنتيجة كانت في تغيير الجبهة بعد الذي حدث في ٢٩ حزيران وبعد حملة الاعتقالات الجماعية الواسعة ، ولكن هذا لم يكن ليستطيع ان يغير الشعور العام ۰

وهكذا فقد ازداد عدد المتعاطفين معنا من جميع الطبقات والاحزاب ، وهذا التعاطف غير كثيرا من الموازين ۰ ان «الحائط الجديد حول الشباب المقاتل» والذي لجأنا لبنائه في اعلاننا الثورة قد بني فعلا ۰ ولقد اشتكى البريطانيون من ان السكان اليهود لا يمدون يد المساعدة الفعالة ضد الارهاب ۰

بالنسبة لما نصته الورقة البيضاء (التقرير الرسمي الحكومي) ، كان الخامس عشر من ايار عام ١٩٤٨ هو نهاية الانتداب على فلسطين والتي سجلت افلاس الورقة البيضاء وعدم فاعليتها التي صدرت في عام ١٩٣٩ ۰ كما انها اعترفت بانتصار الثورة ، واعلنت انتهاء الحكم البريطاني ۰ فقد كتبت التقارير الحكومية تقول : «ان الذين افتقروا الى التعاون مع المجتمع اليهودي برهنوا على انهم غير اكفاء لحفظ القانون والنظام في وجه حملة الارهاب التي خاضتها القوات اليهودية المنظمة تنظيما عاليا والمجهزة بجميع الاسلحة الحديثة التي كان يستعملها الجنود المشاة» ۰

وعندما كانوا يتكلمون عن غياب التعاون مع المجتمع اليهودي فانهم لم يشيروا الى قادة ذلك المجتمع الذين كانوا يقدمون من وقت لآخر وليس دائما اقصى ما يستطيعون من مساعدة بالنسبة لقمع «موجة الارهاب» ٠ وانما كانوا يشيرون الى مجموع الشعب ٠ لم يساعدهم مجموع الناس بل ساعدوا الثوار ٠ لقد كانوا يرونهم وهم ذاهبون الى القتال واحتفظوا بشفاههم محكمة ، وكانوا يرونهم وهم عائدون من المعركة وبقوا صامتين ٠ لقد كان السكوت مهما جدا ليس لانه يتضمن معاني التأييد «بل لان الناس اعطوا المنظمات السرية ما عجزت عن اعطائه الاوضاع الاجتماعية الطبيعية للبلد الا وهي «التغطية» ٠ لم نختبىء وراء الاشجار ، بل كنا محتمين باشجار حية والا لما كنا حارينا وبالتأكيد لما كنا انتصرنا ٠ ان عمق العمل السري المكشوف يقاس بتعاطف الشعب مع العمل ٠

- ٣ -

يجب ان اقر واعترف ان العمل السري في البداية كان عملا مكشوفا٠ حد يبدو هذا غير قابل للتصديق ، ولكن في الحقيقة فاننا لم نكن سريين كليا ٠ انطلقنا في نضالنا منذ الحكم البريطاني من غرفة صغيرة في فندق شعبي ٠ كان فندقا ولا يزال يزين شاطىء تل ابيب ٠ لقد اقمت اكثر من اربعة شهور حيث نفذنا عملياتنا الاولى ٠ كان كل شيء يبدو هادئا بادىء الامر ٠ لم اكن احمل معي اوراقا ثبوتية تتناسب مع الاسم الذي احمله ٠ لقد كان اسمي الحركي «بن زيف» لقد كان اسما مخططا له لكي ينزع عني الشكوك ٠ البريطانيون يسعون في اثري في جميع انحاء البلاد ٠ ان عملياتنا الاولى ضدهم جعلتهم يعلنون حظر التجول في القدس وحيفا وتل ابيب لمدة عشرة ايام ٠.واخيرا اصبح حظر التجول جزءا من حياتنا اليومية ٠ ولكن كان يتخذ هذا الامر فجائيا ٠ لقد حالفني الحظ وانا اقيم في الفندق ٠ لم يبحث البريطانيون عني هناك ولم يكن يخطر في بال رؤساء رجال المباحث بانني سأختبىء في فندق عام ، مع ان الفندق كان يخضع للبحث الروتيني عن

المشبوهين · ولقد كان التوتر شديدا لوجود خطر القبض على مستر «بن زيف» خلال احدى عمليات البحث الروتينية · لقد تفادينا هذا الخطر الداهم بوساطة تحويل انتباه صاحب الفندق ، الذي لم يكن ليعلم من يكون «بنزيف» ولكنه كان مرتبطا بتلك الاشياء · وبعيدا عن تعاطفه مع تلك الاشياء فقد خاطر متطوعا بحريته وحياته · وفي احدى ليالي حظر التجول جاءت مجموعة من البوليس ، منها من يرتدي الزي المدني ومنها من يرتدي الزي العسكري لكي يفتشوا «فندق سافوي» وتنقلوا من غرفة الى غرفة واخذوا جميع النزلاء الى الرواق واوقفوهم في صف ، وتفحصوا اوراقهم ووضعوا المشتبه بهم على حدة للاستنطاق في مراكز البوليس ·

ووصلت ضجة البحث والتفتيش الى الغرفة رقم ١٧ · فأيقظني وقع اقدام الخطوات والاصوات العالية · لقد كانت زوجي معي وكذلك ابني · ولكن لحسن الحظ كانوا يغطون في النوم · لقد جاءوا من القدس قبل ايام قلائل ·لقد تركتهم اولا في المكان الذي خاننا به «طوروس» ولقد كنت ارى انه من الافضل ان لا اورط زوجي في العمل السري معي ، وانها ستعيش بصحة افضل لو كانت معنا تحت الارض · وكذلك فان عدم معرفتها لمكان وجودي يساعدها في الاجابة على اسئلة البوليس بـ«لست ادري» · لقد كنت ادرك ان هذه الخطة سليمة · لقد كانت غرفتنا في القدس محاصرة بالجنود ورجال المباحث · لقد كانت السلطات تنتظر زيارة الاب لعائلته · لم يكونوا ليمدوا شباكهم الى اوسع من هذه البقعة لاعتقادهم باننا لا نعي ولا نشعر بما يقومون به · لم يتوقفوا يوما عن محاولة اصطياد سمكتهم الضائعة ·وليلة بعد اخرى كان البوليس يتناوب زيارة غرفتنا · لقد كان وقت زيارتهم المفضل ما بين منتصف الليل والساعة الثانية بعد منتصف الليل · لقد كانت هناك السيارات المسلحة والرشاشات والسؤال الابدي : «اين زوجك؟» · وبلباقة زائدة يقولون : «لا يهم ، سنرجع غدا ، فلا بد ان يعود يوما من الايام» ·

لم يكن لاستمرار هذا الوضع اي مبرر وخاصة وان البوليس لا يريد القاء القبض على زوجي واخذها كرهينة · لقد رجاني رفاقي بان لا اتركها شبه سجينة في بيتها · لقد ذهب «آثان» الى القدس ، وفي غفلة من المراقبين هرب عائلتي الى تل ابيب ، وبالتحديد الى فندق سافوي ، فشاركتني زوجي

مسيرة العمل السري بهدوء وقلق · لقد كانت واحدة من كثيرات من الامهات والاخوات والازواج اللواتي اظهرن شجاعة فائقـة · ان الشجاعة لا تقاس بغياب القلق والخوف لكن في التغلب عليهما · لقـد حذر احـد اصدقائـي زوجي بانه اذا ما قبض علي فاني سادفع الثمن غاليا ، يكون الثمن حياتي · فشكرته وهي باسمة ، ولم تظهر قلقها لي ولا لاي شخص آخر ·

في تلك الليلة في «فندق سافوي» عندمـا سمعت اقتـراب وقـع اقدام البوليس شعرت بالندم لانني اتيت بها وبالطفل الى قلب تل ابيب · وقلت في نفسي اذا أخذني البوليس كأحد المشبوهين فقد يشتبهوا بها أيضـا · واذا قبض عليها ماذا يحل بالطفل ؟ وبعيدا عن هذا التفكير ذهبت افكـاري الى النضال واستمراره · لقد بقيت هادئا · لم يكـن لدي ادنى شـك بان سيف الثورة الذي سل¬ لن يعاد الى غمده قبل تحقيق النصر · ولكني حزنت على التوقف الذي قد يحصل لعملنا · · لقد كنا ما نزال في البدايـة · لقد كانت الاعمال التثقيفية والعسكرية والسياسية في بدايتها ايضا ·وهل قدر لي ان اشهد انارة الشرارة ولا اشارك في اذكاء الشعلة ؟·

ان وقع الاقدام الثقيلة يقترب ، لم يكن هنـاك اي مهرب · فتشت في جيوبي ، لم يكن معي اوراق قد توقع الشبهة · كل شيء كان على اتم وجه · اقتربوا فتفجرت افكاري القلقة · لقد شعرت بسكون غريب ممزوج بسعادة مبهمة · فقلت في نفسي علي ان اكون شكورا لانننـي استطعت العـودة الى وطني والمشاركة في رفع علم الثورة · بالاضافة الى ذلك انه مهما حدث لي فان الراية لن تنزل · لقد بقيت هادئا رابط الجاش بانتظار قرع البـــاب · ولكن الاصوات ووقع الاقدام بدل ان تقترب بدأت فجأة بالابتعاد · لقد كان البوليس على عتبة بابي ولكن لسبب ما لم يعبرها · ماذا حدث فضلت ان لا اخرج واسأل · وسمعت بعض التحركات لمدة نصف ساعة اخرى · واخيرا خيم الهدوء · وخرج البوليس وعاد نزلاء «فندق سافوي» يغطون في النوم·

وفي اليوم التالي سألني «بن زيف» فيما اذا كنت قد سمعت اي صوت خلال الليل فأجبت سائلا :

ماذا حدث ؟

لقد كان كل منا يعلم ان الآخر يعلم ما حدث· كان عليّ ان التزم الصمت لقد كان مستر «بن زيف» انسانا حكيما وكتوما فقال :

«لم نود ان نيقظك · لقد كانت حملة تفتيش في الفندق · لقد كان البولدس يبحث عن المشتبه بهم · لقد اخذ عدد من النزلاء الذين لم تسرق اوراقهم رجال البوليس للاستجواب · ولقد اطلق سراحهم جميعا · ففكرت انه لم يكن هناك اي داع لازعاجك بهذا العمل · لقد مررت مع البوليس من غرفة الى اخرى وعندما وصلنا الى غرفتك قلت له بانها خاصتي · ولقد شاهدوا اننا وصلنا نهاية الفناء فصدقوني وصعدوا الى الطابق الثالث» ·

لقد كان رجلا شجاعا · لقد خاطر بحياته من اجل ان يستمر «بن زيف» بالقيام بتلك الاشياء ·

ولقد تخلينا بعد ذلك عن العمل السري المكشوف · فقد انتقلت من فندق سافوي» الى «محنى يهودا» الى بيت صغير منعزل على حدود حي اليمنيين في «بتاح تكفا» · لقد كانت الظروف صعبة · لقد كان البيت مهجورا · لقد كانت الريح تهب ليل نهار من خلال نوافذه المكسرة · لقد كان الطقس في الليل باردا ومظلما · لم يكن هناك كهرباء او تدفئة مركزية · كان لي فرحة واحدة في تلك الايام : «لقد نمت على فراش المندوب السامي البريطاني «هارود ماك مايكل» ·

لقد خططت الارغون عام ١٩٤٢ للقبض على «ماك مايكل» لوضعه في شقتنا السرية في منطقة «بتاح تكفا» حيث يقع بالقرب منها البيت الذي جئت مؤخرا لاسكن ·

وفي صيف ١٩٤٤ وبعد الفترة الاولى لحظر التجول اخذنا بعين الاعتبار خطتين من اجل القاء القبض على «ماك مايكل» وكانت الخطتان مختلفتان تماما · لقد كانت الخطة الاولى تقضي بان نتسلل الى منزل المندوب السامي وننسف الجناح الذي يسكن فيه · اما الخطة الثانية فكانت تقضي بالاستيلاء على المنزل واحتلاله ، واذا كان بالامكان اخذ «ماك مايكل»

ومجموعة مساعديه سجناء معلنين بذلك نهاية الحكم البريطاني لوطننا ٠
لقد نوقشت الخطتان بطريقة مسهبة ٠ ولقد اعدت الترتيبات من اجل ذلك ٠ ففحصت المنطقة واعتمدت قواعد العملية وخطوطها واحيطت الطريدة ٠ ولكن زيادة الاستكشاف اظهرت لنا انه بعد عمليتنا الاولى جهز منزل المندوب السامي بدفاعات متينة ٠ ولقد وضعنا في الاعتبار الظروف التي جدت ٠ وكان علينا ان نقذف كل قواتنا العاملة ٠ وهكذا فقد اعدنا النظر في الخطة وخلصنا الى نتيجة باننا غير مضطرين للمخاطرة بكل شيء او معظم هذا الشيء وحتى ولو كانت لمثل تلك العملية التي لها ردات فعل سياسية عظيمة٠ لم نتخل عن الخطة تماما ، ولكننا اجلناها الى وقت نصبح فيه اقوياء ٠

ولقد وجهنا اهتمامنا في الوقت نفسه الى منطقة رام الله حيث محطة اذاعة الحكم البريطاني ٠ لقد كان على رجالنا ان يستولوا على الاذاعة وايقاف برنامج فلسطين الرسمي وارسال نداء الى الشعب اليهودي والى امم الارض لمساعدة اليهود الاوروبيين وتحرير وطننا من نير البريطانيين ٠ لم تكن هذه العملية سهلة او بسيطة في تلك الايام ٠ وبالقرب كانت هناك قلعة للبوليس وكذلك كان هناك العرب ، وكانت بعيدة كل البعد عن اي تجمع يهودي ٠ وكالعادة كان يلزمنا وسائل النقل ٠ وانتظرنا ثلاث ليال في القيادة لسماع بيان اذاعتنا ٠ لقد فشل رجالنا في الحصول على وسائل النقل الضرورية ٠ وفي اليوم الثالث وبعد ان امنا عددا من الشاحنات وصلت وحدتنا محطة الاذاعة واستولت عليها رغما عن ثكنة البوليس القريبة ، فاطلق الجنود وابلا من القذائف في جميع الاتجاهات وارسلوا القنابل المضيئة للتعزيز ٠

لقد استعمل رجالنا لاول مرة مدافع المورتر التي كنا قد صنعناها ٠ ولقد قال عرب رام الله باننا استعملنا مدافع ثقيلة ٠ ولقد فضل الجنود البقاء في قلعتهم المصنوعة من الحديد والاسمنت ٠ وداخل محطة الاذاعة رمى «افتجان» وهو احد ضباطنا الشجعان مسدسه في الهواء عدة مرات وامسك به واشار الى الموظفين البريطانيين والموظفين العرب ٠ ولقد اخبروا بانه لن يصيبهم مكروه اذا ما ابدوا استعدادهم لمساعدة رجالنا لاذاعة البيان المعد للارسال ٠ ولكن تبين انه لم يكن هناك اي استديو في رام الله وان استديو الاذاعة في القدس نفسها ، وهكذا استحال اذاعة البيان ٠

رجل وعدة القاب

بعد فترة من الزمن انتقلت مع زوجي وابني الى بيت يقع في منطقة « هازيدوف » وهناك اصبحت « اسرابيل هلبيرون » ٠

ان منطقة «هازيدوف» تتألف من صف من البيوت الواطئة الواقعة على الطريق المؤدية الى «كفار سبركين» القريبة من اللد ٠ لقد كانت ضاحية يسكنها العمال ٠ ولقد بنيت داخل الحدود المحلية لمنطقة «بتاح تكفا» بمواجهة القرية العربية المشهورة «فجة» ٠ وفي فترة ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ كانت بيوتها تحتاج للماء والكهرباء ولكنها كانت منطقة مخضوضرة بحقولها المحروثة وحدائقها المزهرة ٠ من الخارج يفترض المشاهد بلا شك اننا اخترنا المكان ليكون مقر القيادة وذلك لكون المنطقة تكثر فيها الاشجار ٠ ولكن لم يكن ذلك فعلا ٠ لقد وجدناه صدفة ٠ وكان هادئا ورخيصا ٠ فقد ذهبنا الى هناك وافترضنا انه لن يخطر في بال السلطان بان «رئيس الارهاب» ، يعيش في مكان حيث كل فرد يعرف جاره ٠ ولم نكن مخطئين في ذلك ٠

لقد عشت تقريبا لمدة سنة في تلك الضاحية الصغيرة ٠ بين اصدقاء صامتين يعلمون السر ٠ وكذلك بين اعداء نشيطين ٠ لقد علم بنا احد المواطنين ٠ لقد رآني لاول مرة عندما خرجت الى الشارع الرملي الممتد على طول صف البيوت ٠ ولكن لم يتفوه بكلمة ٠ لقد كان صهيونيا ايضا ٠ اما بقية جيراني فلم يكن لديهم ادنى شك او اشتباه ٠ لقد وجدوا ذلك طبيعيا ومفهوما ٠ وعلموا بان عائلة« هلبيرون » كانت احدى العائلات التي لجأت من بولندا ، والتي لم تستطع ان تجد اسباب الراحة من بيت وطعام في البلد ٠ حقا ان رب هذه العائلة لم يكن ليذهب الى العمل كل يوم ، حتى هذا كان يجد تفسيرا مبررا ومقبولا ٠ لقد اطلعنا الجيران على اننا نعيش على الاعاشة التي كانت

لا تمدنا بها منظمة مساعدة اللاجئين ، واني استعد لتقديم امتحانات القانون الفلسطيني • وهكذا فقد كان عملي في البيت • وهكذا فقد كان المالك «ميكاللي» ، يعلم العمل الذي كنت اتعاطاه ، وكان يعتقد ان هذا العمل له علاقته بالقانون • لقد كان ميكاللي عضوا في منظمة الارغون وكان يعرف «مبريدو» الذي كان قائده • كما كان يعر ف«دانيال» و «بنجامين» •

لقد رأى كل هؤلاء الضباط في زيارتهم المتكررة للمستأجر • وفي محاولته من اجل استخلاص الهدف من هذه الزيارات ، فقد استخلص انها كانت بسبب الحصول على نصائح شرعية فيما يتعلق بمحاكمات المقاتلين السريين • ولقد بدا له ان هذا المستأجر قد اعطاه الايحاء بانني محام مولع بالمطالعة وليس قائدا • واخيرا علم الحقيقة • وبالرغم من الخطر الذي قد يجلبه لنفسه فقد استبقاني للعيش في هذا البيت •

واصبحنا اصدقاء حميمين ليس مع المالك فقط الذي كان يعلم الحقيقة، بل ايضا مع كل الجيران الذين كانوا لا يعلمون • لقد كان ابني يلعب مع الاطفال • وتبادلنا الزيارات مع الجيران • وامتلأ بيتنا بمجلدات القانون التي كانت عامة ومباحة للجميع لقراءتها كاباحة الدخول الى بيتنا •

اني لا زلت احمل ذكريات سارة من منطقة «مازيدوف» الجميلة • لقد كنا نعقد اجتماعات القيادة في مطبخ ضيق وتحت ضوء قنديل زيتي حيث اتخذنا قرارات هامة وخططنا لعمليات • ان الاصدقاء الذين كانوا يعودون عائلة «هلبيرون» لم يثيروا اي شك • كنا نخرج للتنزه في الحقول والبساتين وكنا نعقد الاجتماعات ونتخذ القرارات السياسية • لم يكن احد يتصور بان هؤلاء المتنزهين الذين يدردشون هم ملاحقون من جهاز المخابرات البريطانية والشرطة البريطانية على طول البلاد وعرضها •

لقد كنا نحضر الصلوات ايام السبت والعطل في «الكنيس» المقابل لبيتنا • وهناك اعطيت الاسمي الحركي «اسرابيل» • وفي السبت الاول بعد وصولنا كرمت كما يكرم القادمون الجدد بان دعيت للالتحاق بدراسة القانون • ولقد سألني ناظر الكلية عن اسمي • وخشيت ان اذكر اسمي

الاول • وقلت بتردد «اسرابيل بن زيف» • ومنذ ذلك الوقت وحتى الوقت الذي تخليت فيه عن العمل السري كنت انادى بذلك الاسم •وعلي ان اطلب الغفران من الله للخداع الذي مارسته في اخفاء اسمي الحقيقي ، وحتى وانا اقـوم بواجبات مقدسة نحو الخالق ، ولكن الظروف لم تترك لي خيارا •

هناك في منطقة «هايزيدوف» اختبرنا اول عمليات التفتيش الكبيـرة التي كان يقودها البوليس الفلسطيني بمساعدة افواج جيش الاحتلال • في الخامس من ايلول من عام ١٩٤٤ حوصرت منطقة «بتاح تكفا» بقوات كبيرة من الجنود والبوليس • لقد كان للبلدة جاذبيتها الخاصة بالنسبة للسلطات المنتدبة • لقد اعتادوا القول : ان «بتاح تكفا» الدموية تعج بالارهابيين •

لم يكونوا مخطئين • فان «بتاح تكفا» بشعبها الحر ملتصقة بالارض والتربة ، وقد ادت خدمات جمة لعملنا السري • لقد استغل مقاتلونا بكل حرية بساتين الليمون التابعـة لها دون اي حـادث مؤسف • ان باستطاعة حقولها وغاباتها ان تقص الكثير من حكايات منحات التدريب السرية • لقد احتفظت الاشجار بالسر • كما فعل شبان «بتاح تكفا» الذيـن عانـوا مـن الضربات ونهضوا مرة ثانية للقتال والمقاومة •

لقد نجحت السلطات العسكرية مرتين بمساعدة المعلومات اليهودية المنظمة ان تصفي منظمة الارغون • ولكن كنا نغير بناء صفوفنا من جديـد وبقوة اكبر مما كانت عليه قبل التصفية • لقد كانت «بتاح تكفا» المباركة تعج بالارهابيين •

لقد بدات السلطات تفتيشها عند الفجر في ذلك الصباح • وكانت البلدة محاصرة من جميع الجهات • وفرض منع التجول وبدأ الجنود جولاتهم في الشوارع وهم ينادون «بمكبرات الصوت» : «ممنوع التجـول••• ممنـوع التجول ••• وكل من يغادر بيته يعرض نفسه للخطر» •

فتش كل بيت • لقد كانت حملة تفتيش كبيرة • وعنـد بزوغ الفجـــر ايقظني جاري الذي كان «يعلم» واعلمني بما كان يجري • لقد كان مضطربـا نوعا ما • وكان هذا شيئا طبيعيا • قصته لم تكن مشجعة • قال :

«انهم ينتشرون في كل مكان • لا احد يستطيع الخروج او الدخول • لقد حاولت ان اصل الى «بتاح تكفا» نفسها ولكن الدوريات ردتني على أعقابي ومنعتني • بالطبع انهم سوف يأتون الى هنا • وارى ان عليك الخروج من بين بساتين البرتقال •

رفضت نصيحته • ولقد وافق «دانيال» الذي امضى الليل معي في بيتي على انه لا معنى للهرب الى البساتين • ان هذا الهرب لا يسبب فقط نهاية علاقتنا بالجيران ، بل قد يجرنا الى ايدي العدو • وانه من الافضل الا ننتظر المتاعب بل ان نواجهها في منتصف الطريق • لقد كان الوضع خطيرا جدا • ولقد اعتمدنا الى حد ما على حسن طالعنا في الوقوف ضد الجنود والشرطة • ولكن اردنا ان نظهر للجيران بانه لم يكن لنا اي شأن مع البوليس او الشرطة • وهكذا فقد تركنا غرفتنا لنجلس امام البيت • لقد شاهدنا منظرا مثيرا على الطريق الرئيسي ، وعلى بعد مائتي ياردة كانت تسير الدبابات البريطانية والسيارات المسلحة• احد رجال البوليس اليهود الذي كان يعيش سابقا في المنطقة كان يجري نزولا وصعودا ويواسينا بتأكيده باننا لن ننتظر طويلا من اجل التفتيش ، وبعدها نتخلص من رؤيتهم لمدة طويلة • وعده هذا لم يكن ليدخل السرور الى قلوبنا •

ان جارتي «مسز سيجلا» كانت تبدي الاسى والاكتئاب • ولقد حاولت زوجي التخفيف عنها ، ولكن كل ذلك كان عبثا • واخيرا اعترفت للسيدة «هليبرون» التي اصبحت صديقة عزيزة عليها : بالطبع كل شيء على ما يرام بالنسبة لك ، ليس لديك اي شيء تقلقين عليه ،ولكن يوجد عندي بطانية عسكرية • ماذا افعل ؟ ماذا افعل ؟ •

لم نكن بحاجة الى القيام باي عمل • فانتظرنا عبثا قدوم الجند والبوليس • لقد فتشوا «بتاح تكفا» تفتيشا كاملا ولكن لسبب لا ندري ما هو تركوا منطقة «هازيدوف» ولم يحدث اي شيء • ورفع حظر التجول عند الظهر • فذهب «دانيال» الى عمله دون ان يقول كلمة وداع لمستر «هليبرون»• فتنفسنا الحرية مرة اخرى وتراجع الخطر عن عتبات ديارنا •

لقد اثارت حملة التفتيش هذه كثيرا من الاشاعات • ولقد كان رفاقنا قلقين ، وكانوا يفكرون بطريقة لانقاذنا ، ولكن منطقة «بتاح تكفا» كانت

مغلقة تماما • ولقد تضخمت القصة بعد ذلك بين عامة الشعب الذين كانوا يؤمنون بقدرة «الارغون» ، وقالوا ان واحدة من جنودنا تسللت الى خطوط العدو وانقذت اصدقاءها المحاصرين • لقد كانت هذه هي احدى الاساطير التي حيكت حولنا ، داعية لتذكر حادثة مقابلتي الجنرال «باركر» وقصته عن اصلي الروسي •

لقد نشرت الصحف العالمية قصة مقابلة عرضية جرت بيني وبين قائد القوات البريطانية على ارض اسرائيل • قد يكون اصل الحكاية الاقتراح الذي قدم من جانب الضباط المحسوبين على «باركر» وهو ان المقابلة تمت وتكلمنا كندين • ولقد نقل احد اعضاء المخابرات التابعة للهاغاناه في القدس ـ والذي كانت له صلته بذلك الضابط ـ ، تلك الدعوة الى قائد الهاغاناه الذي اوصلها الي في احدى مؤتمراتنا التي كانت تعقد بانتظام خلال الفترة الوجيزة لاتحاد نضال حركات المقاومة • بالطبع رفضت الدعوة • واردت ان اتكلم الى قادة القوات المحتلة كعدو يخاطب عدوه ، ولكنني فضلت لغة فصائلنا المقاتلة • وكتبت الصحيفة تقول بانه تم اجتماع سري ليس فقط مع ممثل « باركر » وانما مع « باركر » نفسه •

لقد كانت هذه الحادثة مؤثرة بالنسبة لاعضاء المنظمة اذ رويت على اساس اني وضعت شرطا على «باركر» الا وهو ان يأتي الي وحده لنلتقي في مقهى وقد قبل « باركر » الشرط ولكنه نقض وعده وجلب معه فوجا من الجنود الذين حاصروا المقهى • ودخلوها ولكن لسوء حظه لم يجدني هناك ، فانتظر مدة من الوقت منزعجا لا يرسي على حال • فنظر حوله فرأى قسيسا كاثوليكيا جالسا في زاوية بعيدة يقرأ صحيفة ، فانتهز الفرصة من اجل تضييع الوقت وبدأ حديثا مع ذلك القس • وبعد ان انتظر طويلا ولم يظهر «بيجن» نهض وشكر القس لصحبته وترك المقهى • وفي اليوم التالي وصلته رسالة قاسية مني تقول :

« لم يكن عليك الا الصدق بكلمة الشرف التي اعطيتها ••• لقد وعدتني ان تاتي وحدك • لماذا نقضت وعدك • يجب ان تسجل ان منظمة « الارغون » تفي بوعودها • ولقد وفينا هذه المرة ايضا • لقد اتيت الى مكان اللقاء رغم خيانتك • لقد كنت ذلك القس الذي كان لك معه حديث » •

ولقد نسجت رواية اكثر اثارة في احدى الصحف السويسرية حيث شقت طريقها من هناك الى جميع انحاء العالم • فاختطفتها صحيفة اميركية كبيرة • والرواية تقول ان اسمي الحقيقي لم يكن « بيجن » وانما هو « فيرمن » واني خضعت للتدريب في موسكو وقدت النضال الشيوعي في اسبانيا والصين ، وبعد ذلك ارسلت بوساطة « ستالين » الى ارض اسرائيل ، من اجل جعل الاجواء ساخنة في وجه البريطانيين ••

احد الصحفيين الكبار في الولايات المتحدة متاثرا بهذه الرواية كلمني بالهاتف عندما قمت بزيارة للولايات المتحدة ، وسالني عن الرواية وقال لي بأن احدى الصحف الشيوعية اليهودية قد كتبت بأنه كان لك لقاء مع قادة الدولة وانك بعت فلسطين كلها « لترومان » ، ووصفتك بانك فاشي •

بسيط جدا • لقد بدات اجد صعوبة بأن اقرر فيما اذا كنت عميلا « لستالين » او عميلا « لترومان » او كليهما واذا ما كنت شيوعيا فاشيا أو فاشيا شيوعيا •

ان كل هذه من الاساطير والحقيقةاني لم اكنابدا فياسبانيا او الصين او الكرملين او في دائرة الدولة • فانا اكره كل اشكال الديكتاتورية وممارساتها ، واحب الحرية والاحرار كما اؤمن بانتصارهما في كل مكان • ولنرجع الى الرواية الاولى ، اني لم اقابل ولم ارد ان اقابل لا « باركر » ولا ممثله • اما بالنسبة للاسطورة المتعلقة بتفتيش منطقة «بتاح تكفا» ، فان السلطات البريطانية فتشت المنطقة ولم تجد شيئا •

ولكن هناك رواية محزنة تتعلق بالحقيقة الخاصة بالتفتيش الذي جرى في منطقة «هازيدوف» فقد حدث بسبب التفتيش فقدان صهري وصديقي الحميم الدكتور «ارنولد» • لقد حدث ان قابلت فتاة في السابعة عشرة وقررت ان تكون زوجي • لم اخطىء في اختياري • ولا احب التوسع في خصوصياتها • مرت السنون وذاق كل منا كأس الحزن • لقد سحقت عائلاتنا كما ان ابن « ارنولد » نزع من بين ذراعي امه لكي يقتل في احدى غرف الغاز النازية • والام قتلت نفسها • اقاربنا جميعهم قتلوا بالرصاص او بوساطة غرف الغاز الالمانية ولكن قلبه استقبل جميع هذه الضربات

بصلابــة · لقــد كــان في تــل ابيب حينمــا وصلت انبــاء محاصــرة «بتاح تكفــا » · لقــد كــان يعلــم ايــن اعيش وكــان حزينــا كئيبــا · فمات ذلك اليــوم · ولــم استطــع ان اصطحب صديقــي الــى مثــواه الاخيــر ، فقــام صديــق لي بهــذا العمــل نيابــة عني · ولكــن هــذا لــم يمنع البريطانيــون من بث العيــون في الجنــازة لعلمهم بصلة القرابة التي كانت تربطني به · ولما كانت زوجي خاضعة لقانون العمل السري فانها لم تشارك في جنازة اخيها واخر فرد من عائلتها · فتلوت صلاة الميت في كناس صغير · على الانسان ان يستمر ، فليس لنا اي خيار ، بما يفكر الذين في الخــارج وماذا باستطاعتهم ان يعملوا ؟ ··

لم تكن الفترة التي قضيناها في « هازيدوف » مجدية بتاتا · وجمعت منظمة « الارغون » شملها من جديد ، والتفت حول علم الثورة · وعاد جميع من تركوا ايام المحنة الداخلية الى صفوفها ، وتطوع الكثير وكبــر عددنــا ، وزادت الثقة بنا · خلال تلك الفترة كتبت كتيبا اسمه « نحن نؤمن » حيث عبرت فيه عن ايمان لا يتزعزع وهو انه من دمائنا سوف تزهر شجرة الحرية في بلدي وشجرة الحياة لشعبي ·

خلال تلك الفترة نسفنا مركز قيادة الشرطة البريطانية في القدس ، مما اضطر الشرطة ان تبقى بعيدا عن حائط المبكى ، وهاجمنا ثكنة «تيكارت» ، ومخفر شرطة حدود يافا ـ تل ابيب · وسخرنا من الحكومة بمصادرتنا كميات كبيرة من الالبسة من مستودعات الحكومة تحت سمع قواتها وبصرها · ولقد وزع قسم من الملابس على الفقراء والمساكين ، وبيع القســم الاخــر لشراء السلاح ·

ولكن بانتهاء تلك الفترة تجمعت في السماء الغيوم الكثيفة · واقتــربت فترة الاضطهاد الداخلي · لقد كانت اعمال العنف التي سددناها لحكــم الانتداب اكبر ممــا كان يتوقعها · ولقــد اخضعت الوكالة اليهودية لضغط الحكومة في كل من لندن والقدس ، وطلب من قيادتها مد يد العون لوضع حد للارهاب · وبدأت التقارير المزعجة تصلنا · لقد اشيع في ذلــك الــوقت بان الوكالة اليهودية لم ترفض التقارب مع المستبدين ، ولكنهم وعدوهم بجمع المعلومات لتصفية الخارجين على القانون · واستحال الموقف الى كآبة وكثر عــدد العيون · وسرت شــائعة تقول بــــان هنــاك جواسيس للحكومة في

« هازيدوف » · وعلى هذا الاساس لن ابقى لحظـة في « هازيـدوف » اذ كان بين الجيران اعضاء لمنظمة « هاشومير » . وهم يساريـون متطرفـون واشتراكيون متطرفون وكانوا يفضلون التعاون مع الحكومة ضدنا · لقـد كان الجيران وديين تجاه «هلبيرون» . ولكن هل سيبقون اصدقـاء اذا مـا كشفوا من يخفي وراءه هذا المحامي ·

ودعنا منطقة « هازيدوف » وذهبنا الى تل ابيب · واقمنا في بيت صغير في شارع «يشوع بن نون» وهناك اصبحت «اسرابيل «ساسوفر» ·

- ٢ -

لم يكن التغيير في الاسم والمكان فقط . وانما بدلت ملامحي وعاداتي لقد اعتبر رفاقي ان التغيير في اسلوب تسريح الشعر واطالة الشاربين ، لن يكونا كافيين لابعادي عن عيون الجواسيس وحاسة اليهود منهم · وبالتالي فقد نصحني اصدقائي بان اطلق للحيتي العنان لتكبر . ولما كان قانون العمل السري هو الاعلى ، فقد اطلقت للحيتي العنان لاضيف الى عمري عشرة او خمس عشرة سنة ·

لم يكن ذلك سهلا · امر اطلاق لحية وبفترة نقل مدفأة تعمل على الزيت من «بتاح تكفا» الى تل ابيب ·

ان لحيتي والمظهر الذي منحتني اياه . فرضا بعض الالتزامات نحـو محيطي الجديد · لقد طلب مني في اول يوم من مكوثي في البيت الجديد ، ان أمّ جمـاعـة المصليـن في بيت فيـه مأتـم · وبعـد ذلـك دعيت لان أكون مشتركا دائما في الصلوات · وأصبحت تلـك الصلوات جـزءا مـن حياتي اليومية في اصعب فترات النضال ·

ولدت ابنتي الاولى في ذلك البيت فاسميتها « هاديا » على اسم امي ، التي قتلت على ايدي النازيين في « بريسك » · لقد كانت ولادة « ماسيـا » أحد أسراري التي لم يعرف بهـا الا نفر قليل مـن الاصدقاء · ان عضو

المنظمة السرية رجل قاس ٠ لا يسمح له بالحزن على ميت ولا بالفرح على مولود ٠ ولكن ابنتي غيرت احوالنا ٠ ان السلطات البريطانية في مسعاها للقبض علي ، بحثت لمدة سنوات على امرأة وطفلتها ٠ والان وقد اصبحت اما لطفلين فقدت الحكومة بذلك كل اثر ٠

لقد وصلت القوات الحكومية الي بيتنا مرتين ٠ الاولى في فترة اتحاد حركة المقاومة ، عندما كانت منظمة « الهاغاناه » قد فقدت حالتها شبه الشرعية التي تمتعت بها خلال فترة وجودها تحت السلطة البريطانية وبدأت الشرطة في البحث عن مستودعات اسلحتها ومخابئها ٠ ولقد كانت احدى هذه المستودعات مقابل بيتنا وكل الجيران يعلمون ذلك ٠

ذات ليلة استيقظنا على اصوات العربات الثقيلة وعلى صوت يقول : واحد ٠٠ اثنين ٠٠ ثلاثة ! » ٠

نظرت من خلال النافذة فرايت سيارة اللاسلكي التابعة للبوليس التي كانت تستقبل الاوامر وتبثها ورأيت الانوار الكاشفة تدور على جميع انحاء المكان بما فيه بيتنا ٠ وبدأ رجال البوليس والاثارة على وجوههم ، لم استطع ان اتكهن فيما اذا كانوا قد اتوا بحثا عن الاسلحة فقط ، او من اجل تفتيش جميع المنازل ٠ وهنا كما كان الحال في « هازيدوف » لم يكن في اليد حيلة الا التذرع بالصبر والانتظار ٠

اما « روكسي » فلم تستطع صبرا ، ارادت ان تطرد البريطانيين بعيدا وفي الحال وفي الوقت نفسه جذبت انتباههم ٠ « روكسي » كانت كلبة ٠ كيف اتى « ساسوفر » بكلب ؟ مثل هذا الرجل على حد رأي الناس يجب ان يخاف الكلاب وبالتالي لا يحتفظ بكلب في بيته ٠ لقد كانت «روكسي» تطلق في بعض الاحيان اصواتا منفرة وغير متجانسة ٠ وعندما يأخذ « ساسوفر » ابنه الى المعبد في امسيات ايام الجمعة كانت تهرول وراءه ٠ لم يكن هذا بالشيء الملائم او المناسب ، ولكن ليس باليد حيلة ٠ كانت « روكسي » تخص المستأجر السابق والذي لسبب او لاخر تركها وراءه ٠ فكانت تغيب وتتجول بعيدا بحثا عن سيدها ، ولكنها أخيرا تجد طريق العودة الى البيت ٠ الاطفال كلهم يعرفون قصتها ، وكيف يمكن لنا ان نطردها ؟

لقد كانت «روكسي» تحب كل الناس الا البوليس فقد كانت تكرهه • وما حدث في البيت تلك الليلة عندما اكتشف «روكسي» وجود وحدة كاملة من الجيش البريطاني وهم يرابطون على عتبة دارها • اذ بدات عواءها بصوت عال وهي تعبر عن سخطها واحتقارها واصرارها على رحيلهم ، فجذبت انتباههم لبيت سيدها • ذلك المساء كرهتها اكثر من كرهها للبريطانيين • ولكن الازمة مرت بسلام وعند الفجر رحل البريطانيون عن المنطقة •

اما المناسبة الثانية فكانت اكثر خطرا • ولقد حدثت في نهاية فترة حركة المقاومة ، ولكنها جزء من قصة فندق الملك داود والذي سوف اقص روايته في فصل قادم •

لقد حدث ان عانيت اول مرض في المنظمة وكان ذلك في مسكني في شارع «يشوع بن نون» • فقد اعلن جسمي اضرابا عن الطعام لمدة اسابيع حيث فقدت اية شهية له • فكان ذلك نتيجة فقدان تغير الجو ، لانه ومنذ عدة سنوات كانت لي بعض الفرص لتغيير الجو ، وباختصار نزهات قصيرة تتم مشيا على الاقدام الى الامكنة المجاورة • وبهذا المعنى فقد كنت سجينا اكثر من السجناء انفسهم • لقد اثار ذلك اهتمام رفاقي ، وخاصة عندما توقفت عن شرب الشاي ، فهذا كان برهانا ساطعا على مرضي • ولقد اقترح «ابراهام» استدعاء الطبيب المختص وهو الدكتور المشهور «زوندوك» فعارضت ذلك • لقد كنت متأكدا بان ما يقلقني سيذهب حتما لوحده ، اضافة الى ان اقتراحه ضد ما تفرضه قوانين العمل السري • ولكن «ابراهام» اصر على اقتراحه وساعده في ذلك «مير» • واتى الطبيب «زون دوك» واعطاني وصفته وبعض النصائح :

– «سيد «ساسرفر» لماذا تجلس وتدرس طوال النهار !! عليك الخروج بهواء النقي» •

بكن يدري ان تلك النصيحة وحدها التي لا استطيع ان اعمل بها • عال فقد شفيت •

ان ايامنا في شارع «يشوع بن نون» كانت حبلى بالحوادث المهمة · ان مرحلة ملاحقة افراد منظمة «الارغون» من جانب الجواسيس اليهود وصلت قمتها · لقد سلم «ياكوف ميرادور» الى البريطانيين · وخطف «اليعازر» ، وضباط آخرون وشي بهم او خطفوا · فكان علينا التماسك وتعميق العمـــل السـري ·

في تلك الفترة وصلت مرحلة الملاحقة الى نهايتها واشرقت شمس وحدة النضال ، وولد اتحاد حركات المقاومة · خلال تلك الفترة وبعد عدة عمليات جاء نسف مقر القيادة العامة للجيش والحكومة البريطانية في فندق الملـك داود · بعدها تبخرت تلك الوحدة · خلال تلك الفترة انقذنا رفيقين لنا مـن براثن الجلادين · ونفذنا العملية تلو العملية وكبرت شعلة الثورة ·

- ٣ -

في اوائل عام ١٩٤٧ كنت مضطرا لهجر شارع «يشوع بن نون» · وفي المقام الاول فان عقد الايجار مع صاحب البيت كان قد انتهى · والاهم مـن ذلك ان الظروف قد تغيرت · لقد قرر صاحب البيت ان يشيد فندقا في موقع متاخم للحديقة · ومن الصعب ان يعيش المرء بعيدا عن العين وهو قريب من باب فندق وهذا يعني الرجـوع الى العمـل السـري · وعلمت مخابراتنـا ان البريطانييـن بـدأوا بالاهتمـام بسكـان المنطقـة المجـاورة · ويمكن للمرء ان يقع بين ايديهم ولا يمكننا الاعتماد على الحظ · وهكذا فقد انتهى فصل وبدأ آخر · اختفى شخص «اسرابيل ساسوفير» من «شارع بن نـون» ومن شارع «يوسف الياهو» في قلب تل ابيب ، وظهر الى الوجود الدكتـور «يوناح كينجستوفر» ·

بالصدفة وجد جواز سفر في احد المكاتب العامة باسم الدكتور «يوناح كينجستوفر» كان اسما طويلا · ولكن حسنته انه كان اسما المانيا بحتا · انه اسم يحمل معاني الاخلاص والتقيد بالقانون والنظام · ولقد قررت ان جواز السفر يلائمني بعد وضع رسمي عليه · وجعلتني شخصيتي الجديدة حرا في

التحرك • وحلت مشكلة استئجار شقة • وكذلك فان «ماثير كاهان» الذي كان يثق به كتاجر ميسور اتخذ له اسما جديدا ، واستأجر شقة لصهره الذي لم يستطع ان يوقع عقد الايجار وقد برر ذلك بمرض الم به • لقد كانت الشقة قريبة من مسرح «حابيماح» وكما قال «مير» «ان اظلم نقطة تقع مباشرة تحت المصباح» •

حلقت لحيتي في الليلة السابقة لرحيلنا • ولم يعد هناك ما يدل على «ساسوفير» • ورجعت الى الوراء عشر سنين • رأيت ذلك غريبا في بادىء الامر • لقد كان ابني يميز صوتي فقط ويقول لوالدته : «اظن ان حالي قد اتى لزيارتنا» • ولكنه لم يكن ليكثر من الاسئلة • لم يكن ليعرف مكانة والده الخاصة وانما تعود ان يراه عكس الآباء الآخرين وخاصة في البيت وعند الصباح حيث كان يراه بلحية مرة واخرى بدون لحية • ربما كان قد احس شيئا ما عن طريق الغريزة • ولقد كان في بعض الاحيان يسالني بهمس وفي عينه نظرة ولع العبث : «لقد كان لك مرة لحية يا ابتي أليس كذلك» ؟ •

لكن هذا كان سرنا جميعا • لم يكن ليخبر اي انسان آخر • اما بالنسبة لابنتي «ماسيا» فلم تكن قادرة على الكلام بعد ، فكنت آمن الجانب من تلك الناحية •

لقد كنت آمن الجانب من زاوية اخرى • عندما شاهدتني صاحبة الشقة لاول مرة لاحظت ان لحيتي قد ازيلت ووجهي يميل الى الشحوب • ولقد استنتجت اني اعاني من مرض السل لقد كان هذا امرا جديا بالنسبة لها مما جعلها تقرر ما اذا كانت شكوكها في محلها • لقد اطلعت على امر قدومنا من «بتاح تكفا» • وهكذا فقد ذهبت الى «بتاح تكفا» تسأل عن ساكن شقتها الجديد • وبالصدفة الغريبة وصلت الى اثر احد الاشخاص ويدعى «كينغ شومر» ، وكان يعيش في «بتاح تكفا» ومعروف باصابته بداء السل • لقد ازعج هذا البرهان على مرض المستأجر المالكة بشكل كبير • قد تكون اصابتي بالسل معدية وتهدد بالخطر جميع الاسرة • فدعت «مير» ابن عمي بالمصاهره ، اليها واقترحت عليه بان تجد لنا شقة اخرى • ولقد قالت بانه على الاقل يجب عرضي على طبيب • ولقد حاول « مير » اقناعي بذلك • ساعتئذ خطرت لي

فكرة ، واجبت بالنفي • فلنترك تلك الاشاعة تكمل سريانها بين الناس باني مصاب بداء السل • وكان للفكرة مفعولها حيث اقيم جدار من العزلة حولنا • وكان لا بد ان اسأل المالكة المعذرة للقلق الذي جلبته اليها • لقد كان ذلك ضروريا •

كما كان واجب علي الاعتذار لابني عن المشاكل التي صادفها من اسم عائلته الجديد • لقد كان اطفال الجيران وكذلك في روضة الاطفال ينادونه : «كوخر» المخادع وكانوا لا يدركون مدى خطورة تلك الدعابة القاسية • كما ان الموظفين وجدوا صعوبة في لفظ هذا الاسم • احدهم وقد فتحت له الباب سالني بغضب : من اين لك هذا الاسم الطويل «يوناح كينحتسوفر» •

فأجيب : ماذا افعل ؟ هكذا كانوا يدعون جدي •

كان هناك موظفا واحدا على اية حال لا يعترض على اسمي • لقد كان جامع تبرعات المنظمة لمساعدة السجناء • لقد وجدني جالسا في غرفتي المؤدية مباشرة الى الحديقة • لم ينتبه لاسمي • وقد قام بتوسل حار من اجل المساعدة في الصندوق الذي كان يعتني بسجناء الوطن السياسيين • فوافقت ، واصبح «يوناح» عضوا رسميا • وعلي ان اعتذر من الدكتور «يوناح كينجستوفر» لتوقيعي نيابة عنه بدون اذن مسبق منه على اوراق ونماذج واستمارات لمساعدة السجناء • واجرؤ على ان آخذ على عاتقي واقول بانني لم اشوه اسمه الكريم • وعندما حانت اللحظة التي كنا جميعا نتمناها اعدت له اسمه • فآمل من رفاقي ان يكونوا قد اعادوا اليه جواز سفره • قد يكون اتخذ لنفسه اسما عبريا في الوقت الحاضر •

وانا احمل اسم «يوناح» اصبحت ابا لابنة ثانية ، وقد كانت ولادتها ايضا سرا • ولم استطع الاحتفال بها • فلم يعد هناك ما يسمى بـ«اسرابيل» •

بعد خروجنا من السرية الى العلانية كانت مدينة القدس مسرحا لاول خطاب القيته • ولقد صعق الجيران عندما علموا بان قائد منظمة «الارغون» هو والد «بني» • لم يكونوا ليصدقوا ذلك في بادىء الامر • كيف لم ندر شيئا عن ذلك ؟ •

لقد سمع «بني» الخبر من اطفال الجيران ٠

انه والدك ، انه والدك !!

صعق «بني» ٠ لم يكن والده في منظمة «الارغون» ، بل واكثر من ذلك انه هو اي «بني» لم يكن مناصرا لمنظمة «الارغون» ٠ لقد طرأ على سمعي مرة حديث جرى بينه وبين احد الاولاد اليمنيين الذين لجأوا مع افراد عائلتهم الى البناء نفسه الذي نسكن فيه مع بداية الهجوم العربي حيث اجبروا على الهرب من يافا ٠ لقد كان «يافيت» صديقا حميما «لبني» ولكنهما كانا مختلفين اختلافا جوهريا في السياسة ، سأل «يافيت» «بني» : لمن تنتمي ؟ ٠

في تلك الايام كان ذلك السؤال جليا وواضحا لكل طفل ٠ «الانتماء» لاحدى المنظمات المسلحة ٠ «الهاغاناه» ، «الارغون» ، «شتيرن» ٠ فأجاب ابني فورا ٠

«اني انتمي الى ليبتشي» ٠

«بني» ، ماذا تقول ؟ ليسوا طيبين» ٠

«حسنا اذن ، اني انتمي للهاغاناه» ٠

«بني» ، ماذا تقول ٠ انهم ليسوا طيبين ابدا ٠ سأخبرك اني انتمي «للارغون» ٠ فهي افضلهم واقواهم» ٠

لا عجب اذا لم يصدق «بني» ان اباه هو قائد منظمة «الارغون» ٠ واخيرا انتصر على تردده وجاء الي وهو يمسك بالصحيفة التي كانت تحمل رسمي ٠
«والدي ، اخبرني بالحقيقة ، هل هذا هو انت ؟» ٠

لم اعد استطيع اخفاء الحقيقة عن ابني ٠ فشرحت له والدته كل شيء ٠ لقد اتخذت الخطوة الحاسمة في الخروج من السر الى العلانية ٠ فاستقبل ابني هذا القرار باندهاش هادىء ٠ لقد كان يقول لي بين الفينة والفينة وعيونه ضاحكة :

«ابي ، هل تذكر عندما كنا في الخفاء ؟» ٠

اذكر ، كما اذكر تعاسة اسئلته المصرة ٠ وكيف اني تعودت الاجابة عليه ؟ ٠

لقد امضيت آخر مراحل الثورة بحوادثها المفجعة في الشقة القائمة في شارع «يوسف الياهو» في قلب تل ابيب والمخابرات البريطانية لا تعلم شيئا٠ اتخذت من الشقة اقامتي وانما كان لي اقامات اخرى لفترات قصيـرة في فترات مختلفة ٠ لقد عشت في منطقة «بتاح تكفا» حيث كان معظم سكانهـا من المهاجرين اليمنيين ، وفي «رامات غان» ٠ خلال فترة الاحكـام العرفيـة عشت مع شرطي يهودي كان يساعد البريطانيين في البحث عن الارهابيين ٠ لقد ساعدهم بشكل فعال ٠ ولكن كان هناك في تلك الامكنة التي نزلت فيها سواء اكان نزولي مؤقتا ام دائما حراس او اشارات انذار ٠ لقد كان هناك كل شيء طبيعيا ٠ كنت مواطنا عاديا له عائلة وبيت مفتوح للجميع وجيران يعلمون كل شيء ٠ اما عيون المخابرات البريطانية فقد اصابها العمى ٠

لقد قال مستـر « ادوارد كريك » الوزير السابق في الشرق الاوسط ، في مجلس اللوردات حيث كان قد رقي الى رتبة لورد : «ان السبب الاول في فشلنا في فلسطين هو نتيجة فشل مخابراتنا» ٠

لقد كانت هذه هي الحقيقة ٠

الحرب الأهلية .. مستحيلة

لم ينشب اي نزاع داخلي على السلطة بين اليهود مع انتهاء الحكم البريطاني في بلدنا . لقد اقيمت الدولة ببساطة وبصراحة . قد لا يظهر ذلك كأمر ذات اهمية كبيرة ، لكنه في الحقيقة انجاز تاريخي . يعلمنا التاريخ انه في اعقاب معظم الحروب التي تخاض من اجل الحرية لا بد وان ينشب نزاع اهلي .

لا يمكن القول ان «ثورتنا» لم تخلق المتطلبات الاساسية للصدام الداخلي . بل على العكس فقد كان يبدو الصدام هنا حتميا اكثر منه في اية ثورة ناجحة . ان «ثورتنا» لم تأت لتكون نتيجة اوامر تعطى من فوق . لم تبدأ بتعليمات قادة اليهود التقليديين ، بل انها قامت حقا ضد ارادة اولئك القادة . ولم تستمر فقط بدون موافقتهم ولكنها استمرت باستخفافها للمعارضة .

لقد تنبأ الرسميون البريطانيون بنشوب الحرب بين العرب واليهود بعد رحيلهم . ولقد كان ظنهم في محله . كما انهم تنبأوا بنشوب حرب اهلية بين اليهود ولكنهم هنا كانوا على خطأ .

لقد كان هناك عاملان لتجنيب الشعب ويلات الحرب الاهلية ، في المقام الاول لم نعلم اعضاء منظمة «الارغون» كراهية منافسينا السياسيين ، لان كراهية جانب للجانب الآخر تهدر الوحدة الوطنية . والكراهية المتبادلة تجلب نوعا من الحروب الاهلية في غالب الاحيان . لقد كنا نحزن ونصاب بالدهشة حينما نرى مشاهد الكراهية ضدنا . فلقد تساءلنا اذا ما كانت الكراهية الاخوية ممكنة .

والعامل الثاني في تجنب الحرب الاهلية مرتبط بمسالة السلطة · لقد قاتلت سرا من اجل تأسيس الحكم اليهودي · لم تكن السلطة مبتغانا · ان منافسينا لا يصدقوننا ابدا · لقد ظنوا او على الاقل صرحوا بان نضال المختلفين على الرأي لم يكن الا نضالا من اجل السلطة · لقد كانت هذه هي غلطتهم التاريخية الاساسية · ان تاريخ الاديان والامم بعلمنا بان اختلاف الرأي ممكن بدون ثورة . اما الثورة فغير ممكنة بدون تباين الآراء · ان الثورة ليست مجرد مرحلة انتقالية . انها ليست بالشيء الخاضع للتصويت· كما انها لم تحدث نتيجة لقرار اتخذ في مناقشة عامة · ان سقوط «الباستيل» سبق شرعية الانسان · ونسف السفينة المحملة بالشاي في ميناء بوسطن سبق اعلان وثيقة الحقوق · والثورات تتفجر تلقائيا وعفويا ، والا فانها لن تقوم لها قائمة · انها لا تخضع للنظام . انها تفرض النظام على الذين قاموا بها · التباين في الرأي والثورة . له جوهر واحد تماما كما هي الثورة والتقدم ·

لقد قمنا بالثورة لان استعبادنا تطلب ذلك · لقد اختلفنا في الرأي ونحن نقاتل من اجل الشعب وليس من اجل الحكم · ان النضال من اجل السلطة شرعي في حد ذاته . بل على العكس فانه يتضمن رغبة صحية من اجل الانجاز · كما ان المقاتل «السري» مؤهل تماما للكفاح من اجل السلطة ويمكن لهذا الكفاح ان يعزز كفاحه ضد المغتصب · لقد كان هناك بعض من يعملون سرا وممن اعتقدوا بأن غياب الرغبة بالوصول الى السلطة هو مثل ثابت واكيد · على كل حال فانا لا ارغب هنا بتحليل الحقائق·بل اقامة هذه الحقائق وتأسيسها سواء اكان ذلك حسنا ام سيئا فان الحقيقة تبقى هي اننا خلال نضالنا السري لم نكن لنفكر بالسلطة · ولم نكافح من اجلها · ولقد وافقنا ونحن نعلم انه مع انتصار الثورة وتصفية الحكم الاجنبي فان القادة الرسميين هم الذين سوف يتسلمون حكم البلد· لقد كانكفاحنا خاليا من اية دوافع ثانوية ·

لقد اسرت فكرة الحرية قلوبنا · اذ كانت تعني التخلي عن الحرية الشخصية ، فلو كانت تتطلب من احدنا هجر العائلة لهجرها ، واذا تضمنت تحمل العذاب لقبله ، ولو انها دعت للتعرض المستمر للخطر لسلم نفسه اليها . ولو انها طلبت حياته لاعطاها ·اما

ان يـــكون المقاتلون عـــلى استعداد لتقديم هـــذه التضحيات مـــن اجـــل مـــن سيحكم الـــدولة عنـــد تأسيسها فهـــذا امـــر ليس بذي اهمية · ان الشيء الاساسي هو قيام الدولة وقيام امة حرة في بلدنا واننا سنفتح الابواب لجلب المنفيين · واننا سننعم بنسيم الحرية الذي اشتاقتاليه رئتانا خلال الالفي سنة من التشتت والعيش كأقليات · اما السلطة فلم تكن هدفنا · ان الشيء الواضح هو اننا لو كنا وضعنا السلطة نصب اعيننا لكنا قاتلنا من اجلها ، ولكننا هدفنا فقط الى تصفية الحكم الاجنبي · لقد قاتلنا من اجل هذا الهدف وحققناه ·

ولو كان في الامر شيء اخر ··· لكان هناك معسكران يحملان العداوة لبعضهما البعض في ارض اسرائيل · كما انه لا يمكننا التشديـد على ان الحرب غير المتوقعة مع العرب هي التي اعاقت مثل هذا التطور · ان مـن يشتهي السلطة يستغل اي خطر خارجي من اجل فرض ارادته في الوطن · الحقيقة اننا قاتلنا جنبا الى جنب ضد المغتصبين العرب لان معسكر الثوار لم يكن هدفه السلطة ، كما اننا لم نكن الكراهية لاخواننا في المعسكر الاخر ·

ولكن خطر الحرب الاهلية هو عنصر تاريخي متوارث في الثورات ، تماما ككون التخلص منه هو ميزة متأصلة في الشخصية الاخلاقية للثوار ·

لقد قال لي الرئيس «ترومان» بانه لو كان في ارض اســرائيـل خلال الحكم البريطاني لانضم الى جماعة الارهابيين · لو حصل هذا لكان القادة التقليديين سلموه الى البريطانيين · ربما لانهم لم يؤمنوا بنجاح الثورة ، او لانهم كانوا يخافون الثوار ، او لانهم كانوا يعتقدون باننا اناس اشرار ·

مهما يكن من امر ، فان القـــادة الصهاينـة التقليديـيـن ارادونا ان نوقف نضالنا بعد ان ابتدأناه · لقد حاولوا ان يتملقونا في بداية الامر · وعندما فشلت المداهنة قاموا بالتهديد ·

- ٢ -

ان الجهود التي بذلت من اجل الاقناع والتفاهم بدات في صيف ١٩٤٤٠
في ذلك الوقت كنت على وشك مقابلة مستر «بن غوريون» ٠

والمميز ان الجانبين كانا متحمسين لمثل هذا اللقاء دون ان يدري كل منهما نوايا الآخر ٠ اني لا اعني مستر «بن غوريون» ونفسي شخصيا، عندما اقول الجانبين فانا شخصيا اعني بذلك اصدقاءنا المحترمين الحميمين والمؤتمنين على اسرارنا ٠

لقد طرق اصدقائي موضوع المقابلة مع بن غوريون وبدوري قبلت الاقتراح ٠ لقد كنا في مخاض عملياتنا الاولى . وعلى وشك توسيع مجالها٠ ولقد كان «بن غوريون» على رأس المتطرفين ٠ اما «باتمور» فقد كان في «جيبه» ٠ ان هذا التعبير قد نسي تماما ولكنه كان كذلك فعلا ٠ «باتمور» هو اسم لفندق حيث حدد «بن غوريون» هدف الحرب التي يخوضها شعبنا الا وهو اقامة الدولة اليهودية على عموم ارض اسرائيل ٠ (حيث كان «بن غوريون» يعني بالطبع ارض اسرائيل الغربية) ٠ ان هذا الاسم الغريب الذي سبب في وقته اضطرابا نفسيا في المعسكر الصهيوني وبالتالي خلق جو التقسيم ٠ واستمر فندق «باتمور» بوجوده كبناء ، اما التعاليم التي خرجت منه حيث لم تكن بالطبع تعاليم جديدة تبخرت واختفت ٠

اما انها خرجت عام ١٩٤٤ فكانت تعاليم جديدة ٠ ليس بالطبع بالنسبة لمحتواها ٠ لقد اتى «بن غوريون» بعد «جابوتنسكي» الذي وضع مفهوم الدولة اليهودية والتي تتضمن ارض اسرائيل الغربية ٠ و«جابوتنسكي» جاء بعد «هرتزل» الذي له رأيه في الدولة والذي تخلى عنه الصهاينة منذ ربع قرن٠
اما الحداثة فهي في رأي الواعظ «بن غوريون» وهو الذي حاول ان يقنع «بابول» منذ سنوات قليلة ان كل ما نحتاجه لبس دولة يهودية وانما ما يسمى بوطن قومي ٠ مع انه حقا اضاف تفسيره الفاشل للتعريف ، ولكن المشكلة كانت في ان الاشخاص الذين ناقش معهم الاطروحة كانوا خبراء ماهرين في فن التفسير ٠

في الاربعينات اذن تخلى « بـن وغوريون » عـن تفسيراته الفلسفية واستعمل لغة يفهمها الجميع · دولة يهودية · لقد قيل انه كان متأثرا « ببيرل كاتسنلسون » في هذا الاتجاه ، ربما · ويبدو لي ان بن غوريون كان متأثرا جدا ، وان كان ذلكبدون وعيمنه بمقابلاته مع «جابوتنسكي» في الثلاثينات ·· كما انه بالتأكيد كان متأثرا بحملة الابادة التي قام بها النازيون ضـد اليهود في اوروبا · ويمكننا القول ان « بن غوريون » ولد من جديد · فهو لم يزج بنداء باتمور الى حلبـة الصـراع فحسب ، بل انه القى عددا مـن الخطابات الحربية المحتوى الشديدة اللهجة ضد الحكام ·

اغتبطنا بهذا التحول ولم نحمل اي ضغينة ضد مستر « بن غوريون » لان « جابوتنسكي » هو الذي علمنا دائما ان نقاوم الذكريات السوداء ·

لقد كان يقول : قد يخطىء الانسان ويقوم باعمال حمقاء ، ولكن لا تدع ذكرياتك تسكن اخطاءه او هفواته واذا دعتك مصلحة الشعب ان تمد له يدك فلا تترك ذكراك مصبوغة بالسواد · انس ما يجب ان ينسى واعطه يدك » ·

لقد ناقش اصدقائي الامر ووجدوا انه قد حان الوقت لكي نمد يدنا الى «بن غوريون» · لقد قصدنا القول لـ«بن غوريون» بعد رحيل «جابوتنسكي» ان امر من يكون على رأس الدولة القادمة لم يعد امرا اساسيا · المهم كان الهدف والنضال من اجل تحقيقه · فاذا كان « بن غوريون » سيقود نضالنا ضد الحكم البريطاني واقامة دولة عبرية مستقلة فاننا بكل سرور وحماس سوف نتبعه · وباختصار لقـد قصدنا ان نقول لـه باننا نضع انفسنا تحت امرته ، اذا كان مستعدا ان يبرهن اخلاص كلامه بالعمل ·

وعلمت مؤخرا انه في الوقت نفسه الذي كان اصدقاء «بن غوريـون» يطرحون عليه بالحاح فكرة اجراء مقابلة بيننا · لقد كانوا يأملون منه ان يقنعنا بوضع انفسنا تحت امرته ، حتى ولو لم يكن مستعدا لمصاحبة اقواله بالافعـــال ·

ان اللقاء على كل حال لم يتم · تردد « بن غوريون » وعبر عن شكوكه فيما اذا كان سيجد لغة سياسية مشتركة بينه وبيني · لقد كـان قصده ان نوقف هجماتنا على النظام البريطاني · لقد علمنا اخيرا انه مع اهتمامـه باللقاء فانه سيرسل ممثله الشخصي واكد لنا بان الشخص المرسـل يتمتع بالسلطة كاملة ·

تقابلنا · وافتتح ممثل « بن غوريون » الحديث بطريقة دراماتيكية · فقال :

«في ايديكم الحرة تقربر مصير الشعب· ولكننا نعتبر انفسنا مسؤولين عن هذا المصير ، وانه من المرغوب فيه بالاضافة الى القوة الموضوعة تحت امرة المؤسسات الوطنية ان تكون هناك قوة اخرى في اسرائيل · وامل ان لا يكون بعيدا ذاك اليوم الذي تكون فيه قوة موحدة في اسرائيل · وحتى ذلك الوقت فمن المرغوب فيه ان نعمل ترتيباتنا على ان لا تكون هناك ايـــة اعمـــال مؤذية » ·

فاجبت :

« لست ادري اذا ما كانت المنظمة المحاربة التي اعمل بها كعضو فعال قادرة على تقرير مصير الشعب · كل الذي فعلناه اننا ابتدأنا القتـــال ولا ندري اذا ما كنا سننجح او نفشل· وربما ، وهذا ما آمله، فاننا نقوم وسوف نقوم باعمال لها تاثيرها التاريخي · على اية حال فقــد قررنا القتال لاننا واثقون باننا اذا لم نحارب فاننا لن نحقق شيئاً · لسنا وحدنا الذين سنجني ثمار هذا النضال بل سيشاركنا اخرون · ولكن هذا لا يهمنا · اما ما يخص بالمسؤولية فاننا نجد انفسنا مسؤولين عن مصير هذا الشعب · وبعد هـــذا فمن زمن ليس ببعيد كنتم كلكم ضد اقامة دولة يهودية · اما الان فقد غيرتم رايكم وهذا برهان على اننا على صواب · ولا زلنا مقتنعين حتى اليوم باننا على صواب · اننا نعي مهمتنا سواء اكان ذلك يؤدي الى الافضل ام الى الاسوأ · فهذا هو كل شيء على حقيقته » ·

بدا على ملامح ممثل « بن غوريون » نوع من الاثارة وقال :

« انت على خطأ · ان المسؤولية هي مسؤوليتنا وحدنا فقط · ولكن ليس هذا هو الامر الذي جئت من اجله · لقد جئت لابرهن لك انه من غير المعقول ان تستمروا في العمليات بمبادرات ذاتية · كما انه يجب الاخذ بالاعتبار انه ليس لديكم المعلومات الكافية عن موقفنا السياسي · اذا كان الامر كذلك كيف يسعكم معرفة ما اذا كانت العمليات ضرورية ومتى وكيف تنفــذ ؟ وربما تقومون بخطوة غير مدروسة وتفسدون كل ما حققناه» ·

فأجبت :

لدينا المعلومات الكافية · ثانيا انا لا اؤمن بالاسرار العميقة· في عهد المذياع نستطيع ان نعلم ما فيه الكفاية » ·

لم يوافق على هذا الكلام واضاف :

« سازودك ببعض المعلومات حتى ترى بأم عينك انه من السابق لاوانه تنفيذ العمليات ضد الحكم البريطاني · لنا اتصالات مع « تشرشل » ، وكونه احد اصدقاء الصهيونية اخبرنا بان الرجل العجوز لديه خطة جديدة لارض اسرائيل · التفاصيل ما زالت غير معلومة ، ولكن من الواضح ان اليهود سوف يحصلون على شيء جوهري · وان الخطة تتعلق بما وراء الاردن » ·

واضاف : «لقد قال «تشرشل» لقد قسمت فلسطين مرة وسوف اوحدها واعيد قسمتها مرة اخرى » ·

فتساءلت : هل صحيح ان « تشرشل » قال بانه مستعد بان يقاتل من اجل الصهيونية كما يفهمها ؟

« لا ، هذا تحريف · لقد قال « تشرشل » شيئا مشابها ولكن ليس هذا تماما · لقد قال بانه ضد اية معارضة في حزبه · ويعتمد في ذلك على هيبته ومكانته ، وانه مقتنع بان وجهة نظره هي التي ستسود ، ولكنه لا يستطيع البت في الامر طالما هناك حرب تدور · انه يريد حلا جذريا وهذا مستحيل قبل ان تنتهي الحرب · لهذا السبب كان دائما يقول بانه يفضل قتالا اكبر ·

هل كان « وايزمان » على اتصال مع « تشرشل » ·

بالطبع · انه يملك حرية الدخول عليه بدون اذن · وكان لهم حديث منذ عهد قريب · ولكن « تشرشل » اطلع اصدقاءنا البريطانيين بعد ذلك على انه لا يستطيع ان يقابل « وايزمان » وانه بعد محادثاتهما الاخيرة لم يستطع النوم طوال الليل ··» ·

« ماذا اطلع « تشرشل » « وايزمان » في لقائهما الاخير ؟ » ·
« لم يطلعه على شيء جديد ، واكد له اخلاصه لفكرة الصهيونية ·

ولكنه قبل ان تنتهي الحرب لا يستطيع ان يفعل شيئا · وخلال محادثاته تفوه بهذه الكلمات : تأكد انـه مـع نهاية الحرب سيكون لكم اكبر نصيب مـن الطبخة » ·

« ماذا يعني ذلك ؟ »

« ذلك يعني مشروع تقسيم مفيد » ·

«وهل هناك مثل هذا الشيء ؟» ·

« بالطبع ، مثلا تقسيم بدون المثلث هو تقسيم جيد · ونحن نرتضيه » ·

« وماذا لو انهم اقترحوا مشروع تقسيم سيء » ؟ ·

« لـن نقبلـه · وهنـاك في الحقيقة مشروع تقسيم تعده « مدرسة » البريطانيين في القاهرة · انه مرتبط بمشروع سوريا الكبرى انه يوفر من بين الاشياء التي يوفرها ذلك القسم من الجليل ، وحتى ان بعضا من مستوطناتنا تدخل ضمن الدولة العربية · بالطبع نحن لا نوافق على ذلك » ·

« واذا ما حاولوا فرض المشروع علينا فاننا سنثور · ان « بن غوريون» مستعد للثورة وهذا ما يستدعي عدم القيام بأي عمل استفزازي في الوقت الحاضر · فمن جهة لدينا الفرصة لان نحصل من بريطانيا على حل جيـد لا يكون قتاليا ولكن على حال من الاحوال سوف نؤمن الاستقلال ، ومدى اوسع من الهجرة والاستيطان · ومـن جهة اخرى يجب ان نكون جاهزين لافشال اي خطة لا تكون في صالحنا · ونشاطاتكم قد تفشل التقدم الملموس· وفي الوقت ذاته تتداخل مع تجهيزاتنا من اجل الثورة » ·

فقلت : « اني لا اتفق معك · فنحن كمـا تعلمون نرفض اي تقسيم · بالنسبة لنا ليس هناك اي تقسيم صالح او تقسيم رديء · قد تسمي ذلـك ديماغوجية (١) · ولكن هذا هو اتجاهنا · ان الوطن وحدة كاملة لا تتجزأ·

---

١ ـ تؤكيد او القطع به وبخاصة بغطرسة من غير مبرر او وجهة نظر مبنيـة على مقدمات غير ممحصة تمحيصا وافيا · (المترجم) ·

وعلى اي حال فانه من الواضح لدينا انه اذا لم نحارب فلن نحصل على شيء · اني اتتبع الصحف البريطانية التي تصلنا هنا · لقد قرات « الايكونومست » مثلا وعلمت ان البيان الحكومي والورقة البيضاء ، هي السياسة الثابتة للحكومة البريطانية · عموما لا يوجد هناك اي احتمال في الوثوق بوعدهم ، ان « تشرشل » قد يلمح الى ما يريد فعله بعد انتهاء الحرب · افترض انه لم يبق في السلطة ماذا يحصل عندئذ ؟ انت تعلم تماما كما اعلم ما يحدث في اوروبا · هل من الجائز لنا ان ننتظر ؟ وكتحليل نهائي كيف يجلب نضالنا الضرر على مسألة القومية اليهودية · اننا نرفع مشكلة ارض اسرائيل الى دائرة الاهتمام العام · اما بالنسبة اليكم فانكم اذا كنتم تجدون انه من الانسب لكم ان تنفصلوا عنا فلكم مطلق الحرية لتفعلوا ذلك ·

« نعم ، ولكن يبقى هناك موضوع النظام وهذا امر مهم جدا · نحن لا نستطيع ان نسمح لكم بان تأخذوا مالا من اي انسان يتبرع الى صندوق ـ مؤسسة الاوقاف في فلسطين ـ الذي كان يستمد مصدره من التبرعات الادارية التي كان يقوم بها اليهود في جميع انحاء العالم · او تفرضون عليه نظامكم · ان للشعب جيش واحد وسياسة واحدة » ·

«لكن شعبنا يقع تحت حكم الاجنبي وهناك سياسة واحدة لشعب مضطهد : النضال من اجل الحرية » ·

واخيرا طلبممثل «بن غوريون» منا انخضع خططنا للوكالة اليهودية او على « الهاغاناه » · وقد اخبرته اني اريد ان اقول « لبن غوريون » :

« اذا كنت تريد ان تقاتل فلن نقاتل معك وحسب ، بل سنتبعك · وعندما سيحين ذلك الوقت فانه لن يكون بوسعنا اخضاع خطط عملياتنا لاحد · ان كفاحنا يتطلب سرية مطلقة في التخطيط والتنفيذ · كيف نسلم خططنا لاشخاص ينكرون علينا وجودنا » ·

واخيرا قال الرجل وعلى وجهه ابتسامة غريبة :

« لقد اقنعتني بشيء واحد وهذا الشيء هو وجود قوة عسكرية واحدة في ارض اسرائيل » ·

ووعد بان يقدم تقريرا مفصلا الى «بن غوريون» عن محادثاتنا ومن ثم رحل ·

لم يكن يخاف الدوريات البريطانية في الليل · لقد كان مواطنا خارجا على القانون ، ولكنه محترم · لقد بقيت مع «ايلياهو لانكن» الذي اصطحبني الى مكان الاجتماع · فاخبرته بما دار بيننا من حديث · فناقشنا المستقبل وغلبنا النعاس فنمنا · وعند الفجر خرجنا الى اعمالنا · ولقد اعطي رفاقنا تقريرا مفصلا عن محادثاتنا المخفقة · ومما لا شك فيه ان «بن غوريون» ايضا تسلم تقريرا مماثلا · ان الشخص الذي مثل «بن غوريون» وعبر عن ايمانه «بونستون تشرشل» وتكلم عن «بن غوريون» بحماس الانسان النظامي كان «موشيه سنيه» ·

-٣-

بعد التوسل جاء دور التهديدات · ابتدأت التهديدات في خريف عام ١٩٤٤ · وعاد كولولب رئيس «الهاغاناه» من لندن · ونصب نفسه على رأس الحملة العنيفة ضد منظمة «الارغون» · وقد دعا الى مؤتمر صحفي عبر فيه عن ايمانه بتحول عواطف بريطانيا نحو الشعب اليهودي ، وزعم ان كثيرا من الابواب البريطانية الموصدة.في وجه حكومات المنفى قد فتحت على مصراعيها لرئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، وادعى ان اعمال الارهاب هي التي شكلت خطرا على احتمالات النجاح وطالب بان لا يسمح لهذه الالعاب الصبيانية بالاستمرار ·

بعد عدة اسابيع طلب منا ان نجتمع بـ«كولولب» او ما يسمى بوزير الامن · لم يكن من السهل الموافقة على ذلك الاجتماع · كلنا كان يشك فيما اذا كانت الظروف السائدة تجعل اللقاء مع اناس اعلنوا الحرب ضدنا امرا مرغوبا فيه ·.لقد تبدلت الموازين بوساطة محادثات «ايلياهو لانكن» · ولقد قال بان الاتصال المباشر هو امر مرغوب فيه · وسأل لماذا يطلق «كولولب» العنان لمخيلته في التهجم علينا · فاننا سوف لا ننجح في اقناعه باننا جميعا لنا هدف واحد الا وهو النضال من اجل حرية بلدنا · ومع ذلك فاننا قد نضعف من اعتقاده بان الهدف الذي كنا نقاتل من اجله هو الهدف الذي نسبه

الينا ٠واستنتج «ايلياهو» انه اذا ما نجحنا في ذلك، فان رفضنا الاجتماع قد يفوق اهمية فوائده ٠

ان هذه المناقشات المنطقية لم تنجح في ازالة جميع شكوكنا ومع هذا فقد قررنا الموافقة على الاجتماع والقول : «لا» لاي طلب يقدم من اجل ايقاف النضال ٠

كان «كولولب» مصحوبا بـ«موشيه سنيه» ، و«الارغون» كانت ممثلة بي وبـ «ايلياهو لانكن» ٠ والاجتماع الذي تم في اكبر شوارع تل ابيب حركة الا وهو شارع اللنبي كان رسميا ٠ لقد اعلمنا «كولولب» و«سنيه» بانهم يتكلمون باسم الكنيست الاسرائيلي ، وباسمه يطلبون الايقاف الفوري لنشاطاتنا ضد البريطانيين ٠ لم يأتوا بشيء جديد ٠ ولقد قال «كولولب» : بان عملياتنا العسكرية تجلب الضرر على الوكالة اليهودية وهي بالتالي مسعى صبياني من اجل اكتساب البطولة ٠ لقد تكلم كثيرا عن استغلال وجود اعضاء من «الهاغاناه» في المخابرات البريطانية ضد الالمان والذين وزعوا على عدد من البلدان الاوروبية ٠ وقال بان هذا العمل كان عملا شجاعا ويمكن لاعضائكم الحصول على هذا الامتياز والمشاركة في هذه العمليات الجريئة ولا تحولكم الى ارهابيين ٠

لقد كان حديث «كولولب» مزيجا من الاطراء والتهديدات السوداء لتخويفنا وكان هدفه كسب عطفنا وتأييدنا ٠ وقال :

«اني لا انكر انكم تمتلكون روح التضحية بالنفس ، ولكن يجب ان توجه هذه الروح الى نفق آخر ٠ كما واني اعترف انه كان لاعمالكم قدر من الاهمية السياسية لانكم برهنتم على انه متى ابتدأ اليهود القتال في ارض اسرائيل ، فانهم مستعدون للسير الى النهاية وحتى الموت ٠ ولكن اذا كان هذا هو هدفكم فما فعلتموه كفاية ٠ ولقد برهنتم ما اردتم ان تبرهنوه وعليكم ايقاف نشاطاتكم» ٠

واضاف بلهجة تاكيدية : «ليس فقط ايقافه وانما الاعلان للرأي العام انكم قررتم ان تفعلوا ذلك» ٠

لقد حاربت وحارب «لانكن» كما قررنا ان نحارب • ونحن ايضـا لـم نضف شيئا جديدا • واكدنا انه ليس لدينا اي رغبة مهما كانت الظروف في المغامرات والبطولات • ولكننا نتمتع بوعي كامل لمهمتنا • وقناعتنا بان اذا ما تخلينا عن اسلحتنا فان ليلا لا ينقضي من العبودية سوف يخيم على شعبنا • ولكن اذا ما نحن قاتلنا فسوف نكون قادرين بمساعدة جميع العوامل التـي يسيرها نضالنا لتحويل وضع البلد والشعب • وبالتالي فاننا لا نوافق على طلب ايقاف نضالنا واننا لا نرى موجبا لان يقاتل اليهودي يهوديا آخر لانه يقاتل الحكومة البريطانية •

شارع اللنبي الذيكان يضج بالناس خلال تلك الامسية نامفي سبات عميق ولكننا بقينا نحن الاربعة نناقش لعدة ساعات مظهرين البراهين ومستعيدين ما مضى من التاريخ • وكما قلت فان كلا من الجانبين لم يات بشيء جديد • واحد الاشياء التي قالها «كولولمب» في ذلك المساء لا يمكن نسيانه فقد انطبع في ذاكرتي • لقد عبر عن ايمان عميق ليس فقط في اقتـراب نصـر حـزب العمال في بريطانيا ، وانما ايضا في التحول الحاسم في موقف البريطانيين من الصهيونية الذي ياتي به انتصار حزب العمال في الانتخابات العامـة • فحاولنا زعزعة ايمانه الساذج ولكن عبثا •

والاكثر غرابة وهو ما يصعق كانت وجهة نظر رئيس «الهاغاناه» عن تأثير نضالنا على شعبنا • لقد ناقش القول باننا نعلم اليهود بان يكونـــوا جبناء بدل ان ننبت فيهم روح الشجاعة •

انفضت المحادثات المطولة بعد منتصف الليل ولم يكن الافتراق سرا مع اننا قلنا «سلام» وحتى اننا وضعنا ايدينـا في ايدي البعض فـان شبـح الحرب الاهلية بقي يحوم في الجو • وقبل ان نفترق اكد لنا مرة ثانية انه لا يوجد مبرر للتوسط بيننا وبين حكومة الانتداب البريطـاني • وعبرنـا عـن أمالنا في ان يأتي اليوم الذي نقاتل فيه النظـام الاجنبي سويـا • فقـال «كولولمب» : «سوف نتدخل في النزاع ونصفيكم» • هذه الكلمـات التي لـم ندرك مغزاها الا مؤخرا كانت الكلمات الاخيرةالتي سمعتها منهلان «كولولمب» الذي كان يعاني من مرض في القلب توفي بعد ذلك بفترة قصيرة •

هـل لنا الحق

ان التهديدات التي اطلقها اخـوة لنا كانت لا تـزال تتردد في آذاننا ، عندما وجهت القوة البريطانية لنا ضربة قاسية · في الصباح الباكر من يوم الحادي والعشرين من شهر تشرين اول من عـام ١٩٤٤ حوصـر معسكـر الاعتقال في «اللطرون» بوساطة قوات ضخمة تابعة لجيش الاحتلال وانتـزع حوالي ٢٥١ محتجزا عراة من فراشهم وغلّوا بالاصفاد وارسلوا بطائـرة شحن خاصة الى ارتيريا في شرق افريقيا · من بين كل الطرق التي اتبعوها كانت هذه اقسى الضربات التي وجهها المغتصب من اجل كسر العمود الفقري للثورة ولاطفاء النار التي اذكتها · الترحيل بالجملة من الوطن ليس بالامـر الهين · والتفسيرات التي اعطتها السلطات البريطانية لهذا الترحيل اطراء لنا · لقد صرحوا بان لدى «الارغون» خطـة بصدد تحريـر السجنـاء مـن معسكرات الاعتقال بالقوة · ولقد ادركنا بعد ذلك انهم لم يقصدوا اي اطراء او مديح · لقد وضعوا نصب اعينهم تحطيم معنوياتنا · لقد كانت هناك فعلا خطط لتحرير رفاقنا السجناء ، ولكن عندما حانت الظروف المناسبة نفذنا تلك الخطط · ولكنه كان نموذجا من الاعذار الرسمية التي اتخـذت من اجـل اخفاء الهدف الحقيقي · لقد كان لهذا الهدف عدة وجوه · ان المغتصبيـن ارادوا ايقاع الاذى بأفراد عائلاتهم الذين يعدون ببعض الالاف · لقد أرادوا كسر عزيمة السجناء حيث كان بينهم بعض من افضل ضباطنا · لقد أرادوا ادخال الخوف الى قلوب اليهود الشبان وارهابهم لكي يتركوا صفوفنا · لقد ارادوا ان يمتحنوا ردات فعلنا للترحيل من اجل معرفة المدى الذي تسيـره الحكومة ليس مع الارهابيين فقط وانما مع اليهود بشكل عام ·

لا يمكننا ان ننكر ان معنوياتنا لم تكن عالية · ومرة اخرى اخضعنا الى النزاع العقلي القاسي الذي بدأ مع اول كارثة مصيريـة · اعتقـد ان السؤال الذي يضايق كل ثوري هو : هل لنا الحق بأن نسبب ، ولو بطريقة غير مباشرة ، هذه المعاناة وتلك الاحزان لكثير من رفاقنا ؟ ·

اني اذكر الوقت الذي سجنت فيه واني ادرك ان السجـن نفسـه هـو عقوبة قاسية لانسان مثقف ، ولكن اذا اضفنا العبء المعلق برقبة كل منفي ، واذا اضفنا تعاسة المشتاق للعودة الى الوطن لكونا فكرة عن عمق الكـرب والالم الذي يجب تحمله ·

لقد كان هذا العبء المضاعف لـ ٢٥١ مرحل قبض عليهم البريطانيون · لا عجب اذا كانت اولى ردات فعلنا عمل اي شيء لارغام المضطهـد علـى ارجاع رفاقنا المنفييـن ·

لم نكن بالطبع نؤمن بالشفاعة والتشفع ولا نلتمس الرحمة · لو كنا اعطينا الشفاعة من السلطات لكان علينا ان نعلن باننا سنتخلى عن النضال ولكننا لم نحقق عودة المنفيين وحسب وانما اطلقنا سراحهم وانجزنا اشياء اخرى عديدة · لكن تصميمنا على الاستمرار في النضال تصميما لا يتزعزع بحيث بات من الضروري ان نتقبل المحنة والبلية باعصاب من فولاذ · لقـد تابعنا في رسم خطط العمليات العسكرية ليس بالحد الذي يثأر للمنفيين ولكن بالحد الذي يبرهن للسلطات ان حساباتهم خاطئة ·

ليلة بعد اخرى كان رفاقنا واعضاء منظمة «شتيرن» يقومون بالصاق الاعلانات التي تستنكر ترحيل رفاقنا · وكان هناك انذار مشترك موجه من «الارغون» ومن منظمة «شتيرن» يطالب بعودة المنفيين · ولقد اقترحنـا ان يكون المتكلم الرسمي باسمنا هو رفيقنا «البرابيل» ، ولكن اشياء غطت على خططنا · ففي الاول من شهر تشرين ثاني من عام ١٩٤٤ وبينما كنت انتظر مع «ميرادور» قدوم «ناثان» و«ايتشاك يسرينتزكي» عضوي قيادة منظمـة

«شتيرن» للاجتماع بنا وتنفيذ العمليات المشتركة • ادار «يعقوب» مفتـــاح الراديو صدفة فاذا بنا نسمع اخبار القاهرة وهي تعلن عن اغتيال اللـــورد «مين» • لقد كانت هذه الحادثة الاشارة لبدء الحملة العنيفة التي قامت بهـا «الهاغاناه» و«الوكالة اليهودية» ضدنا من اجل تدميرنا • ولم يترك القـادة التقليديون مناسبة الا وشنوا هجوما واسعا على منظمة «الارغون» • وابتدأ فصل العمل العلني •

- ٢ -

لقد سبق بروز العمل العلني نقاش سري وابحاث عامة بيـن مختلـف مدارس الفكر ، لقد عارض الحاخام «فيشمان» (حزب مزراحي الدينـي) والسيد «بيشاك جرانبوم» (عن الصهيونيين عامة) اية حملة توجه ضدنا من حيث المبدأ • ان اعضاء مجموعة «ب» التي انشقت عن حزب «الماباي» (حزب العمل المستقل) فضلوا اعمالا مستقلة بما فيها الخطف والعمليات المشتركة ، ولكنهم عارضوا اي تعاون او اتصال مباشر من اي نوع كان مع البوليس البريطاني والمخابرات البريطانية • اما «بن غوريون» رئيس حزب «الماباي» فقد ادلى برأيه في مؤتمر للهستدروت عبر فيه عن هدف الحملـة الموجهـة ضدنا • لقد قال «بن غوريون» : «ان الخطأ فقط في الدياسبورا (١) كـــان التعاون مع البوليس الاجنبي • اما هنا في ارض اسرائيل فلا يوجـد سبب لعدم قبول مساعدة البوليس في مسالة مشتركة والتعاضد ضد عدو مشترك»•

لقد اعد «بن غوريون» خطة من اربع نقاط من اجل تصفية الارهاب • وبحماس قال :

«لقد وضعت اربع اجراءات وارغب ان اوجزها بلغة بسيطة :

....

١ ـ Dispora او سيرة اليهود المشتتين في ارجاء العـالم بعد الاسـر البابلي • (المترجم)

اولا : الطرد من العمل :

«من يرتبط مع هذه العصابات ، ومن يساندها ليس فقط مـن يحمـل مسدسا او يقذف قنبلة ، بل اي شخص ينشر المنشورات ، او يلصق البيانات سوف يطرد من عمله سواء اكان موظفا في مكتب ام عاملا في مصنع ، او مزارع في بستان ويجب ان يطرد من اتحاد العمال • الشيء نفسه ينطبـق على التلامذة الابتدائيين او في المدارس الاخـرى • واذا ضبط وهـو يوزع المنشورات فانه لن تؤخذ منه المنشورات فقط وتحرق ، بل انه سيطرد مـن المدرسة» •

ثانيا : لا ماوى ولا ملجا :

«•• ان الخطوة الثانية هو حرمانهم من الماوى والملجا • اني ادرك اننا نقف في وجه انبل الغرائز الانسانية وخاصة الغريزة اليهودية واجدرها بالثناء والتمجيد ، ولكن اذا اردنـا ان لا نكـون قسـاة على الشعب الذي يناضل من شرك الدمار فاننا لا نستطيـع ان نخص انفسنـا بعطف زائف • يحظر على هؤلاء المجرمين الذين يهددون مستقبلنا الملجا والماوى» •

ثالثا : عدم الرضوخ للتهديدات :

«••• ثالثا عدم الرضوخ لتهديداتهم ••• ولقد بلغت التهديدات مرحلة وصل فيها الناس البعيدون عن العصابات والمعارضون بشـدة لاعمالهـا الشريرة مرحلة التوسل بعدم اتخاذ اي اجراء ضدهم خوفا من توريط انفسنا بحرب اهلية»

رابعا : التعاون مع البريطانيين :

«••• وبالتالي ولما كانت السلطات البريطانية منوطة في وضع حـد للارهاب فاننا نتعاون معها • انه من الغباوة ، كما انه عمل انتحاري اذا نحن احجمنا عن قبول مساعدتها ومد يد العون لها في مجالات لنا معها مصالـح مشتركة وذلك بسبب مظالمنا في نشاطات اخرى ضـد النظـام الموجـود في البلد ••• بدون مساعدتنا للسلطات وبدون مساعدة السلطات لنا فاننا لـن ننجح في وضع حد لهذا البلاء» •

«ان هذه المطالب الاربعة هي الحد العملي الادنى الذي يجب ان ينفذ ومن اجلها سوف يعبأ كل رجل وكل امراة ، كل تلميذ وكل عامل ، كل مدني وكل قروي ۰۰۰ »

لقد انتصرت وجهة النظر التي قدمها «بن غوريون» ومنافسوه الاشتراكيون من حزب «ماشومرماتزين» ۰ لقد تقاعد «روبي فيشمان» و « كرانغهام » لمدة من الوقت وبقوا معزولين ۰ اما مجموعة « ب » وحزب اليساري فقد اعلنا تحفظهما المبدئي فيما يخص النقطة الرابعة من برنامج «بن غوريون» ولكنهم قبلوا تنفيذها ۰ وفرض «الفصل» نفسه علينا بقوة ۰ فقد حشد الآلاف من اعضاء «الهاغاناه» وركزوا في المدن الكبرى ۰ وعين ضباط ارتباط مع البوليس البريطاني وغطت حملات اقتفاء اثر المنظمة كل شارع وكل زقاق ۰

لقد نفذت اولى عمليات طرد الطلاب من مدارسهم ، والمشبوهين من وظائفهم ، من اجل ارهاب الآباء والابناء وتجويعهم ، وبعدها جاءت عمليات خطف الاشخاص وتسليمهم الى البريطانيين ۰ لقد توالت الاخبار كل يوم ۰ الاعضاء الشبان خطفوا ۰ المحاربون القدامى احتجزوا ۰ لقد كانت معاملة الذين اختطفتهم «الهاغاناه» سيئة للغاية ۰ ومع انه كان فصل شتاء فقد حجزوا في زنزانات صغيرة ومظلمة ، لم يقدم لهم من الطعام الا القليل ، كما كانت عمليات التعذيب تجري على اسراهم من اليهود ۰

ومع انتهاء عمليات الخطف بوساطة «الهاغاناه» بدأ تنفيذ البند الرابع من اتهام الناس وتسليمهم للبريطانيين ۰ لقد كان البوليس مسرورا بهذه الاعمال ۰ قائمة رجال من منظمة «الارغون» ، ثم بقي البوليس في اثرهم يأتون اليه بدون انقطاع ۰ وقد صرح «ريتشارد كرسمان» في مجلس العموم البريطاني «انه بالنسبة للمعلومات التي بحوزته فان الوكالة اليهودية و«الهاغاناه» سلمت لائحة باكثر من ۱۵۰۰ اسم من اعضاء منظمة «الارغون» الى السلطات البريطانية» ۰ اني اظن ان العدد مبالغ فيه ولكنه ليس كبيرا ، على اي حال مبالغ به ولكن على خلاف الحقيقة فانه خلال تلك الفترة اعطيت اسماء مئات من الضباط والرجال من اعضاء منظمة «الارغون» للسلطات البريطانية عن طريق المؤسسات اليهودية الرسمية وضباط الارتباط ۰

- ٣ -

كيف نتصرف حيال ذلك الموقف ؟ الحقيقة اننا كنا نجهل استعمـــال التعذيب بغية انتزاع الاعتراف من سجين · ولكنه حتى استعمالنا حقنا كان كافيا لاثارة الحنق والغيظ علينا · لقد كنا ندرك ان رفاقنا في العمل السري يعانون الآلام والكرب بسبب اعمال الخطف · الى متى سنتحمل هذه الاعمال الوحشيــة ؟

ان الحياة السرية تفرض العزلة ، والعزلة تجعل التفكير العميق ممكنا· في مثل هذه الحالات يستطيع المرء ان يرى الامور ليس بمظهرها المؤقت وانما من زواياها الثلاث · كنا نحتاج لمثل هذا المنظار في تلك الايام للمحاكمـات الخطيرة · من يدري اي مذبحة اخوية كانت قد حصلت بين يهود اسرائيل ، وحكومة الانتداب راضية كل الرضا ؟ ولكانوا على كل حال قد سخروا منا · كان يمكن ان يقع اختيارنا على واحدة من عدة بدلائـل ابسطهـا ان نرضى بانذار الوكالة اليهودية ونستسلم · هناك نوعان من الاستسلام ، كما كـان هناك نوعان من الحرب · فهناك حرب جائرة ومحزنة تجلب العـار للذيـن خاضوها وهناك حرب عادلة للتحرير تكسب الشرف للذين قاموا بها · كلا الحربين مصحوبتان باراقة الدماء والمعاناة ولكن الفرق في الهدف الذي يميز الاولى كشيء ممتهن ومنتهك للحرمات والثانية كشيء مقدس · الشيء نفسه ينطبق على قرار الاستسلام · ان الاستسلام السياسي الذي اعقب التـاسع والعشرين من حزيران عام ١٩٤٤ جلب العار للذين كفوا عن المقاومة · ولكن في استسلام آخر المدافع في مدينة القدس القديمة لم يكن هناك اي عـار · لقد كان هناك حقيقة مرة في القول اللاتيني : «ويل للمهـزوم» · وفي بعض الحالات هناك حقيقة متساوية ولكنها تهكمية : «ويل للمنتصر» ·

رفضنا الاستسلام لدكتاتورية المؤسسات ليس بسبب اي اعتبـــارات لهيبة زائفة او شعور باحترام النفس · لو كنا استسلمنا لما كنا شعرنا بـاي عار لاننا فعلنا ما استطعنا من اجل شعبنا · لقد رفعنا راية الثورة ، وضربنا المضطهد وقدمنا التضحيات · لم نضن بانفسنا ولا بحريتنا الشخصيــة ولا

بحياتنا · واذا ما كانت هناك قوة داخلية اكبر عدة مرات ، واقوى تهـــدد بتدميرنا فاين يكمن العار في الاستسلام ؟ ·

ولكننا نظرنا الى الموقف ككل بطريقة مختلفة كليا · واستقصينا رأي الشعب اليهودي · ان حملة ابادة اليهود في اوروبا لا تزال مستمرة ، وابواب ارض اسرائيل موصدة في وجه اي شخص يبحث عن ملجأ · اين هـــو اذن التحول السياسي الذي يبرر توقفنا عن النضال ؟ فاذا كنا سنخضع للتهديد والتهويل فان الثورة كعامل سياسي تكون قـــد انتهت وساعتئـــذ يحـــق لنـــا استعمال تعبير «ولكن» : «لا يوجد هناك شيء لنقلق عليه» · واذا ما اخضعت «الوكالة اليهودية» للبريطانيين و«الارغون» «للوكالة» ، قد يستمر وللابد حكم المندوب السامي ·

ان تعقيـــدات مـــوضـــوع الخلاف الداخلي هامة ويجب حسمها · لقد اخبرت «كولولب» باننا مستعدون في اية لحظة للقبول بمبادىء «بن غوريون» اذا ما اخذ زمام النضال من اجل التحرير الوطني · واضفت كلمات اشعر بقوتها في قلبي فقلت : «لو ان «جابوتنسكي» لا يزال على قيد الحياة لكننـــا طلبنا تسلمه القيادة ولكنه ليس على قيد الحياة · ولم يعد مهما لنا من يقود الشعب اننا لن ننفذ الاوامر التي اصدرها «بن غوريون» بتأثير من البيـــــان الحكومي (الكتاب الابيض) · ولكنا اطعنا التعليمات بكل غبطة لو ان «بـــن غوريون دعا فيها الى الثورة ضد حكم المستبد» · لقد كان هذا التصـــريح موضوع سخرية للوكالة اليهودية · فلقد همس موظف رسمي لموظف آخـــر بان هؤلاء التافهين الخارجين عن الرأي يريدون من «بن غوريون» ان يذهب الى «ديجايناه» ويعلن الحرب · ولم تمر سنة الا وكان «بن غوريون» يعلـــن الحرب وقبلنا تعليماته · على كل حال فهو لم يذهب الى «ديجايناه» ولكـــن الى باريس ·

كيف لنا ان نبرر توقف نضالنا ؟ هل وعدنا بان اخوتنا سوف ينقذون من بلدان حملات الابادة ؟ لم يكن هناك مثل هذا التبرير طبعا · والحقيقـــة ان الوضع السياسي كان يتطلب تكثيف النضال وليس التوقف والاستسلام وجلب عار مضاعف من جراء التغاضي عن حملة الابادة في اوروبا وعن العبودية في الوطن · لو تصرفنا على هذا النحو فان روح الثورة قـــد تبخـــرت فـــي الهواء · لا لن نرضى بالانذار الموجه الينا من قبل الوكالة ·

ان السبب الاخر في معارضتنا للانذار كان مرتبطا برفاقنا في الثورة ومجموعة «شتيرن» ٠

لقد كنا على خلاف معهم لانهم لم يقدموا لنا المساعدة في المهمة التي قام بها كل من «بن تزوري» و«هاكين» اللذان اظهرا شجاعة فائقة امام المحكمة في القاهرة وذهبا الى المشنقة دون خوف او وجل ٠ ان مقتل اللورد «مين» احد الادوات الرئيسية للسياسة البريطانية في الشرق الاوسط لم يكن سببا لحملة الاضطهاد الداخلية بل انه كان بمثابة اشارة البدء ٠ لقد اصيبت القيادة الرسمية بالهلع والذعر ٠ وكانت الحملات السرية ، منظمة وغير منظمة ، لتخويف الناس بخطط تهدف لمذبحة جماعية ليهود فلسطين انتقاما لموت الوزير ٠ وانتشر جو من الخوف والرعب في البلد الذي كان لا يزال يعاني العزلة عن العالم بسبب ظروف الحرب ٠ في ذلك الجو كان من السهل لعن اولئك الذين يحاولون جلب النكبة للوطن ٠

كرفاق في الثورة وشركاء في الخطر باستطاعتهم بوساطة رؤساء منظمة «شتيرن» اطلاعنا على ما كان يحدث مسبقا ٠ ولكنهم تركونا نؤخذ على حين غرة ٠ لقد اصابنا ذلك في الصميم ومع هذا فقد قررنا باننا لن نترك منظمة «شتيرن» وقت الخطر ٠ لقد كان هذا احد السببين المهمين لرفضنا الاستسلام ٠ واصبح واضحا ان اهتمامنا بمنظمة «شتيرن» لا مبرر له ٠ لقد كان مدهشا ان يرى رجالنا اعضاء منظمة «شتيرن» يختالون في شارع تل ابيب بلا مبالاة ٠ ولكن حل اللغز اخيرا حينما شكل اتحاد حركة المقاومة ٠ ولقد اخبرت في تشرين ثانيعام ١٩٤٤، ان منظمة «شتيرن» وعدت «كولولب» بتعليق عملياتها العسكرية ضد البريطانيين ٠ وبالتالي فان «الهاغاناه» لن تتعرض لمنظمة «شتيرن» باي اذى خلال تلك الفترة ٠ ان معظم القوة في تلك الفترة وجهت ضد منظمة «الارغون» وحدها ٠

لقد بقي هناك مسلك اخر مفتوح لنا وهوقبول الانذار معالتحفظ، وبلغة اسهل مع قصد الاخلال بوعدنا٠ لقد كانمن الممكن اننستغل مرور العاصفة، وتلك الامور هي عادية في تاريخ الثورات السرية ، ولكن المبادىء الاخلاقية المميزة هي التي قادت «الارغون» في اللقاء الحاسم للقيادة حيث كان اتجاهنا للحملة الموجهة ضدنا قد درس ولكن فكرة الاخلال بالوعد لم تخطر لاي عضو منا ٠

اما الاحتمال الثالث فكان الصدام • لا يمكننا ان ننكر انه كان هناك كثير من الضغوط لتبني هذه السياسة • لقد خاض الرفاق مناقشات حادة وعملية• اذ انللمقاتل السري قوانينه الخاصة به• احد هذه القوانين هو ان الواشي يدفعحياته ثمنا لواشيته • ونوقش الوفاق فيما اذا كان يعد اخلاقيا• نحن، المستعدون لاعطاء حياتنا لشعبنا ان نضطهد بوساطة الاقارب دون اية محاولة منا للثأر من مضطهدينا ؟ هل اصبحنا تولستيين ؟ بالاضافة الى ذلك فان المهاجمين اذا ما اكتشفوا عدم الرد والثأر فانهم سيستمرون بغطرستهم•

من الخطأ الافتراض بان شبابنا كانوا يفكرون بان شباب «الهاغاناه» كانت تنقصهم الشجاعة • بل على العكس فان «الصابرا» (١) يعرفون نوعهم أي نوع «الصابرا» من «الهاغاناه» • لم تكن مناقشاتهم العملية موجهة نحو الجنود وانما نحو القادة •

كانت هذه المناقشات الوجيهة تتكرر مع كل ضحية تقدم للبريطانيين • ومع هذا فقد عارضناها • وفي اجتماع القيادة الذي اشرت اليه لم نتخذ اسهل البدائل • لقد قررنا سلوك طريق لم يسبق ان اختارته اية منظمة سرية في ظروف مشابهة • لم نقرر تعليق نضالنا ضد الحكم البريطاني ، ولكن في الوقت نفسه رفضنا مبدأ الثأر والانتقام للمخطوفين والمتهمين والمسلتمين من رجالنا ، لا على نطاق الافراد ولا على نطاق المنظمة • ولقد احترم مبدأ عدم الانتقام والثأر حتى النهاية ، اي حتى تعليق الاضطهاد وبداية فترة النضال المشترك الذي وافقت عليه كل من منظمة «الهاغاناه» ومنظمة «شتيرن» •

يجب الاعتراف بان اولئك الذين اقترحوا هذه السياسة المعقدة لا ولن يكون باستطاعتهم اعطاء تبريرات منطقية • لقد كان الايمان دافعهم ، ايمان عميق بانه يوم ليس ببعيد ، سوف يأتي عندما تقف جميع المعسكرات الاسرائيلية وتقاتل جنبا الى جنب ضد المستبد • بذلك الايمان وبذاك الايمان

....

١ ـ كنية اليهود المولودين في فلسطين (المترجم) •

نقول اننا تحملنا المعاناة٠ لمنكن لنجرؤ علىتحطيم ايماننا بفتحهوة داميةبين اولئك الذين لا يزالون اخوة وقد يصبحون رفاق سلاح ٠ لقد رأينا شعبنا في اوروبا وهو يسير في مواكب الموت التي لا تنتهي ٠ لقد رأينا احياء اليهود وهي تحترق٠ لقد رأينا المستبد وهويخطط لابادتنا جميعا٠ ومناروقة التاريخ سمعنا صدى تلك الحرب ، الحرب الضروس الشرسة حيث فقدت القدس قبل تسعة عشر قرنا من الزمن ٠ ان العمل السري هو برج مراقبة عال ٠ ليس المنطق وانما الغريزة الزمتنا ان نقول لا ، لا للحرب الاهلية ٠ لن يكون ذلك باي ثمن ٠ ومن يدري فربما تكون الغريزة هي جوهر المنطق ٠

لقد استمر هذا الموقف المخيف عدة شهور ٠ قلنا انه لن يكون هناك حرب اهلية ، ولكن في الحقيقة كانت هناك حرب اهلية من جانب واحد في البلاد كلها ٠

حكاية الألتلينا

تجنب الحرب الاهلية الدموية باي ثمن كان الهدف الذي وضعناه نصب اعيننا في امتحان الدم والنار «الالتلينا» ٠

لم يعد سرا ان هذه السفينة الحربية استخدمت كاداة لمؤامرة دنيئة ٠ وعندما وقف بن غوريون من على منبر اول برلمان اسرائيلي يقول: «ان لي ضلعا في هذه السفينة «الالتلينا» الراسية بعيدا من هنا» ٠ فقوطع بسؤال من احد اعضاء حزب «المابای» : «ولكن من الذي شجعك على ذلك ؟» ٠

التزم بن غوريون الصمت ٠ ولقد كان لصمته هذا ابلغ التعبير عن اي كلام آخر ٠ ان الهجوم الذي وقع على « الالتلينا » كان معدا له بالسر ومقصودا ٠ لقد دمرت السفينة ٠ فصعد الدخان الكثيف منها وغلفها ٠ ولم يكن باستطاعتنا اطفاء النار ولكننا كنا نسعى الى تبديد حجب الدخان ٠

ان الحقيقة المأساوية وراء «الالتلينا» هي في تأخر وصولها ، اذ لو وصلت شواطىء ارض اسرائيل حال تصفية الحكم البريطاني اي في منتصف ايار عام ١٩٤٨ لتغيرت اوضاع الوطن تغيرا جذريا ٠ ولكنا وضعنا تحت امرة الحكومة والشعب بين ثمانية وعشرة كتائب مجهزة تجهيزا كاملا بالسلاح والمعدات بدلا من سلاحهم التقليدي المكون من استعدادهم للتضحية بالنفس٠ لقد كان علينا ان نستولي على مدينة الرملة في بادىء الامر ٠ لقد كانت هذه المدينة محاصرة من قبل منظمة «الارغون» تلبية لطلب «الهاغاناه» من اجل دفع قوات الاعداء بعيدا عن جبهة اللطرون ٠ وكانت على وشك السقوط ، عندما اعطيت الاوامر لنا بالانسحاب ٠ لقد كانت معنويات الاهالي ضعيفة

وخاصة تحت تأثير مدافع «المورتر» عيار ثلاث بوصـــات ٠ ولقـد اكتسـح شبابنا المناطق القريبة من البلدة واستولوا على اجزاء كبيرة منهـا خـــلال المراحل الاولى للهجوم ٠ ولكن النقص في السلاح والذخيرة كان مميتا ولا سبيل الى مقاومته ٠ لقد كان بحوزتهم بضع مئات من البنادق بذخيرتها ولكن على جبهة الرملة ، كان ذلك السلاح وتلك الذخيرة غير كافية ٠ لقـد كـانت هناك ثلاثمائة بندقية لا زالت في عنبر السفينة «الالتلينا» ٠ لـو استطعنـا الاستيلاء على الرملة حيث كان غزوها يعتمد فقط على هذه الاسلحة الاضافية لتمكنا من دحر العرب على الجبهة العسكرية وتغيير الوضع الاستراتيجي تغييرا جوهريا ، لما كان لها من تاثير على القدس او المدينة القديمة ٠ وبسقوط الرملة يتقرر مصير اللد ٠ فكان لزاما علينا ان نحطم العدو على الجبهـــة الرئيسة في مرحلة الغزو الاولى بدلا من عقد الهدنة الاولى ، ولكانت القوات اليهودية حرة في تحركها في المرحلة التالية والمجال امامهـا مفتـوح على «المثلث» ولكنا اليوم نستحوذ على الضفة الغربية لنهر الاردن على الاقـــل ولكن القدر له راي آخر ٠ فان السفينة «الإلتلينا» وعلى ظهرها (٩٠٠) جندي و(٥٠٠) بندقية و(٤) ملايين رصاصة و(٣٠٠) رشاش البرن و(١٥٠) جسر جاهزة للاقلاع ليس في منتصف شهر ايار ولكن في الاسبوع الثاني مـن حزيران ٠ لقد كنا بأمس الحاجة الى مثل هذه الاسلحة في معركة الرملة ، واللد ٠ ان الذخيرة التي جلبت من «الالتلينا» والتي وضعت في العمل بقيت دون استعمال مدة طويلة ٠ لقد كان سلاح «الالتلينا» عاملا حاسما في القتال ضد الغزاة العرب ٠

لم تجلب «الالتلينا» السلاح فقط ، وانما جلبت معها اكثر من كتيبة من المقاتلين ٠ لقد عم هؤلاء الشبان الفرح والسرور عندما وصلـوا شـواطىء وطنهم ٠ لقد شاهدت كثيرا منهم وهم يركعون ويقبلون رمل الشاطىء ٠ ولا زالت تتردد في اذني اصداء صرخات الفرح التي كانوا يطلقونها بينما كانت مراكبهم تقترب من الشاطىء ٠ لقد بات معروفا كيف اسكت فرحهم ، وكيف استقبلوا وبالرغم من ذلك فقد جاءوا ودخلوا الجيش ٠ وهنـاك في الجيش خدموا باخلاص وقاتلوا بشجاعة ٠ ولقد خدم شباب «الالتلينا» على كثير من الجبهات وشاركوا في عدة انتصارات من ترشيحا وحتى ايـلات ٠ وسقـط الكثير منهم في المعارك ٠ فبعد خضوعهم لاكثر المحن رعبا فقد عرفوا كيف

ينجحون في يسمى الامتحانات بحب الوطن ٠

يجب ان يذكر هولاء الشبان اننا كنا نسبة الى رواية السياسيين التي تحط من قدرنا نخوض ثورة مسلحة ٠ ولكن فلينظر اولئك الخبراء في الثورات المسلحة كيف ان هؤلاء الذين ينتمون الى «الارغون» قد نظموا ثورتهم وكيف ان سفينتهم قد جلبت كتيبة كاملة من المقاتلين وحصلت على كمية كبيرة من الاسلحة الحديثة في الوقت نفسه ٠ ايوجد هناك شيء طبيعي اكثر من وضع هذا السلاح في ايدي المقاتلين الثوار ؟ وفي غمضة عين حصل اولئك الذين ينظمون ثورة هناك على الشاطيء على كتيبة كاملة من الرجال والضباط المسلحين والمجهزين ٠ ولكن في الحقيقة ماذا فعل هؤلاء «المنضمون» للثورة ؟ لقد انزلوا المقاتلين اولا وارسلوهم الى معسكر ناء في «ناتانيا» ليأخذوا قسطا من الراحة ، وليكونوا تحت اشراف الحكومة ، بينما الاسلحة التي-لاتزال في صناديقها افرغت بوساطة الجنود وبوساطة خبراءفي التفريغ احضروا من جميع الموانيء في ارض اسرائيل ٠ هكذا كانت المرحلة التالية في هذه القصة الاكثر غرابة من قصص الثورة المسلحة ! لقد تأخرت «الالتلينا» عن موعد وصولها ٠ ان السفينة حسب تعليمات الحكومة امرت بتغيير وجهتها نحو «كفارفتكين» . لم ترسو هناك في البدء لان القبطان لم يستطع ان يرى اشارات الشاطيء التي كانت ستقودها الى الداخل ٠ عندئذ اتجه صوب تل ابيب وبعد ذلك ابحرت صوب شاطيء «كفارفتكين» ٠ ولكن الفجر كان على وشك البزوغ ، وخوفا من ان يحدد المراقبون الدوليون موقعه فقد قررنا ان نؤجل التفريغ للمساء التالي ٠

وبعد ارسال المراكب الى البحر عدنا الى تل ابيب واتصلنا بوزارة الدفاع في الحال حيث اعلمنا ضابط الارتباط التابع لوزارة الدفاع ان المركب سوف يعود في المساء وحتى اننا اخبرناه انه قد وصلتنا اولي اخبار اقلاعها من ميناء فرنسي عن طريق اذاعة للدن ٠ فقد صدمت لانه صادف اعلان الهدنة ٠ وعلى اية حال فقد شرحت لرفاقنا وجهة نظرنا فيما يتعلق بعدم مسؤوليتنا عن خرق الهدنة ٠ جميع القوات اليهودية كانت منهكة ومتعبة القوى٠ والعدو مسلح تسليحا افضل ، ولم تعد هذه الحرب حرب قتال سري ، لقد اصبحت قتالا مكشوفا ونتائج الهزيمة قد تكون مدمرة لشعبنا ٠ وبالتالي فقد قررنا اولا ان نستوقف المركب ٠ لم نكن بالطبع لنضع كل ثقتنا

بتقارير اذاعةلندن (بي· بي· سي) واخبارها ربمايكون المركب لميقلع بعد ، وانها أذاعت الخبر لانها تريد أن تنبه مراقبي الامم المتحدة ، الى أن هناك هجوما مرتقبا · في ذلك اليوم أرسلت تلغرافا الى القيادة في باريس أقول فيه : «لا ترسلوا المركب انتظروا التعليمات» · فرد علي «صوئيل كاتزير» المسؤول في ذلك الوقت بان التلغراف وصل بعد اقلاع السفينة بيوم واحد وانه فقد الاتصال معها ، ونصحنا بان نكون على اتصال مباشر مع سفينة «الالتلينا» ·

لقد كانت اولى رسائلنا الموجهة «للالتلينا» الارساء بعيدا بانتظار التعليمات · لم نعلم فيما اذا كانت السفينة قد استقبلت الرسالة · وعلمنا أخير انه بينما كانت بعيدا عن الشاطىء كانت تعمل باتجاه واحد · لقد استلمت رسائلنا ولكنها لم تستطع ان تجيب مباشرة · وبعد هذا الاتصال اجرينا اتصالا مع رجال وزارة الدفاع الاسرائيلية واعطيناهم المعلومات المفصلة عن السفينة وحمولتها من العتاد وقلنا لممثل وزارة الدفاع : «الان عليكم ان تقرروا فيما اذا كنتم تسمحون لها بالاقتراب والقدوم او الرجوع على اعقابها» · فقد روجت الدعاية الحكومية ان «الارغون» احضرت السفينه «الالتلينا» من اجل القيام بثورة مسلحة ضد الحكومة الاسرائيلية ·

كان قرار الحكومة او وزارة الدفاع ان سفينة الاسلحة التابعة «للارغون» يجب ان تحضر وبأقصى سرعة ممكنة ·لقد وصلني القرار عن طريق «اسرائيل جاليلي» بعد يوم من محادثاتنا في مركز قيادة «الارغون»· لقد كنا جميعا فرحين · لقد رفع عبء المسؤولية عن اكتافنا ، وفوق هذا فقد ادركت الحكومة الوضع ومتطلباته · لقد كان واضحا انه لا يوجد هناك اي خيار · لقد كان هناك نقص في السلاح وخاصة انه كان هناك نقص في البنادق ، نعم البنادق العادية وهو السلاح الاساسي في أرض اسرائيل كما ان البريطانيين كانت تنقصهم الذخيرة كما ان معظم اسلحة «الهاغاناه» كانت خارجة عن نطاق العمل · مثل هذه المتطلبات الملحة جعلت قدوم «الالتلينا» ضروريا وملحا ·

اما فيما يختص بقرار الحظر والتحريم الصادر عن منظمة الامم المتحدة فيمكن معالجته بطريقة ما • وفوق هذا فان الحكومة تعلم انه في مثل هـذه الظروف فان الاخلاق خارجة عن نطاق السؤال • لم يكن هناك من يساعـد شعبنا المعتدى عليه • ان المسألة مسالة حياة او موت • وحمدنـا اللـه ان الحكومة ادركت الموقف فوزنت ما كان يجب ان يوزن واهملت ما كان يجب ان يهمل في تلك الظروف • ووجهت في الحال رسالة بالشيفـرة الى السفينـة «الالتلينا» ادخلت البهجة الى القلوب فبدلا من «ابتعدي» كأن «تقدمي» •

يجب تأكيد هذه الحقيقة لانه من هذه النقطة وصاعدا من هذا التاريخ الحزن رفع حجاب الدخان الاسود • فقـد اصدرت الحكومة المؤقتة بيانا تظاهريا تزعم فيه انه لما كانت منظمة «الارغون» قد تغاضت عن اوامر الهدنة التي قررتها منظمة الامم المتحدة فان الحكومة في حفظها للقانـون الدولي مضطرة الى تدمير السلاح الذي جلب الى ارض اسرائيـل والذي يتنافـى والهدنة المعلنة • ويجب تكرارالقول ان الحكومة المؤقتة كـانت تعلـم بأمر السفينة المحملة بالسلاح والمتوجهة نحو شواطئنا والحكومة هي التي قررت الاتيان بسفينة «الالتلينا» خلال فترة الهدنة والا فان السفينة لم تكن لتأتي •

وبعد ان امرت الحكومة السفينة بالقدوم نحو البر بدون اي تأخيـر ، عقد مؤتمر بين وزارة الدفاع وقيادتنا فيما يختص بانزال شحنة الاسلحـة وتوزيعها • وهكذا فقد كانت منظمة «الارغون» قـوة عسكريـة علنيـة لهـا احترامها في مؤسسات الدولة • قبل اعلان الدولة اكد المجلس الاعلى للمنظمة الصهيونية على ضرورة التعاون العسكري بيننا وبين الجيش الموحد • ولقد استمرت منظمة «الهاغاناه» في الوجود كما ان منظمة «الارغون» التي اخذت رجالها الى مختلف الجبهات استمرت ايضا في الوجود • ولقـد وجـه لي الصحفي المشهور الدكتور «ازييل كالليباش» رسالة مفتوحة مملوءة بالحماس يطالب فيها بانشاء جيش اسرائيلي موحد طالما هزمنا البريطانيين • ولقـد أجبت على ذلك بأننا طلبنا قبل عدة أيام من الرسالة قيام جيش موحد ليحل محل المنظمات العسكرية ولكن هذا كان يعتمد على الحكومة ولا يعتمد علينا •

وحتى عندما اعلن قيام الجيش واصلنا العمل كمنظمة عسكرية حتى تم دمج قواتنا في الجيش دمجا كاملا • لقد كانت وحدات «الارغون» على خط

الجبهة تبدو وكانها جزء لا يتجزأ من القوات العسكرية التابعة للجيش • ففي تحرير يافا التي قسمت نزولا عند طلبنا الى قسمين كان للارغون حامية في قسم منها • ولقد زار «ديفيد بن غوريون» يافا يوما ورأى وحدات «الارغون» واستعرض اسلحتها • ولقد اخبرت بان «بن غريون» تاثر بالحادثة وقال لمرافقه : «لم اكن اعلم ان لديهم مثل هؤلاء الشبان ؟» •

وبعد ذلك ارسل رئيس الوزراء الرسالة التالية الى الضابط «حاييم» قائد قواتنا المحتلة في يافا :

دولة اسرائيل ، الحكومة المؤقتة   ٢٢ ايار ١٩٤٨

الى قائد جنود «الارغون» في يافا •

تبقى انت ورجالك تحت امرة حاكم يافا العسكري وحتى اشعار اخر •

توقيع ديفيد بن غوريون
رئيس الحكومة المؤقتة ووزير الدفاع

ولقد اشرنا للضابط المعاون لبن غوريون انه لم تجر العادة ان يتصل رئيس وزراء مباشرة مع ضابط محلي • ولقد كنا شاكرين للتقدير الذي تحظاه منظمة «الارغون» في يافا • وبغض النظر عن العطف المتزايد الذي يخصنا به رئيس الوزراء فقد كنا نرغب في تاييد وضعنا الشرعي •

ولقد تابعنا في مناقشة اقامة جيش موحد مع مساعدي «بن غوريون» وزملائه : ولقد نشرت التفاصيل في مكان آخر • ويكفينا هنا ان نذكر باننا وافقنا على ان تقوم «الارغون» بادخال كتائب كاملة مع ضباطها الى الجيش• ولما كان تنظيم هذه الكتائب يتطلب وقتا فقد تم الاتفاق بيننا بان ندخل وبشكل مؤقت هيئة الاركان بمجموعة من الضباط بعد موافقة رئيس الوزراء ووزير الدفاع • وعندما وصلت السفينة «الالتلينا» كنا قد ادخلنا عدة كتائب الى الجيش • وبعض الكتائب كانت لا تزال في طور التنظيم لان بعض رجالها كانوا لا يزالون يعملون في وحدات أخر وعلى جبهات مختلفة• لقد كانت هيئة اركاننا لها صفة رسمية ووحدة مميزة عندما دعيت لمناقشة تفريغ السفينة من السلاح مع ممثلي وزير الدفاع •

ولقد كان هناك اجماع على المكان الذي يجب ان ترسو فيه السفينة · وهذا يتضمن تغييرا في التعليمات التي وجهناها الى قائد السفينة · ولقد قررنا ان ترسو على شواطيء تل ابيب لانه حدث آنذاك (نهايــة ١٩٤٧) ان اخلت القوات البريطانية منطقة تل ابيب ـ بتاح تكفا خلال جلائها التدريجي · والبقعة التي اردناها لارسائها كانت قريبة من شارع «فرشمان» · لقد كان من المستحب ذكر هذه التفاصيل لتبديد سحب الدخان الناتج عــن تحــريف الحقيقة ·

ولقد اقترح خبير في وزارة الدفاع الا يكون ارساء السفينة قريبا من تل ابيب ، وانما قرب «ناتانيا» ·وهكذا نكون قد تجنبنا انتباه مراقبي هيئــة الامم المتحدة ، فوافق خبراؤنا لانهــم كانوا غير مبالين بالبقعة التي سيتم ارساء السفينة فيها · لقد كان جل اهتمامهم هو تفريغ حمولتها من السلاح· ونحن لم نكن نشك بشيء لاننا لم ندبر شيئا في الخفاء ولم نكن نتسور وجود دوافع اخرى لها تاثير اكبر من التفريغ · وهكــذا ارسلــت الــى السفينــة «الالتلينا» رسالة اخرى بتغيير وجهتها ·

واستمر النقاش حول تفريغ السلاح · فاقترحنا ارسال خمس السلاح الى وحدات «الارغون» في القدس ، بينما يوزع الباقي على الجيش الموحــد ومن ضمنهم الكتائب المسلحة المؤلفة من رجال «الارغون» والكتائب الاخرى· لقد كان اقتراحنا عادلا ومبررا · لقد كان هناك اسباب جديرة وموجبة لهذا الاقتراح ·

ـ ٢ ـ

من اجل تقدير شأن «الالتلينـــا» يجب ان نصـــف باختصـــار الظـــروف العسكرية في فترة وصولها والفترة التي سبقتها مباشرة وكذلك نفسر دوافع اقتراحنا المتعلق بتوزيع سلاح السفينة ·

لقد كانت الفترة انتقالية ولم تمتد سلطة دولة اسرائيل للقدس · كما ان القيادة السياسية التي قبلتقرار هيئة الامم المتحدة بالتقسيم الكامل قد سلمت نفسها الى خدعة الحكم الدولي في القدس · ولقد طلب «بن غوريون» فــي

المجلس التنفيذي للهستدروت بان تمارس حركته اقصى ما بوسعها من تاثير لمنع اي نقاش حول الاستيلاء على القدس او توسيع حدود الدولة · وبالتالي فان الجيش الاسرائيلي لم يؤسس في القدس ، وحتى بعد ان شكل كان يعمل في مكان آخر · وبقيت «الهاغاناه» و«الارغون» في القدس · اما منظمة «شتيرن» فقد نفذت عدة عمليات عسكرية دون اي اتفاق او تعاون مع «الهاغاناه» · اما القدس التي اهملت فقد حوصرت وضربت بالقنابل وطلب تصرخ طالبة السلاح ، وخاصة بعد كارثة النبي دانيال حيث كانت تحت مرمى المدافع البريطانية ، فاستسلمت وحدات «الهاغاناه» للعرب · ودمرت كميات كبيرة من السلاح اليهودي او وقعت بين ايدي العدو ·

ان رفاقنا في «الارغون» ايضا كانوا لا يملكون السلاح من اجل القتال المكشوف فكانوا يصرخون ويستغيثون : السلاح ! السلاح! واستغثنا ممثلينا في الخارج : السلاح ! ولكن مخابرات العدو وقفت في طريقنا · وحدثت التعقيدات · فقد اكتشفت كميات من البضائع التي جهزها «بول» من اجل ارسالها الينا قبل شحنها الى السفن · ولقد ارسلنا كمية من الاسلحة المحلية الى القدس · فلم يعد لدينا ما ندخره · لو كنا ارسلنا اليهم القسم الاساسي من الرشاشات والذخيرة التي أخذناها من القوات البريطانية لكنا شددنا من عزيمتهم ·

كان لدى جنودنا في العاصمة كمية قليلة من السلاح صنعوا بها العجائب وخاصة وانهم كانوا يقومون بتنفيذ خطتهم الفردية · لقد كانت جميع خطط العمليات التي ترسم ضد النظام البريطاني مركزة في يد القيادة العليا · اما في الحرب مع العرب فكان علينا اعطاء القيادات المحلية حرية التصرف وخاصة في حيفا والقدس · لقد كان هذا التحول هو النتيجة الحتمية التي لا يمكن تجنبها للوضع الجديد وذلك في تعطيل المواصلات وجعل الطرقات غير سالكة ·

لقد خاض شبابنا حربا بطولية في القدس القديمة : لقد كانت الحامية هناك قليلة جدا ، اقل من مائة رجل من «الارغون» ، ومائة رجل من «الهاغاناه» · لقد كان سلاحهم قليلا ، بعض الرشاشات والبنادق ورشيشات ستن وقليل من الذخيرة ولكن المدافعين عن المدينة القديمة صمدوا بشجاعة فائقة ضد القوات العربية غير النظامية ، وضد الفيالق العربية النظامية التي كانت تقاتل تحت امرة ضباط بريطانيين مدعومة بالمدافع الثقيلة والدبابات ·

واستمرت المعركة عدة اسابيع· وحصل سوء فهم بين رجال «الهاغاناه» ورجالنا · ان تثقيف الرجال على الكراهية اثمر هنا· لم يكن شبابنا يعاملون بعدالة فيما يختص بتوزيع الاعاشة (١) ، ولكن مع الزمن فقد تحسنت العلاقات · ان الخطر المشترك جمع القلوب · واقترب رجال «الهاغاناه» من رجل «الارغون» وادركوا انهم لا يحملون اية صفة من الصفات التي وصفوا بها عن طريق الدعاية البغيضة · وكانت لهم دورات مشتركة ، ولقد امضى رجال «الهاغاناه» دورة زرع الغام تحت اشراف احد ضباطنا ، وذلك لتأمين الدفاع عن المناطق اليهودية ولتأمين سلامة مراكز الحماية · ولقد نجحنا في ادخال «جدعون» خلسة ، وهو طالب شاب يدرس العلوم الرياضية وهو احد افضل ضباطنا الى المدينة القديمة · ولقد كان «جدعون» هو الشخص الثالث لانه كان يوجد لدينا اشخاص عدة يحملون اسم «جدعون» · كما ادخل مع «جدعون» الذي استلم القيادة عدد من الضباط والرجال الآخرين كما ادخل بعض السلاح والمتفجرات · وفي الرابع عشر من ايار قطع كل اتصال بين المدينة القديمة والمدينة الحديثة فقد حوصرت المدينتان ·

اقام «جدعون» مصنعا في المدينة القديمة لصنع القنابل اليدوية البدائية ، والتي اثبتت فعاليتها في صد هجمات الاعداء · وبالرغم من الاوضاع الصعبة التي كانت تواجهه فقد حاول الوقوف موقف المهاجم · وفي احدى الاصطدامات استطاع الرجال اكتساح موقع استراتيجي مهم والسيطرة عليه · ذلك الموقع كان الكنيسة الارمنية التي كانت تسيطر على المنطقة اليهودية · ولكن كاهن الكنيسة طلب اخلاءها من قواتنا واعدا اياهم بان العرب لن يعودوا اليها · ولقد امر « جدعون » بسحب قواته من موقع حيوي للدفاع عن المنطقة اليهودية · فعل ذلك وقلبه مثقل بالاسى · فلم يحفظ الوعد الذي قطع باسم العرب · فبعد مرور عدة ساعات على انسحاب رجالنا من الكنيسة عاد العرب اليها وفتحوا النيران على المدافعين العبرانيين ·

١ــ طعام الجندي ليوم واحد (المترجم) ·

لقد كان سكان المنطقة اليهودية المدنيين في المدينة القديمة ، في موقف لا يحسدون عليه من اليأس وخاصة بعد الهجمات العنيفة التي شنت عليهم • ولقد طالب احد الحاخاميين المحليين بالاستسلام • لكن « الهاغاناه » رفضت طلبه ، كما رفضته « الارغون » • وانتقلت الحالة من سيء الى اسوأ • ولقد طالب قسم كبير من السكان بينهم عدد كبير من النساء والاطفال وقف المعركة البائسة • وقدم دعم للمدافعين عـن المدينة القديمة في احدى الفرص التي سنحت ، وذلك عندما اخترقت وحدات تابعة « للهاغاناه » الحصار ، ولكن هذا الدعم لم يحسن الوضع • وتألفت التعزيزات التي قدمت من ثمانين رجلا من الحرس الوطني لم تكن لديهم خبرة استعمال السلاح ، وهكذا فانهم لـم يساعدوا في رفع المعنويات •

ولقد استمرت مدافع العدو تمطر المنطقة اليهودية بالقنابل ، وكان عدد القتلى والجرحى يزداد باضطراد • ولقد اخذ « جدعون » ورفاقه عهدا على انفسهم بان يستمروا في القتال حتى اخر رصاصة • ولكن تـلك الوقفـة النبيلة لا تستطيع ان تصمد طويلا امام تلك الظروف • لم يكن هناك اية مؤن في المدينة القديمة ، وندر وجود المياه ، والذخيرة تنقص باستمرار • وجرح قائد « الهاغاناه » ، كما جرح « جدعون » واستمر الاطفال في القتال • ولقد اظهر الاطفال ما بين العاشرة والثانية عشرة ما كان بوسع اطفال اليهود ان يفعلوه عند ساعة الاختبار • لقد كانوا ينقلون الذخيرة من مركز الى اخر غير مبالين بنار العدو • ان اخر المواقع التي استمرت في المقاومة حتى اخر لحظة كان موقعا تابعا « للارغون » • ولكن لم يعد هناك شيء نقاتل به ، فقد قتل معظم المدافعين او جرحوا ومن بقوا كانوا منهوكي القوى • وهكذا فان مدينة داود ، المدينة القديمة سقطت في ايدي الاعداء ، وعم الاسى والحزن العميق نفوسنا جميعا •

ولقد جرت محاولة جديدة لتحرير المدينة القديمة بعد الهدنة الاولى ، ولكن لسبب ما فقد كان البعض في القيادة السياسية اليهودية يعتبر ان المدينة القديمة باماكنها المقدسة كانت تمثل ورطة ومازقا • وبالرغم مـن اصـرار ضباط « الارغون » في القدس وضغطهم فقـد ارجيء الهجوم الى اخر يوم من الهدنة الثانية • وقد كان مقررا بدء الهجوم قبل ساعات من ابتداء الهدنة الثانية • وامرت اربع فرق من « الهاغاناه » وثلاث من « الارغون » وواحدة من « شتيرن » بالهجوم • من بين الفرق التي خصصت لذلك الهجوم كانت

الفرقة المتورطة في القتال من اجل الاستيلاء على قرية « مالها » جنوبي شرقي القدس ، حيث فقدت ثمانين من رجالها • ولكن تعب الرجال وغمهم اختفى عندما علم الرجال ان المدينة القديمة هي الهدف• ولقد خرجوا وروح الحماس تعمهم • ولكن الهجوم انتهى بالحزن والاسى ايضا • فقد فشل رجال « الهاغاناه » ومنظمة « شتيرن » في فتح ثغرة في حائط المدينة ، بينما نجح رجال « الارغون » في فتح ثغرة واقامة جسر امامي داخل الجدران فاتحة الطريق للغزو ، ولكن ساعات العمل قد ازفت • وبينما كان رجالنا يقاتلون صدرت اليهم التعليمات بالانسحاب • ولقد خرقت الهدنة بوساطة اعدائنا على عدة جبهات • وبقيت مدينة « داود » بانتظار من يحررها فبدونها لا يوجد اي مأمن لبقية اجزاء القدس ، وبدونها لا يوجد امن لدولة اسرائيل •

ولقد حدث هجوم واسع على القرية العربية « شعفاط » التي استخدمت كقاعدة للهجمات على القافلات اليهودية بوساطة الوحدة الهجومية التابعة « للارغون » • ولقد استولى رجالنا بالاشتراك مع وحدة تابعة لمنظمة « شتيرن » على بلدة « دير ياسين » في التاسع عشر من نيسان •

ترتفع « دير ياسين » حوالي الفي قدم عن سطح البحر • ولقد كانت حلقة مهمة من حلقات العرب التي تلف القدس من الغرب • وكانت القوات العربية القادمة من « عين كرم » و « بيت لحم » تمر عبر « دير ياسين » الى جبهة « القسطل » ، حيث كانت تهاجم القوافل اليهودية على الطريق الوحيد المؤدي من القدس الى الشاطىء • وبعد الاستيلاء على « دير ياسين » — وفي الحقيقة فانها البلدة الاولى التي تستولي عليها القوات اليهودية — اعلنت قيادة « الهاغاناه » انه لم يكن للاستيلاء على البلدة اية اهمية عسكرية • وكان علينا للاسف ان نفند اراء « شاتيل » بالاستناد الى رسالته نفسها • وقد نقل قائد منظمة « الارغون » في القدس الرسالة اللاسلكية التالية التي استلمها قائد « الهاغاناه » المحلي :

« لقد علمت بانكم تخططون للهجوم على « دير ياسين » • واني ارغب في الاشارة الى ان الاستيلاء على «دير ياسين» يعني مرحلة من مراحل الخطة العامة ، وليس لدي اي اعتراض على تنفيذكم العملية على شرط ان تكونوا قادرين على احتلال البلدة والبقاء فيها • واذا كنتم غير قادرين على ذلك ، فاني احذركم ، واني ضد نسف القرية وتهجير سكانها وتدمير منازلها ، فسوف تحتل بيوتها المهجورة بقوات اجنبية •• وهذا الوضع سيضيف

صعوبات الى صعوباتنا في تنفيذ الخطة العامة • وغزو اخر للبلدة سوف يكلفنا تضحيات كبيرة وبالاضافة الى ذلك فان دخول قوات اجنبية الى القرية سوف يحبط الخطة ••• »

وعندما نشرت الرسالة ختمناها بنقاط ثلاث • ولقد تطلبت المصلحة الوطنية عدم نشر كنه تلك الخطة • اما اليوم فانه لم يعد لهذه النقاط الثلاث اية اهمية • ويمكن الكشف عن الكلمات المهمة التي جاءت في الرسالة وهي : « اقامة مدرج مطار » •• كان ذلك المدرج قد اقيم في « دير ياسين » وقد كان في وقت ما وسيلة الاتصال الوحيدة بين القدس المحاصرة والشاطىء • وباعادة قراءة تلك الرسلة يمكننا ان نستنتج استنتاجا معينا • ان اللغة التي كتبت بها الرسالة لا تتمشى مع متطلبات اسلوب الكتابة • وان تصريح « شاتيل » لا ينطبق على الحقيقة • لان الاستيلاء على « دير باسين » لا يتناقض مع الخطة العامة للدفاع عن القدس • بل على العكس فان الاستيلاء على « دير ياسين » واحتلالها هما مرحلة من مراحل الخطة العامة • ولقد استولي على « دير ياسين » بمعرفة « الهاغاناه » وبموافقة قيادتها •

بغض النظر عن الوجه العسكري ، هناك وجهة نظر اخلاقية لقصة « دير ياسين » • في تلك القرية التي نشر اسمها في جميع انحاء العالم تحمل الجانبان خسائر فادحة • ولقد قتل منا اربعة وجرح اربعين • ان عدد الاصابات كان ٤٠ بالمئة من العدد الاجمالي للمهاجمين • اما اصابات الجحافل العربية فقد كانت اضعاف هذا العدد • ولقد كان القتال قاسيا وعنيفا • لكن الدعاية المعادية التي بثت في جميع انحاء العالم تغاضت عن الحقيقة باننا انذرنا سكان « دير ياسين » المدنيين قبل بدء المعركة • لقد كان احد رفاقنا يحمل مكبرا للصوت واقفا امام مدخل المدينة ينذر باللغة العربية جميع النساء والاطفال والشيوخ بوجوب ترك منازلهم والالتجاء لمنحدرات التلة • وباعطاء هذا التحذير الانساني فقد ضيع مقاتلونا عنصر المفاجأة التامة • وهكذا ازدادت المخاطرة الناشئة عن المعركة • وقد انصاع عدد كبير من السكان للتحذير ولم يصابوا باذى • اما قليلون منهم فلم يتركوا بيوتهم ربما بسبب الفوضى التي عمت البلدة • لقد كانت نيران العدو مهلكة وقاتلة حيث استشهد عدد من رفاقنا من جرائها • وكان رجالنا مضطرين القتال من بيت لبيت • ومن اجل هزيمة العدو فقد استعملنا عددا كبيرا من القنابل اليدوية فتكبد المواطنون الذين لم يذعنوا للانذار خسارة كبيرة فى الارواح •

ان التعاليم التي لقناها لجنودنا خــلال سنوات الثورة تستند الى الاخذ بالاعتبار القوانين العرفية للحرب · لم تنتهك حرمات هذه القوانين الا حينما انتهكوها هم · وهكذا فقد ارغمونا على تطبيق قاعدة الاخذ بالثار والانتقام · اني مقتنع كل الاقتناع بان ضباطنا ورجالنا كانوا يرغبون في تجنب اى عمل غير ضروري في معركة « دير ياسين » · ولكن على اولئك الذين رموا حجارة الاستنكار عـلى غزاة « دير ياسين » ان لا يرتدوا معطف التظاهر الكاذب بالفضيلة والدين ·

لقد قصد بهذه الدعاية تلويث سمعتنا ولكنها فى النهاية كانت خير عون لنا · فلقد دب الهلع والذعر في قلوب عرب ارض اسرائيل · وافرغت قرية «كولونيا» بين عشية وضحاها وسقطت بدون قتال · وهي القرية التي ردت جميع الهجمات التي شنتها « الهاغاناه » عليها قبــلا · لقــد اخليت قرية « بيت اكسا » · ولقد كانت هاتان القريتان تطلان على الطريق الرئيسي · فسقوطهما مع الاستيلاء على القسطل بوساطة « الهاغاناه » جعل الاحتفاظ بالطريق الرئيسي الى القدس مفتوحا امرا ممكنا · اما في بقية البلاد فقد بـدأ العرب ايضـــا فـــي الهرب مذعورين وحتى قبــل ان يصطدموا بالقوات اليهودية · لم يكن هذا بسبب « دير ياسين » وانما بسبب ما حيك حول « دير ياسين » مما ساعدنا في مواصلة السير نحو الانتصار الكامل على ارض المعركة · ان اسطورة « دير ياسين » ساعدتنا وبالاخص في انقاذ « طبريا » وغزو مدينة « حيفا » ·

ولقد اعلن القائد البريطانى اخلاء قواته في شهر نيسان · ولقد علمت « الهاغاناه » بالتاريخ فعبات قواتها للصدام الحاسم ·

ولقد تحركت وحدات « الارغون » بقيادة « اميل » الى العمل تلبية لطلب القائد « الهاغاني » للمنطقة الشمالية وامرت في الاستيلاء على بناء معزز للعدو يسيطر على شارع « هيهالاتز » وهو الطريق الرئيسي ، وشريان منطقة « الهادار » · ولقد ابتدأ رجالنـــا هجوما مفاجئا واستولوا على البنـــاء ، واستقبل رجالنا استقبالا حارا من السكان ومن قبل من ساروا الى «وادي النسناس » ، واستولوا على المنطقة باسرها واستمروا في التقدم الى المناطق العربية المحصنة · وفي الوقت نفسه كانت «الهاغاناه» تقوم بهجمات ناجحة

على الجبهات الاخرى في حيفا • وكانت جميع القوات اليهودية تتقدم في « حيفا » كتقدم السكين في الزبدة • وبدا العرب في الهرب مذعورين وهم يصرخون : « دير ياسين ••• دير ياسين » •

يجب ان نطأطيء رؤوسنا اجلالا لجميع الجنود اليهود دون استثناء الذين قاتلوا العرب الغزاة بكل شجاعة • لقد كانت لهم انتصاراتهم العظيمة كما كانت لهم هزائمهم المريرة •

عندما يبكي القلب

يمكن ان يفهم مما تقدم لماذا طلبنا قسما من السلاح المتطور والـذى جلب بوساطة سفينة «الالتلينا» ، لارسالة الى وحداتنا في القدس · ولماذا اردنا من وحداتنا في الجيش ان يكون لها قسط كبير في المشاركـة ؟ انـه قانون طبيعي مقبول في اي جيش ان يطالب قائد وحدة كبيرة مقاتلة بتسليح متكافىء · لقد ولد جيشنا وسطالمعارك· انالوحدة الروحية والتنظيم لم تكن مسألة قانون او اعراف وانما مسألة ارادة · لم يكن من السهل ارسال رفاقنا الى جيش افراده يكرهون المنظمـة السريـة ويضطهدونها ، ويشو بهـا ، ويخطفون افرادها ويسلمون ضباطهم · قبل اشهر من قيام الدولة اليهودية فقط طافت موجة من السادية المنظمة من جانب «الهاغاناه» التي تعمل تحت راية الوكالة اليهودية الرسمية فاريقت الدماء · كان لا بد ان نتمتع بالروح النبيلة من اجل نسيان الماضي ، وذلك من اجل شعبنا المعد للمعركة · الاف من شبابنا انضموا ، الى الجيش ، الى جبهة المعارك الامامية · وتمركزوا مع رفاقهم (مضطهدينهم بالامس) وكتبوا انصع الصفحات في حرب الوقـاية اليهودية ·لقد فتحوا الطريق الى « بيرشبا » بعد الاستيلاء على مركز حيوي محصن من المصريين · فعلوا ذلك بقيادة القائد المحارب « جل » وهم ينشدون نشيد « الارغون » ، واستولوا على « يارنة » في الجنوب و « ترشيحا » في الجليل ، ومساحة كبيرة من المناطق في جبال « ابراهام » · وخدموا على جبهات اخرى فقاتلوا وقدموا حياتهم من اجل حرية بلدهم · لقد كانوا يحبون « الارغون » واعطوها كل ما يملكون ، واعطتهم « الارغون » كل شيء · لقد قاتلوا في صفوفها لسنين عدة وساروا تحت اعلامها المنتصرة الى المعركة ، والى الخطر ، والى مخيمات الاعتقال ، وغرف التعذيب ، والى الموت · لم

تعد منظمة « الارغون » مجرد منظمة عسكرية بل اصبحت حياتهم ٠

واني لا ازال اذكر ضباطنا خلال الاستعراض العسكري ٠ لقد كان هناك في القائمة المئات من المقاتلين المحنكين وذوي الخبرة ٠ ولقد كنا وكاننا نرى انفسنا لاول مرة ٠ ألم يكن وقت الاحتفال ؟ وبالتأكيد ألم يكن لك حق الخروج من العمل السري ؟ ألم نشاهد النصر بأعيننا ؟ لكن المناسبة كانت تعبسة ٠ لقد اخبرت اعزائي الضباط بانني منذ الان لست بقائدهم وان ضباطا اخربن ، ضباطا من الجيش اليهودي الموحد سوف يقودونهم وانهم يدينون بالوفاء لهؤلاء الضبـاط فقط ولقد سـاد القـاعة صمت مطبق ٠ لقد رأيت المقاتلين المحنكين ، الرجال الفولاذيين الذين واجهوا الموت تكرارا ، والدموع في مآقيهم٠ لقد تغير كل شيء وحل محله شيء جديد ، عالم بكامله ، عالم من المجد والمثالية ، عالم من الرفعة والاخلاص ، عالم نبيل سام ، هـــذا العالم قد رحل وربما بدون رجعة ٠ لقد انتصرنا ونهضت امتنا من جديد ولكن « الارغون » ٠٠ ومن سيقودنا بعد اليوم ؟ ٠٠

لا يمكننا نكران انتشـار القلق ٠ ان الرجال الذين كانوا على وشك استلام زمام قيادة اعضائنا قد دربوا على كراهيتهم ٠ لا ، لم يكن امرا سهلا لم يكـن هناك حاجة للاوامر ٠ لقد كنا بحاجة الى كثير من الاقنـاع لدمل الجـراح التي كانت لا تزال مفتوحة ٠ لقد كان من حقنا بل ومن واجبنا ان نطمئن وحداتنا التي ارسلناها الى الجيش ٠ يجب ان تستلم السلاح اللازم لتذهب الى المعركة بثقة الجندي بنفسه ٠ وكما سبق وذكرت ، ففي الحالات الطبيعية ، يجب ان يكون هذا الامر طبيعيا وله ما يبرره ، فكيف اذا حصل في ظروف خاصة نشأ فيها الجيش ٠ ان ما تطلعنا اليه ايام « الستن » كان تزويد مقاتلينـا بالسـلاح الفعـال خصوصا مـع وصول سفينـة الاسلحة « الالتلينـا » ٠ لم نكـن نريـد حمولتهـا لانفسنا كما ادعى اصحـاب رواية الثورة المسلحة ٠ فلقد توقفت « الارغون » عن العمل العسكري باستثناء جبهة القدس ٠ لقد انضم رجالنا الى الجيش او كانوا يقاتلون سرا مع وحدات الجيش على مختلف الجبهات في انتظـار انضوائهـم الرسمي تحت لواء الجيش ٠ لقد كانوا جميعا تحت امرة القيادة العامة للجيش ٠ وجل ما كنا نطلبه من حمولة السفينة من سلاح الذي جلبناه الى بلدنا بعد هذا الجهـد

وهــذا التعب ، أن يعطى جنود « الارغون » السابقين تجهيزات عادلــة في الجيـــش ·

اخبرني « اسرائيل غاليلي » القائد السابق « للهاغاناه » ونائب وزير الدفاع على الهاتف ان الوزارة وافقت على اقتراحنا حول القدس · وذلك ان يخصص عشرون في المائة من حمولة « الالتلينا » من السلاح لجبهة القدس · لقــد طرنــا مــن الفرح ولم نحاول ان نمعــن النظر في الكلمات الصحيحة لتصريحه · ولكن ظهر المغزى الحقيقي وراء هذه الموافقة · لقــد خصصت العشرين في المائة لجنود «الهاغاناه» في القدس ·

لقد واصلنا النقاش مــع « غاليلي » في موضوع توزيع السلاح وفي احدى محادثاتي العديدة الطويلة قلت له :

لو قدر للمركب ان ياتي قبل عدة اسابيع ، كما كنا قد خططنا نحن في « الارغون » لكنا امتلكنا جميع السلاح · الا توافق معي على ان الشبان يجب ان يدخلوا الجيش وهم مجهزون بالاسلحة تجهيزا كامــلا ؟ فانت كنت قــد ـللبت نظرا للظروف بان يعطى اعضــاء « الارغون » الذين سينضيمون الى الجيش جميع اسلحة المنظمة · ماذا حدث اذن ؟ لقد تاخرت هذه الاسلحة في الوصول فقط ، وان شبابنــا في الجيش ، او هــم سيصبحون كذلك في غضون ايام ، وهذا يعني انه يجب ان يزودوا بجميع التجهيزات التي كنــا سنزودهم بها على اية حال · ما الخطأ في ذلك ؟ ولماذا لا توافقون ؟ ·· »

لم تكن مناقشاتنا مثمرة ، ورفضت اقتراحاتنا · وفي الوقت نفسه ووفقا لاوامر الحكومة المؤقتة كانت سفينة السلاح « الالتلينا » تمخر عباب البحر في طريقها نحو شاطيء ارض اسرائيل ، وبالتحديد نحو « كفار فتكين » وواصلنا في بحث خطط تفريغ الحمولة مع ممثلي وزارة الدفاع ·

ولقد اخبرني «غاليلي» بانه اذا لم يتم الوصول الى اتفاق على توزيع السلاح فانهم لن يساعدونا في تفريغ السفينة ، وقال : «اننا نسحب ايدينــا من عملية تفريغ السلاح » ·

ان هذا التصريح يمثل نقطة تحول في عملية « الالتلينا » ·

لقـد ناقشت الحكومة موضوع التنظيم المشترك لانزال السـلاح الى اليابسة وموضوع توزيعه · ولقد رفضوا اقتراحاتنا العادلة والمعقولة · لقد كانوا يستعملون حقهم في هذا على الاقل رسميا · فلقد ذكرت الحكومة : « سوف لن نسمح « للارغون » في تفريغ السلاح » · لقد كـان باستطاعتهم القول : « اننا لا نسمح لكم في هذه الظروف بجلب السفينة الى شواطىء البلد · لانه منذ اللحظة التي ابحرت فيها السفينة فاننا وضعناها وحمولتها تحت امرة الحكومة » ·

ان هذه هي الحقيقة كاملة · ولكن في حـال وجود اشخاص حاقدين ينشرون الشكوك حول حقيقة هذه الرواية فبامكاننا اعطاء البراهين ضد اكثر المناقشات صفاقة وحقدا واكثرها تعصبا ·

لقد كان على السفينة كما تم الاتفاق عليه مع وزارة الدفاع ، ان ترسو قرب « كفار فتكين » · ألم يكن بالامكان الوصول الى ذلك المكان انطلاقا من « تل ابيب » لملاقاة السفينة لو طلبت الحكومة ذلك ؟ لقد كـان كافيا اغلاق الطريق الفرعي الضيق الذي يصل الطريق الرئيسي لحيفا ـ تل ابيب بقرية « ماباي » ، وبذلك يصعب على شاحناتنا الوصول الى نقطة الارساء · ومن ناحية اخرى حتى ولو افترضنا ، وذلك من اجل المناقشة فقط ، اننا استطعنا الوصول الى السفينة بطريقة ذات طبيعة اعجازية او باعجوبة ، أيخطر على بال اي انسان عاقل ان يسير في طرقات ضيقة الى شاطىء معزول تماما وفي مواجهة مقاومة الجيش · أيخطر عـلى باله دون ان يكون مجهزا بالسلاح والاعتدة وحتى دون ماء !! قد يرغب الناس ذوي النوايا السيئة في طعـن الحقيقة التي نقولها ، ولكنهم لا يستطيعون نكران الحقيقة في ان « الارغون » لها اطلاع ومعرفة بأمور الاستراتيجية والتكتيك · لكن ما كانوا يطلبون من الناس ان يصدقوه ، وهو اننا نحن رجال منظمة «الارغون» كنا نود ان ننطلق بثورة مسلحة وبالتحديد من هناك من « كفارفتكين » ، حيث كـان سيقبض على رجالنا من البداية وحتى ولو كانوا قادرين على الوصول الى هناك بدون رضى الجيش ·

لا يمكن لاحد انيدحض روايتنا او انيقيم الدليل ضدها· واكرر لوأن الحكومة صرحت بكلمة واحدة لجعلتنا نفكر اننا نواجه معارضة في تفريغ شحنة السلاح ، ولكنا اسقطنا من حسابنا تفريغها ونحن نواجه تلك المعارضة لكن هناك اناس الحـوا على اخرين للقيـام بعمـل ذكي · وحرصـا مـن الحكومة فانها لم تقل تلك الكلمة · بل انها قالت : « سوف لن نساعدكم في تفريغ شحنة السلاح » · سوف لن نساعدكم وليس اكثر من ذلك ·

ان رفض الحكومة التعاون في تفريغ شحنة السلاح كان ضربة كبيرة لنا ، لاننا لم نكن نملك المركبات او المعدات المطلوبة · حتى ان العدد المطلوب من الرجال الذين يمكن دفعهم الى العمل، وجدناهم بعد التعبئة لا يفون بالعدد المطلوب لهذا الغرض · فيما مضى كنا نعتمد على رجال البالماخ (١) · امـا الان فليس لدينا شك بانهم ارسلوا للمساعدة في التجسس علينا · كنا نقبل مساعدتهم فيما مضى شاكرين بدون ادنى شك · ولماذا كنا نشك ؟·

بالرغم من الصعوبات فقد قذفنا بانفسنا الى العمل من كـل قلوبنـا · حقا ان الحكومة صرحت بانها لن تساعدنا ، ولكن نظرا لحاجتهم الماسة الى هذه الاسلحة فانه يبدو منطقيا انه من المحتمل ان يغيروا رأيهم · بالاضافة الى ذلك فانه لم يكن العمل الصعب الوحيد الذي نفذناه لوحدنا· وبالرغم من جميع الصعوبات فقد قام رجالنا بعملهم على اكمل وجه باذلين كل جهودهم تحت اشعة الشمس المحرقة ·

ماذا يمكن ان يحصل لو اننا افرغنا السلاح ليس فقط بدون مساعـدة وبلا تدخل ؟ ولقد تهامس اصحاب النوايا السيئة باننا كنا نـود ان نرسـل السلاح الى عنابرنا السرية · لقد اعطينا جميع اسلحتنا وتجهيزاتنا للجيش، وعندهم العلم اليقين بمكان مراكزنا ومعسكراتنا · فكيـف يصـح اذا بعـد خروجنا من الظلمة الى النور ، وبعد ان اصبح اعضاؤنا معروفين في الجيش، ان نخبىء سلاحا كافيا لتجهيز عشر كتائب مشاة ؟ ! وهناك حقيقة اخـرى تستحق الذكر، اذ بعد ان اخبرنا «غاليلي» بعدم اعطائنا ايةمساعدة مناجل عملية التفريغ بقينا على دعوتنا لقيادة الجيش لتشرف على عمليـة تفريـغ

(١) البالماخ هي الفرقة الفدائية في منظمة «الهاغاناه» الصهيونية · (المترجم)

السلاح · لقد وعدنا احدهم بالمجيء مرتين ، وحتى انه وعد وبشكل شخصي ان يرسل عددا من الشاحنات لمساعدتنا ··· ولقد اكدنا خلال مباحثاتنا تسليم السلاح الى الجيش بعد تفريغه ·

لو اننا افرغنا جميع السلاح من السفينة «الالتلينا» لذهب كله الى الجيش الموحد الذي دعونا لتاسيسه او قيامه في لحظة تاسيس الدولة · لقد كان من المفروض ان يرسل عشرون بالمائة من السلاح بموافقة الحكومة الى القدس ، والقدس ككل ، وليس لاية قوة معينة وكان يمكن ان تستعاد المدينة من ايدي الاعداء رغم المعوقات التي اقامها «شاتيل» ·

ولكن لم يفرغ من السلاح الا قسم قليل واستعمل فقط بعد قتل عدد من اعضاء منظمة «الارغون» · لقد برهن ذلك السلاح فعاليته · ولقد دمرت «الالتلينا» ، ولكنها اعطت الشعب اليهودي حوالي الفي بندقية حديثة وحوالي مليون رصاصة ·

ومرة اخرى دعونا الحكومة للاشراف على تفريغ حمولة السفينة ، وطلبنا عدم تفريغ السفينةفي وضح النهار· فاجاب ممثل «غليلي» : «بالطبع انكم على حق · وسوف اخبر غاليلي بالامر» · ودعوناه الى المجيء للاشراف على عملية التفريغ · فأجاب بانه قد ياتي او قد يرسل بعض الشاحنات لكي تساعد في العمل ·

وعادت السفينة عند الغسق الى «كفارفتكين» وبسرعة انزلنا الرجال ، وبدانا تفريغ السفينة من السلاح · وعملنا طوال تلك الليلة وواصلنا في العمل حتى ساعات الصباح الاولى· ولقد حامت طائرة بيضاء تابعة للامم المتحدة فوق رؤوسنا وشاهدت السفينة · فكان من الضروري في هذه اللحظة الاسراع في عملية التفريغ مهما كلف الامر ·

وفجأة وجدنا انفسنا محاصرين بالجنود من جميع الجهات · وبعد دقائق قليلة ، استلمت انذارا من القائد المحلي للجيش مدته عشر دقائق · فارسلت اقول للضابط بان الامر لا يمكن تصفيته في مدة عشر دقائق واقترحت المقابلة · وفي الوقت نفسه كان «ياكوف ميرادور» مدعوا للذهاب الى «كفار فتكين» و«ناتانيا» لاجراء محادثات مع رؤساء المجالس المحلية الذين كانوا يتفهمون الامر ، ويتلهفون لتجنب اية تطورات غير مرغوب فيها · ولقد شرح «ياكوف» لهم الوضع، ووعدوا بان يتصلوا بالسلطات الحكومية· وفيالمساء وصل مراقبو هيئة الامم المتحدة ـ ضابط اميركي واخر فرنسي ـ ممثلين

للحكومة، وكانوا يقفون بجانبي، قالوا لي بأنهم يريدون الدخول الى الشاطىء للكشف على السفينة · فأجبناهم بدماثة انه لن يسمح لهم بالمرور في هـذه الظروف فرحلوا ·

كنـا محاصريـن بجنـود مـن الحكومـة مـن جميـع الجهـات ، عندمـا اقتـرح احدهـم بـان نتجـه بالسفينـة الى تـل ابيب ، الى نقطة مواجهـة لشـارع « فرشمـان » تقـع فـي الاصـل على خريطـة القبطان· بهـذه الطريقـة تمكنـا مـن تحريـر انفسنـا مـن هذا الوضـع ، واصبح باستطـاعتي الاتصـال مباشـرة مـع الحكومـة ، ووضع حد لما كنت آمل ان يكون سوء فهم محفوف بالمخاطر في مكان ما · لقد كانت الشكوك تراودني ان انا تركت الشبان محاصرين · ولكن «ميرادور» اصر على ذهابي وقال : «انك لا تستطيع ان تفعل اي شيء من اجلنا واريدك ان تذهب لتجلو الجو» · فدعوت الشبان للاجتماع بهم واستئذانهم ·

وفجأة هوجمنا من جميع الجهات بدون اي انذار بوساطة الرشاشات ومدافع المورتر · فاردت ان ارجع عن قراري وابقى ، فاصر «ياكوف» على موقفه وقال : «اذهب انت ، من المحتمل ان ينقضي الامر · انا المسؤول هنا · وعليك اخراجنا من هذا المأزق ، وقد ينسف المركب اذا ما اصيب بقذيفة» ·

لقد كانت وقفة مهمة في تبديد سحابة الدخان التي نشرت من حولنـا بهدف الحط من قدرتنا · ولقد زعموا باننا اتينا بالمركب الى مكان قريب من شاطىء تل ابيب مقابل اوتيل «كايت دان» حيث كان مقر مراقبي الامم المتحدة· واضافوا بان «ياكوف» لكي يتجنب اراقة الدماء ، وقع على عريضة الاستسلام مع قائد الجيش وسلم السفينة اليه · ان هذه القصص مزيفة ولا يوجد مـا يبررها · لقد اتينا بالسفينة مقابل شارع «فرشمان» فقط ، لانها كانت الوجهة المقررة في خطة نيسان والمبينة على خريطة السفينة · اما فيمـا يتعلـق «بياكوف» فانه في الوقت الذي وقع فيه الاتفاق في «كفارفتكين» كان قد وصل الى تل ابيب ·

وعندما وصلنا على ظهر السفينة «الالتلينا» الى شواطىء تل ابيب بعد منتصف الليل اطلقت المدافع علينا من الشاطىء «ترحيبا» · لم نرد على النار بالمثل · وعند بزوغ الفجر ادركنا ان الشاطىء قد طوق بالجنـود · ولقـد

اخبرناهم باننا لن نفتح النار عليهم في اي حال من الاحوال · وطلبنا منهم التوقف عن اطلاق النار من جانبهم ·ولقد حوصرت سفينتنا من البحر ايضا بثلاثة طرادات · ولقد فتح احدهم نار الاسلحة الخفيفة على مركب التجذيف الذي كنا نستقله الى السفينة «الالتلينا» في «كفار فتكين» · ولكن المناورات الماهرة لقبطان السفينة انقذتنا من الهلاك · كان «فاين» من اشجع الرجال الذين قابلتهم في حياتي · لقد ادار «الالتلينا» لتلتف حولنا وتكون ذراعا لنا يقينا من نيران الطرادات ·

رست «الالتلينا» في المكان المقصود، ولكنها كانت قد ارتطمت بالارض وعلقت بين الصخور عاجزة عن الحركة ، على بعد حوالي ٧٠٠ ياردة من اليابسة · وعندما وصل المركب الذي ارسلناه الى السفينة ، كنا قد اخضعنا لنيران كثيفة · فقتل احد المتطوعين الكوبيين في الحال «ابراهام ستافسكي» منظم اكبر فرق المهاجرين غير الشرعيين في الثلاثينات والمحرك الرئيسي لتنظيم عملية «الالتلينا» · اما على ظهر السفينة فقد بدا الاشخاص الذين جرحوا في الانزواء · ولقد صوبت النيران مباشرة على اهداف محددة · وهكذا فانه في كل مرة حاولت ان اذهب الى برج القيادة كانت تنصب عليه نيران كثيفة ، وعندما تركت البرج تحولت النيران الى مكان آخر ·

وفي الوقت نفسه فقد حاول رفاقنا في المدينة ، والذين انقطع الاتصال بهم ، ان يشقوا طريقا عبر خطوط الجيش للوصول الى الشاطىء المقابل لسفينتنا · فعرض عندئذ قائد «البالماخ» التوقف عن اطلاق النار شرط ان لا نطلب اية اسلحة اضافية · فوافقنا على هذا · فتوقف اطلاق النار وتوقفت معه عملية التفريغ · واطلعنا القائد بانه يوجد لدينا عدد من الجرحى على ظهر السفينة · اما مركبنا فقد دمر ولم يعد يصلح لانزال الجرحى · فطلبنا مركبا لاخذهم الى المستشفيات نظرا لعدم وجود اي طبيب ، ونظرا لوجود عصابات بالغة الخطورة · فوعد ضابط «البالماخ» بارسال مركب في الحال من ميناء تل ابيب · وانتظرنا ساعة، ساعتين ، ولكن لم يأت اي مركب · وساءت حالة الجرحى ·

وفجأة ··· صفر شيء ما فوق رؤوسنا · فصرخ الربان : «انها قذيفة! سيشعلون النار في السفينة !» فصرخنا بقائد « البالماخ » على سبيل

التذكير بوعده الذي قطعه لوقف اطلاق النار بشكل تام · فلم يجب · قذيفة ثانية، فثالثة فرابعة· لقد حاصروا السفينة وبداوا يزحفون نحو هدفهم لقد كان «مونرو» في وضع اليائس · فاقترحت عليه ورفاقه الامريكان الرحيل عن السفينة اما الاخرون منا فيبقون· فلم يصغ لكلامي هذا واشار الى ان السفينة ستنسف اذا استمرت الرماية نظرا لحمولتها من المتفجرات · فالطريق لانقاذها هو رفع العلم الابيض ، وهذا ما فعله · ولكن رمز الاستسلامهذا لم يكن له اي مفعول بين محاربين متمدنين واستمر اطلاق القذائف · فصرخنا على قائد «البالماخ» لقد اخذت على عاتقك ايقاف اطلاق النار ·فلماذا تطلقون النار علينا ؟ وجاء جوابه بعد لحظة · وتستحق كلماته ان تسجل :

«هناك وقف اطلاق نار عام، ولكن الاوامر لم تصل بعد الى جميع وحدات الجيش» · وبعد دقائق اخترقت قذيفة قعر السفينة وشبت النار وانطلق الدخان · لقد كان اول عمل ملحّ هو تخليص الجرحى · لقد تصرفوا بشجاعة · لم يعد هناك اي خوف ولم يقفز احد منهم الى الماء · فقد ضبطوا انفسهم وبقوا هادئين · فانزل الجرحى اولا · لقد كان «فاين» رائعا · ولقد استمر في عمله على برج المراقبة وهي تحترق ويعطي الاوامر بهدوء ، مضيفا بين الحين والاخر «مونوا عليكم» · فلقد امر بتفريغ «العنابر» من حمولتها · وهكذا لم ينقذ فقط ارواح الاشخاص الذين كانوا على ظهر السفينة ، ولكنه انقذ كثيرا من بيوت تل ابيب القريبة من الشاطىء · لو ان السفينة انفجرت لانتشر الدمار · وامر بنقل الجرحى الى الابنية القريبة · فانزل الجرحى واحدا تلو الاخر · لكن القذائف كانت لا تزال تسقط حول السفينة المحترقة ، بينما كان ازيز الرصاص يصفر قرب الرجال وهم ينزلون الجرحى على طوافات مرتجلة ·

وانطلق بعض شبابنا في المدينة الى شاطىء البحر · واستعملوا مراكب استجمام خاصة غير عابئين بالخطر او بالنيران المنطلقة من عنابر السفينة حيث كان من الممكن ان تنفجر في اية لحظة · فجذفوا بمراكبهم الخفيفة · وجاءوا لانقاذ رفاقهم مصممين على القيام بذلك بالرغم من كل المخاطر ·

وشبت النيران في «الالتلينا» · اما السلاح الذي بقي فيها فقد دمر ،

واصبحت السفينة مقبرة جماعية لعدد من الرجال الشجعان ، الذين جاءوا متطوعين للقتال من اجل شعبهم ٠

ولقد لاقى «ابراهام ستاسفكي» احد اصدقائي ، الذي استطاع بنشاطه وعمله الدائب ان ينقذ الافا من اليهود من افران الموت النازية ، واحضارهم الى ارض اسرائيل ، لاقى حتفه في المستشفى متاثرا بجراحه ٠ لقد فقدته من بين من فقدتهم ٠

لقد ارتكبت الحكومة اعمالا شنيعة للقضاء على ما تصورتهم بالمنافسين السياسيين الخطرين ٠ لقد كان ذلك كافيا لخلق حرب اهلية ٠ ولكن العدو الدخيل كان على ابواب وطننا ٠ ولقد اقسمنا بان لا نرفع السلاح ضد مواطنينا اليهود تحت اي ظرف من الظروف ٠

وبعد عدة ايام كان شبان «الارغون» ومن ضمنهم شبان من السفينة «الالتلينا» يتجمعون على جميع الجبهات ويواجهون الغزاة ، انهم رجال قدموا من «فيلادلفيا» ، و«ناتان كاشمان» من لندن ، وقدموا حياتهم وهم يقاتلون ببطولة من اجل القدس ٠

في تلك الليلة من عام ١٩٤٨ وعندما دمرت «الالتلينا» تكلمت من خلال الراديو شارحا ظروف السفينة واسلحتها وضحاياها ٠ لقد تاثرت حتى البكاء ٠ فكان هناك كثير من الابطال من جميع الطبقات الذين استمعوا الي وهم يجلسون على مقاعدهم وسخروا من عاطفتي المؤثرة ٠ فليسخروا ٠ هناك دموع لا حاجة للمرء ان يخجل من ذرفها ، وهناك دموع يفخر الانسان بذرفها ٠ ان الدموع لا تسكبها العيون فقط ٠ ففي بعض الاحيان تتفجر دما من القلب ٠ هناك دموع تنبع من الاسى والحزن وهناك دموع تجلب الخلاص ٠

من يتابع قصتي يدرك ان القدر لم يدللني ٠ لقد خبرت الجوع منذ طفولتي كما خبرت الاسى والحزن ٠ حتى ان الموت كان يحوم فوق راسي في الوطن ، وفي الغربة ولكنني لم اذرف الدمع ٠ ولكنني ذرفت الدمع في ليلة اعلان الدولة ، ويوم « الالتلينا » ٠ لقد كانت هناك حقا دموع الاستعباد ،

كما كانت هناك دموع الحزن ، وهنــاك اوقات يختار فيهـا المرء بين الـدم والدمع · كنا نرى في بعض الاحيان انه من الضروري ان يحل الدم محـل الدموع · وكمـا علمتنا «الالتلينا» كنـا نـرى في بعض الاحيان انـه مـن الضروري ان تحل الدموع محل الدم · يجب على الجميع ان يتذكروا ذلـك وخاصة اولئك الذين فجروا « الالتلينا » ، وقتلوا رجالها ، واطلقوا النار على اولئك الذين كانوا يفرون من نيرانها ومن ضمنهم الجرحى ·

وهكذا فقد مرت مرحلة الحرب الاهلية في اسرائيل التي كانت ستدمر الدولة اليهودية قبل ولادتها ·· وبالرغم من كل شيء لم تحدث حرب اهلية ·

المقاومة الموحدة

صيف ١٩٤٥ ··· هو صيف نهاية الرعب وبداية النصر ، هو صيف التحرر من الاوهام ، كما كان صيف الامل · وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها وبدأت تتقوض وحدة المنتصرين الذين جمعتهم المصلحة المتضاربة في حرب ضد عدو مشترك ، وبدأ النزاع بين الغرب والشرق وسارت معه التحضيرات من اجل حرب عالمية ثالثة قد تكون اكثر من سابقتها بشاعة واكثرها فظاعة في تاريخ الانسان · في ذلك الصيف حاز الشعب اليهودي النصر على الوحوش الالمان · ولكن مع انهيار هذا الوحش دب الرعب والخوف · لقد جاءت المرحلة الاخيرة من حملة الابادة لليهود الاوروبيين · ومن خلال وحشية الاعداء اصبحت اوروبا قبرا كبيرا لملايين اليهود · ولقد حصل ما تنبأنا به · من بين السبعة عشر مليونا من اليهود الذين يعيشون في العالم بقي منهم احد عشر مليونا · لقد دمر ثلث شعبنا بشكل وحشي وبدون مقاومة ·

واستمرت ملاحقة « الارغون » التي لم تستسلم ولم تاخذ بالثار · ولكن عيوننا كانت تتطلع نحو المستقبل · ومع انتهاء الحرب فتح العالم عينه علينا ، وكنا قادرين على جذب انتباهه الى وطننا الذي كان يأخذ حيزا ضيقا فيه · وفتحت مجالات واسعة لكفاحنا المسلح · لقد توقع المستبدون ان تقوم هناك حرب اهلية ، ويراق الدم فيؤمنان له السلام والسيطرة · ولكننا نحن الثوار، كنا قد صممنا على ان نخيب امله · ومع نقطة التحول التي حدثت مع انتهاء الحرب العالمية الثانية لم نقرر الاستمرار في الكفاح فقط ، ولكن ايضا تكثيفه رغم حملات الاضطهاد الداخلية ·

وفي الوقت نفسه فقد بذلنا كل جهدنا لنظهر للدوائر اليهودية الرسمية الفاجعة ، ولاقناعهـم في وقف شحذ طاقاتهم ضـد مقاتلينا ، وان يوجهوا قواهم ضد العدو بدل توجيهها ضدنـا • وفي ايـار ١٩٤٥ ارسلنا مذكرة شاملة الى ٢٥٠ من اليهود البارزين منرؤساء المؤسسات والاحزاب السياسية والعلماء ، وقد اقترحنا ان تجتمع الشخصيات الكبيرة مـن الاحزاب وغير الاحزاب ، وتضع الاسس للمؤسسات التالية :

١ ـ حكومة يهودية مؤقتة •
٢ ـ مجلس وطني اعلى •

ويترتب على اعضاء الحكومة المؤقتة التوقيع على بيان دستوري ، وان يتقبلوا بكل سرور هذه المخاطرة او هـذا المصير لان السلطات البريطانية ستلقي القبض عليهم • ويجب ان يتذكروا الاهمية السياسية لهذا العمل في الداخل والخارج من اجل توحيد قيادة جموعهم المقاتلة • ولهذا السبب يجب ان ينتخب اعضاء الهيئة الاستشارية الثانية والثالثة للحكومة المؤقتة • ان هوية هؤلاء الاعضاء سوف تظل طي الكتمان ، وهم يواصلون ادارة الكفاح السري اذا ما قبض عليهم او عجزوا او اصبحوا غير مؤهلين لهذا العمل •

ان المجلس الوطني الاعلى الذي تعود اليه مسؤولية الحكومة المؤقتة يجب ان يختار اعضاءه من بين ممثلي جميـع الاحزاب اليهودية ويتقيدوا جميعهم في تحقيق الحد الادنى مـن اهـداف برنامج سياسي واجتماعي واقتصادي • وممـا لا شك فيه ان المبدأ الاساسي يتضمن كلا من الحقـل السياسي (الحكومة اليهودية ، واعادة الكتـل البشرية اللاجئة ، ونظـام ديمقـراطي حـر ، ومساواة في الحقـوق لجميع سكـان البلد) • والحقل الاجتماعي (رفع مستوى معيشة العمـال وجميع طبقات المجتمع الذيـن يحتاجون الى الوسائل التي تفي وجودهـم ، التامين الاجتماعي ، الاصلاح الزراعي ، توزيع الاراضي الزراعية على العمال ، الامتلاك العام للخدمات العامة ••• الخ •) •

وتقيم الحكومة هيئة عامة لادارة الثورة المسلحة ، ومجلس اجتماعي اقتصادي للاشراف على تنظيم المؤن ، ومجلس للشؤون الخارجية ، لتاسيس علاقات مع الدول العالمية ، ومجلس تشريعي الذي يؤسس المحاكم المستقلة ،

ويضع دستورا مؤقتا للجمهورية العبرية ومؤسسات اخرى تتطلبها الحرب والحوادث ٠

- ٢ -

لقد كانت ردة الفعل على اقتراحاتنا مميزة ٠ فارسلنا مندوبين الى عدد ممن ارسلنا اليهم مذكرتنا من اجل الاسهاب في شرح محتواها واستلام الجواب عليها ٠

لقد قال الحاخام السابق «ماير برلين» رئيس حزب «مزرحاي» لرسولنا: «اذا ما اتيتني بخمسين رجلا مستعدين للتوقيع على اقتراحاتكم فاني سوف اكون اول الموقعين ولكنك تدرك الوضع ٠٠٠» ٠ لقد كان الحاخام رجلا شجاعا وجليلا ٠ فقد اقترح مرة عندما كانت حملات التفتيش البريطانية في اوجها وذروتها على رفاقي بان الجأ الى بيته٠ فأرسلت شكري وامتناني الى الحاخام المثقف لاقتراحه اللطيف ٠لم تكن اوضاعي الامنية سيئة للغاية في ذلك الوقت ، ولم ار مبررا لجلب الخطر الى الحاخام «برلين» ٠

لقد كنا نرى انه من الصواب ان يخاطر القياديون بانفسهم من اجل كسر الطوق ٠ فلقد طلب منا الحاخام «برلين» خمسين توقيعا ممن يعبرون عن مواقفهم ، ولكننا لم ننجح في الحصول على هذا العدد ، حتى اننا لم نحصل على خمسة ٠ ولكننا لم نياس ، حتى ان السخرية لم تؤثر فينا ٠ لقد كنا على صواب ٠ وهذا هو الشيء الإساسي ٠ ولم نكن مخطئين ٠ لقد رفضت اقتراحاتنا الاساسية في ايار ١٩٤٥ وقبلت ونفذت في عام ١٩٤٨ ٠ ان ثلاث سنوات ليس بالوقت الطويل في عصر الراديو والطائرات ٠

لم نتحمل السخرية لتبقى ثلاث سنوات ، والحقيقة انها تبخرت خلال شهور قليلة من رفض مقترحاتنا ، وذلك لانه لم يمض وقت طويل الا وقد حدث التحرر من اوهامنا ٠ فقد جرت الانتخابات العامة في بريطانيا ٠ ولم يبق من تلك الاوهام التي رضعناها الا مرارتها ٠

لقد اكد لي «الياهو جولومب» في الحديث الوحيد الذى كان بيننا ونحن في الخفاء ، بانه اذا ما قدر لحزب العمال ان يستلم السلطة في بريطانيا فسيصبح في مقدورنا الحصول على قسم من طلباتنا على الاقل • ان السذاجة في سرعة التصديق لم تكن كما يبدو تراود «جولومب» وحده • لقد كان يشاركه في ذلك كثير من زملائه في مختلف المؤسسات اليهودية • لا عجب اذن ان يقفز صانعو الاوهام من الفرح لسماعهم اخبار هزيمة ايدن ـ تشرشل في الانتخابات ليحل محله «بيفن واتلو» • لقد كسب المحتفلون الثقة التي كانوا يسمونها «بالصداقة التقليدية للصهيونية» من حركة العمال الاشتراكية البريطانية • لقد وثقوا بالقرار الذي اتخذ في مؤتمر «بلاكبول» الذي دعا اليه حزب العمال والذي طالب باقامة دولة يهودية في فلسطين • حتى ان مستر «اتلو» وعد بترحيل سكانها العرب منها • في حقيقة ما قبل الغزو العربي في عام ١٩٤٨ فانه كان للسلطات البريطانية ، دور في جعل العرب يهربون من البلد ، لكي يعودوا اليها مؤخرا كمنتصرين • وهكذا يمكننا القول بأنهم برّوا بنصف ما وعدوا به الا وهو النصف الثاني اما النصف الاول فكان علينا القيام به لهم •

من يتذكر تلك الايام من عام ١٩٤٥ ، وما اتى بعدها يجد الان انه من الصعب ادراك المدى الذى كانت فيه القيادة اليهودية الرسمية عمياء ومثيرة للشفقة • ولكن الحقائق هي الحقائق • ومما زاد سرور الرسميين بانتصار حزب العمال هو قرار هيئة الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، وكان ذلك في ٢٩ تشرين الثاني (نوفبر) من عام ١٩٤٧ • فقد كتبت جريدة «دافار» الناطقة بلسان القيادة الرسمية : «ان النصر الذي حققه حزب العمال والذي رفع علم الصهيونية غير المعلن ، خلال حملة الانتخابات هو نصر واضح لمطالب الصهيونية حسب المفهوم البريطاني • ولقد ارسلت التحيات التالية المنطوية على الرياء الى سكرتير حزب العمل البريطاني : «احر التهاني بنصركم العظيم • فقد تتبع عمال فلسطين صعودكم الى اعلى المناصب في تحمل المسؤولية الوطنية بكل مودة وثقة • اننا لواثقون كل الثقة في انجاز جميع خططكم لمساعدة شعبنا في التخلص من اثار المعاناة والالم وفي بناء وطنه المستقل» •

بالاضافة الى المقالات الملتهبة والتلغرافات الحماسية ،كانت الخطب الاذاعية المشحونة ، والتصريحات والبيانات • حتى ان شوارع تل ابيب شهدت مهرجانات رقص حماسية• وباختصار، لقد كان النصر العمالي هو نصرنا، لدخولحزب العمال البريطانيالى «اعلىالمناصب فيتحمل المسؤولية الوطنية والعالمية» • وعلى هذا الاساس ما على اليهود الا الابتهاج •

من المفيد ايضا في هذه الحالة مقارنة ردة فعل القادة الرسميين مع مفهوم الثوار السياسي ، والذي زعم بانهم لا يمتلكون رؤيا سياسية واضحة وبعيدة المدى • وبينما كان المتوهمون يقرعون طبول التفاؤل كانت «الارغون» تنشر هذا البيان •••

«ان حزب العمال البريطاني قد وعد قبل وصوله الى السلطة بان يأخذ على عاتقه مسؤولية اعادة ارض اسرائيل الى شعب اسرائيل بشكل دولة مستقلة ، حيث يعود اليها جميع اليهود المنفيين وجميع اولئك الذين يتوقون اليها • ان هذا العمل بحد ذاته لا يعد ضمانة للوصول الى هدفنا الوطني• ان الشعب اليهودي تعود على المعاناة وتعلم من التجربة والخبرة • ان رجال المعارضة واحزابها ولمدة خمس وعشرين سنة وهم يعطون الوعود الكثيرة ويأخذون على عاتقهم تعهدات والتزامات • ولكن عندما وصلوا الى السلطة تراجعوا عن وعودهم وسلكوا سياسة سلفهم • والنتيجة كانت اغتصاب بلدنا ، ودمار شعبنا • هذه الخبرة التي كلفت الشعب اليهودي حياة ستة ملايين نسمة ، علمتنا ان حرب التحرير فقط ، هي التي ستحرك العوامل العالمية ، وهي التي ستجلب الخلاص لشعبنا المضطهد الذي هلك القسم الاعظم منه •

ان الكفاح الذي يخوضه شبابنا لم يكن من اجل الحصول على بيانات دافئة وحميمة ، او الغاء القرارات والمراسيم • لقد خضناه للوصول الى الهدف الاساسي وهو اقامة حكم يهودي في ارض اليهود • وسوف يستمر هذا النضال حتى يتحقق الهدف • ولهذا السبب لم نلق السلاح ، ولهذا السبب ، وبالرغم من التهديدات من الخارج والداخل ، دخلنا خلال الايام القليلة الماضية مرحلة تكثيف العمليات •

ولكن نظرا للحقيقة بان اعضاء الحكومة البريطانية ، كونهم اعضاء حزب العمال قد ايدوا برنامج اعادة اللاجئين الجماعية الى ارض صهيون ، واقامة الدولة اليهودية • فاننا نعتبـر ان من واجبنا النابع من شعـــورنا بالمسؤولية ومن ارادتنا الحرة اعطائهم الفرصة لكي يبرهنوا فيما اذا كانوا يعنون الاستمرار في الطريق التي شقها اسلافهم ، الا وهي طريق الخيانـة والنكران او انهم يفون بانجاز التزاماتهم وتعهداتهم العلنية المشهورة بدون تاخيـر •

ونظرا للحال التيبتخبط فيها شعبنا، فاننا سننتظروقتا قصيرا ــ اسابيع وليس اشهرا ــ لتقرير ما اذا كانوا يقصدون ترجمة كلماتهم الى افعال ، او انه سيضاف الى الاوهام اليهودية وهم آخر ، وربما اخرها • وسيبدد فقط اذا اتحدنا واعلنا الحرب ، حتى النهاية ، حرب حتى النصر» •

مرت اسابيع قليلة واعطي البرهان • وتكلم «بيفن» واعاره العالم اذان السذاجة المصدقة • وتبخر حلم منتصف الصيف • وتبخر الوعد العـالمي ، وتبخرت مقررات «بلاكبول» ، وتبخرت الصداقة • وبقيت القبضة البريطانية التقليدية • وبقي في وجهنا «بيفن» الذي اصبح كرهه لليهود اسطورة •

انتهت مع التحرر من الاوهام اصعب المراحل واخجلها في تاريخ الثورة المضادة للبريطانيين • وتأكد قادة الوكالـة اليهودية بانهـم لا يستطيعـون الاستمرار في التعاون مع السلطات البريطانية • واعطيت الاوامر لايقـاف حملة الشجب والاستنكار الموجهة ضد «الارغون» ، وايقاف تسليم السجنـاء وايقاف حملة الخطف • فخففت «الهاغاناه» من ضغطها ، وارسل الينا اول اقتراح لاقامة الجبهة الموحدة •

وبالرغم من مرارة التجربة فاننا ادركنا اننا سنجد القوة الروحية لمد يدنا والحصول على ما نصبو اليه دائما وحدة القتال ، وجبهة يهودية موحدة• ما الذي لم نتحمله وما هي التضحيات التي لم نضح بها من اجل الوصول الى هذه النتيجة ؟ وفي الحقيقة ، فان احد الاسباب الوجيهة والحاسمة التـي جعلتنا نضبط اعصابنا ، كان ايماننا بانه سوف يأت اليوم الذي تقام فيـــه جبهة موحدة • والان فقد جاء ذلك اليوم • لم تذهب تضحياتنا عبثا • ولقد دعم قرارنا الرجال الذين وشي بهم والذين يقبعون وراء الاسلاك الشائكة في الوطن وفي الغربة •

وهكذا فقد قبلنا وبدون اي شرط مبدأ وحدة القتال ، ولكننا لم نكن لنوافق على محادثات فورية · فالهاغاناه لا تزال تحتجز احد رجالنا · ولم يطلقوا سراحه · واخبرنا ضباط «الهاغاناه» باننا لن نناقش معهم اي اتفاق ما دامت حال الاضطهاد مستمرة · اننا نعلم انهم لا يستطيعون اعادة الرجال الذين سلموهم الى البريطانيين ، ولكن بوسعهم اعادة «اليعازر» لانه لا يزال في ايديهم · ورفضنا المصالحة ، الا حسب هذه الشروط التي قبلت اخيرا ، وعاد «اليعازر» الينا ·

ولقد ادخل «اليعازر» مع ضابط اخر خلسة الى ايطاليا على ظهر ناقلة بترول · لقد كانت التعليمات الموجهة اليه هي تنظيم عودة اليهود المشتتين · ولقد بذل ما بوسعه لتنفيذ هذه المهمة · وذهض اعضاء «الارغون» في الخارج ، فأثاروا الخوف في اعدائنا خارج ارض اسرائيل ، ولكن فيما يختص بالهجرة اللاشرعية فقد عانينا كثيرا من خيبة الآمال · فقد حصل «اليعازر» على سفينتين في ايطاليا · ولقد زودته «الجمعية العبرية للتحرر الوطني» في الولايات المتحدة ، فيعملية الاستيلاء على اجور الموظفين من «قطار الخضيرة» ، بما يحتاج اليه · ولكن احدى هذه السفن احترقت ، ونسفت الاخرى · وهكذا ، فان عملنا لاعادة اللاجئين الذي حقق الكثير قبل الحرب العالمية الثانية ، قد شل · وبعد هذا الفشل في ايطاليا بسنتين نجحت «الجمعية العبرية للتحرر الوطني» في الحصول على سفينة ، احضر على متنها نحو الف نسمة من اللاجئين الذين نقلوا الى قبرص مثل اغلبية اللاجئين ·

ولكن النجاح والفشل في عملية اليهود المهجرين كانت متوازية في مستقبلها في تلك الايام من عام ١٩٤٥ ، عندما اطلق «اليعازر» من خاطفيه · وهكذا ازيلت آخر العقبات التي كانت تقف حائلا بين اجتماعنا نحن والهاغاناه · وعقد اللقاء وحضره ثلاثة متكلمين رسميين لثلاث منظمات مسلحة : الهاغاناه ممثلة بـ«موشيه سنيه» احد معارفي القدامى ، وكذلك بـ«اسرائيل غاليلي» الذي كنت قد رأيته لاول مرة · ولقد كانت منظمة «شتيرن» ممثلة بـ«ناتان فريدمان» · ولقد كنت الناطق الرسمي باسم «الارغون» · وفي هذا الوقت لم يكن هناك اي انذار ، او اي حديث عن التصفية · لقد تكلمنا عن صيغة وحدة القتال وعن آمال الشعب ·

- ٣ -

لقد اقترح «غاليلي» و«سنيه» الاندماج الكامل لجميع التنظيمات المسلحة. ولقد سردوا بعض الاسباب ، ولكن نقاشهم دار حول تشكيلهم الوشيك لحركة مقاومة يهودية .

لقد قالوا : «ان الهاغاناه ستحارب حكومة الكتاب الابيض فلماذا لا تنضمون الى صفوفها ؟ لقد كنتم تتذرعون باننا اذا ما بدأنا بالقتال ضد البريطانيين فسنكون مستعدين لقبول نظامنا . والان وقد حان الوقت . لقد بدأنا القتال وبالتأكيد فاننا سنستمر . وانظمتكم تسمح لكم بالانضمام «للهاغاناه» ، واؤكد لك بان وحداتكم سيكون لها نوع من الاستقلال خلال الفترة الانتقالية .

ولقد اخبرني «ناتان فريدمان» مؤخرا انه قد يقبل بهذا الاقتراح . ولكن «الارغون» اجرت محادثات تمهيدية . لقد كنا على اتم الاستعداد للعمل مع «الهاغاناه» ، ولكننا لم نكن مستعدين للذوبان تحت معطف الوحدة . ولقد شرحت لـ«سنيه» و«غاليلي» الاختلاف في الرؤيا السياسية والاوضاع التنظيمية بين «الهاغاناه» و«الارغون». ولقد فاخرت «الهاغاناه» بانها تقبع تحت اوامر الوكالة اليهودية . لقد اعتبرنا هذه العلاقة ارتدادا كبيرا ، اذا لم يكن حاسما في النضال من اجل التحرير .

وهكذا فقد عبرت عن اتجاهنا وقلت انه لا يمكننا التخلي عن وجودنا المستقل ، وخصوصا في اولى مراحل العمل المشترك . ونحن مسرورون جدا للتحول الذي طرأ على موقفكم ولكننا قلقون على المستقبل . ولقد امرتم المؤسسات الوطنية اليوم بالتوجه بالقتال نحو طريق واحد ، هو مقاتلة البريطانيين . والبارحة كانوا قد امروا بمقاتلتنا . فمن يدري ما هي الاوامر التي سوف تعطى لهم غدا ؟ ان القرار ليس بين ايديكم . فهناك آخرون يقررون لكم . ماذا سيحدث لكم اذا ما غيروا رأيهم ، وماذا سيحدث لنا ،

وهذا اهم من كل شيء ؟ وماذا سيحدث للكفاح؟٠ انكم تتلقون الأوامر ولكننا كما سبق وكررنا القول فاننا سنقاتل الحكومة البريطانية طالما استمرت تحكم البلد ٠ ماذا ستكون النتيجة ؟ انفصال جديد بعد الاتحـــاد ؟ ولمـــاذا نجلب لانفسنا كل هذه التعقيدات ؟ دعنا اذن نقبل ما يمليــه الواقـــع ٠ لقد دخلت «الهاغاناه» القتل منذ عهد قريب ، اما نحن فقد خضناها منذ امد طويل٠ لذلك دعونا نقيم جبهة موحدة بالرغم مما حدث في الماضي ٠ واذا كنتم تسعـــون الى نضال مستمر ، فلن يكون من المستحيل حصول الاندماج ٠ ولكن اذا ما قررتم التخلي عن النضال ، لسبب او لآخر ، فاننا لن نحذو حذوكم وســـوف نستمر بالقتال ٠ واتفاقنا حينئذ يكون واضحا وجليـــا وكذلـــك عمليـــا غيـــر مصحوب باية تحفظات ذهنية غير معلنة ٠

لـــم نصـــــل الى ايـــة نتيجـــة عمليـــــة خـــلال اللقـــاء الاول ٠ وبعد عـــدة ايـــام عقـــد اجتمـــاع ثـــلاثي ٠ ولقـــد قبلت قيـــادة منظمـــة «شتيرن» وجهـــة نظرنا ، ووافقنـــا سويـــا على اتجـــاه مشتـــرك ، ولقـــد قـــررنـــا السعـــي لانشـــاء وجـــود مستقـــل ، ولكـــن لمصلحـــــة وحـــدة القتـــــال ووافقنـــا على الامتناع عـــن العمليات المستقـــلة ما عـــدا عمليات المصادره (مصادرة الممتلكات) ٠ وبموافقة قيادة الوكالة اليهوديـــــة ، وقبـــل ممثلـــو «الهاغاناه» اقتراحاتنا المضادة٠ ولقد اتفقنا فيما بيننا، على انه بينما تحتفظ المنظمات السرية باستقلالها فان القرار الفصل في العمليات الهجومية ضد حكومة «بيفن» يكون من اختصاص قيادة حركة المقاومة الموحدة (١) ٠

لقد كانت حركة المقاومة مخولة بتنفيذ العمليـــــات العسكريـــــة ضـــد البريطانيين ٠ واتفق على ان لا تكون هناك قرارات اعتباطية او استبدادية ٠ وفي اوقات معينة تجري مناقشات بين ممثلي المنظمات الثلاث حول الاوضاع السياسية والعسكرية ٠ وفيما يختص بالعمليات الهادفة الى الاستيلاء على السلاح او المال من السلطات البريطانية ، فقد كان تقرير مثل هذه العمليـــات من اختصاص حركة المقاومة الموحدة ٠

---

(١) ان حركة المقاومة والهاغاناه بالنسبة للارغون مسميات مختلفة لشيء واحد٠ لذلك فسنستعمـــل في مكـــان اخـــر مـــن الان فصـــاعـــدا دون ان يؤثـــر ذلـــك على المعنى ٠ (المؤلف) ٠

ولقد وجد هذا الاتفاق صدى فيالبرقيات السرية التي ارسلها «موشيه سنيه» الى زملائه في الخارج · ولقد وجدت هذه البرقيات طريقها ، وبشكل غامض ، الى المخابرات البريطانية ، التي التقطت وترجمت تلك البرقيات التي كتبت بالشيفرة بوساطة عملائها · ونشرت في «الكتاب الابيض» ·ويجب ان اسجل ان «الكتاب الابيض» الذي يتحدث عن «العنف في فلسطين» ، كان احد الوثائق البريطانية القليلة حول فلسطين والتي قراتها ولم اجد فيها اي تشويه او تحريف · ويمكن ان تكون هناك وثائق اخرى ولكنني لم ار تلك الوثائق · ان «الكتاب الابيض» الذي صدر عام ١٩٤٧ كان يحتوي على الحقائق · وهكذا مثلا نقتبس من نشرات «كول اسرائيل» (الاذاعة الرسمية لحركة المقاومة اليهودية) ، ونضيف بان هذه النشرات لها اهميتها الخاصة نظرا لموافقة رئيس الشعبة السياسية للوكالة اليهودية عليها ·

هنأت «سنيه» في احدى اجتماعاتنا على النشرات السياسية السليمة · فتقبل التهاني واضاف :

ـ «هل تعتقد اني قد اقررت هذه النشرات على مسؤوليتي الخاصة ؟!»· «ولكن «موشيه شرتوك» وافق عليها» ·

وفي برقيات اخرى لها علاقة بالاتفاق مع المنظمات السرية كتب «سنيه» برقية في ٢٣ ايلول ١٩٤٥ :

«اقترح ان نسبب حادثة خطيرة ، حيث نصدر بعدها تصريحا مؤثرا يكون بمثابة انذار ، وايحاء بحوادث اكثر خطرا تهدد سلامة المصالح البريطانية في البلد ، اذا ما اتخذت الحكومة اي اجراء ضدنا · ارسلوا لنا وجهات نظركم بالاشارة الى ما تقدم مشيرين الى الاحصاء العام (المادي ـ والبشري) حول الهجرة خلال سنوات الحرب · ولقد عبرت منظمة «شتيرن» عن استعدادها الكامل للانضمام الينا على اساس برنامج عمل · ويبدو ان الامر كان جديا هذه المرة · واذا ما حصل مثل هذا الاتحاد فيمكننا منع اي عمل مستقل · ارسلوا وجهات نظركم فيما يختص بموضوع الاتحاد ، مشيرين الى الاحصاء البشري حول امكانية تطوع اليهود للانضمام الى الجيش ـ سنيه ··» ·

وفي برقية صادرة في ١ تشرين الثاني ١٩٤٥ :

«لقد وصلنا الى اتفاق مع المنظمات المناوئة ، بحيث نعين لها بعض الواجبات • وهناك بعض من يعارض اي اتفاق مع المناوئين • ولقد نفذت العمليات التالية يوم الاربعاء : اغراق مركبين في ميناء حيفا ، وثالث في يافا ، لقد كانت مهمة تلك المراكب اصطياد المهاجرين • ودمرت خطوط سكك الحديد في ١٨٦ نقطة • وحصل ٥٠٠ انفجار • ولقد علق العمل على خط سكة الحديد الذي يربط سوريا ــ بغزة ، وكذلك خط سكة الحديد الذي يربط حيفا بسمخ ، وكذلك الذي يربط اللد بالقدس ، ولم يجرح او يقبض على اي شخص في جميع تلك العمليات» •

«وفي تلك الليلة هاجمت منظمة «الارغون» محطة اللد مسببة دمارا كبيرا ، وموقعة عددا من الاصابات • ولقد احدثت منظمة «شتيرن» دمارا كبيرا في مصفاة حيفا وقتل رجل واحد • فلقد اخبرنا المناؤون مسبقا بهذه العمليات ، ولم نعارض عملية اللد » وانما عارضنا عملية مصفاة الزيت» •

ان الاتفاق بين المجموعات التي تؤلف حركة المقاومة ــ الوكالة اليهودية والهاغاناه والمنظمات السرية ــ لم يكتب بالحبر ولكنه وقع بالدم • وشرطه الاساسي كان العمل • ولقد فرض ذلك علينا قيودا خطيرة • ومنذ تشرين ثاني ١٩٤٥ وحتى ايلول ١٩٤٦ اي الوقت الذي توقفت فيه « الهاغاناه » عن القتال، فاننا هاجمنا البريطانيين فقط حسب الخطط التي وافقت عليها قيادة حركة المقاومة الموحدة ولم ننفذ اية عملية بدون موافقتها المسبقة ما عدا عمليات المصادرة ، وذلك حسب الاتفاق المعقود بيننا •

ولقد حدثت احدى عمليات المصادرة قبل الوصول الى الاتفاق على العمليات • وبينما كنا نناقش شروط الاتفاق تسللت احدى مجموعاتنا الى معسكر «رحبوت» حيث كانت هناك وحدات بريطانية مؤلفة من جنود يهود معسكرين ، وبدون ايذاء اي جندي استولينا على عدة مئات من البنادق وحوالي دزينةمن رشاشاتبرن وعلى عدد اخر من الرشاشات الصغيرة، وكمية لا بأس بها من الذخيرة وبعض التجهيزات الاخرى • ولقد استنكرت اذاعة

«كول اسرائيل» العملية بشدة ٠ ولقد لامنا «غاليلي» و«سنيه» على تنفيــذ العملية ٠ ومن جهة اخرى فقد لامنا اعضاء منظمة «شتيرن» لاننا لم ندعوهم للاشتراك في العملية ٠

لم يكـن وضعنــا سارا للغاية ٠ ولم نكـن راغبين في اخفـاء الحقيقة عن رفاقنا ، ولكننا لم نكن في موقف يسمح لنا باخبارهم بالحقيقة ٠ والحقيقة اننا اخذنا على حين غرة ٠ ان عملية معسكر «رحبوت» لم تنفذ حسب اوامر القيادة ، بل انها نفذت حسب مبادرة ذاتية للمشتركين في العملية انفسهم ٠ فخوفا من الامتناع عن تنفيذ العمليات فكرت مجموعة من الضباط والمخلصة «للارغون» في اغناء مستودعات سلاحنا فنفذت العملية ولم تخبر احدا بذلك٠

لقد كان هذا خرقا للمبدأ الذي وضعنا في موقف حــرج ٠ ولقــد انبت ضباطي المخلصين تانيبا قاسيا ٠ ولكن في قــرارة نفسي فقــد اختلــط علي الشعور ٠ ومن بين اولئك الذين شاركوا بعملية الاستيلاء على السلاح فــي «رحبوت» ، الكثيرون ممن لعبوا ادوارا بطولية في النضال من اجل التحرير٠ وأمل ان يغفروا لي كلماتي القاسية التي وجهتها اليهم ، ذلك لاني كنت اقوم بواجبي ٠ لقد كانت تلك العملية هي أولى العمليات وآخرها خلال سنــوات الثورة التي نفذت بدون تعليمات او موافقة مسبقة من القيادة العليا ٠ واذا كان النظام مهما في كل جيش ، فكم يكون دلك مهما في جيش من الثوار يحيط به الاعداء والاخصام ؟ ولقد حققت عملية مصادرة الســلاح في «رحبــوت» هذا ، واني ادرك انهم يشاركوني آلمي واساي ٠ وربما كانوا يجب ان يقلدوا الاوسمة بدلا من التأنيب والتوبيخ او ربما الاثنين معا ٠ ولقد قلدوا التأنيب ولكن اين الاوسمة ؟ ٠ هذه هي المكافأة للمجموعة التي خرقت النظام ونفذت عملية «رحبوت» ٠ وكم من العمليات الناجحة التي نفــذت بتلــك البنــادق والرشاشات من اجل التحرير ؟٠

– ٤ –

لقد استمر قتال «الهاغاناه» ضد البريطانيين مدة تسعة اشهر وذلك من تشرين ثاني ١٩٤٥ حتى حزيران ١٩٤٦ ، واستمر تعاونهم معنا مدة عشرة اشهر من شهر تشرين ثاني نفسه حتى آب التالي ٠ ولقــد كانت مؤتمراتنــا

المشتركة والدورية تقام كل خمسة عشر يوما · فكان هناك اجتماع لضباط العمليات قبل اية عملية يتفق عليها · وكانت العمليات المشتركة تنفذ بوساطة الوحدات الهجومية ، وكنا نخطط لها · وكان «اتيان» يمثلنا في اجتماع العمليات ، وبعد ان قبض عليه خلفه «جدعون» · وكان «يتسحاق ساده» يمثل «الهاغاناه» وينظر بالخطط المقترحة ·

وفي ٢٥ تشرين اول نفذت اول عملية مشتركة ضد محطة سكة حديد اللـد ·

لم يكن عدد العمليات العسكرية التي نفذتها «الهاغاناه» خلال قيام حركة المقاومة الموحدة كبيرا · وفي «ليل السكك» اغرقت «الهاغاناه» ثلاثة مراكب للدرويات البريطانية · وهاجموا محطة الرادار مرتين في حيفا ·

ولقد نجحت القوات البريطانية في المرة الاولى في ابطال مفعول المتفجرات قبل انفجارها ، ولكن الهجوم الذي حدث في المرة الثانية كان ناجحا · كما جرى هجوم آخر على مراكز المراقبة في «جينات اولفا» ·

لقد نظمت «الهاغاناه» عملية «الليل المجنح» في تل ابيب · وكان الهدف اقامة مرسى علني للسفن التي تحمل اللاجئين على شاطىء المدينة العبرية ، ولمنع السلطات البريطانية من الوصول الى الشاطىء · فدبت الفوضى وانتشر البوليس في كل مكان ·

وفي شباط ١٩٤٦ نفذت «الهاغاناه» عمليات تخريبية ضد اجهزة نقليات البوليس · وفي حزيران قامت «الهاغاناه» بهجوم شامل وناجح على الجسور المتاخمة للحدود ·

ان الهجوم الذي تم على وسائل نقليات البوليس كان قد مهد له بمشاورات مشتركة · لقد كان من المفترض ان نهاجم واحدا منها بالقرب من «كفارفتكين» · لقد كنا مهتمين بذلك المعسكر لانه يحتوي على كمية كبيرة من الاسلحة ·ولقد قامت خططنا مبدئيا على الاستيلاء على السلاح الثمين · وبقي شبابنا يستطلعون المكان لعدة اسابيع ، وذلك للحصول على معلومات موثوقة عن المعسكر بشكل خاص · ولقد اتفقنا مع « الهاغاناه » على مهاجمة اربع معسكرات لوسائل المواصلات التابعة للبوليس وذلك في الليلة نفسها · «الهاغاناه» تهاجم ثلاثا ، ونهاجم نحن الرابع ·

ولقد اخبرني « غاليلي » قبل عدة ايام من التاريخ المحدد للعملية ، ان الظروف الخاصة تجعل من الضروري الغاء الهجوم على معسكر « تان » فذهبت لمقابلته لاشرح له ان عملية الالغاء قد تؤثر في معنويات شبابنا ، والاكثر اهمية هو التخلي عن مخزن السلاح الكبير الذي كان يطلب من يستولي عليه ٠ فاجاب «غاليلي» بانه يتعاطف مع وجهة نظري ، ولكن عملية الالغاء لا يمكن الاستغناء عنها ٠ وقال ان السبب محلي ، ولكنه سبب حاسم٠ تركت «غاليلي» وانا مهموم القلب ٠ وبما انه لم يفصح عن تفاصيل ذلك السبب ، فاني لم ازعجه بالاسئلة ٠ ولقد استنتجت من تلميحاته ان « الهاغاناه » تمتلك ورشة اسلحة بالقرب من المعسكر ، وكانوا يخافون ان تنكشف تلك الورشة اذا ما تبع ذلك الهجوم اي بحث وتفتيش ٠ ولقد اطلعت رفاقي على توقعاتي ٠ ولكني بذلت ما بوسعي لتهدئة غضبهم قبل ان يذعنوا لامر الغاء العملية ٠

وفي اليوم المحدد خرجت « الهاغاناه » للهجوم على معسكر مواصلات للبوليس ٠ ولقد واجهوا مأساة لتأخر وصول قسم من قواتهم ٠ وفشلت محاولة الاختراق ٠ وقتل اربعة من المقاتلين الشجعان قبل ان يجتازوا الحاجز ٠ اما الهجوم على معسكر « تان » فلم ينفذ قط ٠ اما في « شافرام » فقد استطاع جنود « الهاغاناه » اختراق حاجز الاسلاك ، ونجحوا في تدمير عدد من السيارات المسلحة التابعة للعدو ٠

لقد غضب شبابنا غضبا شديدا ، وكان لهم ما يبرر هذا الغضب ٠ لقد الغيت عملية «تان» لسبب خاص ٠ فلماذا قامت «الهاغاناه» اذن بالهجوم ؟ ولماذا لم يزعجوا انفسهم باخبارنا بأنهم ينوون الهجوم على المكان الذي طلب منا عدم مهاجمته ؟ وماذا حققوا من هذه العملية ؟ تدمير سيارة او سيارتين للعدو ٠ بينما لو هاجمنا نحن لما كنا اكتفينا بتدمير بعض السيارات ، بل غنمنا عدة مئات من البنادق والذخيرة ٠

قلت هذا لـ « غاليلي » و « سنيه » ، ولكني لم استطع الخروج بتفسير لهذا السلوك الذي يشوبه الالتباس والشك ٠ وحتى هذا اليوم لا اعلم ما حدا بقيادة « الهاغاناه » لمنعنا من تنفيذ الهجوم على « كفار فتكين » ٠ ربما لم يكونوا يريدون ان يعملوا معنا وبوقت واحد وفي المجال نفسه !

اما حادثة «سارونا» فكانت مختلفة ومن نوع آخر٠ لقد كان هناك انتقاد عام للهاغاناه لفقدانها اربعة من رجالها خلال الهجوم ٠ ان النجاح والفشل شيئان متلازمـان ولا يمكن فصلهما عـن بعضهما في الحرب ٠ فنحن في « الارغون » مدحنا الهجوم على محطات السيارات التابعة للبوليس بالرغـم من حادثة « كفار فتكين » ٠ وقد احترمنا وبشكل علني الرجال الذين قتلوا في « سارونا » ٠

ان « الهاغاناه » لم تضطهد من جانب السلطات البريطانية ، فقد سمح لها بتنظيم جنـازة شعبية لموتاهم الاربعة ٠ ولقد لاحظ رجـال الصحافة الاميركيين ان هذه الجنازة علامة ارتباط « الهاغاناه » بالارهاب ٠ وقد كتب بعض منهم يصف اشتراك قادة الوكالة اليهودية في الجنازة يقول: «ان القادة الرسميين انضموا الى الارغون» ٠ لم يكن هذا صوابا بالطبع ، ولكن ما هو اكيد ان ضباط مخابرات الجيش البريطاني قد اخذوا كثيرا من الصور لموكب الجنازة وخاصة للشبان الذين كانوا يسيرون معها ٠

- ٥ -

في الاسبوع نفسه الذي هاجمت فيه « الهاغاناه » جهاز النقليات التابع للبوليس خرجت منظمة « الارغون » وجنودها للقيام بالهجوم على المطارات٠ ولقد رصدت المحطة بالتفصيل بوساطة العمليات وقد تضمنت ثلاث مطارات عسكرية : في « اللد » و « كفار سركين » و « كاسينا » ٠ وقد اسندت عملية الهجوم على مطار «كفار سركين» الى منظمة شتيرن٠ ونفذت العملية بنجاح، وتعاملت وحدات الهجوم مع المطار المركزي في « اللد » والمطـار الكبير في « كاسينا » ٠ لقد كانت العملية صعبة جدا ٠ لقد كان العدو حينئذ في حالـة استنفار دائم ٠ ولقد كانت الطرق المؤدية الى المطـارات معززة بعشرات الدوريات المنقولة ٠ وكانت المعسكرات الكبيرة تنتشر حول المطارات ، وكان على رجالنا ان يسيروا في الحقول ليصلوا الى اهدافهـم ٠ ولقد استغرقوا عدة ساعات لقطع مسافات قصيرة في الحقـول التي تحولت الى مستنقعات بفعـل المطر الغـزير ٠ وعندما وصلوا الى الممرات كانت اجسادهم مبللة وكانوا حفاة متعبين ، حتى انهم فقدوا تمـاما اقوى سـلاح وهـو عنصر

المفاجأة· لقد كان العدو جاهزا ومنتظرا· وكانت الانوار الكاشفة تغطي كل الممرات وسمعوا ضابطا يصرخ من برج المراقبة في اللد : « ابق عينيك على الطرقات· السفلة قادمون»· ومع هذا فان وحدة الهجوم بدأت بالعمل· ومرة اخرى انقسموا الى مجموعة اقتحام ومجموعة حماية وتغطية ، وتقدموا نحو حواجز الاسلاك الشائكة تحت وابل من الرصاص ، فاخترقوها ونسفوا المدرجات · واصبح كل شيء جاهزا للمرحلة الاخيرة من العمل · لقد احضر رجالنا معهم سلالم اظهرت فائدتها · وفي غمضة عين تسلق الرجال السلالم ودخلوا هياكل الطائرات الفولاذية الكبيرة ، ووضعوا المتفجرات فيها ، وبسرعة تحولت اربع طائرات قاذفة من نوع « هاليفكس » الى كومات من الصفائح العديمة الفائدة ·

اما الانسحاب فقد كان اصعب من الاقتراب من الهدف · وبدأ النهار بالبزوغ ، ورصدت اسلحة العدو كل الطرق · وغاصت الاقدام في الوحل ، ولكن قلوب الرجال تغني من الفرح · لقد كانوا يدركون انهم بتدمير الطائرات قد لغموا اسس القواعد العسكرية للانتداب · واخذوا بالاحضان في قرية يهودية · بينما كانوا يقولون لهم في الماضي : « ارهابيون ، ارحلوا ، لا نريدكم هنا » · اما اليوم فقد فتحت لهم قلوب مفعمة بالحب والتقدير · ولقد اعطوهم ثيابا جديدة بعد ان رأوهم يرتدون ثيابا ملوثة بالوحول · وحلت البركات عليهم اليوم بدل لعنات البارحة · ولقد اكتسبنا حب الشعب بعد سنوات من الاضطهاد والذم وتشويه السمعة ·

ودبت الفوضى في جميع نشاطات الحكومة · ولقد طالب « لورد ونترنون » وذلك في مجلس اللوردات ، باجراء تحقيق واسع حول الحادثة من اجل معرفة من المسؤول عن الاهمال الذي ساعد الارهابيين في التسلل الى المدرجات ، وتدمير عدد من الطائرات الثمينة · فاعطي وزير المستعمرات جوابا غامضا ، ووعد بتحسين احتياطات الامن في المطارات ·

ونشرت حكومة الاحتلال في القدس بلاغا رسميا اثار سخرية عالية · لقد فاخروا بأن دزينتين من الطائرات قد دمرتا ، واضافوا ان الهجومين اللذين وقعا على مطارات « رامات دافيد » و « كفير » قد صدا · فارسلنا تمنياتنا للحكومة بمثل هذه الانتصارات كل يوم ·

لقـــد كانت بهجـــة الشعب اليهودي اكبـر بكثير من ذعر السلطات البريطانية · والاعلان عن المنظمات السريـــة التي هاجمت المطارات جـاء مفاجأة تامة · ولقد بقينا نحن في «الارغون» صامتين اول الامر · وطلبت « الهاغاناه » عدم نشر اي بيانات تبين هوية منظمة المهاجمين · فوافقنـا · ولكن « الهاغاناه » عادت وغيرت رأيها ، وارسلت وبصورة ملحة تطلب منا ان نقبل تحمل مسؤولية تدمير الطائرات البريطانية · وهكذا كان·· واستجبنا بسرعة · لقد دهشت الجماهير · لقد كـــان المرء يرى طوابيرا من الناس ، وهي تقرأ كـــل كلمة من بلاغاتنا · وتساءل الشعب في تعجب : هكذا فان المناوئين قادرين على القيام بمثل هذه الاعمال ! لم يخافوا ليخفوا حماسهم حتى عن السلطات البريطانية · وفي احد مقاهي تل أبيب طلب ضابط بريطاني فاتورته فأجابه صاحب المقهى : «انت لا تدين لنا بشيء ، فقـد دفعتم لنـــا البارحة ، وكان ذلك ثلاثين طائرة » ·

الانفصال

ان العمليات التي اعترف بها رسميا مـن قبل حركة المقاومة اليهودية الموحدة هي : الهجوم على المطارات ، وهجـوم تخريبي واسع النطـاق في الجنوب ، نسف قطارات تعمل على ثلاثة خطوط رئيسة في البلد ، هجـوم «شتيرن» على ورشة سكك الحديد في حيفا ، وهجومنا على فندق الملك داود· وهناك عمليتان نفذتا خلال تلك الحقبة بوساطة «المناوئين» واللتان اعترفت بهما « الهاغانـاه » وكـان هـدف الهجـوم تحريـر سجنـاء اعضـاء في كـلا المنظمتين · ولقد احدثت العملية ضجة في العالم ووصل صداها موسكو · ولقد كتبت « الازفستيا » في ٢٢ كانون ثاني من ١٩٤٦ تقول :

«اعلن راديو لندن الليلة الماضية انه سمع ليل ١٩ عدد من الانفجارات فى القدس · وتعطل الارسال (ارسال الراديو) · وسمع اطلاق نار في قلب القدس دام دقيقتين · وافـاد تضريح ثان اذيع مـن الراديو عـن وقوع اصطدامات مع يهود مسلحين في قلب القدس · ولقد هاجمت مجموعة مـن اليهود محطة توليد الطاقة الكهربائية· ودمر جزء من حائط السجن المركزى نتيجة الانفجار · ولقد قتل احد اليهود وجرح اربعـة · ولقد قتـل ضابط وشرطي بريطانيان وجرح شرطي آخر » ·

لقد كانت تلك هي الفترة التي بدأ فيها راديو موسكو ينشر الاخبار عن الحوادث الدموية في ارض اسرائيل · وكلما تعاظم النضال السري ، كانت عملياته تنشر على التوالي في الاتحـاد السوفياتي · وبعـد الهجـوم على السجن اليهودي بسنة كرس راديـو موسكو حوالي نصف ساعـة لوصف العملية ضد القلعة التي قورنت بقلعة « بيتروبا فلوفسك » المشهورة ايـام النضال الطويل ضد نظام التزاريستكين ·

وفي الاول من كانون الثاني من عام ١٩٤٦ كتبت « البرافدا » تقول :
« تستمر الاضطرابات في فلسطين • ولقد قال راديو باريس نقلا عن مصادر اذاعة لندن ان السلطات البريطانية ، قررت تنفيذ عملية شاملة بالاشتراك مع البوليس والقوات المسلحة • ولقد القي القبض على الفين من الاشخاص خلال الاربع وعشرين ساعة الاخيرة • ولا تزال الحكومة تدرس امكانية ترحيل بعض الشخصيات • ولقد ارسلت التعزيزات الى القدس وتل ابيب • كما انه تجري حملة تفتيش واسعة في المنطقة حيث يعتقد ان رئيس منظمة « الارغون » يختبىء فيها » •

فى ذلك الوقت من اوائل عام ١٩٤٦ حللنا العلاقات بين شعبنا والاتحاد السوفياتى ، وتبين لنا انه لم يطرأ عليها اي تغيير • ان نظرية مستنطقي فى « لوكيشكي » وجدت لها انتشارا في المقالات السياسية فى الصحف السوفياتية فكتبنا :

« اننا نمقت الاوهام ولن نشجعها • اننا نرى الحقائق ونرفض الممارسات العقيمة ولن ندخلها فى افتراضاتنا • ومع هذا فاننا نقول بثقة مطلقة بأن روسيا ايضا سوف تساعدنا فى اقامة دولة يهودية على ارض اسرائيل • كيف ؟ مع انها تستمر في احتجاز الشعب اليهودي في بلادها • فان روسيا القادرة على استغلال حوادث اندونيسيا ، ومطالب سوريا ولبنان، تريد ان يستمر القتال بين الشعب اليهودي والانتداب البريطانى • وسوف تقوم الدولة اليهودية كنتيجة حتمية لكفاحنا ضد الحكم بريطاني في ارض اسرائيل وسوف يساعدنا الاتحاد السوفياتي في هذا الكفاح » •

مع ان عملية القدس قد جلبت الانتباه فى جميع انحاء العالم ، فانها لم تحقق غايتها العملية • ولقد لازمت العملية الثانية التى قامت بها «الهاغاناه» نتائج مختلفة تماما • لقد كان هذا الهجوم الثالث خلال الثورة على مركز البوليس السري C.I.D في القدس •

لقد قدمنا احتجاجاتنا المستمرة ضد التوقف عن العمل العسكري الطويل الامد • وطالبنا بتكثيف النضال • ومن الاهمية ان يلاحظ اننا لم نكن لندعو الى العمليات العسكرية فقط ، بل ايضا الى اعلان العصيان المدني فكتبنا :

«ان امة تقاتل من اجلبقائها ومستقبلها تمتلك كثيرا من الاسلحة ٠ الامتناع عن دفع الضريبة للنظام ، عدم اطاعة اوامره وقوانينه ، الامتناع عن الذهاب الى الدوائر الرسمية ، احتلال اراضي الحكومة ورفض الرحيل عنها ، اقامة حكومة مؤقتة لتقود النضال الوطني ٠٠٠ هذه كلها اعمال حرب ٠٠٠ » ٠

لم نكن ننظر الى العصيان المدني كجواب نهائي فكما قلنا : « ان جميع طرق المقاومة المدنية في حال امتلاكها لهدف جدي لا بد ان تساعد على قيام ثورة مسلحة » ٠ لقد كنا نرى في العصيان المدني تجسيدا لكفاح الشعب ووحدته ٠

ولقد اصررنا على ذلك وبشكل علني ، واثناء محادثاتنا مع رؤساء « الهاغاناه » و « غاليلي » وغيرهم ، وعدوا اكثر من مرة باقتراب عصيان مدني عام ٠ واني مقتنع بأنهم كانوا متلهفين ومخلصين في رغبتهم لتوسيع النضال العسكري ٠ ولكن وما باليد حيلة ، فان القرار النهائي كان بيد « المؤسسات » المعترف بها ٠ لقد كانت المؤسسات اليهودية مقسمة الى معسكرين : « الارهابيون » ، واولئك الذين يعتبرون استعمال القوة شيئا فاحشا ٠ ولقد نشبت حرب كلامية بين المعسكرين ٠

لقد كانت هذه الصعاب التي تتذرع بها منظمة « الهاغاناه » تفسر عدم النشاط المتواصل الطويل الامد ٠ كانت استمرارية العمل هي النقاط البارزة في اتفاقنا ٠ ولقد وضع الاتفاق على مبدأ استمرارية العمل ٠ وبعد عدة مباحثات اخبرنا رؤساء « الهاغاناه » بانه بات باستطاعتنا تنفيذ الهجمات على قيادات الشرطة ومراكز البوليس السري ، فوافقوا بشكل مبدئي ، ولكن موافقتهم لم تكن رسمية وقالوا انهم سيحاولون منع اي استنكارات تظهر في الصحف ولكنهم لا يأخذون على عاتقهم ذلك ٠

ولقد ظهرت الاستنكارات بما فيه الكفاية ليس فقط في الصحف العامة فقط ، بل بالصحف الدعائية حيث نشرت ما تسمي نفسها نشرة « كول اسرائيل » عن هجماتنا ، وكأنها صممت من اجل الاساءة الى العلاقات بين البريطانيين واليهود ٠ وقالت : « اننا ننظر الى هذه العمليات وكأنها لم تحدث » ٠

ولقد ارسلنا احتجاجنا انـا و « ناثـان فريدمان » الى « سنيه » و « غاليلي » على هذا الحماس العدواني · فاعتذروا عن هذا النشر مدعين انهم لم يكونوا ليعوا مضمونه او مغزاه · ولكـن الامور لم تتحسن واستمر نشر بعض التعليقات الحاقدة على عملياتنا التي صدق عليهـا ، وذلك في صحيفة « الهاغاناه » ·

كانت مثل هذه الاختلافات وسوء الفهم العلامة المميزة لعلاقتنا بمنظمة « الهاغاناه » خلال فترة حركة المقاومة اليهودية الموحدة ·

وللضرورة الامنية فقد اعطى كل منا للاخر اسما مستعارا · فقد كان « غاليلى » يدعى « ارميا » ، « وناثان فريدمان » كـان يدعى « شيمون » ، وانا كنت ادعى « حرزقال » · ولقـد كانت اجتماعاتنا تتم في بيت « جان » الواقـع في شـارع « بن يهودا » في تـل ابيب · وعندمـا قابلت مضيفي شعرت وكأني قد رأيته من قبل ، ولقد تبين بعد ذلك اننا كنا معا في جامعة « وارسو » وجيرانا في بيت الطلاب اليهود · ولكن ايام الشباب تلك لم تعد اكثر من ذكرى · والان فان « جـان يوفسكي » هو احـد زعمـاء منظمة « الهاغاناه » · اما « موشيه » زميل الدراسة في تلـك الايام ، فقد اصبح القائد الوطني « للهاغاناه » ، و « ناثان فريدمان » جاري في بيت الطـلاب وصديق الصبا ، فقد اصبح احد رؤساء منظمة « شتيرن » · لقد فرقنا القدر في اتجاهات مختلفة ، والان ، فاننا نجلس حـول طاولة مستديرة نستمتع بضيافة المضيفة الفاتنة ونتشاور سويا في النضال الاسرائيلي ·

واستمر رؤسـاء « الهاغانـاه » يعيشون شبه سريين · وحتى وقت هجومهم على قوات البوليس، وهجومنا على المطارات ، لم يكونوا خائفين من القبض عليهم · وبعد هذه الاعمال مباشرة تخفوا · ولقد غير « سنيه » مكان اقامته ، وغير من اسلوب تسريحة شعره ، واخيرا ذهب سرا الى باريس · وقص « غاليلي » شعره الجميل واستعمل المكياج بحيث ان مـن كان يراه يحسبه تاجرا او صاحب مكتبة · ولقد كان تخفيه تاما ولكن ذلك لم يطل · فبعد عـدة شهور وقبل انعقـاد المؤتمر الصهيوني عـام ١٩٤٦ شاهدت « غاليلي » مرة اخرى، وقد استعاد شعره الكثيف· فاشرت الى رأسه وابديت الملاحظة التالية : « هذا هو رمز الهدنة » ·

وخلال فترة المقاومة الموحـــدة وصلت ارض اسرائيل لجنة التحقيق المكونة من بريطانيا وامريكا • وفي لندن قابل اعضاؤها الاثنا عشر « بيفن » الذي وعدهم بانه سيتبنى اقتراحاتهم • واجتمعت اللجنة مع جميع الفرقــاء فاستمعت الى زعماء العرب وزعمــاء اليهود • وسجلت محاضر الجلسات بعناية • وكنا مسبقا نعرف النتيجة : ان اللجنــة ستصدر بيانـــا تعلن فيه استنتاجها بان افضل حل لديها هو بقاء الانتداب البريطاني •

وقد اخبر جمال الحسيني اللجنة انه اذا انسحب البريطانيون من البلد، فان العرب سوف يسوون الامور مع اليهود دون اية صعوبة • ولمح زعمــاء اليهود وبشكل واضح انه اذا ما اقترح مشروع التقسيم ، فانهم سوف يقبلون به • ولقد اصابنا جميعا الارتباك عندما ادعى « بن غوريون » وهو يستجوب كشاهد بانه لم يكن يعلم من هي قيادة « الهاغاناه » ، ومن كان يقودهـــا ، وبانه لم يكن مسؤولا عن نشاطها • ولقد طلب عضوان امريكيان في اللجنة مقابلتي • ونظرا لوجود صعوبات امنية لم اجتمع بهم • وقبـــل ان تسافر اللجنة الى سويسرا ارسل لي احدهمـــا « ماكدونالد » رسالة يامل فيها ان تتغير السياسة البريطانية تجاه اليهود • ولكنه كـان مخطئا في تفكيره فيما يختص بامكانية احـداث تغيير في السياسة البريطانية في ارض اسرائيل • ومما لا شك فيه ان « ماكدونالد » صديق حميم لشعبنا ، ولقد سمعت ذلك من « فلاديمير جابوتنسكي » •

اما قرار اللجنة فانه لم يكن ليحقق مثل هذا التغيير • لم يقدم شيئـــا ملموسا ، لا بالنسبة لليهود ولا بالنسبة للعرب • ولكنه اعطى اهتماما كاملا للحكـم البريطاني • وكـــان بيانهـــا سطحيا مليئـــا بالتناقضات • فقد قالت في بيانها :

« لن تكون هناك دولة يهودية او دولة عربية في فلسطين » • وهكــذا فالامور واضحة ، يجب ان تكون فلسطين دولــة بريطانية • اما الامتيازات التي قدمتها اللجنة لليهود فقد بررتها على اساس الخوف من الارهاب فقالت:

« ••• عندما انتهت الحرب وجاءت حكومة العمــال في بريطانيا بقي « الكتاب الابيض » ساري المفعول • واليهود الذين توقعوا تنفيذ برنامج حزب العمل ، فيما يختص بالصهيونية ، شعروا بالسخط والمرارة عندما لم يحصل

اي تغيير في السياسة البريطانية · ولقد وصلت المرارة ذروتها بحيث أصبح الاعتدال معها امرا مستحيلا » ·

ولقد صرحت الوكالة اليهودية في ندوة جماهيرية حاشدة ، بأنه لا جدوى من محاولة التعاون مع الانتداب البريطاني · وعلى هذا الاساس اقترحت اللجنة ابطال مفعول قانون الاراضي الصادر عام ١٩٤٠ ، والذي يحذر اليهود من شراء اكثر من اربعة اخماس اراضي اسرائيل الغربية · واقترحوا ايضا الغاء ذلك النص من البيان الحكومي الصادر في عام ١٩٣٩، والذي ينص على ان اية هجرة يهودية اضافية يجب ان تتم بموافقة العرب · واخيرا فقد توصلوا الى السماح لمائة الف لاجيء يهودي بالدخول الى فلسطين خلال سنة · ولقد عبر الرئيس « ترومان » ، الذي كان قد سبق له ان اوصى بالسماح لمائة الف لاجيء يهودي بالدخول الى فلسطين عن رضاه لقبول اللجنة لاقتراحه · ولقد طالبت اللجنة بحل جميع الجيوش الخاصة التي كما ادعت تهدد « السلام العالمي » ·

وعندما نشر التقرير اقترح « سنيه » بان تخول اذاعة «كول اسرائيل» بالاعلان عن استعدادها للتوقف عن القتال المسلح اذا ما قبلت الحكومة البريطانية بادخال مئة الف لاجيء يهودي الى فلسطين في السنة · فقد وافقنا على الاقتراح · ولقد كنا واضحين عندما اعلنا باننا نرغب فقط في ان نوضح للشعب بان الحكومة لن تنفذ التوصية ، واردنا ان ندفع الشعب الى فقدان ثقته بالحكومة ·

لم نكن مخطئين · فلقد كانت براعة حكومة العمال على قدر المناسبة · فلقد اعلن « اتلي » في مجلس العموم البريطاني ان توصيات اللجنة وحدة متماسكة لا تنفصل واحدة منها عن الاخرى · واذا كان على اليهود ادخال مئة الف لاجيء يهودي الى فلسطين فماعليهم الا حلمنظماتهم السرية وتقديم اسلحتهم للسلطات الشرعية · وقد ذكر « ماكدونالد » و « كرام » السيد « بيفن » بأنه هو نفسه قد وعد اعضاء اللجنة بأن توصياتهم ستنفذ · ولكن ناطقا باسم وزارة الخارجية صرح بأن « بيفن » عني بجميع المقترحات وليس ببعضها ، او تلك التي تسر يهود نيويورك ، او الرئيس « ترومان » ، ان التوصيات والمقترحات لا يمكن فصمها ·

وبعـد هذا التوضيح للموقف البريطـاني ضغطنـا على « الهاغاناه » لاستئناف العمل العسكري والبدء في العصيان المدني ٠ واشرنـا الى انه لا معنى للانتظار ٠ ويجب ان نظهر للحكومة البريطانية بأنه عليها ان لا تتوقع ان نتخلى عن سلاحنا، فقط عليها ان تتوقع رصاصنا٠ ولقد ارسلت الىقيادة حركة المقاومة الموحدة باقتراحات عمليـــة ، عسكرية وسياسية ٠ وتسلمت جوابهم في السابع من شهر ايار ٠ وفي الجواب وضعت كلمـة « الدجاج » بدلا من المطارات ، والمطبعة ترمز الى مطبعة الحكومة بجانب محطة القـدس الحديدية :

« ١ ــ لا مجال للاختلاف في الرأي ، فيمـا يختص باستمرار العمليات العسكرية وعلى نطاق واسع ٠ ولكن القرارات أجلت حتى تصلنا المعلومات من الخارج ٠ ولقد ادعى الامريكيون بأنهم يسعون الى ابطال الشرط المتعلق بحل المنظمات ، وان أي عمـــل من جانبنا قـد يكون له ردة فعل معاكسة ٠ وبالطبع فان القرار يطبق عـــلى العمليات التي صدق عليهـا (كالدجاج) وسوف تتسلمون ردنا حول خططكم المفصلة التي وضعتموها مسبقا ٠ وعلى هذا فاننا نقترح بأن يكون اجتماعنا القادم يوم الثلاثاء في ١٤ ايار الساعة ٢٠ ، وفي المكان المألوف ٠ نرجوكم التقيد بالموعد ٠

« ٢ ــ اما فيما يتعلق بالبيان الذي يحمل الحكومة المسؤولية كما اقترح « م » ٠ فسوف ينشر بعد تنفيذ اول عملية ٠٠٠ » ٠

وبعد انتظار دام اكثر مـــن اسبوع لاتخـــاذ القرار بشأن استمرار العمليات ، فقد صدق على عدد من خططنا ٠ احدى هذه الخطط كانت ترمي الى تدمير القطارات وأسر المسافرين ٠ وتبع ذلـك نسف الجسور من جانب « الهاغاناه » ، وهجوم « شتيرن » على سكك الحديد في حيفا ٠

من المؤسف جدا ان منظمة «شتيرن» لم تتلق اي معلومات مسبقة عن عزم « الهاغاناه » على الهجـوم على الجسور ٠ وادعت انه عندمـــا خرج رجالها لمهاجمة ورش سكك الحديد ، كـــان الجنـــود البريطانيون في حال استنفار ٠ ولقـــد ادعى « سنيه » وفي وجودي انه تلقى مذكرة من « ناثان فريدمان » يعلمه فيها بأن الهجوم على الورش قد تأجل ٠ ولكن النقاش الحاد لم يغير من الحقيقة المأساوية في ان الجنود البريطانيين قد نجحوا في نصب

كمين للمقاتلين اليهود عند عودتهم الى قاعدتهم حيث قتـل احد عشر رجلا وقبض على عشرين اخرين ومن بينهم عدد من الجرحى · ولم يكلف اي من الممثلين الرسميين نفسه العنـاء بتقديم تعازيه بأموات منظمة « شتيرن » · اما العضو التابع لمنظمة « الهاغاناه » والذي استرجعت جثته بعد الانفجار المأساوي ، فقد اقيمت له جنازة شعبية ·

لقد كان الهجوم على الجسور واسع النطـاق ومهمـا مـن الناحيـة السياسية · لقد عمل رجال «الهاغاناه» في ظروف صعبة · لقد كان عليهـم قطع مسافات طويلة ، والانسحاب بوساطه طرق فرعية ، من اجل تجنب اي صدام مع قوات الجيش البريطاني · ولم يحصل اي اشتباك على الجسور التي كان يحرسها عدد ضئيل من رجال الشرطة العرب ، اما الاربعة عشر رجـلا الذين سقطوا ، فقد قتلوا بسبب الانفجار المبكر لشحنة المتفجرات التي كـانت بحوزتهم · ولكن العمل الصعب كان قد نفذ ، ولكن ليس بشكل تام · ولقـد تحطمت الجسور الفولاذيـة الضخمة في الشمـال والجنوب والشرق تحت ضربات رجال «الهاغاناه» ·

لقد كانت هذه هي العملية الاخيرة لحركة المقاومة · فلقد قامت القوات البريطانية بهجوم مضاد وعلى نطاق واسع · ولا نستطيع القول بان القوات البريطانية قد فشلت في مقاومة عمليات المقاومة ، بل على العكس فلقد قابلتها بالمثل ، وقامت بعمليات خطيرة في جميع انحاء البلاد · ولقد وقفت جماهيرنا بدون حماية ومعرضة لرصاص العدو · فقتل الرجال العزل والنساء والاطفال وهذا ما دفعنا للطلب من حركة المقاومة وضع حد لهذه المقاومة السلبية التي تكلفنا غاليا في الارواح ·

وخرجت القوات الحكومية لكسر العمود الفقـري «للارهاب اليهودي» ولانهاء المقاومة اليهودية · وبالتالي فقد اعدوا بعناية هجوما وحشيا علـى المنظمات والمؤسسات اليهودية · وابتدأت هذه الحملة في الساعات الاولى من يوم ٢٩ حزيران ١٩٤٦ ، وانتشر عشرات الآلاف من الجنود البريطانيين في جميع انحاء البلاد · ففرضوا حظر التجول واحتجزوا الآلاف مـن الشعب ، واحتل مقر الوكالة اليهودية · والقي القبض على رؤساء المؤسسات الرسمية، والاعضاء الفعالين في منظمة «الهاغاناه» حسب لوائح معدة سلفا · وبمساعدة هذه اللوائح فقـد امتدت حمـلات التفتيش الى قرى الكوميونات حيث كانت

وحدات «البالماخ» موجودة • لقد كانت اللوائح معدة بعناية فائقة • والحقيقة فان كل قرية توجد فيها وحدات « البالماخ » سرا كانت معروفة لدى جهـاز الاستخبارات العسكرية البريطانية • فليس مدهشا اذن اذا ما جاءت النتائج خطيرة • ولقد كانت الضربة التي وجهت «للبالماخ» موجعة جدا • فلقد قبض على نصف اعضائها تقريبا • كما ان صفوف القيادة في «الهاغاناه» تاثرت بهذا العمل •

ولقد زودتنا هذه الحوادث بغذاء فكري تاريخي فلسفي • من يستطيـع ان يتنبأ بمصير شعبنا ؟

وفي ٢٩ حزيران لم يكن هناك متسع من الوقت للوقوف والتأمل •ولقد كان السؤال هو التالي : ما العمل ؟ نحن لم نشك ابدا في ارادة «الهاغاناه» على الاستمرار في القتال • وطوال ذاك النهار كانت اذاعة الوكالة اليهوديه «كول اسرائيل» تصرخ وتذيع :

«لقد اعلنت بريطانيا الحرب ضد الشعب اليهودي • والشعب اليهودي سوف يقاتل • فليخرج اولاد «تيتس» القذرين من الارض المقدسة ! فليسقط الحكم البريطاني النازي في بلدنا» •

لقد كان مضمون هذه النشرات يشبه الى حد بعيد تصريحات «الارغون» السابقة • ولكنها تختلف عنها في انها تحمل عبارات العصبية • لم ننشـر نداءات في ذلك اليوم • واقترحنا برنامج عمل نشرناه بعد ان ارسلناه الـى قيادة حركة المقاومة الموحدة •

وقد اقترحنا برنامجا مدروسا كاملا يحتوي على تسع نقاط هي :

١ ـ انشاء حكومة يهودية مؤقتة تحارب من أجل تصفيـة الاحتـلال البريطاني •

٢ ـ اقامة مجلس وطني اعلى يكون بمثابة برلمان للشعب اليهودي •

٣ ـ تعميم دعوة الاستقلال والحرية لليهود ليكون اساسـا لدستـور يضمن الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية لجميع المواطنين •

٤ ــ انشاء محاكم خاصة ، ومقاطعة المحاكم البريطانيه ٠

٥ ــ تأسيس الصندوق القومي بحيث تعود اليه جميع الضرائب ، والتوقف عن دفع ضريبة لحكومة الانتداب ٠

٦ ــ خلق جيش تحرير موحد ، يأخذ على عاتقه القسم بان لا يترك السلاح حتى تقام دولتنا المستقلة ٠

٧ ــ انشاء مجلس عسكري اعلى لوضع الخطط الحربية والتعبئة العامة ٠

٨ ــ الدعوة لمساعدة اللاجئين ٠

٩ ــ اصدار دعوة لشعوب العالم : الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفياتي ، فرنسا ، وجميع الشعوب الحرة لمد يد العون للمقاتلين اليهود من اجل الحرية ٠

ودب القلق والاضطراب في الاوساط اليهودية وبدأ بعضهم يتراجع ٠ فبعد ان كان جواب الجميع عندما يسألهم المحقق البريطاني عن شخصيتهم : «يهودي من فلسطين» ٠ اعلنت السلطات البريطانية انها لن تفرج عن احد الا اذا تعرفوا على شخصيته ، بدأ بعضهم يصرخ من داخل المعتقلات :«تعرفوا على شخصياتنا وافرجوا عنا» ولكن السلطات البريطانية لم تفرج عن الجميع٠ ممن الذين لم يفرج عنهم الحاخام «فيشمان» ، «موشي شرتوك» ، « يتسحاق جرونباوم» «دافيد رامين» وغيرهم ٠

ولقد استقبل رجالنا الذين امضوا سنوات في معسكرات الاحتجاز رفاقهم الجدد استقبالا حارا ٠

بالرغم من العلاقات الودية التي كانت تربط الشبان بالشخصيات اليهودية الكبيرة ، فقد وصلتني مرة برقية من قيادة حركة المقاومة الموحدة تقول : «حزقيال ، ان رجالك في اللطرون يتشاجرون مع الشخصيات اليهودية الكبيرة ٠ باستطاعتك ايقاف هذا العمل ، وذلك بمناشدتهم ذلك٠ ومن الافضل ان يتم هذا بدون تأخير ٠ انتظر جوابكم» ٠

وقمت بالتحقيق من خلال البريد السري الذي كنا نتصل بوساطته مع

جميع رجالنا المحتجزين اينما وجدوا · فاجاب ضابطنا المسوول عن رجال «الارغون» في اللطرون بالانكار القاطع للتهمة ·

وبعد بحث طويل قررت الهيئات الرسمية اليهوديه ان تدير ظهرها للمقاومة المسلحة ، وان تقبل الشروط البريطانية ، من اجل اطلاق سراح اليهود البارزين · واستنكروا الارهاب وهاجموا «الارهابيين» في بيان جماهيري واخذوا على عاتقهم سحقهم سحقا تاما · واطلق سراح الرجال البارزين بعد مئة يوم من الاعتقال ، وسافروا الى لندن لحضور مؤتمر انكليزي – عربي – يهودي ، من اجل الوصول الى حل وسط للمشكله الفلسطينية · ولقد علق النضال من جانبهم تاركين لهم حرية نقل المهاجرين

- ٣ -

ان الاهمية العظمى لقرار توسيع نشاط الهجرة الى ارض اسرائيل مع تعليق نشاط حركة المقاومة الموحدة يجب ان لا يستخف به · ولقد فشلت هذه الحملة بالمقارنة مع الجهود التي بذلت من اجل اعادة اللاجئين قبل الحرب العالمية الثانية في ان تجلب الكثير من اليهود الى البلد · لقد قبضت السلطات البريطانية على الاف اللاجئين اليهود بالقرب من شواطىء ارض اسرائيل ، ورحلتهم الى معسكرات الاعتقال في قبرص · ولقد قاتل اللاجئون العائدون من المعسكرات الالمانية وايديهم خاوية ضد جنود مسلحين · ومع انه كان قد قتل كثير من الرجال والنساء بهذه الطريقة ، فان الحكومة عادت الى الحديث القديم عن السلوك اللاواعي لاولئك الناس الذين يحشرون الرجال والنساء والاطفال في سفن غير صالحة للاسفار · والحكومة البريطانية سوف تطارد تلك السفن التي تحمل المهاجرين غير الشرعيين ، وذلك لانها مخولة بالدفاع عن القانون ·

لقد توقف نضال « الهاغاناه » في ارض اسرائيل كليا · واطلق سراح القادة ، وعاد رجال « البالماخ » الى قواعدهم وبيوتهم · واستطاع « اسرائيل

غاليلي » ان يطيـــل شعر راســـه . واصبحت « الهاغاناه » منظمـــة شبه شرعية . واسترجع الوضع الراهن تماما . وهكذا فقد حمل اللاجئون من المانيا عبء مقاومة الحكم البريطاني ، لقـــد ضربوا ورحلوا في حيـــن ان بعضا منهم قد شوه واقعد ، وقتل بعض اخر . وبح قادة المؤسسات الرسمية حناجرهم وهم يحتجون .

اما نحن فلم نقتنـــع بالاحتجاجات الشفوية ، وكنا نسدد ضربة قاسية الى الحكومة بعد كل عملية ترحيل . ولقد نجح مقاتلو « شتيرن » في احدى العمليات في اشعال النيران في مخازن البترول في مينـــاء حيفـــا ، حيث كانت سفن الترحيل تنتظر ضحاياها .

ولقد وصـــل سوء معـــاملة الحكومة للاجئيـــن ذروتهـــا في قضية السفينة « اكسودس » Exodus وذلك عـــام ١٩٤٧ ، حيث قرر « بيفن » اعادتها الى المانيا . ولقد قوبلت الاحتجاجات والمناشدات بالصمت .

وفي رسالة لهم سربت من سفينتهم كتبوا :

« ان الناس يشعرون بالكآبة .. اننا نشعر وكانه حكم علينا بالاعدام ، وسوف نقاوم في هامبورغ ، ولكن هل لهذه المقاومه جدوى ؟ .. ان الحكومة البريطانية ستستعمل بلا شك جميـــع الوسائل التي في يدهـــا ، والعـــالم سيبقى صامتا كما كان في الماضي . ولكـــن اخواننـــا في جميـــع انحـــاء العـــالم : يهود امريكـــا وانكلترا وارض اسرائيـــل ، هل سيبقون ايضـــا صامتين ؟ اننا نشعر الان والاسى يعصرنا بأن كل ما كان يجب ان يفعل لم يفعل !! »

ولقد نشرنا هذه الكلمات المرة ، ووعدنا رجالنا فيمـــا وراء البحار وباسم الثوار والمقاتلين وجميـــع المخلصين ، باننـــا لـــن نتخلى عنكـــم في نضالكم . واننا نقول : « اما ارض اسرائيل واما الموت » .

ولكننا لم نكن نملك الوسائل الفورية للمساعدة . وهكذا كنـــا نعاني ازدواجية الحاجة . مخازننا فارغة وليس لدينا متفجرات . وان الثـــار

يحتاج الى اكثر من طلقات قليلة· اذن كيف بمكننا تسديد ضربات كبيرة؟ · ومرت الايام والليالي بدون عمل · وتساءل الناس عما حدث « للارغون » · ولكن لم تكن لدينا الجواب المؤثر · لا متفجرات ، لا مال · لقد كنا نتاكل من الغيظ ·

على اية حال فان الحظ لم يتخل عنا · وبطريق المعجزة وصلنا مبلغ من المال · وباعجوبة حصلنا على نصف طن من المتفجرات ، واتم « جدّي » المعجزة · فقد اخترع البرميل الشهير · برميل على عجلات ، اطلقه على سيارة مسلحة ، فحطم بذلك حزام امن الحكومة البريطانية في حيفا وزعزع الامن البريطاني في جميع انحاء البلاد ، مما اقلق السلطات العسكرية ، فاحاطوا مناطقهم الامنية باسلاك شائكة يبلغ علوها ما بين ١٢ ــ ١٥ قدما · وهنا جاء هذا « المنجنيق » ليقفز من فوق الحواجز · وعلى الفور فقد اصدروا الاوامر برفع الاسلاك الشائكة الى ٢٤ قدم · وهكذا كان · لكن « جدّي » قام الى العمل على الفور · ومن المؤكد انه لو اجلت السلطات البريطانية جلاءها لكانت اسلاكها الشائكة وصلت الى ٦٠ قدما وحتى ان ذلك لم يكن كافيا ·

ولكنه وقد كان للانهزاميين تاثيرهم على الحكومة البريطانية ، فقد اخذوا مواقعهم وسيطروا على المؤسسات الرسمية منذ ٢٩ حزيران وما تلاه · وقرروا انهاء المقاومة المسلحة · ولقد نجحوا فقط في وضع حد للمقاومة المسلحة التابعة « للهاغاناه » ·

ولقد طلب الدكتور « وايزمان » رئيس المنظمة الصهيونية بأن تتوقف العمليات العسكرية حتى موعد المؤتمر الصهيوني · فرفض « سنيه » اعطاء مثل هذا التعهد · لقد كان مرتبطا بتعهد سابق ارتبط به مع ضباط « الهاغاناه » ، وذلك بوجوب استمرار المقاومة ، وان الشعب اليهودي سوف يعاود القتال · ولقد اعدت الخطط لمصادرة السلاح من المعسكرات البريطانية · وفي الوقت نفسه كنا قد وضعنا الخطة لهجوم مشترك على معسكر بريطاني لاخذ اسلحته ردا على مصادرة الاسلحة اليهودية في قرية « باجور » التي فتشتها الحكومة ، وصادرت منها مخزنا للسلاح اليهودي :

عدة مئات من البنادق ومئات الالآف مـن الطلقات والذخيرة ، والاف من قذائف المورتر الخ • وعندها طلب « وايزمان » من « سنيه » الاستقالة من رئاسة « الهاغاناه » ، والا فان الدكتور « وايزمان » سيستقيل من منصبه كرئيس للمنظمة الصهيونية • وبين استقالة الرفيقين ظهر سوء فهم من نوع غريب • لقد اشتكى الدكتور « وايزمان » من عدم استلامه اية معلومات تتعلق بالهجوم على الجسور • فقال « سنيه » انه قد ارسل له خبرا بذلك • والحقيقة هي ان الاثنين على صواب فقد ارسل « سنيه » المعلومات ولكـن « وايزمان » لم يعلم بها لان الرسالة لم تصل •

وبالرغم من ضعف حالته الصحية فقد اصر الدكتور « وايزمان » على انذاره • وقد اقتنع الزعمـــاء العاملون النشيطون في الدوائر الرسمية ان استقالة « وايزمان » ستكون ضربة قاسية للصهيونية ، وطالب عدد كبير من حزب الماباي (حزب العمال) وقف اعمال الارهابيين • ففضل « سنيه » ان يستقيل •

وقد حضر « سنيه » الاجتماع الحاسم للهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية الذى عقد فى باريس ، ذلك الاجتماع الذى بحث ، ولعدة اسابيع السؤال الاساسي : الاستمرار في النضال ام لا • ولقد وقف « بنغوريون» كالصخرة الصلبة خلال المناقشات يدعو الى متابعة النضال • ودعمه « سنيه » بقوة على أمل العودة الى ارض اسرائيل ، بقرار حاسم للعودة الى القتال • وفجأة غير « بن غوريون » رأيه • وهكذا توقفت المقاومة الرسمية المسلحة فى تشرين الثاني ١٩٤٧ ، عندما قررت الامم المتحدة تقسيم ارض اسرائيل ، وبدأ العرب فى قتل اليهود • ومـــع ان المقاومة الرسمية قد علقت ، فقـد استمرت الثورة •

وبالرغم من كل شيء فاني اعتبر الفترة القصيرة من عمر المقاومة الموحدة من أسعد أيام حياتي • لقد كانت ايـام السعادة قصيرة ، وايـام الحزن والاسى طويلة • لم يكن لنا خيار غير الاستمرار في الثورة • وعندما توقفت « الهاغاناه » عن النضال واصلنا القتال كما وعدنا •

نعم ، لقد اختلف زعماء حركة المقاومة مع بعضهم البعض ، ولكـن الفراق كان محزناء خاصة وان هذا الفراق «الانفصال» صاحب حادثة فندق الملك داود •

فندق الملك داود

خلال الحرب العالمية الثانية كـان الجناح الجنوبي لفندق الملك داود قـد اتخذ مركزا لاهـم المؤسسات المركزية للنظـام البريطاني : كالقيادة العسكرية ، وامانة السر ، والحكومة المدنية • وباشتداد النضال ضد الحكم البريطاني كان الفندق الكبير قد تحول الى قلعة حقيقية في قلب المدينة • وفي البناء المجاور اقامت الشرطة العسكرية البريطانية مكتب التحقيق الخاص • وفي الفناء مـا بين البنائين كانت تعسكر وحـدات عسكرية قوية • وكان الجنود والشرطة والبوليس ورجال المباحث يقومون بحراسة دائمة للبناء ، الذي كان مقر حكام بريطانيا العظمى في ارض اسرائيل •

لم تعتد السلطات الاعتمـاد على المعجزات • فقـد تعلموا بالخبرة والتجربة • ولقد فاخر « كاستلنغ » قبل هجومنا على قيادة الشرطة بقوله : « لن ياتوا ، واذا ما فعلوا ذلك فسيكون لهم ترحيبا حارا •• » •

واتينا ، وتبخر ترحيب « كاستلنغ » • وعندما طار البناء في الهواء ، استطاع هو ورئيسه « جايلز » الهرب بحياتهم باعجوبة •

لم تشاهد « العيون » المراقبة التي كانت تحيـط بفندق الملك داود اي شيء من استطلاعاتنا • ولكن رجالنا رأوا ما كان يجب ان يروه ووجدوا ما كانوا يبحثون عنه واخذت خطة الهجوم على فندق الملك داود بالتبلور •

في ربيع ١٩٤٦ اخضعنا خططنا لاول مرة لقيـادة حركة المقاومة • واطلعت « سنيه » و « غاليلي » على اننا ننوي اختراق جناح الحكومة في فندق الملك داود لتنفيذ عملية تخريب ضخمة • وبدون الاسترسال في التفاصيل اكدت ان وظيفة المتفجرات سوف تكسب شهـرة بالوسيلة الجديـدة التي

اخترعها « جدي » ، من جهة فان الغامنا لا يمكن ازالتها او تفكيكها لانهـا تنفجر عند لمسها · ومن جهة اخرى فسوف يكون في مقدورنا توقيت انفجار هذه الالغام بوساطة آلة ميكانيكية لنصف ساعة وحتى لمدة ساعة بعد ادخالها الى البناء · مما يساعد على اخلاء الفندق من النزلاء والموظفين · ان اخلاء الفندق ضروري · هناك الكثير من المدنيين الذين نريد ان نجنبهم الاذى مهما كلف الامر · ولقد كنا قلقين للتاكد من انهم سيرحلون عـــن منطقة الخطر بحيث يكون لديهم الوقت الكافي للاحتفاظ بسلامتهم ·

لم توافق قيادة « الهاغاناه » على خطتنا في الحال · واعتبروا الهجوم على مقر النظام البريطاني عمـــلا فيه كثير من الطموح · لم يكونوا ضده كمبدا ، وقالوا بان الوقت لم يحن بعد لمثـــل هذا الهجوم ، الذى قد يؤجج غضب البريطانيين وبشكل مفرط · ولكننا كنا نفكر بطريقة مختلفة · ولكننا كنا مقيدين باتفاقنا ، وعلينا ان نخضع للقرار ، ولكننا لم نتخل عن خطتنا· وكنا نعيد طرح خطتنا في محادثاتنا الخاصة مع رؤساء « الهاغاناه » · لقد كان الاسم السري الذي اطلقناه على فندق الملك داود « الفندق الصغير » · واخيرا ومن اجل التمويه فقد دعونـاه « مالون شيك » · وفي نفس الوقت كانت منظمة « شتيرن » قد اعدت خطـــة للهجوم على بناء آخر تستخدمه الحكومة في الاراضي المشهورة باسم « اخوان داود » · ومن اجل التمييز بين الاثنين اطلق قادة « الهاغاناه » على هذا الاسم « عبدك ومفتديك » ·

بعد عدة شهور صدق على كلتا الخطتين من جانب قيادة الهاغاناه في الاول من تمـوز ١٩٤٦ بعـد الهجـوم على « الهاغانـاه » و« البالمـاخ » و « الوكالة اليهودية » · لم يفسر قادة « الهاغاناه » لماذا اصبحت عمليـة « شيك » ملائمة بعد ٢٩ حزيران · ولقد كان هناك سببان لهذا التحول في الراي · ان « الهاغاناه » التي بنت سياسة ضبط الناس في الثلاثينات قـد شربت اخيرا وفي الاربعينات من روح الانتقام والثار · وقد حفلت نشرات « الهاغاناه » الداخلية بالمقالات التي تدعـو الى العمليات العسكرية انتقاما مـن الهجمـات · حتى ان «الياهـو جولمب» اعطى تبريرا تاريخيا فلسفيـا لهذه النظرية · وناقش وجهة النظر القائلة بأن الحرب التي خاضها شعبنا في بلدنا كانت دفاعية في المقام الاول · وادعى بان الحروب التي نستطيع ان ننتصر فيها هي حروب الدفـــاع · وقد استعمل الرياضيات الى جانب فلسفة التاريخ ليبرهن صحة نظريته ، وبدا مفكرو « الهاغاناه » ينشئـون

علاقة رياضية بين « الهجوم » و « رد الهجـــوم » ، واذكر ان احـدى هذه المعادلات هي : « ان مدى رد الهجوم يتوقف على مدى الهجوم » ·

وقد وضعت هذه النظرية قيد التنفيذ في فترة حركة المقاومة الموحدة · فاذا كانت محطة رادار في حيفا مثلا تشكل خطرا على نقل المهاجرين ، فان محطة الرادار يجب ان تحطم · وقد كان رجال « هاشومير هازير » يعارضون اي شكل من اشكال النضال المسلح · وقد احتجوا على هذه العمليات حيث قالوا عنها انها : « تضعف اصدقاءنا وتقوي اعداءنا » · وتساءلوا عـــن العلاقة بين الهجرة وخطوط سكك الحديد ؟

ولقد شرح لهم « سنيه » الامر كالآتي :

« ان خطوط سكك الحديد هذه تسير عليها القطارات التي تحمل الجنود الذين يتصيدون المهاجرين · وان السيارات المسلحـة هي التي تحمل قوات الشرطة المحمولة التي تندفع وراء المهاجرين للامساك بهـم ، وتقوم بتفتيش الكميونات » ·

لم تكن تفسيرات « سنيه » منطقية · ولم يقتنعوا واصروا على نظرية « الدفاع عن الدفاع » كالحد الفاصل للعمـــل · ونستطيع ان ندور مع هذه النظرية الى اللانهاية · فاذا كانت هنـــاك منظمة دفاعية تدافع عن منظمـة دفاعية ، فما عليك الا استنباط الوسائل من اجل الدفـــاع عن المنظمة التي تدافع عن المنظمة المدافعة عن المنظمة الدفاعية · وهكـذا دواليك ، وبالطبع فان هذه النظرية تبقى نظرية وفي ٢٩ حزيران عندما اغار البريطانيون على مخازن سلاح « الهاغاناه » لم يكن هناك دفاع عن « الهاغاناه » · واخيرا وبعد ان بدأ العرب هجومهم في تشرين ثاني ١٩٤٧ ، لم تقاوم «الهاغاناه »· وعندما قامت الجحافل البريطانية في نزع سلاحهم · وبالرغم من « النظرية » فان الهاغاناه اصدرت الاوامر بعدم الدفاع ·

لقد كان مدهشا ان هذه النظرية « مـدى رد الهجـــوم يساوي مدى الهجوم » ، هي التي قادت رؤساء « الهاغاناه » الىالموافقة علىخطتنا الرامية الى الهجوم على فندق الملك داود · فقد احتل البريطانيون مكاتب الوكالـة اليهودية في ٢٩ حزيران من عام ١٩٤٦ · لقد كـــان ينظـر الى « الوكالة

اليهودية » على انها « القيادة اليهودية » ، وهكذا فعلينا ان نعاملهم بالمثل ونهاجم قيادتهم في فندق الملك داود ٠

والسبب الثاني كان اكثر خطرا ٠ ان «الهاغاناه» التي اعــادت على وضعها « شبه الشرعي » لم تكن لتمارس اي نوع من انواع الحذر ٠ لقــد اعتقدت قيادة « الوكالة اليهودية » ان « التأييد العالمي » ، يؤمن لها نوع من الحماية من البوليس البريطاني ٠ وبالتالي كان هناك كثير من الوثائق السرية في مقر الوكالة اليهودية ، بحيث ان اية منظمة لم تكن تسمح ببقائها هناك ٠ ان الغنيمة التي حصلت عليهــا السلطات البريطانية نتيجة حملات التفتيش في البناء الذيتقع فيه الوكالة اليهودية، كانت في غاية الاهمية ٠ انالشعور بعدم المسؤولية التي اتسمت بها تصرفات قادة الوكالــة اليهودية ، وصلت الى درجة ، كما اخبرني « غاليلي » ، ان البريطانيين استطاعوا ان يحصلوا على نسخة من نص خطاب المؤتمر الــذي القاه « مستر شرتوك » في مجلس المجمع الصهيوني العام ، حيث مدح سياسة نسف الجسور وشرح الاهمية السياسية لتلك العملية ٠

ان نص خطاب «'شرتوك » يعزز مسؤولية الوكالة اليهودية فيعمليات التخريب التي قامت بهــــا « الهاغاناه » ، وتدحض التنصلات التي ادعاها « بن غوريون » امام اللجنة الانكلو ــ اميركية منذ بضعة اشهر فقط ٠ ولم تكن الوثيقة الوحيدة من هذا النوع التي حملها البريطانيون معهم الى فندق الملك داود ٠

ان التلهف على اتلاف هذه الوثائق ، قد اثير في اللقاء الذي تم بين « يتسحاق ساره » ضــــابط العمليات في « الهاغاناه » و « جدّي » ٠ولقد سأل « ساره » « جدّي » عن الوقت الفاصل بيــــن وضــع المتفجرات ووقت انفجارهــا ٠ فاقترح « جدّي » ان يكون الوقت خمس واربعين دقيقة ٠ فقال « ساره » : ان هذا الوقت طويل ويتيح للبريطانيين ليس فقط اخلاء الفندق ، بل ايضا اخراج الوثائق ٠ واقترح ان يكــــون الوقت خمس عشرة دقيقة لاخلاء الفندق ٠ واكد له « جدّي » ذلك ٠ بالرغم من حداثته بالقتال ، فانه يمتلك الخبرة العملية في مثل هذا النوع من القتال ، اكثر مما كان يمتلكه ضباط العمليات التابعين « للهاغاناه » ٠ ولقــد شعر جدّي » ان مدة خمس

عشرة دقيقة لم تكن كافية كحد اقصى لاخلاء البناء · واخيرا توصلا الى حل وسط وتكون المدة نصف ساعة ·

سوف ارجع الى هذا اللقاء الذي تم بين « جدّي » و « ساره » ·وفي الوقت نفسه علي ان اعود الى الوثيقة الاساسية المرتبطة بعملية فندق الملك داود ·

في الاول من تموز ١٩٤٦ وبعد يوم من الهجوم الذي شنته السلطات البريطانية على الوكالة اليهودية استلمنا من قيــادة « الهاغاناه » الرسالة التالية :

« سلام

أ ـ عليكم تنفيذ عملية « شيك » بأقصى سرعة ممكنة ، وكذلك عمليــة « عبدك ومفتديك » · اعلمونا عن التاريخ والافضل ان يكونا معا وفي وقت واحد · لا تذيعوا هويـــة المجموعات التي تنفــذ العمليات لا بالتصريح ولا بالتلميح ·

ب ـ نحن نجهز لشيء ما وسوف نحيطكم بالتفاصيل فيالوقت المناسب·

جـ ـ يجب استبعاد منطقة تل ابيب والمناطق القريبة منها عن جميــع العمليات ·

كلنا مهتمون بحماية تل ابيب كمركز لعملنــا · فاذا حدث هناك منع للتجول في تل ابيب نتيجة لاية عملية في منطقة قريبة فان مشاريعنا ستتوقف· يجب ان لا تقترب القوات اليهودية من تل ابيب » ·

-٢-

وبعد استلامنا الرسالة بدأنا الاعداد لعملية « شيك » · لم نكن نستطيع ان نقوم بها على الفور ، لان موافقة « الهاغاناه » على الهجوم وصلتنا بعد اسابيع من رفضها لها· وفي تلك الفترة تغيرت ظروف كثيرة· وبالنتيجة علينا

ان نقوم باستطلاعات جديدة واعادة تقويم تفاصيل العملية · لقد كنا مدركين بأن هذه هي اضخم عملياتنا حتى ذاك التاريخ ، وانها قد تتحـول لتكـون الوحيدة في تاريخ حروب التحرير · ان التسلل الى قلب الحكومة العسكرية وتوجيه ضربة داخل مقر قيادة النظام المسلحة تسليحـا قويا ليس بالامر السهل · واني لا اشك انه كان لهذه العملية مثيل من قبل في التاريخ ·

لم نكن نجسر على الفشل · فبعد ٢٩ حزيران دب الذعر واليأس في قلوب الناس · لقد كانت ضربة « باركر » قاسية جدا · ورفعت الانهزامية رأسها الميت · وبدأ الشعب يتساءل عن قابليتنا لقتـال النظام البريطاني · وعبر الكثيرون عن يأسهم من نتيجة اي نضال · من نكون ؟ ما هي قوتنـا لنكون قادرين على الوقوف في وجـه الجيش البريطاني ؟ لقـد كانت هذه الاسئلة حبلى بالخطر وتعكس روح الانهزاميـة التي تضـع حـدا لايـة حرب تحريرية ·

وادركنا ان ثقة الشعب اليهودي بنفسه لا يمكـن استرجاعها الا عن طريق هجوم مضاد ناجح ، ردا على ضربات « باركر » الموجعة · وهكـذا فقد سررنا عندما جاءتنا رسالة « الهاغاناه » بالموافقة على العملية ، وبدانا نعد لها من جديد ·

ولقد استنفر « جدّي » قواه الخلاقـة العظيمة اقصى الاستنفار · ان صفائح الحليب اصبحت تحتوي على المتفجرات · ان عملها كان مضاعفـا بالتاكيد · كانت هناك الة لضبط وقت الانفجـار ، نصف ساعة بعـد ترك الصفائح في اماكنها ، واخرى لحفظ الصفائح ضد اي محاولـة لنقلها او تفكيكها · وكان الاعتبار الاساسي في العملية هو تعيين موعد الهجوم فاقترح موعدان : الاول في الساعة الحادية عشرة قبـل الظهر ، والثاني ما بين الساعة الرابعة والخامسة بعد ظهر · اما سبب اقتراح هذين الموعدين فهـو ان صفائح اللبن لا يمكن ان تدخل الا بوساطة عمـال المقهى الذي يقع في الدور الارضي للجناح الذي يقيم فيه « باركر » · في ساعات الصباح تلك ، وفي ساعات بعد الظهر يكون المقهى خاليـا من الزبائن ، ويكون مزدحما عند الغداء بالرجال والنساء المدنيين والضباط البريطانيين · ومن الضروري ان يتم الهجوم في ساعة لا يكون هناك زبائن في المقهى ·

اخترنا الوقت الاول ـ الحادية عشرة ـ من الاوقات المقترحة وذلـــك لكي يكون هجومنا في موعد هجوم منظمة « شتيرن » ذاته على بناء « دافيد اخوان » عملية « عبدك ومفتديك » حتى لا يتعارض هجوم مع اخر ·

تم بدانا نفكر بطريقة لانذار بعض الموجودين حتى لا تحـدث خسائر كثيرة كنا لا نريدها · ولكي نبعد الماره عن البناء قررنا اطلاق قنبلة صوتية غير مؤذية · وبعد ذلك اخترنا ثلاث مكاتب لاستلام الانذار الذي سوف يعطى عن طريق الهاتف ، في الوقت الذي يكون فيه رجالنا قـد خرجوا من الدور الارضي للبناء · والمكاتب الثلاثة هي : ادارة فنـــدق الملـــك داود ، بريد فلسطين ، والقنصلية الفرنسية القريبة من الفندق · ثم قررنا وضع لافتات على صفائح الحليب : « الغام متفجرة ··· لا تلمسنها » ·

وقد نفذت عملية « شيك » بعد ثلاثة اسابيع من استلامنا تعليمـــات « الهاغاناه » بتنفيذها · خلال ذلك الوقت تمت عدة لقاءات بيننا وبين قادة حركة المقاومة · وفي احدى المرات طلبت « شتيرن » تاجيل العملية لعـــدم استعدادها الكامل · واجلنا الهجـــوم مرتين او ثـــلاث نزولا عند طلـب « الهاغاناه » · لقد كانت فترات التأجيل هذه خطيرة للغاية · فكل مرة كان يتزايد عدد الناس الذين يعملون بالخطة · كما سبق وذكرت فان المشتركين في اية عملية تكون لديهم التفاصيل المسبقة للعملية · وبالنسبة لعملية الفندق فان عددا كبيرا من الاشخاص قد اطلعوا عليها، واي تاخير جديد باستطاعته ليس فقط تهديد الخطة نفسها ، ولكن تهديد المشتركين فيها ايضا · وبالتالي كان لنا احتجاجنا ضد هذه التأجيلات · وفي تمـــوز تسلمت مذكـــرة من « موشيه سنيه » :

« سلام

«لقد اطلعني رفاقي على الحادثات الاخيـرة ، وان كنتم لا تزالــون تحترمون مناشدتي ، فاني اسألكم بحرارة تأجيل العمليات المخططة للايـــام القليلة القادمة» ·

اذعنا لهذا الطلب وقبلنا ٢٢ تموز كموعد اخير· ولكن منظمة «شتيرن» مرة اخرى كانت غير قادرة على اتمام استعداداتها · وفي آخر لحظة تقرر

القيام بالهجوم على فندق الملك داود لوحده· وفي اللحظة الاخيرة للاستشارات اجل وقت الهجوم ساعة واحدة فقط ، بحيث يبتدىء الساعة الثانية عشرة بدلا من الحادية عشرة ·

وقامت وحدة الهجوم بقيادة «جدعون» ، وهي ترتدي ثياب مستخدمي الفندق بالعملية بشجاعة فائقة ، ونفذت الاوامر المعطاة لها بدقة مطلقة ·

لقد احضروا صفائح الحليب الى اقرب نقطة من الفندق وانقسموا الى مجموعتين ، مجموعة للاختراق ، والثانية لتغطية الاولى · اخذت المجموعة الاولى صفائح الحليب الى الدور الارضي بوساطة عمال المقهى · لقد سيطروا على مستخدمي المقهى واقفلوا عليهم في غرفة جانبية · ان اخضاع عمال المقهى كان جزءا من الخطة · ولكن رجالنا فوجئوا بالظهور المفاجىء لجنديين بريطانيين الذين شكا بالامر فشهرا مسدسيهما · ولم يعد هناك مجال لتجنب الاصطدام · فوقعت خسائر بين الفريقين · وفي الوقت نفسه فان مجموعة التغطيةفي الخارج اصطدمت مع الدوريات البريطانية العسكرية· ونظرا لطبيعة العملية فان رجالنا لم يكن لديهم الرشاشات وكان عليهم القتال· على اية حال فان مجموعة الاقتحام وصلت هدفها · وقائد العملية نفسه عين الآلة على نصف ساعة والصق الانذار الحائطي ، وبعد ذلك كان قد حرر العمال العرب وامرهم بالهرب بحياتهم · فلم يترددوا · وآخر رجل بقي خارجا هوجدعون الذي صاح: «ابتعدوا، ان الفندق على وشك النسف»· وفي تلك اللحظة فجرت قنبلة الانذار الصوتية خارج الفندق · وتحت سحاب دخانها انسحب رجالنا · ان صوت القنبلة وصراخ الناس غير المتوقع اخلى الشوارع من المارة ·

وفي الساعة الثانية وعشر دقائق وصل «جدعون» المكان الذي ينتظرنا فيه عامل التلفون ، وعلى الفور اتصلت بفندق الملك داود وانذرتهم بوجود متفجرات في الفندق وعليهم الرحيل في غضون وقت قصير · «اخلوا البناء بكامله» صرخت بعامل التلفون في الفندق · والانذار الثالث والاخير وجه الى القنصلية الفرنسية مصحوبا بالنصيحة لفتح جميع نوافذ القنصلية من اجل منع تأثير الانفجار · وبالتالي فان موظفي القنصلية ذعنوا للانذار وفتحوا نوافذ القنصلية · وبذلك لم يتعرض بناء القنصلية لاي ضرر ·

اصبحت الساعة الان الثانية عشرة والربع · لقد كان «جدعون» يحصي الدقائق · هكذا فان كل شيء سار حسب الخطة الموضوعة ، ما عدا الخسارة التي تكبدناها في الصدام غير المتوقع · لقد وضعت صفائح الحليب في الدور الارضي الذي يقع فيه جناح الحكومة · ووجهت جميع الانذارات واستلمت · وبلا شك فان البريطانيين بداوا بالاخلاء · والسؤال الذي كان يزعجه ، هل ستنطلق المتفجرات : ايمكن ان يكون هناك اي عطل في الـة التوقيت ؟ هل سينفجر البناء ؟ هل ستدمر الوثائق ؟ كل دقيقة كانت تبدو كيوم كامل · الثانية عشرة وثلاثين دقيقة اثنين وثلاثين ، صفر ساعة الانفجار اقتربت · كان «جدعون» قلقا · لقد انتهت النصف ساعة ، الثانية عشرة وسبعة وثلاثين دقيقة وفجاة بدت وكان البلدة اهتزت · لم يكن هناك اي خطأ · ان قوة الانفجار كانت اقوى مما توقعنا كان «يتسحاق سارة» يشك فيما اذا كان الانفجار سيصل الطابق الاول او الدور الثاني · ولقد ادعى «جدعون» انه مع ان الشحنة كانت تتالف من ٥٠٠ رطل من المتفجرات ، وهي مزيج من مادة ت·ن·ت· T.N.T والجلجنيت (١) Gelignite والتي وضعت في صفائح الحليب ، فان المكان الضيق للدور الارضي سوف يرفع من قوة الغازات المتسربة ، وان الانفجار سيصل السقف · ولقد وصل الانفجار اعلى البناء من الدور الارضي وحتى السقف · ستة طوابق حجرية من الفولاذ والاسمنت المسلح · وعندما اعلنت الاذاعة البريطانية بي·بي·سي B.B.C النبأ على الشكل التالي : ان جناحا باكمله لفندق كبير قطع كما لو انه قطع بالسكين» ·

- ٣ -

بينما كانت وحدة الهجوم في عرين الاسد تعمل المستحيل لتامين اخلاء الفندق في الوقت المناسب ، كان البريطانيون يسيرون في خط مغاير · ولسبب من الاسباب فان الفندق لم يخل تماما ، مع انه كان هناك متسع من الوقت

....

١ ـ نوع من الديناميت (المترجم) ·

من بدأ اعطاء الانذار لكي ينجو كل انسان بنفسه • وبدلا من ذلك فان ضريبة الارواح كانت مروعة فقتل او جرح اكثر من مائتي شخص • ومن بين الضحايا كان هناك ضباط بريطانيون ذوو رتب عالية • ولقد حزنا في الحقيقة على المدنيين الاجانب الذين لم نكن نرغب في ايذائهم • وكذلك الخمسة عشر مدني يهودي ، حيث كان من بينهم اصدقاء لنا سقطوا بطريقة مأساوية • ان رضانا عن نجاح العملية قد افسد بمرارة • ومرة اخرى مررنا بايام من الالم وليال من الندم بالنسبة للدم الذي لم يكن بحاجة لان يراق •

لماذا لم يخل فندق الملك داود ؟ في هذا الفصل المأساوي هناك بعض الحقائق البعيدة كل البعد عن الشك • مما لا شك فيه ان الانذارات وصلت مستقبليها المعنيين • ولقد جاء في تقرير لصحيفة «ميدل ايست ميل» وهي صحيفةالقوات البريطانية فيالشرق الاوسط انهبعد عدة دقائق ايبعد الساعة الثانية عشرة سمع عامل الهاتف في الفندق صوت امراة تنذره بان قنابل قد وضعت في الفندق ، الذي يجب اخلاؤه بدون تأخير • كما ان عاملة الهاتف في «بريد فلسطين» اقسمت لضابط الشرطة انها تسلمت في الثانية عشرة والربع الانذار ، وعلى الفور حولته الى الضابط المناوب في قيادة الشرطة • ولقد نشرت جريدة «الهاغاناه» الرسمية «ايشناب» ، شهادة لرجل يوثق به كان في الفندق وقت الانفجار • فقد قال : «عندما سمعت الصوت الذي صدر عن القنبلة الانذار ، قررت الخروج من الفندق • وحاول كثيرون غيري ان يفعلوا ذلك • ولكن الجنود كانوا قد اوصدوا كل مخرج باطلاقهم النيران في اتجاه الناس الذين كانوا يحاولون الخروج » •

وعلمت فيما بعد انه عندما وصل الانذار باخلاء الفندق الى مسامع احد الموظفين الكبار بتعجب قال : «لسنا هنا لاخذ الاوامر من اليهود بل لاصدار الاوامر اليهم» •

وخلال الـ٢٥ او ٢٧ دقيقة ، كما شهد جميع الشهود ، التي مرت على استلام الانذار وحتى لحظة الانفجار كان لدى السلطات الوقت الكافي لاخلاء المكان من جميع الاشخاص الذين كانوا فيه • واخيرا هناك اعتقاد بانه اعطيت اوامر محددة بوساطة شخص ما في السلطة ، بانه يجب تجاهل الانذار الموجه لاخلاء الفندق :

لماذا اعطي هذا الامر الغبي ؟ من المسؤول عن اعطائه ؟

لم تجر الحكومة البريطانية اي تحقيق • لقد اصدر الحاكم الجنرال «باركر» قبل مغادرته انكلترا امره الشهير الى الجنود البريطانيين : فقد كتب يقول :

«اني مصر على انه يجب ان يعاقبوا ونجعلهم يدركون شعورنا بالازدراء والاحتقار نحو تصرفاتهم • ويجب ان لا ندع انفسنا نتوه بمتاهات تعاطف قياداتهم المنافقة وممثليهم والاحتجاجات بانهم غير مسؤولين وبانهم لا يستطيعون لجم الارهابيين • واني اكرر انه اذا كانت الجمعية اليهودية تريد فعلا وضع حد للجرائم يمكنها فعل ذلك بالتعاون معنا • وهكذا فني قررت من وقت تسليم هذه الرسالة اقفال جميع اماكن اللهو والتسلية والمقاهي والمطاعم والمحلات والبيوت الخاصة • ولن يكون هناك اية معاملة بين اي جندي بريطاني وبين اي يهودي واوقات المعاملات الموجبة تقصر بقدر الامكان ومحددة بالواجب المعني • وادرك ان هذه المقاييس سوف تخلق المصاعب امام الجنود ، ولكني متاكد اذا ما فسرت اسبابي لهم ، فانهم سوف يدركون واجباتهم ويعاقبون اليهود بطريقة يكرهها هذا العرق او السلالة : بضربهم على قفاهم لنظهر لهم احتقارنا واشمئزازنا منهم» •

ان هذا الامر الموجه الى جميع الضباط البريطانيين في جميع انحاء البلاد وقع في ايدي جهاز المخابرات التابع للارغون يوم كتابته • فنشرناه على الفور• ولقد كان لمحتواه المفعم بالكراهية صداه في جميع انحاء البلاد•

من خلال جمع الشواهد واستقصاءات جهاز المخابرات التابع للارغون، تاكد لنا ان ضابطا كبيراً هو الذي منع اخلاء فندق الملك داود ، لسبب ما واضح له ، فقط من اجل ايقاع مصيبة كبيرة •

بعد وضع المسالة في الميزان خلال السنوات التي مضت فاني مقتنع كل الاقتناع ان هذه النظرية معاكسة لكل الحقائق المعلومة لدينا ، وهي ليست صحيحة •

ان سؤال قضاة روما القدامى لمصلحة من ؟ لا يزودنا بمفتاح اللغز • ويبقى السؤال مفتوحا •

على اية حال فانه من الواضح اننا بذلنا ما بوسعنا لتأمين الاخلاء المبكر والتام للفندق ، ان الانذارات ارسلت وتسلمتها السلطات في الوقت المناسب ، وكان لديهم الوقت الكافي لاخلاء الفندق اكثر من مرتين ، وان شخصا ما لهدف ما غامض او لانه فقد عقله ، او انه كان يريد ان يحمي هيبة السلطة ، امر بعدم اخلاء الفندق •

وعلى الفور فقد انتشرت اكاذيب وادعاءات في العالم كله تقشعر لها الابدان ، بعد ان تمت العملية • ولقد كتبت صحيفة «هاآرتس» تحت عنوان «المعركة من اجل الحقيقة» : «استمرت المعركة ••• وسوف تكون احدى اعظم المعارك في تاريخنا • ان الاعداء لم يكونوا دبابات ولا قوات مسلحة • لقد كانا العدوين القديمين اللذين يتصارعان منذ بدء الخليقة الا وهما الحقيقة والكذب» •

لقد وقفت وراء كذب آلة دعاية ضخمة تابعة لامبراطورية قوية وواسعة• محطات الراديو ، حيث كان صوتها يصل الى جهات المعمورة الاربع ، مئات الصحف، البرلمانات، الحكومات والسفارات • ودعما للكذب هاجمتنا صحف يهودية حقيرة ومؤسسات اليهود المسعورة • صرخوا جميعهم بهستيرية ، واقفلوا آذانهم وتنافسوا في البحث عن كلمات استنكار اقوى ، وتعابير اكثر اهانة وتحقيرا • وبدا وكأننا خسرنا المعركة •

خسرنا؟ لقد كانت المعركة شديدة • وحظنا في ربحها بدا وكأنه مستحيل ! ولكن الحقيقة انتصرت على الدعاية العظيمة ••• عظيمة هي الحقيقة •

– ٤ –

لم تكن المعركة من اجل الحقيقة في الداخل اسهل • اذ طلبت منا « الهاغاناه » الا ننشر اي بيان يوم العملية لنعلن عن هوية المجموعة المهاجمة لا مباشرة ولا بالتلميح • ولكن «الهاغاناه» نفسها سادها الفوضى• ولقد صرح احد الضباط بسلسلة من التصريحات المتناقضة • فلقد نصح اولا الصحف اليهودية عدم استنكار العملية ، مهما كلف الامر ملمحا وبشكل واسع بمعرفة «الهاغاناه» المسبق للهجوم • واخيرا وعندما اصبح معلوما انه وقعت خسائر في الارواح ، نصح الصحف مرة اخرى بعدم التعليق سلبا او ايجابا • وتوالت توجيهاته التي كانت تشجب الارهابيين (الارغون وشتيرن) بدون تحفظ •

وانطلقت حملات الشجب والاستنكار ، لم يشهد بلدنا مثل هذا الانفجار الصحفي الهستيري وتحقير الذات · ولقد دعت «هامشمار» لحملة ابادة · ولقد نشرت « هاآرتس »قصيدة تقول فيها بانه لا يوجد خلاص اذا كان سياتي عن هذا الطريق · ومضت ايام قبل ان تدعو الجريدة نفسها الى تحقيق رسمي في الاسباب التي دعت الى عدم اخلاء الفندق · ثم تقول : ان «جاكوبر» ـ وهو عضو الادارة اليهودية الرسمية ـ وجد مقتولا وفي جيبه الميداليات التي حصل عليها اشارة الى عزمه على الخروج لولا ان بعضهم منعه من ذلك ·

وبلغت هذه الحملة القمة عندما صرح «بن غوريون» لصحيفة «فرانس سوار» الباريسية : «ان الارغون هي عدوة الشعب اليهودي ، وكانت دائما تعارضني» ·

والاغرب من الكل كان موقف «الهاغاناه» ، بالرغم من طلبهم السابق الا نذيع هوية المجموعة المهاجمة ، استلمت مذكرة من «غاليلي» مساء ٢٢ تموز يطلب فيها اعلان الارغون عن تنفيذها الهجوم الذي تم على فندق الملك داود · واضاف «غاليلي» : ان «الهاغاناه» لن تنشر اي بيان مطلقا · اذعنا لطلبه ووضعنا مسودة الاعلان ، ونشرنا بيانا عن الحقيقة الكاملة للهجوم الذي تم على الفندق وحذفنا فقط حقيقة ان «الهاغاناه» طلبت منا في الاول من تموز تنفيذ عملية « شيك » · ولكن «الهاغاناه» لم تف بوعدها ·

وفي اليوم التالي اي ٢٣ تموز اذاعت محطة «كول اسرائيل» الناطقة باسم «الهاغاناه» بيانا بالغ الاهمية قالت فيه :

«ان حركة المقاومة العبرية تشجب الخسارة في الارواح التي سببتها عملية الارهابيين التي تمت على فندق الملك داود» ·

تشجب ··· الارهابيين ··· لقد كانت المرة الاولى التي يستعمل فيها ناطق باسم «الهاغاناه» هذه التعابير بعد عدة شهور · لقد كانت هذه الكلمات بالغة الاهمية · انها ضد الاخلاق ، وتسيء بوجه خاص الى معنويات المقاتلين ·

وذاتيوم كتب «غاليلي»، الذي خلف «سنيه» كرئيس لمنظمة «الهاغاناه»، في رسالة يقول فيها :

« الى م سلام

ان نتائج عملكم الخطير في القدس سبب تطورات غير متوقعة . ان تعليقات الصحف تجاهلت توجيهاتنا . وهكذا كان شيئا لا يمكن تجنبه في هذه الظروف .

ان الحال قد تخلق احداث وتعقيدات خطيرة ومأساوية قد تؤثر على النضال ، ومن اجل تجنب هذا ، فمن الضروري الاجتماع الليلة ٢٣ تموز ١٩٤٦ الساعة ٢١ .

ارجوك ان تبذل جهدك للمجيء . سوف اكون بالانتظار في اجتماعنا الاخير . ولقاؤنا يجب ان يسبق اجتماع غد»

ذهبت في الموعد المحدد . لقد كان قلبي مثقلا ولكن «غاليلي» لم يلاحظ ذلك . عندما لمته على اتجاه الصحف ، كرر قولـــه « قفزت فوق السيـــاج » وتجاهلت توجيهات قيادة «الهاغاناه» . ولكني تذمرت وبوجه الخصوص من نشرة «كول اسرائيل» الغريبة .

فسألته ماذا يعني هذا ؟ لقد كانت الخطة متفق عليها من كلا الجانبين، ونفذ الرجال التعليمات الموجهة اليهم بدقة ، والانذار اعطي . لماذا لا تقولون الحقيقة ؟

عندها اطلعني «غاليلي» على الحديث الذي جرى بين ضابط بوليس واحد الموظفين الرسميين في الفندق . والذي قال فيه الضابط البريطاني : «اننا لا نأخذ الاوامر من اليهود بل نعطيهم اياها» وبناء على طلبي فقد وعدني «غاليلي» بان تذاع هذه الحادثة من اذاعة «كول اسرائيل» . وطلب مني ان لا ننشر شيئا قد يزيد من تعقيدات الموقف . فوعدته بذلك . ولم تكن لدينا الرغبة في زيـــادة الحملات المسعورة التي غمرت المؤسســـات الرسمية . بعدها اخرج «غاليلي» مفكرة من جيبه ومد بها الي لاقرأها . لقـد كـانت مرسلة اليه من «ساره» قرأتها وبدا ان كل يسير الى الظلام . لقد ادعـى «ساره» بأنه قد خدع ، لا اكثر ولا اقل ، لان «جدي» اخبره بان الهجوم سيتم ما بين الثانية والساعة الثالثة بعد الظهر . يعني في فترة الغداء حيث تكون مكاتب الحكومة فارغة . على الفور اخبرت «غاليلي» ، بالحقائق الوثيقة الصلة بموضوع توقيت العملية . ان قيادة «الارغون» ناقشت تكرارا خطة

الهجوم ، فلم نسمع مرة واحدة عن اقتراح لتنفيذها في ساعة الغداء • فقد ذهب «جدّي» لمقابلة «ساره» بعد القرار النهائي للهجوم في منتصف النهار وبعد ذلك قدم «جدّي» تقريرا مفصلا عن هذا اللقاء ، الذي تم بين «ساره» و«جدّي» • كما ان «جدّي» لم يعتد اخفاء حقيقة عني • واذا كان «غاليلي» لا يصدق «جدّي» ، كما اصدقه فما معنى ان يخبر «جدّي» « ساره» شيئــا مختلفا عما كان مقررا في اقتراحه •

ووعد «غاليلي» انيطلب من ضابط عملياته تفاصيل ادق، وطلب مني اجراء تحقيق في ذلك • فاخبرته بانه لا توجد دواع لمثــل هــذا التحقيق ، ولكني سأسال « جدّي » ، واذا ما اصر « ساره » على روايته ، فمـا علينا الا ان نحضر ضابطي العمليات امامنا لدرس الامر • فقبل «غاليلي» ذلك •

ومرت ايام قلائل قبل ان تذيع « كول اسرائيل » امر محادثات الفندق ، وتم ذلك بعد ان ارسلنــا عدة رسائــل ملحة الى « غاليلي » • واستمرت الصحف في تجاهل توجيهات « الهاغاناه » وبقينا صامتين من اجل سلامة الكفاح المشترك •

وفي الوقت نفسه حصل اجتماع ضباط العمليات • وكانت « الهاغاناه » ممثلة بـ « غاليلي » و « ساره » • ومن جهتنا كنت و «جدّي» و «أبراهام» • لقد كان لي حديث طويل مع «جدّي» ، ودهش عندما علم ما كتبه «ساره» • وشرح لي بأن «ساره» لم يسأل عن ساعة الهجوم ، وانهما لم يبحثاه بتاتا • لقد بحثنا بالمتفجرات وتاثيرها • وبحثنا في الوقت اللازم لاخلاء الفندق • لقد بحثنا العملية ككل • لم نبحث في التفاصيل • ان «ساره» لم يكن ليتعب نفسه في التفاصيل • ولم يفعل ذلك في هذه القضية • حتى ان تفاصيل وقت العملية لم يأت على لسانه •

خلال التحقيق القيت عليهما الاسئلة بتجرد ودون تحيز • واخيرا قلت في نفسي قد يكون هناك شيء من سوء الفهم • ولقد وجه سؤال بعد سؤال لـ « جدّي » و « ساره » ، وذلك من جانبي ومن جانب « غاليلي » •

ان هذا التحقيق المبدئي لم يوصلنا الى نتيجــة • ونحن الذين وجهت اليهم موجات التحريض ، طلبنا عقد جلسة تحقيق رسمية للنظر بيننــا وبين حركة المقاومة • وطلبنا ان تؤلف المحكمة من شخصيات رسمية ، واقترحنا اسماء كثيرة منها بعض خصومنا ، ولكن اقتراحنا لم يقبل • بالاضافة الى

جميع الاكاذيب المحاكة حــول هجومنا على القيادات المدنيــة والعسكرية البريطانية ، فان القصة التي شاعت انه كنتيجة « الاعتداء الوحشي » على فندق الملك داود ، فان « الهاغاناه » قطعت كل علاقاتها معنا · ويبدو لي ان علاقتهم معنا ، لم تكن في يوم من الايــام احسن من تلك التي تبعت عمليــة « شيك » · وواصلنا لمدة طويلــة الاعداد للخطط المشتركة · ففي آب ١٩٤٦ وضعنا خطة عملية اغراق احدى سفن الترحيــل البريطانية ، والتي كانت ترسو في ميناء حيفا · ولقد اسميناها عملية « اللانش » ، وفي بعض الاحيان كنا نطلق عليها اسم « عملية السيد لانش » · في ١٧ تموز ١٩٤٦ · وبعد عملية « شيك » بشهر كتب « غاليلي » يقول :

« اني اسرع في الرد على مسألة « اللانش » · فأوكــد مرة اخرى ان مسألة « السيد لانش » تحظى بأهتمام كبير ، واني انصحــك الحذر ضد اي تشابك بحيث يشكل خطرا كبيرا · اما فيما يتعلق بادعائك انهذا هو اقتراحك فمنذ متى كانت الاولوية تعطى للاقتراحات خصوصا عندمـا يكون المقتـرح نفسه لا يعرف اذا كان اقتراحه قد عمل به قبل ان يقترحه ·

« سأجيب على الامور الاخرى بالسرعة الممكنة ·

لا ، لم يكن الهجوم على فندق الملك داود هو الذي سبب قطع العلاقات بين « الهاغاناه » و « الارغون » · لقد ساعدت فقط في اظهار حقيقة تلــك العلاقات التي قطعت منذ عدة شهور · لقد اتت الى نهايتها ، بالنسبة لرسالة اتفاقنا ، بوساطة الهدنة التي قررها احد السجناء في باريس في احدى ليالي الخريف مع سجين باريس الاخر (١) ·

(١) لقد كان « بن غوريون » في باريس ، عندما قبض على رفاقه وسجنوا في ٢٩ حزيران وبقي هناك حتى بعــد اطــلاق سراحهم · والسجين الاخر فهو الدكتــور « سنيه » الذي لجأ الى فرنسا بعد فترة مــن الاختفــاء التي اعقبت ٢٩ حزيران · (المؤلف) ·

لقد كان للهجوم الذي تم على فندق الملك داود نتائج اخرى • وبعد الاستعدادات نزلت قوات الجيش البريطاني الى تل ابيب ، من اجل ، كما صرحوا ، اقتفاء اثر المخربين وتدميرهم عن بكرة ابيهم •

لقد احتلت تل ابيب بوساطة كتيبتين من الجنود المشاة والوحدات المسلحة ، مصحوبة باعداد من رجال الشرطة وعملاء المخابرات • واعلن حظر التجول ليل نهار • واعطي الانذار : «اي شخص سوف يترك بيته سوف يطلق عليه النار » • وبدأت حملات التفتيش من بيت لبيت ، فكانت حملة « غربلة » • لم يستطيع احد الهرب من الشبكة ففتش كل بيت واستنطق كل فرد •

لقد كانت هذه هي اوامر الجنرال « كاسلز » قائد قوات جلالته المحاصرة للمدينة • وامتلأت معتقلات « اللطرون » بالضيوف الذين كان لديهم الوقت الكافي للتخلص من الاوهام وراء الاسلاك الشائكة •

ولكن هؤلاء ليس هم الذين يبحث عنهم الجنرال « كاسلز » والجنرال « باركر » ، ورجال شرطة « جايلز » و « كاتلنغ » على وجه الخصوص • لقد كانوا يعلمون من يريدون • وبحثوا وفتشوا! ولكنهم لم يجدوا مبتغاهم •

لقد حذرنا مساء قبل اعلان حظر التجول بوساطة مصدر موثوق به ان البريطانيين يعتزمون تنفيذ حملة تفتيش واسعة • وكما حصل كان لنا اجتماع مع رؤساء منظمة « شتيرن » في الليلة نفسها • فاخبرناهم بالتحذير • وبعد منتصف الليل استيقظت على صدى ارتال الدبابات والعربات المصفحة العميق • واستيقظت زوجي ايضا وكذلك « روكي » ، مطلقة العنان لغريزتها ضد البريطانيين ، وابتدأت النباح •

لقد تأكد الانذار بالتفتيش بسرعة • لو كنا اخذناه بجدية لتركنا جميعا تل ابيب ، حيث كان لنا ملء الوقت وانتظرنا حملة التفتيش العسكرية • والان فقد سجنا جميعا في تل ابيب • وبدا الوضع قاتم السواد • ماذا سيحدث

للشبان ؟ اما بالنسبة لـ « اسرائيل ساسوفير » فـــان لحيته لن تحميه هذه المرة · ولقد علم جهاز استخباراتنا ان البريطانيين مهتمين بأصحاب اللحى ، وان كثيرا من اليهود قد عانوا كثيرا نتيجة شكوكهم تلك ·

لقد كانت عندنا في البيت غرفة سرية صممها « ميرادور » قبـــل ان يوشى بهالى البريطانيين· وهيغرفة بدائيةتستطيع العينالبصيرة اكتشافها· وقد بقيت فارغة مدة ثمانية عشر شهرا لـــم اختبىء فيها ، خـــلال حملات التفتيش الكثيرة التي جرت في تل ابيب · ولكن في تلك الليلة تملكني الشعور بالاختفاء عن الانظار ·

فاخبرت زوجي ان تخبر ابني النائم اذا افاق ، والجيش اذا فتش وسأل عني انني ذهبت الى القدس · ثم تسلقت الى الغرفة السرية ·

واستمر البريطانيون باكتساح البيوت · وعند الفجر كانوا لا يزالون يتدفقون · ولقد جاء صوت المذياع الذي وضعته زوجي في مكان عال ، لكي استطيع سماعه ، ليعلن الاخبار · لقد مدد حظر التجول لعدة ايام · كـــل بيت يجب ان يفتش ، وكل مواطن يجب ان يحقق معه · عدة ايام ان لم يكن ذلك مشجعا ·

ووصلت القوات البريطانية الى الحديقـــة ، وعسكرت فرقـــه هناك · ودخلوا ليقوموا بالتفتيش الاول في بيتنا · لقد كانوا على بعد ذراعي مني·

فسأل الضابط : اين زوجك ؟

وزوجي التي ادعت بأنها لا تعرف الانكليزية اجابت بالعبرية ان زوجها ذهب الى القدس ·

ولقد اخذت زوجي للتحقيق · لم يكن هناك اي خيار · واخذت الطفلين معها · وكان المكان الذي اخذت اليه يبعد اقل من ميل واحـــد عن البيت · وعندما وصلت هناك لم يسألوها اي سؤال · لقد القى الشرطي البريطاني المناوب نظرة عليها وقال للشرطي اليهودي الذي كان يساعدهم كمترجم :

« اخبرها ·· ان ترجع الى بيتها » ·

وعادت الى البيت وعن طريق محاكاة الاطفال اعطتني الاشارة بان كل شيء على ما يرام ٠

وبعد ذلك عـــاد الجنود لكي يقوموا بتفتيش كامـــل للبيت ٠ فتحوا الخزائن ٠ ونظروا تحت الاسرة ٠ ونقروا على الجدران ٠ نقروا على جدار مقصورتي ٠ ونقروا بشكل جعلني بصعوبة اضبط نفسي عن رد النعرة ٠ ولكن « روكي » كانت اقل ضبطا لنفسها ٠

على كل حال ، فان مكان اختبائي لم يكن جنة ٠ وبلا شعور استعدت ذكرى غرفة السجن الانفرادي في « لوكشكي » ٠ لقـــد كانت هنــاك بعض المقارنات بين الاثنين ٠ لقد كانت الغرفة في « لوكشكي » حارة في النهــار وباردة في الليل وهنا كذلك كانت باردة في الليل وبين بين في النهار ٠ كانت الجدران هناك من حجارة ، اما هنا فهي من الخشب ٠ هناك عظام الانسان تؤلمه وكذلك هنا ٠ يمكن للمرء هناك انيسير ثلاث خطوات ونصف٠ اما هنافلا يجرؤ على الحراك ٠ هناك نقص في الغذاء وهنا نقص في الماء ٠

وهذا اسوأ مافيها : لاماء٠ هناككنت اذهب بدون طعام، اما هناولاول مرة ادركت ما يعني للمرء ان يذهب بدون ماء ٠ الجوع والعطش، من الافضل ان تعرف عنهما شيئا ٠ ولكن اذا كان علي ان اختار بين الاثنين فاني وبدون تردد سأختار الجوع ٠ ان العطش امر مروع حقا :

كنا في شهر اب والمكان خانق ولا توجد نقطة ماء ٠ ومـــر النهار بي وكذلك الليل ، وليل اخر ، لا ماء ٠ ويوم وليل اخرين ٠ واستمر البريطانيون مخيمين في حديقتنا ٠ وبدأ رأسي يدور وبدأ جسمي يخور ٠ ماذا سيحصل كما ذكرني الراديو اذا ما استمر هذا لايام ؟ ولقد كان الجنود البريطانيون يدخلون البيت كل بضعة دقائق ٠ وفي بعض الاحيان كانوا يسألون عن علب كبريت ، او لاجل غرض يطلبه اي جـــار من جاره ٠ ولكنهم غالبا ما كانوا يأتون ليسألوا عن الماء ٠ لقد كانوا يشربون مياهنا ٠ .

وفجأة شعرت وكأن شيئا قد تغير ٠ لم اعد اسمع الضجيج الاتي من الخارج ٠ وتوقف الجنود عن المجيء الى البيت ٠ ماذا يعني هذا ؟

هدوء ! فعدت ووبخت نفسي ٠ يمكن ان تكون مخطئا لا تفرح للمـــاء الذي ستحصل عليه قريبا ٠

ولكن شكوكي كلها هدأت • عندما اعطتني زوجي الاشارة • وعندما حصلت على الماء لم اشرب • وبكل بساطة وضعت رأسي في الاناء المليء بالماء • فلقد مضت اربعة ايام في غرفتي العديمة المياه •

لقد رفع قرار حظر التجول• وكان «جدّي» اول الزائرين• وكان سؤاله المدهش :

«بالله عليك كيف استطعت ان تتنفس في ذلك المكان ؟» •

وكان ذلك سؤالا لا استطيع الاجابة عليه ، لانني لم افكر وانا في تلك الغرفة الا بالماء •

وفرحنا كان عظيما عندما نسينا قوانيننا وتكلمنا باصوات مرتفعة • وقد جاء صوت ابني فجأة : «بابا ، اين كنت طوال هذه المدة ؟»

«في القدس»
« ماذا جلبت لي ؟ »

فانقذت زوجي الموقف : « لقد جلب لك عربة كبيرة ولكن العم «سيمون» سوف يحضرها لك الى البيت » •

ولقد اخبرت مؤخرا انه خلال حظر التجـــول الطويل في تل ابيب ان يهود تل ابيب ، تجمعوا ليؤدوا الصلاة الى الله لكي يحفظني من اولئك الذين يبحثون عني •

لم اسمع في حياتي خبرا حرك مشاعري مثلما حركها هذا الخبر •

الجلد بالسياط

يبدو ان ثمة عناصر في جهـــاز الحكومة البزيطانية كـان لها عطف خـــاص على استعمال السوط ٠ ففي بعض المستعمرات البريطانية النائيـة استعمل السوط في التحقيق ٠ وكانت السيـاط تنال الكبـــار الناضجيـن اكثر من الصبية الاطفال ٠ وقد لمست هذه الميزة اثناء مروري في ايران ، وانا في طريقي الى ارض اسرائيل ٠ مع ان ايران لــــم تكن على ايــة حال مستعمـرة بريطانيــة ٠ فقد رأيت كـل ضابط بريطــاني يحمـل عصـا او سوطا صغيرا ودائما يعرض قوته على المواطنين عن طريق اداء لمسة خفيفة بوساطة « صولجانات السلام الوديعة » ٠ وبمـــا ان ارض اسرائيل كانت مستعمرة بريطانية فاننا منطقيا لا يمكن ان ننكر امتياز السوط الثقافية ٠

ولقد كان من سوء حظ جنديين للارغون ان يقعا ضحية فلسفة السوط ٠ «كاتز» و«كميش» شابـان في السابعـة عشـر من عمريهمـا حكم عليهمـا بالسجن لمدة خمسة عشر عامـــا من المحكمة العسكرية لمخالفتهما القوانين الخاصة بحمل السلاح ٠ وتوج الحكم باضافة ثماني عشرة جلدة ٠

وقد اعتبرنا ان هذا القصاص الاضافي لحكم قاس امرا خطيرا ، لــه مدلولاته السياسيــة والادبيــة ٠ ان هذه الجلـدات تجرح روح اسرائيل ٠ فلسبعين جيل وفي سبعين ارض احتملنا عذاب سياط ظالمينا ٠ لقد جلد نبلاء بولندا رعاياهم اليهود ، كما جلد نبلاء الالمـــان رعاياهم اليهود ٠ فهل أتى دورنا لكي نجلد في بلدنا ؟ وهــــل سيتحمل الثوار الذين هم على استعداد للتضحية بانفسهم من اجل تحرير شعبهم هذا النوع من التحقير الجديد ؟

ماذا كان الهدف من هذا العقاب الوحشي ؟ هـل كان النظام يريد ان يعلم الشبان اليهود كيف يتصرفون تجاه اسيادهم الكرام ؟ لقد اثار هـــذا العمل مشاعر عائلة الثوار باجمعها ٠ لقد حرك مشاعر شعبنا ليس فحسب

بالنسبة لعلاقته بسلطة الانتداب في فلسطين ، ولكنن ايضا في عـلاقته مع شعوب العالم اجمع ٠ انها معركة للحرية وهنا يجب ان يلاقي السوط حتفه ٠

اني شخصيا احمل مرارة ذكريات السوط٠ في عام ١٩٢٠، وعندماتراجع الجيش الروسي عن بولندا ، احتلت بلدة « بريسك » مكـان ولادتي بوساطة الجيش البولندي بقيادة احد اقطاب الجنرالات « بارم » وهو شخص متعجرف ومتكبر ومعاد للسامية ٠ ولقد امر هذا الجنرال بالقاء القبض على عدد من اليهود وجلد كل منهم عشرين جلدة لتعاطفهم مـــع البلاشفة ٠ اما اليهود الآخرون فقد اخذوا كالقطيع الى الحديقة العامـة في المدينة واجبروا على مشاهدة المنظر ٠ ولقد توفي احد ضحايا الجلد بعد عدة اسابيع ، واكثر من ذلك فقد اقتنعت انه توفي متأثرا باحساسه بالعـار والتحقير اكثر من تأثره الجسدي بضرب السوط ٠ لقد كنت في السابعة من عمري آنذاك ، ولكن هول منظر ذلك التحقير لم يمح من ذاكرتي ٠

عندما صدر الحكم على رفيقينا الشابين لجلدهم ثماني عشرة جلدة ، دعوت القيادة العامة لاجتماع عاجـل ٠ وطلعنـــا بقـرار موحد : اذا جلد الجيش البريطاني ابناءنا فسوف نجلـــد الضباط البريطانيين في المقابل ٠ وناقشنا ما اذا كان يجب ان نوجه انذارا بذلك ٠ ولقد اعتقد بعضنا انه يجب ان نجلد في الاول ونشرح سبب ذلك فيما بعد ٠ ولكنهم اقتنعوا باننا يجب ان نوجه الانذار اولا ، وان السلطات البريطانية يجب ان تعلم بانهـــم اذا مـا نفذوا حكم الاذلال ضد الجنديين اليهوديين فان كل جندي بريطاني في ارض اسرائيل سوف يكون عرضة لعقاب مماثـــل ٠ وهكذا فان السلطات وكل من يهمهم الامر على علم تـام بذلك ٠ وهكذا فقد نشر الانذار باللغة الانكليزية كما نشر باللغة العبرية ٠ ولقد كان انذارا واضحا ورزينا ٠ وقد كتبت صيغة الانذار بنفسي ٠ لقد اكتسبت معلوماتي الانكليزية من خلال متابعتي الاذاعة البريطانية بي٠بي٠سي B.B.C خـــلال سنوات عملي السري ، وامدتني بكثير من المعلومات الخاطئة عن عملياتنا في ارض اسرائيل ولكنها ايضـا زودتني بمعلومات صحيحة ولا باس بها في اللغة الانكليزية ٠

بالرغم من حاجتها للصقل والتهذيب لم يكن هناك اي خطأ في اللغـة ولا في مضمون الانذار ٠ ان الضرب في السوط ليس امرا رائعا ، وهكذا فان الاسلوب الذي يعبر فيه عن هذا الانذار ـ يجب ان يكـــون اسلوبا ملائما

ورائها · فمن جملة ما قلناه « اذا ما جلدتمونا فاننا سنجلدكم » · ولقد كان الضباط هدفنا · وصدرت الاوامر لقادة المناطق بالا يلمسوا اي جندي عادي · فالعلاقات بين الجنود وضباطهم ليست عميقة وودية · ان تميزنا اذا كان من الوجهة النفسية صوابا · ولقد حظيت سياستنا هذه بتعاطف كبير من الجنود العاديين في جيش الاحتلال البريطاني · وبالصدفة فقد وجد على احدى ملصقاتنا التي تحمل الانذار بعض الكلمات التي كتبها جندي بريطاني باحرف كبيرة : « ارجوكم ، لا تنسوا رقيبي الاول » · بعكس الجندي الذي خط تهديدا بافناء اليهود ، ووقع «تومي» مضيفا اسمه الكامل، واسم وحدته ورقم.فوجه ·

مهما يكن من امر فان الجنود البريطانيين العاديين قد يفكرون في احتمال جلد ضباطهم من جانب « الارغون » · وكان من الواضح ان السلطة البريطانية رفضت ان تصدق ما اذا كنا نجرؤ على استعمال السوط انتقاما · لهذا فقد اخذوا «كميش» من زنزانته مساء يوم الجمعة من تشرين ثاني ١٩٤٦ في سجن القدس ، ثم جلدوه ثماني عشرة جلدة تبعا لقرار الحكم ·

وبمناسبة عطلة السبت لم تصلنا هذه الاخبار الا بعد اربع وعشرين ساعة · وفي مساء ذلك السبت كان شبابنا يوزعون الطبعة الاخيرة من جريدتنا « حيروت » المتضمنة انذارنا الثاني للحكومة ·

في ذلك الصباح قرأ الناس في الصحف خبرين الاول وقد جاء في صحيفة شرعية · وفيها خبر جلد «كميش» ثماني عشر جلدة بعصا غليظة · والثاني كان الانذار الرزين بالانتقام والذي نشر في جريدة المنظمة · لقد قرأ هذا الخبر عشرات الالاف ، وتساءلوا اذا كنا سننفذه ام لا ·

وهكذا كان وبما اننا كنا نثور غضبا على ما فعلوا فاننا لم ننفس عن انفسنا الا حين صدرت الاوامر الى جميع قادة المناطق للقبض على الضباط البريطانيين واقامة الدليل لهم بأن « ثقافة السوط » اذا كانت مع الجنود العبريين فهي صالحة للضباط البريطانيين ايضا ·

ولقد قبض على عدد كبير من الضباط البريطانيين في « ناتانيا »

و « تل ابيب » و « ريشون ليزيون » · وكان نصيبهم مثل نصيب « كميش » : ثماني عشرة جلدة تبعا للقانون ··· قانون رد العقاب العادل ·

ولقد كان سوط الانتداب لا يزال يهدد الشاب الثاني « كاتز » · وهكذا فقد نشرنا بيانا عما حدث وعما سيحدث فيما لو ان عملية الجلد استمرت · وهذا ما قلناه :

« بالرغم من الانذار الذي وجهناه · فقد صدق الجنرال « باركر » على حكم الجلد الذي اقرته المحكمة البريطانية اللاشرعية ضــد جندي يهودي · ولقد جلد الجندي الشاب يوم الجمعة الموافق ٢٧ تشرين ثاني من عام ١٩٤٦ في سجن القدس المركزي ·

وتنفيذا للانذار الذي وجهناه وانتقاما من عمــل المستبدين البربري ، فقدجلد عدد منالجنود البريطانيين يوم الاحد ٢٩ تشرين ثاني في « ناتانيا » و « تل ابيب » و « ريشون ليزيون » ، احدهم كان رائدا وثلاثة ضباط صف · ولقد كان نصيب كل منهم ثماني عشرة جلدة · وهذا العدد هو العدد نفسه الذي كان من نصيب الجندي اليهودي الاسير ·

والان ننذر ما يلي :

اذا ما تجرأ الظالمون واهانوا شبابنا في المستقبل فاننا لا نرد بالسوط بل اننا سنرد بالنار » ·

فلم يجلد « كاتز » ، ان السلطات التي كــــانت تعتقد ان السوط سوف يعلمنا درسا هم انفسهم تعلموا درسا مفيدا ·

لماذا لم يتعقل المنتدبون المستعمرون يوم الجمعة وتجنبوا الامر كله ؟ لقد كانت اهانة ايضا للجنرال « باركر » المضلــــل · ان السوط الــــذي قرر استخدامه برعونة ليسوس الامور قد انكسر بين يديه ·

وبعد ان ثأرنا حاولوا حث «كاتز» على التصريح بأنه كان ضعيفا جدا بحيث لا يستطيع الصمود امام ثماني عشرة جلدة · فأجابهم موبخا :

« ضعيف جدا ؟ انتـــم على خطأ · اني بصحـــة جيدة · اني على استعداد لان اجلد ستة وثلاثين جلدة» ·

وهكذا كانت المناورة الطبية بلا جدوى · والان على حكم الانتداب ان يعلن على الملأ فشل حكم السوط · وفي بلاغ رسمي خـاص الغى المنـدوب السامي البريطاني الحكم القاضي بجلد « كاتز » · كما ان هذا العفو شمل شابا عربيا في السادسة عشرة من عمره · ولم يستعمل البريطانيون السوط في ارض اسرائيل بعد ذلك · ولقد عدلت سلطات الانتداب القانون المتعلـق بالجلد ·

ولكن يبقى الاهم وهو تعديل تصرفاتهم · لقد نطق المستبد العسكري الرائد « باكستر » في قاعة المحكمة اثناء محاكمة شاب اخر من شبابنـــا بكلمات الحكمة التالية : « انك اصغر من ان تعدم ، واكبر من ان تجلد » ·

طار خبر جلدنا للضباط البريطانيين الى جميع انحاء العالم وكان ذلك لطمة شديدة للهيبة البريطانية · وقد اتهـــم « ونستون تشرشل » الحكومة يومها بأنها لا تعرف كيف تحافظ على هيبتها : ثم صرخ :

« انكم تجلدون واحدا منهم وفي اليـوم الثاني يجلدون اربعة ضباط بريطانيين فتعودون الى الغاء جلـــد ارهابي ثاني · الا تعرفون ماذا يعني ذلك ؟ »

واذا عرفت الحكومة ماذا يعني ذلك ام لا · الا ان العالم كله يعرف · وقد وصلتنا التهاني من جميع انحاء العالم واستطاع اليهود في الخارج ان يرفعوا رؤوسهم · فبعد اجيال ذل السياط ، شاهدوا العمليـة التي ارجعت لهم بعض كرامتهم وشرفهم ·

ولكننا لم نجد اي داع للمرح · فنحن لـم نكن نشعر بالارتياح بجلد الضباط البريطانيين ولكننا نعترف ان شعورا بالعرفان غمرنـا عندما هرب رجال وضباط جيش قوي رهيب من مقاهي ارض اسرائيل ليلة الاحد في ٢ كانون الاول وذلك تطبيقا لاوامر الجنرال «باركر» لهم بأخلاء المقاهي والمدن اليهودية والبقاء في المعسكرات بحذر · لم نستطع الا ان نتسلى بمغزى هذا الامر الذي لم يكـن مضحكا بالنسبة لنا ، لاننا لم نـرد ان نـذل الضبـاط

البريطانيين ولم نرد جلدهم ولا محاربتهم ابدا • اما الذي فعلناه فقد فرضته الظروف علينا فرضا فقد انذرنا السلطات وكررنـــا الانذار • لقد كان من الحكمة تلافي هذا الامر المحزن • وكانت عملية الجلد فكرة بريطانية ولم تكن فكرتنا •

سأل احد الضباط البريطانيين « لماذا تجلدونني ؟ » •

فاطلعه جنود « الارغون » بما فعلوا لـ « كميش » ، وقد اوقع مـــا سمعه الكآبة في نفسه وصمت قليلا ، ثـــم طلب شهادة باسم « الارغون » تؤكد جلده :

« لماذا تريدها ؟ »

« اني احتاجها اذا عاد الاغبياء في حكومتي الى جلـــد شعبكم مرة اخرى » •

ولم يحتج الى شهادة لان الحكومـــة البريطانية توقفت عن الجلـد بالسياط ولكن القدر ابى الا ان ندفع نحن ثمن هذه الخدمة الانسانية •

حكم المشانق

في احد ايام الربيع في الصرفند سنة ١٩٤٦ كـان المعسكر للجيش ، كخلية نحل ، الجنود في ذهاب واياب ، كـانت الالات الكاتبـة والتقاريـر والبرقيات والاوامر تلحق بعضها بعضا · وكانت مخازن الاسلحة الضخمة تستقبل وتصدر ادوات الحرب · والضباط يصدرون الاوامر للمجموعات التي تتدرب · كانت الصرفند هي القيادة العليا للجيش البريطاني ليس في ارض اسرائيل فحسب ، بـل في جميع انحاء الشرق الاوسط ، تعـج بالحركة والنشاط · وكانت طريقة الحراسة محكمة تساعدها ازواج الاسلاك الشائكة التي وضعت حول المعسكر · وكان مسموح بالدخول فقط من الباب الرئيسي حيث يخضع كل داخل الى تفتيش دقيق · ولا توجد احتياطات امنية صارمة شبيهة بتلك التي اتخذت في معسكر الصرفند· ولقد صرحت معلومات الجيش السرية بأن المخربين اذكياء وجريئون · لقد قاموا بعدة عمليـات على عدد من المعسكرات في وضح النهار واستولوا على كميات من السلاح والذخيرة· لذا يجب ان لا يترك شيء للصدف · ومن المحتمل ان يجرأ رجال « الارغون » ويقومون بمحاولـة الهجوم على الصرفند ، اضخم المعسكرات حيث حشدت هناك الكتيبة السادسة ، وحيث كان هناك الالاف من الجنود كما ان العيون الكثيرة في ابراج المراقبة كان عليها ، مراقبة المناطق المجاورة ، الحواجز ، المخازن ، التموين ، مستودعات الاسلحة · ولكـن هذه العيون الكثيرة كانت بدون طائل ·

في احد ايام ربيع ١٩٤٦ وصلت احدى بوابات الصرفند الرئيسة وحدة عسكرية بريطانية مؤلفة من جنود يهود · لقد اتوا للحصول على اذونـات التسريح ؟ · لقد كانت اوراقهم تامة ، مظهرهم كان عاديا والتسريح كان يتم بسرعة · وهكذا فان اعضاء من الجيش البريطاني اتوا ليحصلوا على اوراق تسريحهم من الجيش ولم يثيروا اي نوع من الشك ·

لم يذهب هؤلاء الجنود الى مكاتب المعسكر · لقد شقوا طريقهم الى المستودع ، لم يهتموا بالملفات · لقد كانوا هناك للاستيلاء على الاسلحة · ولكن الحظ لم يضحك لهؤلاء المقاتلين · لقد كان المستودع فارغا ··· وهكذا فقد عادوا من المعسكر بخفي حنين · والغريب ان احدا لم يعرف هوياتهم وحتى اخر يوم من حكم الانتداب في ارض اسرائيل فان سلطات الجيش لم تعلم بالزيارة الخاصة التي قام بها رجال الارغون لمعسكر الصرفند · ويوم وصول لجنة التحقيق الانكلو ـ اميركية في اخر يوم من ربيع ١٩٤٦ ، قمنا بزيارة ثانية لمعسكر الصرفند · ومرة ثانية وصل رجالنا متخفين كوحدة بريطانية وليس كجنود يهود ينتظرون اوامر تسريحهم · لقد كانوا يظهرون بمظهر الجنود البريطانيين وهم يرتدون القبعات الحمراء · كما ان الشاحنة التي اوصلتهم كانت من املاك الجيش البريطاني ، والتي استولى عليها من الطريق الرئيسي وفي اخر لحظة · ولقد اخذ السائق ومرافقيه سجناء ، واخذ منهم اوراقهم الثبوتية والتي تتضمن الاوامر بدخولهم الصرفند · لقد كانت الاوراق منتظمة وكاملة تماما · ولقد تفحص الحارس الشاحنة والمسافرين واوراقهم · لا شيء يدعو للريبة · ودخلت الشاحنة · ولقد ترجلبعض الجنود وبقوا امامالبوابة فيانتظار رفاقهم وراحوا يتحدثون مع الحراس · لقد كان هذا ضد القوانين المرعية ، ولكن هل هناك شيء طبيعي اكثر من حديث ودي بين جنود اصابهم الملل ؟ واستمرت الشاحنة في طريقها الى احد العنابر المكدسة بصناديق السلاح والذخيرة · لم يكن من العدل ان تمتلك القوات البريطانية مثل هذا السلاح، بينما جيش ثورتنا الصغير يتضور جوعا لقليل من حبات الرصاص · والعدالة تقتضي توزيعا افضل ·

لقد كان العمل في المخزن سريعا · لقد تغلب الرجال على الحراس ، اما مجموعة الضباط البريطانيين الذين اتوا الى المستودع ، فطلب منهم بكل ادب ان يذهبوا الى غرفة الحراس · ولقد وضع « جوشوا » قائد العملية ، حارسا عليهم حيثبقوا هناك· وابتدأ شحن السلاح الىسيارتنا· وبينما كانوا يقومون بعملهم كان الكثيرون من الجنود البريطانيين يمرون بطريقهم الى تناول طعامهم · قد يثار شكهم في اية لحظة · لقد كان الرجال يتكلمون مع بعضهم بعضا بينما كانوا يعملون · لقد امرهم « جوشوا » ان يتكلموا بالانكليزية ، ولكن بين الحين والاخر وفي زحمة العمل كانوا ينسون انفسهم فتصدر عنهم كلمة عبرية ·

وامتلأت سيارتنا · وكانت على وشك التحرك بسلام وعلى متنها الحمل الغالي · وازداد عدد المارة اكثر فاكثر · ضباط صف وجنود عائدون من الغداء · وكانت مجموعة من رجالنا تقف تحسبا لاي طارىء حيث اوقفت مجموعة من الجنود التي اقتربت منهم ، فأمروا بأن ينزلوا احدى الحفر ، فانفجر احدهم بالضحك وهو برتبة ملازم : ما هذه المزحة ؟ ولكن الملازم عاد واكتشف جدية الامر ، فاطاع هو ورفاقه ما امروا به ·

واستمرت عملية الشحن · ولكن احد الشبان تملكته فجأة الرغبة في الحصول على مدفع رشاش من نوع «فيكرز» Viekers ، فقفز على ظهر الدبابة التي كانت تقف بالقرب من المستودع ، وبدأ بتفكيك المدفع الرشاش الثقيل · لقد كانت حماسته هذه بداية المتاعب · في ارتقائه الدبابة جلب انتباه احد حراس برج المراقبة ، فاطلق النار واصبح المعسكر على الفور في هياج عظيم · وتراكض الجنود في جميع الاتجاهات · وازداد اطلاق النار · لم يكن واحد من بين الحراس يعرف من هو الجندي البريطاني ومن هو غير البريطاني · ولكن الشاحنة المليئة بالذخيرة اصبحت الهدف الواضح · فاطلق عليها الرصاص من جميع الجهات ، وانقسم رجالنا الى مجموعتين ، مجموعة استمرت في اكمال تعبئة السيارة والاخرى للرد على اطلاق النار ·

وقد اطلق « شمشون » ــ وهو الذي قاد الهجوم على سجن عكا بعد سنة ــ الرصاص من مدفعه «البرن» لاسكات نيران العدو ، والح على اتمام عملية الشحن · اما « يشوع » ، الرزين ، مع كل حماسه لاكمال الشحن ، تمالك اعصابه ، وادرك انه مسؤول عن حياة جميع الرجال ، وهكذا فقد امر الرجال بالصعود الى الشاحنة ، وبقي هو في المؤخرة ، حاملا كمية صغيرة من المتفجرات· ذهب الى الخيمة الصغيرة حيث كان يقبع الضباط المحجوزون· لقد كان باستطاعته تدمير المكان بدون تاخير · ولكن البريطانيين كانوا قد استسلموا · فصرخ فيهم : « اخرجوا من هنا ، سوف انسف المكان » · ان الجنود البريطانيين الذين دهشوا لاسرهم من قبل رفاقهم ، تحققوا انهم باتوا تحت رحمة « الارغون » · ولكنهم لم يعطوا الوقت الكافي للتفكير · فصرخ فيهم « يشوع » : « اخرجوا » · فلم يضع الجنود الوقت واطاعوا الامر ، فوضع « يشوع » المتفجرات واشعل الفتيل ، واسرع وراء الشاحنة · وما ان صعد اليها حتى سارت الى الامام · وسواء اكانت المتفجرات قد دمرت

المستودع ام لا ، فانه يجب ان نؤكد انها كانت عاملا كبيرا في تغطية انسحاب رجالنا لانها زادت الرعب والذعر في المعسكر ·

وعلى البوابة حدثت معركة ثانوية · فقد بقي شباننا يتحدثــون الى الحراس· ولكنهمحالما سمعوا اصوات اطلاقالنار اتيامنوسط المعسكر،امروا الحراس انيبقوا فياماكنهم· انحياة رفاقهم تعتمد عليهم فيهذا الوقت· ولو اغلق الباب لاقوا حتفهم جميعا · واندفع احد الضباط نحو البوابة صارخا : «اغلقوا الابواب ، اغلقوا الابواب» واجابه شباننا بهدوء : «حسنا سيدي» ! ولكنهم لم يحركوا ساكنا ولم يغلقوا الابواب · وعندما وصل الضابط اليهم نزعوا منه سلاحه ووضعوه في غرفة الحراس مع رفاقه ·

واندفعت الشاحنة نحو الباب تحت وابل من الرصاص · ووصلت الباب ومرت · فقفز الحراس من شباننا الى الشاحنة · ثم بدأ القائد يفقدهم · لم يفقد اي رجل ، ولم يقتل احد منهم ، ولكن كان بينهم بعض الجرحى · وقامت قافلة من الشاحنات والسيارات المسلحة بعملية المطاردة · ولكن صادف ان حدثت فوضى خارج المعسكر · لقد كانت مجموعة من جنود الكتيبة السادسة تسير على الطريق · فقابلت شبابنا من كان العدو ؟ ومن كان الصديق ؟ ربما يكون هؤلاء الارهابيون ؟ ربما هؤلاء ؟ ولقــــد استطاع رجالنا التخلص من المطاردين · ولن يطول بهم الامر حتى يزودوا مخازننا بالسلاح والذخيرة ·

وغص الجوار بالجنود المعادين · فاصدر « جوشوا » قرارا حاسما · لقد امر رجاله بافراغ حمولة الشاحنة واخفاء السلاح والذخيرة في الرمــل على ان تعود احدى وحداتنا وتخرج الكنز مع حلول الليل · ولقد نفذ الامر بسرعة · فكانت طبقة خفيفة تغطي الصناديق · ورمى رجالنا الزي البريطاني وعادوا جنودا من « الارغون » مرة اخرى · ولقــد ضمد الجرحى واوقفت سيارة حيث استراح جرحانا داخلها · وكان يبدو ان كل شيء سوف ينتهي بسلام · ولكنه لم ينته بسلام لان كل السلاح والذخيرة قد اخذتــه الهاغاناه قبل ان يستطيع شباننا الوصول لاخراجه · ولكن جهدهم وعملهم لم يذهب سدى· حقيقة انمنظمتهم لمتحصل علىمبتغاها، ولكن من الوجهة السياسية والنفسية فقد كوفىء عملهم هذا مكافاة عظيمة · وقد انتشرت اخبار عمليتهم

في «الصرفند» وفي جميع انحاء العالم · ولقد اعترف معلق الاذاعة البريطانية بي·بي· سي B.B.C بأن ما حدث في الصرفند كان امرا لا يصدقه اي عقل · ولقد قيل انه بعد عمليات السطو على المعسكرات ، اتخذت السلطات احتياطات امنية غير عادية ، ولكن هذا لم يمنع الارهابيين من القيام بهجوم على اكبر المعسكرات في فلسطين واستولوا على اسلحة وذخائر ·

لقد كانت المخاطرة والعمل ذات قيمة لان الاسلحة والذخيرة استعملت في خدمة الشعب في النهاية ، ولكن بعد وقت طويل من الاستيلاء عليها من المخازن البريطانية ·

ان فقدان غنائم السلب لم يكن حزننا الوحيد · فان السيارة التي كانت تقل الجريحين « سيمستون » و « اشبل » استوقفت من جانب دورية عسكرية وامروا بالنزول من السيارة · وعندما اكتشفوا بانهما جريحان القي القبض عليهما مع الفتاة التي كانت تعتني بهما · وهكذا فقد بدأ فصل من الاحداث وصل صداها حتى اخر المعمورة ·

ولقد اعلنت حكومة الانتداب نظام الطوارىء ، بحيث تجعل كل انسان معرضا للاعتقال والترحيل بل وحكم الاعدام عليه · فاعلنت اذاعة « كول اسرائيل » باسم حركة المقاومة ان اية محاولة لوضع هذه النظم والقوانين قيد التنفيذ سوف ينظر اليها كجريمة · واولئك الذين سينفذونها سوف يعاملون كمجرمين · لقد سررنا بأعلان « الهاغاناه » ذلك ولكن للاسف لم يكن لهذا الاعلان اي تاثير ·

فلقد حوكم « سميستون » و « اشبل » في محكمة عسكرية تبعا لهذه القوانين والنظم حيث كان عمل الضباط البريطانيين الثلاثة الذين عملوا كقضاة سهلا للغاية ·

في مسرحية «برنارد شو» عن حرب الاستقلال الاميركية : « تابع الشيطان » ، كان الجنرال « فيرجوين » قد غضب من قرار الضابط المحلي الميجور « سيسرون » بشنق الثائر الوزير « اندرسون » فقال ··· « لقد اودعتنا امر شنقه وكلما اسرعنا في شنقه يكون افضل · ولقد عطلنا

ترتيباتنا بأن يتم ذلك في الساعة الثانية عشرة • ولـم يبق شيء لم يعد ما عدا محاكمته » •

ان الضباط البريطانيين الـذين حاكموا « سيمستون » و « اشبل » لم يتبعوا القانون في الحكم عليهما لقد كان امامهم ارهابيان وفقرة واضحة في كتيب صغير بعنوان « قوانين الطوارىء والدفاع » •

ان الضابط القائد الذي عين القضاة هـو نفسه الذي سيؤكد الحكم • الاستماع كان مختصرا ولقـد شهد الشهود بأن الاثنين كانـا بين الذين هاجموا «الصرفند» • وتشاور القضاة لبضـع دقائـق • وبعد ذلك وضعوا قبعاتهم واعلن الرئيس الحكم بطريقته التقليدية : « يشنق حتى الموت » •

لقد ناقشنا في قيادة « الارغون » الخطوات التي كـان على « اشبل » و « سيمستون » اتباعها في القضية • لقد كنا نفترض ان حكومة الانتداب سوف تلتزم بقوانينها الجديدة وتشنقهما • على اية حـال فان « الارغون » اعلمت اعضاءها ان يكونوا جاهزين اذا احتاج الامر لابعد حدود التضحية• ولم يكن لدينا الشك بأن هذين الرجلين سوف يقومان بها • ولكن بالتحديد ولهذا السبب كان من واجب قيادة الارغون ان تفعل كـل شيء لتحفظ حياة هذين الرجلين •

لقد قادتنا مداولاتنا الى النتيجة بأن الدفاع الروتيني من اقامة محام دفاع ، واقامة مناقشة شرعية لن يغير شيئا من مجرى حكم المحكمة • ولكن قرارنا بالهجوم السياسي كان متأثرا برسالة استلمناها من «سيمستون» لقد كانت تحمل في طياتها مناشدة لا يمكننا رفضها • فكتب في رسالته يقول :

« ••• لقد قررت ان افعل ما يناسب مقاتـلا عبريا تثقف على ايدي « الارغون » حيث ان كل طموحه هو ان يقوم بواجبه في الكفاح الوطني حتى ولو انكر علي احتمال القيام باعمال فعالة والاحتمال الوحيد الذي ترك لي هو رفع راية « الارغون » عاليا • اود ان تكون محاكمتي لخدمة المبدأ الذي قاتلت لاجله • لا داعي لقلقكم على حياتي • لقد واجهت الموت مرارا ، وكنت دائما اشعر اني اقوم بواجبي وأؤدي رسالتي كمقاتل • لا مكان للقلق على مصير الافراد فان ما يجب ان تقلقوا من اجله هو مصير شعبنا •

اريد ان يعلم ضباطي الافاضل اني على اتم الاستعداد لان اتلقى بكل فخر الحكم والعقوبة مهما كانت · ولكن تبقى اسهل لدي تحمل النتائج اذا علمت وانا سجين بأني قمت بواجبي كجندي ينتمي الى الارغون » ·

وهكذا عندما ظهر الاثنان في قاعة المحكمة فقد وقفا كمتهمين وليس كمتهمين · فقال « اشبل » للقضاة :

« بالرغم من دروس التاريخ فان حكامكم قد اغتصبوا بلدنا وسنوا القوانين البربرية الطاغية · وهذا يعني ان الله قد حرمهم من نعمة الحس والادراك واعماهم واصدر حكمه عليهم بسقوطهم وزوالهم · فليأت ما يأتي · ولكنكم لن تستطيعوا أن تحطموا روح الشعب اليهودي · واعلموا ان كلامي هذا شهادة على تصميم ٦٠٠،٠٠٠ الف يهودي مرتبطين بالنضال لتحرير بلدهم من السيطرة الاجنبية » ·

اما « سيمستون » فقد صرح بأن المحكمة ليس لديها الصلاحية والحق في محاكمته فقال : « تستطيعون سجننا ووضعنا في السلاسل ، ولكنكم لا تملكون الحجة الشرعية لمحاكمتنا · ولن ننظر اليكم كقضاة ونحن المتهمين · لا عدالة بدون قانون· وقانون القبضة ليس قانونا · عندما تعمل تلك القبضة لا يعود هناك قضاة او متهمين ويكون هناك فقط مستبدون طغاة من جهة ، ومن الجهة المقابلة ضحايا المقاومة »·

وعندما اعلن الحكم ضدهما ، انشدا النشيد الوطني «هاتيكفا» ·

وبعد صدور الحكم ارسلنا انذارا الى الحكومة البريطانية وكان ذلك للمرة الاولى : «لا تشنقوا الاسرى من الجنود · واذا ما فعلتم ذلك فان الجواب سيكون المشانق بالمشانق» ·

وبعد ايام قبضنا على ستة ضباط بريطانيين · اخذ خمسة منهم من نادي الضباط في تل ابيب ، حيث احاطت وحدة من «الارغون» المنطقة ، ودخلت مجموعة صغيرة واحتلت غرفة الهاتف · وثلاثة او اربعة رجال امروا العشرات من الضباط في القاعة الرئيسية بان يرفعوا ايديهم · اطاع الضباط الامر على مضض· ولقد اختار ضابط «الارغون» المسؤول عن العملية خمسة من اعلى الرتب وامرهم بالذهاب معه كسجناء عند منظمة «الارغون»

فاطاعوا واقتيدوا الى سيارات كانت تنتظر في الخارج ٠ وامرنا الباقي بان لا يأتوا بأية حركة لمدة خمس عشرة دقيقة ٠ في ذلك الوقت وصلت وحدات من الشرطة والجيش ولكن لم يكن هناك اي اثر للاسرى ٠

لقد حالفنا الحظ في القدس في بادىء الامر ، ولكن ما لبث ان هجرنا٠ لقد اسر شبابنا ضابطا كبيرا من المخابرات ٠ لقد قبض عليه في شارع قرب فندق الملك داود ٠ لقد كان مثالا للنظام ٠ عندما شعرت ان هناك مسدسا مصوبا الى ظهره وبين ضلوعه داخل السيارة المنتظرة ٠ ولقد بعث «آلون» قائد منطقة القدس بتقرير الينا لا يخلو من البهجة والسرور : «لقد قبضنا على سمكة كبيرة» ٠ ولكن فرحه كان قصيرا لان السمكة هربت٠ لقد كان ذلك من سوء حظنا ٠ لقد اقنع الاسير حارسه بأن يطلق يديه ٠ لقد اكتشف الضابط فتحة في سقف الغرفة التي كان اسيرا فيها ٠ وعندما ترك الحارس الغرفة جرب السجين حظه وبقفزة كبيرة نجح في الهرب ٠ ولقد اكتشف الحارس الامر متأخرا ، فركض خارجا وبدأ بمطاردة الاسير خلال ازقة القدس ولكن الضابط قفز الى سيارة نقل واختفى ٠٠

لم يصدق احد ان الضابط قد هرب ٠ ولقد علمت والدهشة تملأني انه حتى رؤساء «الهاغاناه» كانوا مقتنعين باننا نحن الذين قد دبرنا امر هربه ٠

ولم يمض وقت طويل حتى اسرنا الضباط الاخرين ، حيث طالبت قيادة «الهاغاناه» باطلاق سراحهم ٠ ولقد كان لديهم اسباب عدة يطلبهم هذا ، فقد خشوا انتقام البريطانيين ٠ كما انهم شعروا ايضا بان هؤلاء الاسرى قد يصرفون انتباه العالم كما حدث فعلا مع عملية «الهاغاناه» ضد الجسور ٠

في لقائنا الاول بعد هذه العملية شرحت لرؤساء «الهاغاناه» هذه العملية واكدت انها ليست عملية عسكرية حيث يكون قرار حركةالمقاومة نهائيا ٠ لن ندع رجالنا يسيرون الى المشانق بأي ثمن ٠ وقلت :

«سادتي نحن في هذا مستعدون للذهاب حتى اخر المشوار ٠ ولكن لا يوجد هناك دواع ٠ سوف ترون انه بضغوطاتنا سوف ننقذ ارواح اولادنا»٠
ربما تعاطف معي «سنيه» و«غاليلي» ولكنهما لم يوافقاني على رأيي ٠

واستمرا في الضغط لاطلاق سراح الضباط البريطانيين واخيرا دعاني«سنيه» الى لقاء اخر معه • ولقد تقابلنا بعد هروب الضابط الكبير بيوم • فبدأ يكيل المدح على صنيعنا وقال :

«اظن انكم تركتموه يهرب حتى يقول عنكم بانكم لا تؤذون الاسرى ، واظن ان هذه بادرة حكيمة وستكون مساعدة» •

وبدأت اصارع نفسي • هل اعترف له بفشلنا ؟ لقد كان الاعتقاد باطلاق سراح الضابط عميقا ، كما انه ليس من المستحب ان يخبر المرء الحقيقة • ولكني فكرت انه ما دمنا نعمل في قتال مشترك مع «الهاغاناه» فمن واجبي ان ازيل الاوهام • فاخبرته بما حدث • فامتعض ولم يخف دهشته •

لقد كنا مؤمنين بان طريقنا هو الطريق الصحيح الوحيد • فقاومنا الضغط من اجل اطلاق سراح الضباط البريطانيين الخمسة الباقين • لقد اخبرنا في اجتماع مع «الهاغاناه» و«شتيرن» باننا اذا لمنطلق سراح الاسرى، فان مصير رجالنا سوف يختم • وادعوا ان الامبراطورية البريطانية لن تضحي بهيبتها من اجل حفنة من الضباط ، وبالتالي فان «الهاغاناه» شعرت بضرورة اطلاق سراحهم وبذلك يكون هناك امل في انقاذ «سيمستون» و«اشيل» • اما راي «شتيرن» فكان هو تسليمهم الى نهايتهم المرة وتنفيذحكم الاعدام فيهم •

لقد رفضنا كلا الفكرتين • واعترفنا ان مسالة الهيبة يجب ان تكون هي الاقوى • ولقد هاجمت احدى محطات الاذاعة عملية الخطف بعنف ، وقالت ان عملية الاختطاف قد هزت الامبراطورية البريطانية • ولكننا شعرنا بأن هناك تهديدان للهيبة البريطانية عليها ان تختار بينهما ، الاحتمال الاول كان الاستسلام للضغط المباشر والاحتمال الثاني شنق الضباط البريطانيين على مرأى من الجمهور • لقد ادركت الحكومة جيدا انه اذا ما شنق رجالنا فاننا سننفذ الحكم في رجالهم بنفس الطريقة والاسلوب • ولقد ناقشنا الامر على اساس ان الحكومة سوف تختار الاحتمال الاول حيث تكون الضربة الموجهة للهيبة اقل ، وذلك من اجل تجنب الاحتمال الثاني الذي قد تكون له آثار مدمرة • وهكذا فقط ينقذ اولادنا •

لقد اعدنا القول باننا مستعدون لان نستمر في العملية حتى نهايتها

المرة وذلك ليس من اجل انقاذ الجنديين فقط ، وانما لوضع حد لاي حكم بالموت على المقاتلين العبريين فيما بعد ٠

لقد احتفظنا بالضباط الخمسة في مكانين مختلفين ٠ ثلاثة في مكان واحد ٠ والاثنان في المكان الثاني ٠ ولكنهم جميعا كانوا في تل ابيب ٠ وقامت السلطات البريطانية بحملات تفتيش من بيت لبيت عدة مرات ، حيث كانوا يصلون الى مقربة من مكان سجنهم ، حتى ابتدأوا يشكون بانهم ليسوا في تل ابيب ٠ ولقد اتخذنا خطوات من شأنها تشجيع هذه الشكوك ٠ لقد وجدت شاحنة تحمل نقالات للجرحى على الطريق الرئيسي خارج البلدة ٠ فاصبحت السلطات اكثر تشويشا ، ولم يعودوا يعرفون من اين يبدأون البحث والتفتيش ٠ كما انهم لم يعلموا ان المكان الذي كنا نحتفظ فيه بسجينين من السجناء ليس مأمونا ويمكن اكتشافه بسهولة ٠ وجرت اتصالات بين احد اليهود المعنيين والسلطات البريطانية بغية تأمين الغاء احكام الموت في مقابل اطلاق سراح الاسرى من الضباط البريطانيين ٠ وقد علمنا ان الحكومة تدرس الاقتراح بجدية وان انطباعه بان محادثاته ستكون ناجحة ٠ وفي الوقت نفسه كانت الاثارة في الداخل تنمو وتزداد ضدنا ، ونسجت كثير من القصص حول الضباط الخمسة ٠ وهكذا ارتأينا ان اطلاق سراح اثنين من الضباط الخمسة قد تكون فكرة جيدة ويصبح من الاسهل التعامل مع الثلاثة الباقين وفي الوقت نفسه قد يساعد المفاوضات ٠

فاطلقنا سراح الاثنين اللذين افادا بانهما عوملا معاملة حسنة ٠ اما القوات المسلحة التي كانت لا تزال تقوم بحملة التفتيش فاصبحت في حيرة من امرها ، خاصة واننا بقينا صامتين لم نطلق اية تصريحات علنية من يوم اسر الضباط الخمسة ٠ لم نكن نريد ان نجعل الامور اصعب أمام الحكومة للتراجع عن اهدافها الاجرامية ٠ لقد كان لنا هدف واحد هو انقاذ ابنائنا ٠ وهكذا فقد بقينا صامتين بينما صحف العالم ومحطات الاذاعة كانت تذيع يوما بعد يوم باننا سوف نشنق الضباط البريطانيين ، اذا ما شنق البريطانيون اليهوديين الاثنين ٠ لم ننف الخبر كما اننا لم نؤكده ٠

على اية حال فان جميع جهودنا تحطمت ٠ ولقد ضحي ب«سيمستون» و«اشيل» ، وذلك بوساطة لعبة «هيبة» ابتدأتها «الهاغاناه» ٠ لقد اذاعت «كول اسرائيل» باننا اطلقنا سراح البريطانيين تنفيذا لاوامر حركة المقاومة٠

ولقد اكد لنا رؤساء «الهاغاناه» بان هذا التصريح كان قد اذيع دون علمهم. لقد خلق هذا الاعلان موقفا خطيرا اضطررنا فيه لكسر الصمت . ولقد كونت الحكومة البريطانية الانطباع بأننا خاضعين لمثل هذه الاوامر ، واستنتجوا انه لا يوجد داع للقلق حول مصير السجناء الثلاثة الباقين . لقد اكدت لنا هذه النتيجة المنطقية لهفوة «الهاغاناه» بوساطة الرجل الذي كان على اتصال مع الحكومة . ولقد اخبرنا بان الاكاذيب قد قلبت حقائق وانه لا يوجد هناك اي شيء للتفاوض من اجله . وبالتالي فقد اذعنا بيانا ونشرناه بان حركة المقاومة ليس لها علينا اية سلطة لكي تعطينا الاوامر . وان بيان اذاعة «الهاغاناه» كان ملفقا .

وفي غضون ايام قليلة اكتشفنا ان حساباتنا كانت صحيحة . لقد اخبر «روكاش» عمدة تل ابيب احد ضباطنا في الارتباط بان السلطات البريطانية مضطرة لاعادة النظر في ارجاء حكم الاعدام اذا ما اطلقنا نحن الاسرى الثلاثة . وفي ٢٨ حزيران ١٩٤٦ ارسل لي «سنيه» بمذكرة عاجلة:

«لدي معلومات من عضو مسؤول في منظمتنا في القدس والذي كان قد تكلم مع رئيس جهاز امن الجيش البريطاني حيث قال الاخير : تستطيع ان تخبر اصدقائك بأن الشخصين لن يشنقا . لقد اطلعت على هذا الامر مع انه ليس للنشر او الاعلان وان هذا الوعد اعطي رسميا . وان الرجل اكد لي انهم لن يشنقوا الشخصين . ان التأكيد على الطبيعة غير الرسمية تظهر انه وعد» .

هذه هي نهاية الرسالة . «وفي رأينا (رسالة سنيه) انه لم يكن يساورنا الشك بان هذه هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع فيها السلطات ان تعطي وعدا .

وهكذا فاننا نناشدكم اطلاق سراح السجناء الثلاثة الباقين » .

فأجبت بدون تأخير على مذكرته التي برهنت كيف اننا نفهم الحكومة جيدا ، وكتبت الى قيادة حركة المقاومة في الوقت نفسه اقول :

«لقد كان «روكاش» يفاوض كل الوقت مع ممثل رسمي للحكومة . ولقد اكد لنا ان المسألة سوف تنتهي نهاية حسنة في غضون الايام القليلة القادمة.

من الاسلم ان نحصل على وعد من الحكومة المركزية، لأن ذلك خير من وعد غير معلن ولا يلزم احدا • على اية حال فاننا سنحاول التثبت من جدية المحادثات بأقرب وقت ممكن » •

واخيرا اطلعت «سنيه» على انه لن يكون باستطاعتنا اطلاق سراح الضباط الثلاثة ، طالما حظر التجول بقي قائما وطلبنا ان تخفض المدة بين اطلاق سراح السجناء وبين قرار الغاء الحكم بالموت الى ادناها •

لقد جاءتنا اخبار موثوق بها ، ان السلطات البريطانية قد وعدت بالغاء حكم الاعدام بالرجلين ، ولكننا لم نكن مقتنعين فطالبنا بوعد واضح • وفي اليوم التالي اعلن ناطق رسمي بريطاني الغاء حكم الاعدام بأسلوب لم يسبق له مثيل في تاريخ حكومة بريطانيا الاستعمارية • لقد اكد لنا قائد الجيش الغاء احكام الاعدام ، ولكن المندوب السامي منح قرار الابطال دونما ان يسال • مهما تكن الحسابات التي بني عليها قرار الالغاء قبل ان نطلق سراح ضباطهم وبالطريقة الغريبة التي تمت فقد ثبت للعالم كله ان منظمة «الارغون» قد كسبت هذه الجولة من النضال •

ان اطلاق سراح السجناء لم يكن سهلا • لقد رضخت الحكومة لطلبنا برفع حظر التجول في تل ابيب وجوارها • ولكن الاسرى كانوا في تل ابيب نفسها، وللجيش دوريات فيكل شارع وكل زاوية من اجل استقبال الرجال المطلق سراحهم ، وبالاخص للقبض على محتجزيهم • وبدات لعبة غريبة • لم نكن نحن الوحيدين الذين ضللوا السلطات • لقد تطوع شبان يهود لمساعدتنا في سبيل المرح والدعابة • لقد خابروا مراكز الشرطة في تل ابيب واخبروهم ان الضباط قد شوهدوا في الشمال ، في الجنوب ، على الشاطىء في مركب • وهكذا فان الشرطة والجيش كانوا يندفعون من مكان الى آخر في سلسلة من محاولات عقيمة لا طائل منها •

وفي الوقت نفسه فان «جدّي» و«يول» قد واجها جميع تحركات السلطات • لقد وضع الضباط الثلاثة في صندوق ضخم بعد ان استحموا وحلقوا ذقونهم وارتدوا بزاتهم الحكومية مزودين بمروحة وارسلوا بوساطة شاحنة الى مركز المدينة بالقرب من بولفار روتشيلد • ولقد تبعت دورية

الشاحنة لفترة من الوقت ولكنها عادت وتخلت عن الملاحقة مقتنعة بدون شك ان الشاحنة تحمل اثاثا • فانزل الصندوق الى الشارع ورحل رجالنا بعد ان ازيل القفل من الصندوق •

لقد تجمهر جمع غفير من سكان تل ابيب حول الصندوق ، وعندما شاهدوا الصندوق يفتح بنفسه ويخرج منه ثلاثة اشخاص هم ضباط بريطانيون • ولقد بدأ احدهم وهو قوي الشكيمة بالجري وراء الشاحنة ولكنه ما لبث ان تخلى عن عمله هذا •

ان الضحك العالمي الذي اثارته التقارير عن هذه المغامرة لم تفعل شيئا لتعزز من هيبة سلطة الانتداب •

اما نحن فلم نكن في وضع يسمح لنا بالضحك • ولكن قلوبنا فرحت ، لاننا استطعنا انقاذ رفيقين من رفاقنا من حبل المشنقة •

الاختيار

مرت شهور على اعتقال «دوف غرونر» · لقد جرح جرحا بليغا في فكه واخضع لعدة عمليات جراحية وقاسى كثيرا من الآلام · وقد ادهش الاعداء قبل الاصدقاء بشجاعته · ففي احد الاوقات وبعد ان يئسنا من نتائج المعالجة التي كان يتلقاها ، اردنا ان نرسل له باخصائي · ولكنه رفض · لان ذلك يكلف غاليا ، وهذا فوق طاقة «الارغون» ولقد تخلى هذا الجندي الشجاع عن التفكير بالنفس بعد ان اودع زنزانة الموت · لم يكن ليطلب من رفاقه شيئا · وكان يرفض كل ما كانوا يودون تقديمه اليه ·

لقد كان «دوف» ينظر الى كل ما يحدث نظرة طبيعية وعادية · صدق حكم الاعدام ضده ، ضغط عليه لكي يوقع دعوة استئناف الى المجلس الاستشاري البريطاني ، فرفض لقد كنا نحن انفسنا نعلم ان الاستئناف لن ينقذ حياته · هل كان دوف يعلم ذلك ؟ وتعالت الاصوات التي نصحته بان يقدم طلب الاستئناف لانه يقدم له املا في انقاذ حياته ، لكنه رفضها جميعا من اجل اعطاء الامل لشعبه · لقد كان يعتقد باحتمال واحد لانقاذ حياته · ولكننا كنا نقول له بان حرية التوقيع او عدمه تعود اليه وحده · ان الاختيار اختياره وحده ·

ولقد ذهب احد المحامين المشهورين في القدس لزيارته وتوسل اليه ان يوقع عريضة الاستئناف مؤكدا له ان ذلك ليس استئنافا ضد الحكم بحد ذاته ، ولكنه ضد نظام الطوارىء · لقد كان مقصد المحامي نزيها بلا شك مع ان الطريقة التي تبناها لانقاذ حياة «دوف» خاطئة · لقد استعمل المحامي كلمة السر المعلومة لدى «دوف» ، وعندها اخبره ان «الارغون» تريد منه التوقيع · وهكذا وقع «دوف» · وقبل عودته الى زنزانته قال لحراسه : «اشعر بأنني ارتكبت خطأ» ·

وصادف في الفترة نفسها ان مجلس الشورى البريطاني كان في صدد بحث قضية «القتل الجماعي» ، نتيجة عادات خرافية على شاطىء افريقيا · لقد حكم على عدد من الافريقيين لقتلهم عدداً من القبيلة المنافسة · فاستانف محاميهم لمجلس الشورى واجل التنفيذ عدة مرات · اخيرا وضعت السلطات البريطانية قانونا جديداً ينص على «ان الاستئناف لمجلس الشورى لا يتضمن تاجيل التنفيذ في الاراضي الواقعة تحت الحكم البريطاني » ·

ومرت اسابيع قبل ان يعطى «دوف» لباس الموت القرمزي · وقبل نهاية شهر اذار كانت وحدته في زنزانته قد قطعت ، وذلك عندما شاركه فيها ثلاثة جنود من «الارغون» · لقد قبض عليهم ليل «الجلد» ، وحكم عليهم بالشنق حتى الموت · فأنشد الثلاثة نشيد «الهاتكفا» ·

وفي اوائل شهر شباط اعلن فصل الجنرال «باركر» من منصبه · لقد كنا ننظر الى «باركر» ــ الذيكان يريد سحقشعبنا ــ كعدو· ولقد حكمناعليه بالموت ، ولكن جهودنا لتنفيذ الحكم احيطت وباءت بالفشل · لقد تخطينا عدة مرات الاحتياطات التي كان يتخذها من اجل سلامته الشخصيـة · اذ كـان الحظ يحالفه في كل مناسبة · لقد غادر يوم ١٢ شباط بشكل سري · وقبل رحيله بيوم صدق على احكام الموت على رجال «الارغون» ·

ولقد اعلن قائد القوات البريطانية الجديد الجنرال «مكاملبان» ، ان تنفيذ حكم الاعدام بالثلاثة سوف يؤجل حتى النظر في قضية «دوف» امام مجلس الشورى ·

ولقد ازداد عدد الاشخاص الذين سيرتدون ملابس الشنق القرمزية · ففي شهر اذار حكم على عضو اخر في منظمة «شتيرن» بالشنق حتى الموت· وفي اوائل شهر نيسان حكم على عضو آخر في «الارغون» ·

ولقد اعلنت الحكومة البريطانية ان هذه الاحكام ستبقى مطلقة ايضا حتى تسمع قضية «دوف» ، وينظر فيها من قبل مجلس الشورى · لم نكن لنعتمد على الوعود الرسمية · فابتدانا برسـم الخطط لتحريـر الرجـــال المحكومين بالقوة ·

ان الخطة التي اعتمدت ، واحدة من عدة خطط · لقد اردنا انقاذ رفاقنا

من ايـدي جلاديهـم · ومـع ان الخطـة تقف عنـد حدود المستحيـل ، فكان هناك فرصة للنجاح لقد كانت لنا خبرتنا في العمليات المستحيلة · ومع ان الخطة كانت خطيرة فاننا وقعنا عليها ·

سيارة عسكرية بريطانية تدخل باحة سجن القدس حيث يكون الرجال قد جمعوا · وفي السيارة عدد من رجال الشرطة البريطانية يحملون ملفات رسمية معنونة باسم حاكمالسجن واحدافراد الشرطة وهو برتبة رقيب يتقدم نحو المكتب بينما تتجه السيارة نحو الباب · وفي تلك اللحظة نعطى الاشارة ويقفز الرجال الستة المحكومون حيث يكونون في تلك اللحـظة في الباحـة يؤدون فترة التدريب اليومية ، ويتسلمون سلاحهم المعد لهم · وان الشرطة سوف تسيطر على الحراس ، وعلى الباب كما ان الرشاس «البرن» الموجود على السيارة سوف يؤمن الحماية اللازمة بحيث تشق السيارة طريقها نحو الباب · بعد ان تكون قد احدثت الفوضى في المكان ·

لقد حشدت «الارغون» جميع قواتها للعملية · حتى ان «جدي» لـم يكن يعمل بمثل هذا الحماس من قبل · وقد اتى «يول» بالملمات الرسميـه الضرورية ·

اما «شمشون» ورجاله فقد بداوا بمراقبة الطريق · لقد كان لديهـم اصعب المهمات · لقد كان عليهم الاستيلاء على سيارة شرطة مصفحة · ان «شمشون» وهو اعظم مقاتلينا ادى اعمالا اكثر تعقيدا ، ولكن في هذه الحالة هناك امران يجب ان ينفذا · اولا يجب العمل في الوقت المحدد من النهار ، ومن الضروري الاستيلاء على سيارة مصفحة دون اتلافها ، والا فان عنصر المفاجاة والخداع في التسلل الى السجن سوف يضيعان وتحبط الخطة ·

وبقي «شمشون» ووحدته يراقبون الطريق الى القدس يوما بعد يوم ، ولكن عبثا · كانت السيارة المصفحة تمر بهم ولكن اسرها في كل مرة كان يحتاج الى صدام مسلح · وكان من الممكن ان يخرج «شمشون» منتصرا من الصدام ، ولكنه كان يعلم ان اي صدام ومواجهة سوف يعطب المصفحة· لم نيأس ، ورفاقنا الذين بلغوا الخطة كانوا ينتظرون ·لقد كانوا صبورين · ولكن من يستطيع سبر اغوار معاناتهم ؟ من يستطيع سبر اغـوار التلهف والقلقفي الخارج؟ واستمرت حالة التأهب والاستنفار فيمنظمة «الارغون»· وكل ليلة تتركنا مع آمال الليلة القادمة ·

وفي ١٤ نيسان نقل «دوف» ورفاقه من القدس الى سجن عكا ٠

لقد اعتقدنا ان البريطانيين اعتمدوا هذا النقل لعلمهم بخطتنا ٠ ولكنهم لم يكونوا يعلمون اي شيء عنها ٠ ان رؤساء المخابرات سوف يعلمـــون بخطتنا للاغارة على سجن القدس فقط عندما يقرأون هذه السطور ٠ لـــو كانوا يعلمون لكانوا بدون سؤال احتفظوا بالسجناء في القدس ، ونصبوا فخا للرجال الذين يريدون ان ينقذوا السجناء ٠

لقد كانت لديهم خطتهم الخاصة بهم ٠ وكانوا على وشك القيام بمجهود حاسم لاعادة هيبتهم الممزقة ٠ وكانوا على وشك اثبات سلطتهم ٠ ووجدوا الفرصة سانحة ، عندما اعلنت المؤسسات اليهودية الحرب ضد المقاتليـن السريين ٠ فقد اطلقت التصريحات العلنية معلنة عن قرب تصفية الارهابيين٠ ولقد كان ذلك الضوء الاخضر بالنسبة للبريطانيين ٠

لقد كان رجل المشنقة خائفا ، فلهذا السبب اختار الظلام ليكون موعد عمله ، وليس في القدس وانما في عكا ٠

باستيل يسقط

بعد تنفيذ حكم الاعدام بـ «دوف غرونر» ورفاقه الثلاثة اذعنا بيانــا اعلنا فيه انشاء محاكم عسكرية ميدانية · اي جندي من الاعداء يقــع في ايدينا سوف يعدم بالطريقة نفسها التي مات فيها رفاقنا · فانتشرت وحداتنا على الطرقات وفي الشوارع · ولكننا لم نعتد على الضباط · لانهم كانــوا يتركون ثكناتهم بحماية قوات مواكبة بالدبابات · وبالطبع كان باستطاعتنا مهاجمتهم ايضا، كما فعلنا مع قطار الجنود القادم من مصر · ولكن فــي الايام العصيبة تلك لم يكن الانتقام هو هدفنا · لقد كان من واجبنا ان يعاقب الجلاد بطريقته ، ولكننا لم ننجح ·

وزاد اختباء رجال الجيش في اماكنهم ، ولكننا واصلنا مهاجمتهم ، الا اننا لم نستطع ان نفي بالدين الكبير ·

من تلة «الشونة» التي تطل على وادي التمساح ، حيث تقع قلعة قديمة، كانت قافلة من السيارات تسير ببطء · وجلس الجنــود في تلــك القافلــة البريطانية وايديهم على السلاح للرد على اي اعتداء · وكانت هناك سيارة جيب تتقدم القافلة تحمل قائدها وتتجه شمالا ·

وعند وصولها الى الطريق الرئيسي اندفعت بسرعة عبر الحقول والقرى والمستوطنات وكانت تمر بقافلات اخرى باتجاه معاكس كلها تحمل رجــالا وسلاحا · وتبادل الجنود الابتسامات والتحيات ·

لم يستطع الجنود البريطانيون المتجهون الى الجنوب سماع ما كان رفاقهم المسافرون نحو الشمال يدعون ضابطهم القائد · لو كانوا سمعوا ذلك لما تبادلوا الابتسامات ولكانوا تبادلوا الرصاص · لقد كان الرجــــال

ينادون القائد بـ«شمشون» وهو أسم من التوراة وليس اسما انكليزيا • وكثير من الرجال لا يعرفون اسمه الاخر ، وهو الاسم الذي اعطاه اياه والده «دوف كوهين» • وهوايضا ليس اسما انكليزيا بتاتا • لم يكن جميع جنوده من المسافرين نحو الجنوب ليعلموا ان «دوف كوهين» هو «شمشون» •

لقد خدم «دوف كوهين» لعدة سنوات في وحدة الكوماندوس التابعة للجيش البريطاني • وامتدحه ضباط وضباط صف كثيرون لشجاعته وبسالته في المعارك وللانجازات التي حققها خلف خطوط العدو • لقد بلغ الذروة • فقد قاد هجوما على مواقع الايطاليين في سلسلة الجبال شرقي افريقيا • وهكذا فقد وقعت «كيرن» في ايدي الجيش البريطاني حيث فتحت ابواب النصر •

ومن اوروبا عاد الى ارض اسرائيل مكللا بالغار والمديح • وفي اليوم التالي اكمل عملياته الفدائية • ولقد وجدت منظمة «الارغون» فيه قائدا محنكا وذا خبرة حيث ان الحرب والخطر اصبحا جزءا من حياته وعندما نزل الى المعركة بعيدا في «كيرن» كان يصرخ باسم صهيون • والان يقود وحدته من اجل صهيون وعلى ارض صهيون •

«دوف كوهين» في زي قائد بريطاني اخذ معه اثنين من الرجال يرتديان الملابس المدنية في سيارة جيب محملة بالاسلحة وقادها على طريق تنتشر عليها الحواجز البريطانية • امام احد هذه الحواجز تقدم احد الحراس لتادية التحية • فنظر الى الجندي بتجهم وسأله بغضب :

«هل تسمي هذه تحية ؟ افعلها مرة اخرى! » •

فأدى الجندي التحية مرة اخرى •

«هكذا افضل» ، قال الكابتن ، واستمر الجيب في سيره مارا بالجندي الذي ادى التحية •

وفي ذلك اليوم ٤ ايار ١٩٤٧ لم يكن «دوف كوهين» ينقل سلاحا • وفي هذه المرة كان ذاهبا الى اجرأ عملية في تاريخ العمل الفدائي، لم يكن ذاهبا مع رجاله الى بيروت ، بل الى عكا •

وعندما وصلوا الى عكا نزلوا وتفرقوا مجموعات صغيرة وانتشروا في جميع الاتجاهات • لقد كانت لديهم اعمال كثيرة لانجازها • لان عكا لم تكن مدينة يسكنها العرب فحسب • لقد كانت محاطة بالمعسكرات البريطانية • والهجوم لن ينجح الا اذا منع العدو من الحصول على التعزيزات واحتفظت المجموعة المهاجمة بخطوط انسحابها مفتوحة •

لقد خطط «جدّي» للعملية بكل تفاصيلها ونفذها «شمشون» بدقة • لقد امطرت وحدتنا المخيم القريب بقذائف الهاون • وقد كان هجوما وهميا وذلك لصرف انظار العدو عن العملية الرئيسية • بينما قامت وحدات اخرى بزرع الالغام •

لقد كان التخطيط كاملا ليس على الخريطة فحسب ، وانما على ارض الواقع • فقد استطلعوا المنطقة قبل الرابع من ايار • وكانوا يبدون احيانا كعرب ، واحيانا اخرى كبريطانيين ، واخيرا كانوا من «الارغون» • وداخل حزام الجيش كان هناك حزام من مواقع امنية تابعة للارغون • وهكذا فقد حوصرت عكا •

والان توجهت قوات «شمشون» الرئيسية نحو القلعة التي بنيت في عهد الصليبيين ، واسترجعها الاتراك ، وقاومت نابليون • وتحيط بهذه المدينة هالة التاريخ ومجد البطولة من «جابوتنسكي» الى ايام «دوف غرونر» • والان يقف «شمشون» ورجاله امام الجدران التي لا تقهر • لقد اتوا ليحطموها ويحرروا سجناءهم •

خلف الجدران كان السجناء ينتظرون بفارغ الصبر • لقد كانوا يعلمون ان الاشارة قد اعطيت • لماذا التأخير اذا ؟ هؤلاء الرفاق لم يكونوا سجناء عاديين ينتظرون الهرب بل كان عليهم ان يقوموا بقسم كبير من عملية تحريرهم • لم تكن السلطات تعلم شيئا • فقبل اسابيع قليلة اكتشفوا محاولة لحفر نفق داخل سجن القدس المركزي • ولقد اقتنعت هذه المرة ان الارهابيين قد صدوا • وان الارهابيين لن يهربوا • ومع هذا فقد تمكن الارهابيون من الهرب من قلعة عكا التي لم يكن يتصور احد ان من الممكن اختراقها • وعين المندوب السامي لجنة تحقيق خاصة برئاسة مدير عام

الشرطة لمعرفة كيفية هرب السجناء ؟ وقد مرت ثلاث سنوات على تقييم هذه اللجنة لتقريرها الذي بعثه المندوب السامي الى لندن · ولكن اليوم سوف يعلم اعضاء اللجنة وجهاز المخابرات البريطانية ان السجناء انفسهم لم يعلموا فقط بالهجوم وانما شاركوا فيه · لقد كانت لديهم كمية من المتفجرات ادخلت الى السجن بطريقة سرية · لم يكن هناك الكثير منها ، ولكنها كانت كافية لنسف القضبان الحديدية من الداخل ، والتي كانت تفصل الرواق المظلم الطويل عن مجموعة الاقتحام التي فتحت ثغرة في الجدار الخارجي · اما المشاعل التي ظهرت في الباحة فقد وضعت لتكون مساندة لتسهيل عملية الهرب · وكان عمل المساجين الرئيسي القيام بتحطيم الباب الحديدي الكبير·

واخيرا فان الجدران الصخرية التي بقيت صامدة طوال قرون ، قد خضعت لوحدة «شمشون» الهجومية · فوصلت الوحدة الهجومية الى الحائط الجنوبي · وكان تقدمها محميا بوساطة مواقع استراتيجية · وحسب الرواية الرسمية كان هناك اكثر من مائة وخمسين جنديا مسلحا يحرسون القلعة عدا المعسكرات القريبة المحيطة بالمدينة · وكانت ابراج القلعة العالية مليئة بالحراس بكامل اسلحتهم حيث تعرض المهاجمون لنيرانهم · ولقد نفذت العملية في وضح النهار وقبل ساعة من حظر التجول على الطرقات عندما كان جيش الاحتلال يحجز كل سيارة يشك فيها ·

تقدم رجالنا مدعومين بتغطية متشعبة نحو النقطة التي اختيرت في الجدار لفتح الثغرة · ولقد تشاور «جدّي» مع «اتيان» الذي تحول بالرغم من كونه سجينا قائدا للعمليات في هذه المهمة · وقد ساعدت احدى البنايات المستعملة للاغتسال على الاقتراب من الحائط وعمل رجالنا بسرعة· فوضعت شحنة المتفجرات في الحائط · وانسحب رجالنا · واهتزت منطقة عكا بتاثير الانفجار ·· وتطايرت الحجارة وسط حجاب من الدخان الكثيف · واخذت ضربات قلوب المهاجمين تزداد ، وهم يتساءلون هل احدثت المتفجرات الثغرة المطلوبة في الحائط ام لا ؟ لان ذلك لم يكن بالامر السهل فذلك الجدار لم يكن عاديا لانه جدار قلعة عكا ·

كان للمتفجرات مفعولها · لم تكن الثغرة التي فتحتها كبيرة ولكنها كانت كافية · لقد فتحت تلك الثغرة في الرابع من ايار من عام ١٩٤٧ ·

وهكذا سقط سجن الباستيل «الثاني» وذلك بعد مائة وثماني وخمسين سنة من سقوط الباستيل الاول ·

ولكن قبل ان ينجح السجناء في ترك ظلام سجنهم نشبت هناك معركة بين محرريهم وبين القوات البريطانية · ولقد انفجرت الابراج غضبا وامطرت المهاجمين بوابل من الرصاص · وهكذا بدأ عمل مجموعات التغطية · واشتعلت القلعة في صراع عنيف حيث التحمت البندقية والمدفع «البرن» مع البندقية والمدفع «البرن» ·

ان فتح الثغرة في الجدار كان نصف العمل · اما النصف الثاني فقد كان تأمين خروج الرجال المحررين ووصولهم الشاحنات المنتظرة · كما تعودنا القول يجب تأمين الانسحاب حتى يكون النصر كاملا · وهكذا فقد اطلت على الابراج وابلٌ من الرصاص ، وتحت ذلك الستار من النيران استطاع عشرات من السجناء الفرار ·

وارسل حرس القلعة يطلب النجدة · وكانت نقطة البوليس القريبة قد احيطت علما «بتحركات مشبوهة» في الاماكن القريبة من السجن فأرسلت دورية مسلحة الى هناك · ثم اندفعت مجموعة عسكرية من المعسكر القريب· ومن حيفا ، على بعد خمسة عشر ميلا ، اسرعت سيارة كبيرة تحمل الجنود الى القلعة · ولكن كما ذكرت السلطات البريطانية في تقاريرها لم تتمكن اي من هذه الوحدات من الوصول الى المكان او قطع طريق العودة على رجال «الارغون» · فقد اخر البوليس لغم وضعناه على الطريق ، وحطمت بعض متفجراتنا الآلية الآتية من حيفا · اما المعسكر الذي ازمع على ارسال رجال فقد هاجمه رجالنا بقذائف «المورتر» فأفقدتهم الفوضى امكانية ارسال النجدة· وهكذا استطاعت حلقة الحماية التي وضعناها ان تصمد ضد حلقة الجيش، وخصوصا وقد اقسم رجالها ان لا يسمحوا للعدو بالمرور مهما كلف الثمن·

بدا ان «شمشون» سيفي بالوعد الذي قطعه «لابراهام» قبل الذهاب بانه سيعيد «اتيان» وجميع الرفاق بسلام · ولكن الحظ الاعمى الذي يعمل فوق حسابات الانسان اراد انيفي شمشون بنصف الوعد· حقا ان «اتيان» ومعظم رجال «الارغون و«شتيرن» قد احضروا سالمين الى قاعدة سرية · ولكن «شمشون» نفسه ومقاتلين آخرين لم يعودوا · ففي مساء ذلك الاحد كانت

مجموعة من الجنود والشرطة البريطانيين تستحم جنوب سجن عكا · وكالعادة كانت تحمل السلاح · فلما سمعوا اصوات الانفجارات واصداء المعركة هرعوا الى الطريق الرئيسية · واقاموا حاجزا داخل حلقة حراستنا · اما المفاجأة الثانية فكانت ان بعض اعضاء نقط الحراسة من نقاطنا الامامية لم تعط الاشارة الى الشاحنة بالرحيل · وهكذا بقيت ضمن دائرة العدو ·

لقد كتب «هيومر بيجارت» في «النيويورك هيرالد ترابيون» يقول · «ان عملية سجن عكا استقبلت بحماس شديد من الشعب اليهودي ، ولكن مما لا شك فيه انه مع الشعور بالنصر ، فان قلب قائد الارغون مليء بالمرارة والحزن للخسائر الفادحة التي منيوا بها · لم يخطيء «بيجارت» لان الشعور [illegible] حتى بالانتصار ·

اما بالنسبة لما حدث خلال عملية الانسحاب فبرويه احد السجناء وهو «شمولو يقتز» من «شتيرن» في رسالة الى «اتيان» · والرسالة لا تحتاج الى تعليق، بل الى توضيح بعض الاسماء المستعارة الواردة · «فشمشون» هو «دوف كوهين» و«شيمون» هو «شيمون أري» الذي اعتقلته السلطات البريطانية منذ عام ١٩٤٤ · اما «مايك» فهو «ميشيل اشبل» الذي انقذ مع «شيمون» من المشنقة ليموت على متراس ، تاركا لرفاقه الوصية التالية :

«اني اعرف مدى تأثركم لفقدان اصدقائنا الاعزاء · وهناك ما يدفعني للكتابة اليكم عن الساعات البطولية الاخيرة لاصدقائنا الاعزاء · اني اعلم ان هذا قد يفتح جروحا بدأت تشفى فمن السهل ان ينسى المرء ويرتاح عندما يكون لديه عمل يقوم به · اكتب اليكم لاني اشعر ان اطلاعكم على شجاعتهم في تلك الساعات قد يخفف من احزانكم العميقة التي خلفها فقدان الاصدقاء والرفاق ·

لقد جابهتنا ونحن في طريقنا بعد اجتيازنا لمحطة السكك الحديدية حواجز حراسة بريطانية · وقبل ذلك ببضع ثوان شاهد سائق سيارتنا «شمشون» يهرع نحونا على الطريق مشيرا لنا بيديه بعدم التقدم · ولقد فهم السائق الاشارة عندما وصل الى منعطف · وتجنب الحاجز بسرعة ، فانحرفت الشاحنة عن الطريق واصطدمت بحاجز من الصبار وتوقف المحرك ·

«لقد كان صوت نيران الرشاشات قويا · ومع هذا فقد سمعنا «شمشون» ينادي «الحقوا بي» وقد جرح مايك بينما كان لا يزال في الشاحنة ، وجرح

بينما كانوا يقفزون خارج الشاحنة من الخلف ٠

لقدركضنا لثوان حولانفسنا نبحثعن طريق يؤديبنا اليخارج منطقة النار ، ولكن كيفما درنا كنا نواجه الرشاشات ، ورغم جراحنا رحنا نفتش عن مهرب ، فرأينا «شمشون» يهرع صوب سيارة عسكرية واقفة الى جانب الطريق فركضنا وراءه وقفزنا اليها ٠ ولم يكن بها الا جنديان اعزلان من السلاح ، بالاضافة الى السائق ٠ ارغم «شمشون» السائق على التحرك بينما وثب اقلنا جراحا على الجنديين وانزلوهما ٠

وكان قد بقي منا هناك تسعة رجال فقط ٠ وظهر لنا اننا اجتزنا منطقة النار فبدأنا نضمد جراح الرفاق الخطرة ٠

مررنا بالجيب الذي كان يقل «شمشون» حيث امر السائق ان يتوقف ٠ وعندما علمنا ان بيننا سائقا وكان ذلك «شمش» قذفنا بالجنود خارجا واستولينا على الاسلحة والذخيرة التي كانت في الجيب ونقلناها الى الشاحنة ٠ وفي الوقت نفسه كان الجنود يقتربون منا مرة اخرى ، واصبحنا ضمن مرمى النار ٠ فاستلم «شمش» قيادة السيارة ، فاكتشف ان المحرك كان معطلا ، فبدأ باصلاحه عندما ظهرت شاحنة متجهة نحونا ٠ قفزنا خارجا واسرعنا نحوها ٠ فأطلق «شمش» رصاصة في الهواء فتوقفت الشاحنة ٠

وقفز العرب من السيارة وكان بينهم جندي يحمل بندقية ٠ وبدأ السائق بالحديث مع «شمشون» الذي كان يقف قرب باب السيارة وبيده «البرن» وبقربه «شمش» ٠ اطلق «شمشون» النار وسقط السائق خارج الشاحنة مصابا في رأسه ٠ وفي تلك اللحظة حصلة المصيبة التي ختمت مصيرنا ٠ بعد ان رأى «شمش» السائق يسقط ارضا ، قفز الى مقعد السائق بسرعة ، بينما لم يتوقف «شمشون» عن اطلاق النار ، فوقع «شمش» ميتا على الفور ، وهكذا فقد بقينا بلا سائق ٠ اخذ «آمون» المقود وحاول ان يدور بالشاحنة ولكنه لم يستطع ٠ لقد كان مجروحا في الضلوع والذراع ٠ عاد «شمشون» الى الجيب واتخذ منه متراسا واوقف الجنود المتقدمين وهناك سقط ٠ لم اقابله من قبل ولكنه نال اعجابي في اللحظة التي رايته فيها ٠ لقد كان فائق الشجاعة رابط الجأش ، حتى انه عندما رأى كل شيء قد ضاع لم يحاول ان ينقذ نفسه ، بل اسرع نحو الرشاش من اجل ان يمكننا من الهرب ٠

اما نحن فقد تشتتنا في الحقل على الجانب الاخر من الطريق ٠ وبقي ثلاثة من الرجال وجروحهم بليغة ٠ وابتعدنا عن الاخرين فوصلنا الى حقل من القمح حيث اضطجعنا هناك ٠ وكنا نرى من خلال القمح الجنود وهم

يركضون بين الاعشاب • وكانت الطريق من الجهة الثانية تعج بالجنود • وكان الخروج من الحقل يكشفنا على الفور ، فقررنا ان نبقى هنـاك حتى الغسق •

وبعد ربع ساعة قدم الجنود الى الحقل واكتشفونا ، فاطلقوا النـار علينا بعد استسلامنا وبمعجزة فقط خرجنا سالمين • وقد جرح «جوزيف» مرة اخـرى •

ساقونا الى الشاحنة • اما الجرحى فقد جروا على الارض وقذفوا [illegible] المنقول • ولقد وضعنـا لوحدنـا ،

بعد سحب الجرحى من بين الموتى امضيت معظم الرحلة اتحـدث الى «شيمون» الذي كان يعلم انه سيموت • حاولت ان اشجعه • كما ان «مايك» الذي كان هو الاخر يعلم نهايته كان قريبا منا يقص علينا النكات • ومـن الصعب التصديق ان هذا الرجل سيموت • وكان يتنهد بين وقت واخر وبعد ذلك يقول : «لا تقلق ساكون على ما يرام » •

وفي الطريق الى المستشفى اخذونا الى مخفر شرطة عكا • وهناك قذفوا بالجرحى على الرصيف • وذهبت كل توسلاتي وصراخي باحضـار طبيب سدى • .

لقد كان «شيمون» اول من فارق الحياة • لقد كنت معه طوال الوقت • ظل واعيا حتى النهاية • لقد كان قلقه الاهم هو الحزن الذي سيخلفه موته على والديه واصدقائه : «تحياتي لجميع الشباب • قل لهم ان لا يحزنوا • قل لهم ان يستمروا» • اما كلماته الاخيـرة فكانت : «مـاتي •.• انتقـم ، ا ن ت ق م •

ومات «ليفي» من الالام المبرحة • كان قد جرح في رئتيه وكان يختنق كم كان موقفي مخيفا • لقد كان «ليفي» يتقلب على جانبيه ثم يقف وهـو يصرخ حتى اختنق •

اما «مايك» فقد استمر في مزاحه حتى اللحظة الاخيرة • امسكت بيده •

ان جسمه يبرد ولم اصدق انه كان يموت · استمر في تطميني حتى النهاية : «لا تقلق ·· سوّف نرد لهم الجميل» ···

اما «نيكار» فقد ظل صامتا · وبينما كان على ظهره رايت الدماء تسيل منه بغزارة · وكان مجروحا برجله ايضا ·

وعندما اتى الطبيب بعد طول انتظار ارسلني الى الاخرين لانه قال اني بخير ·

ومما لا شك فيه ان الشبان الذين ماتوا متاثرين بجراحهم ، كان من الممكن انقاذهم لو قدمت اليهم الاسعافات الاولية ، ولكنهم تركوا ينزفون مدة ست ساعات» ·

ثلاثة من الرجال الذين اخذوا سجناء خلال المعركة قدموا الى المحكمة العسكرية في القدس · وكنا نعلم اننا اذا لم ننقذهم فلن ينقذهم اي انسان اخر · فقررنا ان نقوم بعمل ما والمحاكمة ما تزال مستمرة · جمعنا المعلومات وقبعنا في انتظار ثلاثة من الضباط البريطانيين بالقرب من مسبح عام في «رامات غان» لم ياتوا ولكن قدم شرطيان بريطانيان · لقد خاب املنا · وشعرنا انه اذا اردنا انقاذ الشبان فاننا نحتاج الى بريطانيين ذوي رتب عالية او منزلة اجتماعية رفيعة · ولا يبدو اسر شرطيين يفي بالامر · لكن خيبة الامل لم تكن لتنتهي عند هذا الحد · فقد حركت الوكالة اليهودية « الهاغاناه » لايجاد الرجال المخطوفين · ولقد ادعوا انهم يظنون باننا كنا فقط نريد جذب انتباه لجنة الامم المتحدة التي كانت على وشك الوصول · ولقد اصدرت «الهاغاناه» بيانا قالت فيه بانها «ستفعل المستحيل من اجل انقاذ الرجال المخطوفين» · وبعد عدة ايام منحت الحكومة البريطانية العفو لثلاثة اعضاء من منظمة «الهاغاناه» ، كانوا قد حكم عليهم باحكام مختلفة لحملهم السلاح ·

وفي السادس عشر من حزيران ١٩٤٧ خلع ثلاثة ضباط بريطانيين قبعاتهم واعلن احدهم لـ«مفيف» و«نيكار» و«ليس» : «انكم ستعدمون شنقا حتى الموت» ·

وفي اليوم نفسه بدأت اللجنة الخاصة التابعة للامم المتحدة عملها في فلسطين • ومما لا شك فيه ان السلطات البريطانية رتبت الامر في اصدار قرار المحكمة في اليوم نفسه ، لتبرهن ان الاجراءات الشديدة مستمرة بالرغم من وجود بعثة الامم المتحدة •

ولقد ارسلنا بمذكرة الى اللجنة • وذكرنا اعضاءها بقرار منظمة الامم المتحدة الذي دعت فيه جميع الاطراف المتنازعة في فلسطين بالكف عن القيام باعمال العنف او التهديد بالعنف ولقد كررنا فيها استعدادنا لتنفيذ قرارات هيئة الامم المتحدة التي تدعو جميع الفرقاء الى عدم استخدام القوة • ثم قلنا ان قرار هيئة الامم يشمل الحكومة البريطانية ، فكيف تامر باعدام ثلاثة من الشبان اليهود • واخيرا طلبنا تدخل اللجنة لاطلاق سراح هؤلاء الشبان ، اسوة بحادثة مماثلة حصلت في اليونان في الفترة نفسها وفي ظروف متشابهة •

ومن اجل تسهيل مهمتهم فقد ارسلت رسالة الى اللجنة من جانب اهالي الشبان • وقد علمت ان المناقشات داخل اللجنة كانت حامية جدا ، وان الدكتور « جريندوس » من « غواتيمالا » والاستاذ « فبريكاه » من اوراغواي والاستاذ « بريلاج » من يوغسلافيا بذلوا كل جهودهم لكي تتدخل اللجنة وتمنع اعدام الشبان اليهود • ولقد شعرت اللجنة انها حقا قد استخف بها ، لان الحكومة البريطانية اختارت اليوم الذي بدأت فيه اللجنة عملها لتعلن الاحكام •

وبعد خمسة اجتماعات خاصة للجنة ارسلت البرقية التالية الى السكرتير العام للامم المتحدة :

« نظرا لاهتمام اغلبية اعضاء اللجنة بالنتائج غير المرضية الممكن حدوثها في حال تنفيذ قرار المحكمة العسكرية في القدس ، والقاضي باعدام ثلاثة من الشبان اليهود مما يؤثر على سير المهمة التي ارسلتنا من اجلها هيئة الامم المتحدة • ونظرا للاراء التي اعطاها اكثرية الاعضاء حول صلاحيات القرار الذي اتخذته هيئة الامم المتحدة في الخامس عشر من ايار ، حولت اللجنة الى رئيسها ان يطلب من سكرتارية هيئة الامم المتحدة نسخة عن هذا القرار وعن الرسالة التي وصلتها من اقارب المحكومين بالاعدام لكي نقدمها الى حكومة الانتداب » •

وهكذا فقد بذلنا كل جهدنا لاسر الضباط البريطانيين وفتشنا عنهم في كل مكان . حانت لنا فرص عديدة في عدة مناسبات في القدس ، حيث كان في متناول قبضتنا اشخاص مهمون جدا ، ولكن كنـا نمنع بوساطة امر او آخر . وفي « ناتانيا » نجح رجالنا في القاء القبض على اثنين من ضباط قسم المخابرات السرية البريطانية . على الفور اعلنت الحكومة حظر التجول في تلك المنطقة بحثا عن الاسرى . وساعدهم رجـــال « الهاغاناه » في ذلك . واستمرت عمليات التفتيش من بيت لبيت فترة اسابيع ، ولكنها لم تنجح .

وفي الثالث والعشرين مـــن تموز سيق الشبان اليهود الثلاثـــة الى المشانق .

لكننا لم نكن لنعتمد على اللجنة خاصة وان الحكومة البريطانية وضعت كل اهتماماتها لاظهار ان سلطتها تعلو على سلطات اللجنة ، وان قراراتهـا ليست الا توصيات .

في اليوم التالي من اعدام رفاقنا اعدمنا نحن الضابطين البريطانيين. لقد دفعنا للعدو العملة نفسها . وانذرناه مرة تلو اخرى ، ولكنه تجاهـل انذارنا بقسوة . واجبرنا على الاجابة على المشانق بالمشانق .

الاجتماعات السرية

ان العزلة شرط اساسي في العمل السري· خلال سنوات الثورة حرمت من سهرات الاهل والاصدقاء والمعارف · اذ كان قانون العمل السري يمنع اللقاءات غير الضرورية· ولذلك كان القليل من الذين قابلتهم لا يتحدثون معي الا بعمل المنظمة وعلاقتنا مع الامم الاخرى وامور تخص النضال ·

احد اهم اجتماعاتي السرية كان مع ممثلي لجنة الامم المتحدة · لم تكن مبادرة اللقاء منا بل طلبوها هم · ولكن المؤسسات الصهيونية الرسمية، كما سبق وذكرت ادعت ان كل ما فعلناه قبل وصول اللجنة وخلال وجودها كان له دافع واحد فقط هو تسليط الاضواء علينا · وقد اكدت هذه الهيئات رأيها هذا بالعملية التي كنا ننوي القيام بها لنسف « دار الحمضيات » · لذلك بات من الضروري ان نروي القصة الحقيقية للنفق الشهير ·

كانت « دار الحمضيات » ضمن منطقة الحراسة البريطانية في تل ابيب وكانت تضم قيادة البوليس الحربي والمدني للمنطقة المجاورة بأكملها · لذلك اصبحت هذه الدار كأي مؤسسة من هذا النوع تحت حراسة البوليس والاسلاك الشائكة ·

ويقابل « دار الحمضيات » بناء صغير فيه قبو يصلح لان يكون مستودعا · وفي يوم صيف من عام ١٩٤٧ نادى تاجر غني صاحب الدار وعرض عليه استئجار البناء بهدف خزن البطاطا وتعبئتها · وقد اكتسب التاجر ثقة المالك كمستأجر مرغوب فيه · فاتفقا ووقعا عقد الايجار · واتى التاجر بسيارات الشحن المليئة · ولم ينتبه الحمالون الذين كانوا يقومون بعملية تفريغ الاكياس الاولى ، ولهذا انفرط بعضها ونثرت حبات البطاطا في الشارع · ولكن التاجر ـ الذي يدعى الكس واحد اتباعنا ـ وبخهم بعنف ،

وسمح للجيران بالتقاط البطاط والاحتفاظ بها · اما محتويات بقية الاكياس فقد ادخلت الى البيت سليمة ·

وفي القبو ابتدأ العمل · الاكياس تعبأ وتشحن بالشاحنات · فازدهرت تجارة البطاطا بشكل ملحوظ · لقد كانت الاكياس المشحونة تحتوي على تراب من ارض المستودع حيث بدأ الحمالون يحفرون نفقا يؤدي الى « دار الحمضيات» · واستمرت العملية ببطء وعناية حسب الخطة الموضوعة · ومضت ايام حتى وصل رجالنا في حفرهم الى منتصف الطريق · وبعد ايام قلائل اصبحوا يستطيعون الوصول الى اهدافهم ·

ماذا كان الهدف ؟ لقد قال المراسلون الاجانب مؤخرا اننا خططنا لنسف مقر الحكومة كعملية ثأر لاعدام رجالنا الثلاثة · وقد يكون هناك بعض الصحة في هذا الافتراض ، ولكن كما سبق واكدت ان سياستنا العسكرية العامة لم تكن سياسة انتقام · وكانت خطة هذه العملية تتضمن اثارا بعيدة المدى ، وقد خطط لها بكل تفاصيلها · فقد قررنا ان نصل بالحفر الى اسس «دار الحمضيات» حيث نضع الغاما موقوتة قبل ثمان واربعين ساعة او اثنين وسبعين ساعة · ثم نعود من حيث اتينا دون ان نترك اثرا للنفق وذلك بترميمه وختمه حتى لا يستطيع اكتشافه احد · اما الجيران القلائل فسوف ينذرون في الوقت المناسب ويطلب اليهم اخلاء منازلهم لمدة قصيرة · وبالنسبة للابنية المجاورة ، فان اكثر ما يمكن ان يصيبها هو تكسير زجاج نوافذها ·

وقبل ثمان واربعين ساعة من الانفجار، كان علينا نشر رسالة خاصة الى السلطات نعلمهم فيها انه في تلك الساعة من ذلك النهار سوف تدمر جميع مناطق الحراسة ، وانذرناهم باخلائها بدون تأخير ·

وسيكون لحكومة الانتداب حرية الاختيار في اخذ إنذارنا بعين الاعتبار او تجاهله ، ولكننا على يقين من انها ستقبل الانذار · لقد كان لدرس فندق الملك داود اثره الفعال · وبالاضافة الى ذلك فان انذارا من هذا النوع سوف ينشر بأسمنا ، ويتوج بشعارنا ، ولقد تعلمت السلطات البريطانية ان لا تعطى انذارات فارغة ·

صحيح انه في نهاية ثمان واربعين ساعة فان مركزا واحدا من هذه المراكز سيدمر ، وهو في قلب تل ابيب ، ولكن مما لا شك فيه فان السلطات

ستخسر مـن الانفجارات الاخرى المنتظرة ، وسوف لن تعـود الى المراكز الاخرى ٠ وهكذا فـان خطة « دار الحمضيات » وضعت على هذا الاساس لتسبب هزة حقيقية تضعضع الاسس التي تقوم عليهـا حكومة الانتداب ٠ ولن يعلموا اين ستكون الضربة الثانية ٠

ليس اقل من هذا كان تصورنا فيما يتعلق بعملية « دار الحمضيات » حيث ان « الهاغاناه » التي اخبرت بوساطة احد عمـلاء استخباراتها عن النشاط المفرط في قبو تاجر البطاطا ، نجحت في احباط الخطة ٠ وفي احدى الليالي وعندما ترك رجالنا البناء دخلت احدى وحدات « الهاغاناه » وردمت النفق ٠

ان ادعاء المؤسسات اليهودية الرسمية بان العملية لـم يكن هدفهـا السلطات البريطانية ، وانما صممت لجلب انتباه لجنة الامم المتحدة الينا ، يبدو اكثر غرابة في ضوء ما نقلوا هم عنا الى اللجنة ٠ لقد صورونا كعامل حاسم في الوضع الذي خلق في البلد ٠ ولقد نشر الدكتور « غرينادوس » في مذكراته تفاصيل المحضر التام عن الاجتماع الذي تم بطلب من «الهاغاناه» بين « ساندستورم » رئيس اللجنة ووفدين من منظمة « الهاغاناه » مؤلف من خمسة اعضاء ٠

وفي نهاية ذلك الاجتماع سأل « ساندستورم » : « هـل لديكم مـا تضيفونه ؟ » فأجابه المتحدث الرسمي باسـم « الهاغاناه » : « ان الارهاب شيء مؤسف جدا ، ولا تستطيع الحكومـة البريطانية وضع حـد له ٠ ان النشاطات الارهابية دليل على ان اليهود يريدون ان يعبروا عن شعورهـم القومي ٠ ان الهاغاناه تعتقد انه يمكنها مكافحة الارهـاب فقط اذا سمح بحرية الهجرة والاستيطان في فلسطين » ٠

ولكن الادعاء بأن « الارغون » تريد جلب انتباه اللجنـة بعملية « دار الحمضيات » ينهار من اساسه اذا رجعنا الى التواريخ المتعلقـة بالقضية ٠ فالاستعداد لعملية دار الحمضيات اكتمل قبل الاعلان عن وصول اللجنـة ، ثم ان الاجتماع بين ممثلي اللجنة والارغون كان في ٢ حزيران ١٩٤٧ ، اي بعد ثمانية ايام من وصول اللجنة ٠

وقد توسط لعقد هذا الاجتماع « كارتر دافيد سون » مراسـل وكالة « الاسوشياتدبرس » الذي قيل لي عنه بعدئذ انه لم يظهر اي عطف نحونـا

في حربنا مع العرب على اية حال لاحظنا في ذلك الوقت ان جميع الصحف الاميركية استمرت في اسلوبها في التاكيد على قـوة العرب وانتصاراتهم ٠ مهما يكن من امر فان « دافيد سون » ابدى اهتماما كبيرا بعمليات «الارغون» والكتابة عنها بذكاء وتفهم ٠ ولقد طالبنا تكرارا بالسماح له بمشاهدة احدى عملياتنا ٠ فوعدناه بذلك ، وفي احدى المراحل عزمنا على ان ندعوه لحضور الهجوم على سجن عكا اذا سمحت له زوجته بذلك ٠ واضطررنا ان لا ناخذه معنا لاننا سنحتاج الى خدماته لعقد اجتماع بيننا وبين ممثلي اللجنة ٠

وقد اخبرنا رئيس لجنة الامم المتحدة « ساندستورم » بأنه سيصطحب معه الدكتور « هو » مساعد السكرتير العام للامم المتحدة وامين سر اللجنة فوافقنا وفي اللحظة الاخيرة سال « دافيد سون » اذا كنا نوافق على حضور الدكتور « رالف بانش » سكرتير الامانة العامة التابعة للامم المتحدة والساعد الايمن للدكتور «هو» فقد طالبنا ان يدعى الى الاجتمـاع المندوب التشيكي السيد « لوسيكي » ايضا ٠ فقبل الرئيس ولكنه كما شرح لنا مؤخرا لم يستطع الاتصال بـ « لوسيكي » في الوقت المناسب ٠ لقد كـان من الصعب عليه ان يفعل ذلك لانه وزملاءه كان عليهم الخروج من مجموعتهم من اجل الوصول الينا سرا ٠

وعقد الاجتماع في بيت الشاعر « ياكوف كوهين » ٠ لقد احضر «بول» واحضر رجالنا الضيوف مصحوبين بـ « دافيد سون » ٠ لقد كنا دائما نتجنب الترتيبات المعقدة التي تثير العجب عند احضار الناس للاجتماعات ٠ ولكننا في مثل هذه الحال لا بد وان ناخذ احتياطات غير عادية ٠ ان اعضاء اللجنة كانوا محاطين بعملاء الحكومة البريطانية زاعمين انهـم يحرسونهم ٠ ولقد بذلت السلطات البريطانية ما بوسعها لتوهم اعضاء اللجنة باننـا ارهابيون مروعون ، وأن حياة اعضاء اللجنة ، الذين كان العديد بينهم من اصدقـاء شعبنـا ، في خطـر ٠ وفي الحقيقة احتفظ البريطانيون برجـالهم حـول اعضاء اللجنة لا لحراستهم بل للتجسس عليهم ومراقبتهم ٠

وقد طاف رجالنـا بالسيارة التي تضـم ممثلي اللجـنة في شوارع تل ابيب ، بينما كانت سيارة اخرى تتعقبهم للتاكـد من عـدم وجود من يتابعهم ٠ ومن اجل سلامة افضل فقد بدلوا السيارات على الطريق ٠

وفي منزل « ياكوف كوهين » قابلتهم ومعي « ابراهام » و « شموئيل » وقدمت نفسي باسمي الحقيقي ٠ وضعنا « ساندستورم » على راس الطاولة

وبدا ان ضيوفنا قد هياوا انفسهم للقاء . لقد كان لدى الرئيس اسئلته المعده سلفا على الورق . كان هناك شيء من الدعابة حينما سالني فيما اذا كنت احمل رتبة جنرال ، وكان علي ان اشرح له بانني لا احمل اية رتبة رسمية بتاتا .

لقد كان الرجال الثلاثة الذين اجتمعنا بهم يختلفون عن بعضهم بعضا . قاض سويدي ، ودبلوماسي صيني ، ورجل دولة اميركي اسود . لقد كانوا جميعا شخصيات مهمة . لقد كان « ساند ستورم » رئيسا للمحاكم المختلطة في مصر لعدة سنوات . لم يظهر اي حماس شخصي لقضيتنا ، لقد كان رجلا واقعيا وفوق ذلك فانه لم يظهر اي تحامل ضدنا اما الدكتور « هو » فهو سفير صيني سابق في موسكو وقيل انه رجل ذو قدرة غير عادية . ومع انه لم يكن عضوا هي اللجنة لكنه اضيف الى امانة سر منظمة الامم المتحده . اما الدكتور « بنش » فقد اكتسب شهرة عالمية واسعة لتمثيله دور الوسيط بين العرب واليهود ، ولا شك انه لامع الذكاء .

واستمر الاجتماع اكثر من ثلاث ساعات . كان الاجتماع الاول بين ممثلي العمل السري وممثلي هيئة دولية . كان هناك لحظات من الانفعال وطبيعيا لحظات من الضحك والدعابة . وعندما تكلمت عن الحقوق التاريخية لشعبنا في ارض اسرائيل استرجعت مكرها حديثا اخر في « لوكشكي » . ولقد حرك ذلك مشاعري . سنوات قلائل مرت ووصلنا هذه المرحلة المتقدمة من النضال . واعتقد اني رفعت صوتي عندما طرقت موضوع معاملة الحكومة البريطانية لاسرى «الارغون» «دوف غرونر» ورفاقه الثلاثة الذين كانوا ينتظرون المشانق . مما لا شك فيه فان ضيوفنا تعاطفوا مع شعورنا ، ومن جهتنا نحن فقد ادركنا شعور ضيوفنا . لقد كان هذا هو لقاؤهم الاول مع الارهابيين .

وقد سال « ساندستورم » مرات اسئلة مركزة كسؤاله عما يمكن ان يحدث اذا هاجمنا العرب بعد جلاء البريطانيين؟ وكنت اعلم ان الحرب العربية اليهودية المتوقعة هي العذر الرئيسي الذي كانت تتذرع به الحكومة البريطانية لعدم جلائها عن البلد . واستمرت الى ان العرب لن يهاجمونا الا اذا شجعهم وساندهم طرف ثالث . ولكنني اكدت بأنه اذا ما هاجمونا فاننا سنضربهم بقسوة . في الحرب الحديثة الاعداد لا تقرر نتيجة الحرب وانما العقول والمعنويات . فيما يتعلق بالعقول بالنسبة لي فكانت ضرورة ماسة للتطور

والاتقان · اما فيما يتعلق بالروح القتالية فقلت : « لقد سمعتم عن مهاجمي سجن عكا · وقرأتم عن الرجال الذين ساروا الى المشانق · آمل ان تروا وتتكلموا الى الرجال المحكومين بالموت ؟ » ·

فسأل «ساند ستروم» هل كان «غرونر» ضابطا ذا رتبة عسكرية عالية في الارغون ؟ فقلت : لا لقد كان شخصا مدنيا · ولم يستطع القاضي ان يخفي اندهاشه ·

ولقد سأل الدكتور «هو» خلال المناقشات : افترض انكم حصلتم على فلسطين كدولة يهودية ، وجلبتم عدة ملايين من الناس ، ماذا انتم فاعلون بزيادة عدد السكان ؟ ان البلد صغير · ماذا سيحصل في مدى ثلاثمائة سنة ·

ولقد استعملت السؤال نفسه الذي سأله لأؤكد سخافة الخطة في اقامة دولة يهودية في جزء واحد من البلاد · ولكن «هو» حصل على الجواب الاساسي من «صموئيل كاتز» الذي قال له :

« انها مشكلة عالمية · ماذا تظن سيحدث في الصين في مدى ثلاثمائة سنة ؟ » ·

غير ان الدكتور « هو » انصرف عن الموضوع ·

خلال الاجتماع المطول كان الدكتور «بنش» يدون الملاحظات، كان يكتب كتابة عادية ولكن سرعته كانت مدهشة ومذهلة · وبينما كان يكتب كان يسأل اسئلة وثيقة الصلة بالموضوع · وبين الحين والاخر كان يهمس في اذن « ساندستورم » · وعندما قدم الدكتور « هو » الذي كان رئيسه رسميا اقتراحا عن طريق اخذ الملاحظات على الفور · رد عليه « بانش » : « لي طريقتي الخاصة ! »

تساءلت فيما اذا كان قد قصد بجوابه فقط الدكتور « هو » ام انه ايضا قصد ادارة الولاية ·

علي ان اعبر عن شكري وامتناني للدكتور «بنش» لكده واجتهاده في تجهيز تقرير الاجتماع بين ممثلي اللجنة الخاصة التابعة للامم المتحدة في

فلسطين والقائد واثنين من ممثلي منظمة « الارغون » . الذي ارسله الينا في غضون ثلاثة ايام للتصديق عليه .

ولقد سجل الدكتور « بنش » في تقريره فيض الاسئلة التي وجهت الينا بامانة واخلاص ، وشرحنا لاسس كفاحنـــا . اهدافـــه ونظرة « الارغون » لمستقبل ارض اسرائيل .

وقد جاء في الجزء الاخير من التقرير ما يلي :

«لقد سئل القائد اذا ما كان بالامكان سرد اسباب معارضة البريطانيين للوسائل التي تتبعها « الارغون » هل كانت لترغمهم على اجلاء جنودهم ، او اطلاق سراح السجناء اليهود ، واية اهداف اخرى . فأجاب : ان مـــا تحصل عليه « الارغون » راجع لطبيعة العمل والاداء . ان لدى البريطانيين اكثر مما لدينا من الجنود ولكنهم يعلمون باننا لا نحطم بسهولة . وما نريده هو الجلاء البريطاني الكامل واقامة حكومة مؤقتة وتاسيس الدولة اليهودية. وقال ان البريطانيين سبق واعلنوا للعالـــم انهم هنـــا لحماية اليهود من العرب . ولكن الجنرال « واركي » قال للجنة التحقيق الانكلو ـ اميركية انه لو ترك البريطانيون فلسطين فسيحتلها اليهود فييوم واحد ويذبحون العرب. اي انه في هذه الفترة يريد ان يحمي العرب من اليهود » .

وردا على تصريح سال القائد السؤال التالي : كيف نستطيع ان نقاوم اذا لم نحصل على دعم الشعب اليهودي في وجه الاعداد الكبيرة من الشرطة والجنود البريطانيين ؟ ولدينا الاقتناع بأنه يجب ان نقاتـل والا فان الشعب اليهودي سوف يدمر . لسنا مقاتلين محترفين، ولا نستمتع باطلاق الرصاص. تذكر اننا فقدنا ستة ملايين يهودي . وكل روح يهودية غالية علينا . ولكننا نقاتل من اجل هدف ! وهذا الهدف هو تجنب الخنوع والدمار التام .

ومما لا شك فيه فان الغالبية الساحقة للشعب اليهودي مؤيدة للنضال. وعندما كانت تسنح لليهود الفرصة لاظهار دعمهم فانهم كانوا يستغلونها .

ولقد صرح القائد ان اعضاء الارغون يعتبرون انفسهم مقاتلين شرعيين يمارسون قتالا شرعيا ، ويعتبرون وجود البريطانيين غير شرعي . ولقـــد صرح ان «الارغون» فقدت كثيرا من رجالها ما بين قتيل وجريح وانها تعتبر

هذا كنتيجة لا بد منها لعملياتها · وقال ان البريطانيين اعدموا اربعة من اعضائها · على اية حال فان « الارغون » لم توقف نشاطاتها نتيجة لهذا · ولقد كبدت العدو الخسائر الفادحة · ولكن الثمن لم يدفع بعد · بعد عمليات الاعدام جاءت عملية عكا · وكما قال فان ما حدث في عكا كان عملا بطوليا فذا · وان القتال سيستمر ، ان اقتراح البريطانيين بأنهم سيكونون مستعدين للتغاضي عن تنفيذ حكم الاعدام في اعضاء « الارغون » اذا ما توقفت « الارغون » عن القتال هو ابتزاز سخيف ·

ولقد سئل القائد عنموقف « الارغون » بالنسبة لمناشدة الجمعية العامة بالموافقة على الهدنة خلال فترة استقصاء الامم المتحدة · فأجاب : انه فيما يتعلق بهذه المناشدة فان « الارغون » قد ارسلت الى اللجنة وثائق مقنعة وصرحت علنا بانها مستعدة لايقاف العمليات خلال هذه المدة · ولكن فقط شرط ان يوقف البريطانيون اعمالهم القمعية ايضا خلال هذه الفترة · وللاستشهاد على هذا الشرط فقد جلب انتباهنا الى استعمال البريطانيين للقوات الجوية والبحرية لتعترض السفن المحملة باليهود الراغبين في القدوم الى فلسطين، واشاعة احكام الموت· وعمليات التفتيش وفرض حظر التجول· وقال انه يجب على البريطانيين الكف عن هذه الاعمال القمعية اذا ما ارادوا من « الارغون » ان تحافظ على الهدنة · ان التوقف عن العمليات من جانب واحد هو امر مستحيل ·

ولقد صرح مباشرة انه اذا ما اعدم البريطانيون رجال « الارغون » ، فان « الارغون » ستعدم الجنود البريطانيين بالشنق · وقال : ان رجال « الارغون » هم مقاتلون شرعيون · وقال ان « الارغون » مقتنعة كل الاقتناع بأنها تقاتل فقط من اجل استقلال فلسطين ·

وردا على سؤال اجاب القائد : ان اللجنة الانكلو ــ اميركية لم تتصل بالارغون · وقد ارسلت مذكرة الى الاعضاء الاميركيين ، ولم ترسلها الى الاعضاء البريطانيين · واضاف ان بعض الافراد من الاعضاء الامبركيين في اللجنة الانكلو ــ اميركية حاولوا الاتصال بالارغون ، ولم يكن ذلك بالامكان في ذلك الوقت لاسباب امنية ·

ثم بين ان منظمة « شتيرن » قد انبثقت من « الارغون » وبرزت كمنظمة اعتقد الجميع يومها ان سبب الانفصال هـو « ابراهام شتيرن » عضو هيئة قيادة الارغون وقتئذ الذي عارض قرار « الارغون » بمهادنة هتلر ايام الحرب· لكن الاعتقاد لم يكن صحيحا فقد وافق شتيرن على هذا القرار كغيره مـن اعضاء مجلس القيادة · ان الانفصال حدث بعد سنة من ذلـك التاريـخ · واضاف ان العلاقات طيبة بين « الارغون » و « شتيرن » وان الارغون هي الاكبر ولكنه لا يستطيع ان يقول انها اعظم من شتيرن ·· »

وفي نهاية الاجتماع اعلن الرئيس انه لن يكون هناك اي اعلان بشأن هذا الاجتماع · فأجاب القائد : « الارغون دائمـا تفي بوعدهـا · اسألوا البريطانيين فيخبرونكم » ·

اما النتائج غير الرسمية للاجتماع فلم يتضمنها تقرير الدكتور « بنش » ولقد قال الدكتور « ساندستورم » : « اني اسف لعدم تمكن الاعضاء الاخرين في اللجنة من الاجتماع بكم» · وقال الدكتور «هو» : «الى اللقاء في فلسطين مستقلة » · اما الدكتور «بنش» فقد كان اكثرهم حماسة فبعد ان شـد على يدي قال بعاطفة : «اني افهمكم ··· فانا ايضا من فئة مضطهدة» ·

وقد قررنا ان نترك امر الاجتماع سرا · ووعد «كارتر دافيد سون» الا ينشر شيئا عن الاجتماع في صحيفته · ولكن احد اعضاء اللجنة تحدث الى عضو اخر عن هذا الاجتماع في مقهى «بلز» فسمعهم بعض الصحفيين وذاع الخبر وهرع «كارتر» الى «ساندستورم» طالبا منه السماح بنشـر جميـع ما دار في الاجتماع · ولكن «ساندستورم» اصر على الرفض وعلى الاثر اصدر تكذيبا رسميا ·

وفي اليوم التالي وزعنا تعميما داخليا الى اعضائنا اخبرناهم فيه ان خبر الاجتماع صحيح ثم عدنا الى صمتنا ·

وهاجمت الحكومة البريطانية الفضيحة التي احدثها خبر اجتماعنا بممثلي الامم المتحدة ، وتعرضت للاسئلة المحرجة والقاسيـة في البرلمـان البريطاني ·

- ٢ -

لقد كنا سبب فضيحة ثانيا عندما قابلنا ممثلي امريكا الجنوبية في لجنة الامم المتحدة برئاسة الدكتور «جريندادوس» من غواتيمالا ، والبروفسور «فبريكان» من الارغواي ٠

لقد كان ذلك الاجتماع وديا وحارا حقا ٠ «فبريكان» و«جريندادوس» كانا الى حد ما رفاق سلاح ٠ ولقد اخبرانا في مستهل الاجتماع عن جهادهما السري وعن ايام نفيهما وتشريدهما ٠ «جرينادوس» هو ابن ابطال وطنيين من غواتيمالا ٠ وقد حكم على الابن في وقت ما بالموت بوساطة حكام الشعب، وقد ساعده ابوه على التحرر ٠ وكان مضطرا للهرب من مخبأ الى اخر من الاعداء ٠ وبعد عدة سنوات من المعاناة عاش ليرى تغيير النظام وليصبح سفيرا لبلده في الولايات المتحدة وممثلها الدائم في منظمة الامم المتحدة ٠ وكان «جريندادوس» متاثرا بدون شك بالنضال اليهودي من اجل التحرير ، وثانيا لمحاربتنا الانكليز ٠ و«فبريكان» كان صديقا طبيعيا لقضيتنا ٠ فقد امضى عدة سنوات في المنفى في البرازيل قبل ان يقطف ثمار جهده ومعاناته٠

ان شعوب اميركا الجنوبية تعرف كيف تحب وكيف تكره ٠ فهي شعوب كريمة ومضيافة ٠ ان اخبار نضالنا ضد الحكم البريطاني ، كانت تصل القارة كلها ٠ ولقد كانت شعوب امريكا الجنوبية تنظر الى ثورتنا بتعاطف شديد ٠

عقد الاجتماع في منزل صديقنا «اسرائيل واكس» الدافىء المريح ٠ ومرة اخرى نظم «يول» رحلة للزائرين عبر شوارع تل ابيب قبل ان يأتي بهم الى احد المخابىء السرية ٠ لم تكن في الحقيقة اكثر من غرف عادية وضعت تحت تصرفنا من جانب اصدقاء شجعان ٠ وقد ساد الاجتماع روح التآلف٠

ودار جدل سياسي بيننا وبين «جريندادوس» حاولت فيه ان اقنعه بأنه هو و«فبريكان» كأصدقاء لشعبنا يجب الا يطالبا فقط بجلاء البريطانيين بل باقامة دولة يهودية في ارض اسرائيل كلها ٠ ومما قلته : «ان البريطانيين

والعرب لهم من يتبنى اراءهم في اللجنة ، اما نحن فليس لنا احد ، فأنتما من اصدقائنا ، وعليكما ان تواجها المطلب البريطاني بجعل فلسطين انكليزية والطلب العربي بجعل فلسطين عربية ، بطلب معارض بان تكون فلسطين يهودية .

ولم يعد «جرينادوس» بشيء . بل قال : «انه يعتقد ان اللجنة ستقترح انهاء الحكم البريطاني في فلسطين وعليهم ان يأخذوا بعين الاعتبار وجود العرب في فلسطين . ولا يستطيعون ان يكونوا متحيزين لجانب واحد» . واضاف والابتسامة على وجهه : انه يبدو غريبا ان اطلب انا و«فبريكان» اكثر مما طلبه شرتوك . وانتم تعلمون كما نعلم ان الوكالة اليهودية تقترح التقسيم » .

وعندما انتهى الاجتماع تصافحنا بحرارة كأعضاء عائلة واحدة ، عائلة المقاتلين من اجل الحرية . وبينما كانا يهمان بالذهاب قال «جرينادوس» لي : هل تخبرني مع من كنا نتحدث الليلة ؟ نحب ان نتأكد اننا كنا نتكلم الى ممثلين رسميين للارغون» .

لقد كان على صواب . لم نقل شيئا في بداية الحديث ، وذلك لسبب بسيط هو اعتقادنا ان «يول» قد اطلعهم على انني سأكون حاضرا . والظاهر ان «يول» كان يطبق قوانين المنظمة حرفيا . لم اجد سببا للاخفاء عن «جرينادوس» و«فبريكان» ما كشفناه «لسندستورم» .

اجبت «جرينادوس» : «لا استطيع ان اخبرك اسماء زملائي . كما ان اسماءهم لا تعني لكما شيئا . ان اسمي معروف ولذلك لن اخفيه عنكما . وعندما قلت لهما اسمي ، تراجع «جرينادوس» الى الوراء وهو يقول بصوت عال : «اذن انت الرجل !» . فابتسمت ، لم يبتسم «فبريكان» بل وضع يده على كتفي وهزني كما يهز شخص اخيه الاصغر وقال شيئا بالاسبانية . فقلت : «نحن اخوة سلاح كما ان جميع المقاتلين في العالم من اجل الحرية هم عائلة واحدة» .

وبعد عدة مصافحات تبادلنا عبارات الود والصداقة ، وانطلق «يول» بضيوفنا .

طريق النصر

في فترة اقصر بكثير مما كان يتوقعه الكثيرون من اعضائنا نجحنا في تحطيم نظام الاحتلال وما وصف بالضبط «افلاس الحكم البريطاني في فلسطين» اما ذلك التحول التاريخي للحوادث فلم يكن نتيجة لعملية معينة بل نتيجة لسلسلة كاملة من العمليات التي قامت بها المنظمات السرية ٠

وفي هذه الخلاصة لن احاول ان اشغل نفسي بالتحليل ، ولكني سأترك الوثائق ، وخصوصا الوثائق البريطانية تتحدث عن نفسها ٠ انها تظهر ببلاغة كيف ان الحكومة البريطانية حاولت في الدور النهائي للثورة ان تنفذ ما تبقى لها في فلسطين وكيف ان الثوار اليهود نجحوا في احباط جهودها٠

وبعد اقتراح النظام الفدرالي ـ مشروع موريسون ـ الذي رفضه العرب واليهود معا ٠ اقترح «بيفن» خطة جديدة لحل مشكلة فلسطين ٠ لقد قدم في العاشر من كانون الثاني سنة ١٩٤٧ اثناء انعقاد المؤتمر الثلاثي عن فلسطين في لندن ٠ ولقد دعاه البريطانيون «الكانتونية» (تقسيم الى اقاليم او كانتونات) ، واقترح تقسيم البلد الى عدد من المناطق التي ستمنح قدرا كبيرا من الاستقلال في الشؤون الداخلية تحت اشراف الحكومة المركزية ٠ وتكون فترة الانتقال مدة خمس سنين ٠ وسوف يسمح لمائة الف يهودي بالدخول الى المنطقة اليهودية في خلال سنتين ٠ فتكون نسبة الهجرة الشهرية تعادل حوالي اربعة آلاف تأشيرة ٠ وبعد ذلك تخضع عملية الهجرة الى قرار من المندوب السامي البريطاني ٠

رفض العرب الخطة الجديدة كما رفضوا خطة موريسون سابقا ، وبدون تحفظ ٠ لم يوافقوا على اية هجرة يهودية ولا حتى بالنسبة لخطة تقسيم فلسطين ٠ وطالبوا بفلسطين مستقلة وعلى الفور ٠ الوكالة اليهودية

ايضا عارضت الخطة وفشل البريطانيون في الحصول على موافقة كلا الجانبين ، وهكذا فقد انهار المؤتمر ٠

لقد اخبرنا ان الوكالة اليهودية لم تعارض الخطة كمبدأ ٠ لم يقبلوا بالمساحة التي ستمنح لليهود ولا بخطط الهجرة ٠ واصرت الوكالة اليهودية على أن تستلم هي عملية توزيع التأشيرات ٠ ومع هذه التعديلات كانت الوكالة مستعدة للقبول بمشروع التقسيم ٠ وقد شرح «شرتوك» في مؤتمر صحفي عقده في ١١ شباط عام ١٩٤٧ ان الوكالة اليهودية طالبت بما يأتي:

اولا : منطقة يهودية كافية مع سيادة تامة ٠

ثانيا : الهجرة الى تلك المنطقة ٠

ثالثا : الاعتراف النهائي بدولة يهودية مستقلة على الاقل في قسم من ارض اسرائيل ٠

لم يفسر «شرتوك» ماذا كان يقصد بمنطقة كافية ٠ ومن جهة اخرى اوضح بجلاء ماذا كان يقصد «بسيادة يهودية تامة» ٠ وشرطه الثاني ان يكون هناك اتفاق على الهجرة الى المنطقة اليهودية ٠ واذا كانت السيادة اليهودية ستكون كاملة فلماذا يريد الموافقة البريطانية على الهجرة ؟ ٠

اما «موريسون» فقد قال : «ان اقتراحه باقامة اتحاد فدرالي قد يتحول اخيرا الى تقسيم نهائي فتصبح هناك دولة عربية واخرى يهودية» ٠

ولكن عناد اعدائنا انقذنا ٠ فقد صمم «بيفن» ان لا يسلم اربعة آلاف بطاقة للمهاجرين شهريا ٠ اما بالنسبة للعرب فكانوا يقولون ببساطة : «ان الارض كلها حتى تل ابيب» ٠ ولولا العناد العربي والبريطاني او العناد الانكلو ـ عربي لكنا الان نحن يهود فلسطين نعيش في «غيتو موريسون» ٠

في ١٤ شباط عام ١٩٤٧ انتهى مؤتمر لندن ٠ اخبر «بيفن» العرب انه لم يظهر كلا الطرفين ميلا للتسوية ٠ وان مشكلة فلسطين سوف تحال الى الامم المتحدة ٠

والقى «بيفن» بيانا مطولا في مجلس العموم عن رفض العرب واليهود

للمقترحات البريطانية ، وعن قراره باحالة المسألة الفلسطينية الى الامم المتحدة في ايلول المقبل · وناشد جميع الفئات المحافظة على السلام في فلسطين حتى تقرر الامم المتحدة · واعلن ان الهجرة اليهودية ستستمر بمعدل الف وخمسمائة مهاجر في الشهر ·

نهض «ونستون تشرشل» ليحتج ضد هذا التأخير متسائلا اذا ما كان يقصد بذلك ان تستمر بريطانيا في عبء المحافظة على مئة الف جندي في فلسطين يكلفونها من ثلاثين الى اربعين مليونا من الجنيهات · وقال «تشرشل» انه يفترض التوصل الى قرار في هذه القضية في اقل من سنتين ·

لقد كان كل فرد يعلم ان «بيفن» يريد كسب الوقت · وفي ٢ شباط شرح وزير المستعمرات ان اجتماع الامم المتحدة لا يعني ان بريطانيا ستتخلى عن الانتداب ، انها فقط تطلب استشارتها في كيفية ادارة البلاد المنتدبة ·

ولكن في اول آذار مزقت «الارغون» حسابات «بيفن» بموجة قوية من الهجمات · ففي القدس اخترقنا منطقة حراسة الجيش البريطاني ونسفنا نادي الضباط المحاط بالحرس وبالاسلاك الشائكة · وتكبد البريطانيون خسائر فادحة ·

وبعد ساعات ، في مساء ذلك السبت ، نفذت وحدات قواتنا الصدامية عشر هجمات في جميع انحاء البلاد بما فيها معسكر البحرية في حيفا ، معسكرات الجيش في بيت ليد ورحفوت ، والطرقات العسكرية في مناطق طولكرم وكفار سركين وكريات حاييم · كل هذه العمليات كانت ناجحة · ولقد صعق العدو من هذه الضربات القاسية ·

افاد مراسل «هآرتس» من لندن «ان الهجوم على القدس جاء صدمة للندن في عطلة نهاية الاسبوع · لقد طبعت صحف المساء نسخات اضافية بعناوين كبيرة · واكدت الصحف انها المرة الاولى التي يقوم فيها الارهابيون بعملياتهم يوم السبت واكدت ان الهجوم نفذ داخل المنطقة الامنية · وكتبت «الصانداي اكسبرس» تقول : «ان على بريطانيا ان تخرج من فلسطين وتبقى بعيدة عنها» · ومضت صحيفة قائلة : «ولكن بريطانيا ليست المانيا النازية ، فهي لا تستطيع ان ترد على الارهاب بالارهاب · ولكننا نستطيع ان نطبق العدالة بالقوة والثبات ، وعلينا ان نفعل ذلك بدون تأخير» ·

وبعد اربع وعشرين ساعة من هجماتنا اعلنت الحكومة حالة الطوارىء في البلاد · ونفذت الخطة التي قالت السلطات ان الفيلد مارشال مونتغمري وضعها · اما الخطوط الرئيسة لهذه الخطة فكانت :

١ ـ وضع المنطقة المتعلقة بالحادث تحت اشراف الجيش ، ويصبح الضابط الفرعي للمنطقة حاكما عسكريا لها ·

٢ ـ تقفل جميع المكاتب الحكومية وتعلق جميع خدماتها ·

٣ ـ تلغى المحاكم المدنية ·

٤ ـ يعقد مجلس عسكري بامر الحاكم العسكري ·

٥ ـ يعطى الحاكم العسكري حق اغلاق البنوك ·

٦ ـ تحدد الخدمات الهاتفية بقائمة يوافق عليها بوساطة الحاكم العسكري

٧ ـ تعلق الخدمات البريدية بشكل عام ·

٨ ـ يحق للحاكم العسكري مصادرة الاموال والاراضي ووسائل المواصلات ·

٩ ـ يحق لاي جندي ان يعتقل ايا كان ·

١٠ ـ لا يسمح للسيارات ان تمر عبر المناطق الا باذن خاص ·

١١ ـ يحق للقادة العسكريين اقامة المحاكم للبت في القضايا الملحة السريعة ·

١٢ ـ توضع الشرطة تحت امرة الحاكم العسكري ·

في الثالث من آذار استمع مجلس العموم البريطاني الى بيان جديد القاه وزير المستعمرات عن الثورة في فلسطين · ولقد اوضح «كريتس جونز» ان الحكومة البريطانية وافقت على فرض الحكم العسكري في بعض المناطق وان السلطات في فلسطين سوف تلاقي دعم الحكومة في اية عمليات اضافية تبرهن على انها ضرورية» ·

فنهض «كريتس جونز» ليسأل : لماذا يظن بان الاساليب المقترحة هي

اكثر فعالية من تلك التي اتخذت في اوقات مختلفة خلال الشهور الاثني عشر الماضية بعد ثورات مشابهة» ؟ ٠

اجاب وزير المستعمرات «ان ما حدث الان هو اعلان حالة الطوارىء القانونية ٠ لم تكن جميع المنطقة محاطة بالجند والشرطة فقط بل كانت هناك حملات تفتيشية مكثفة ٠ وعلق القانون المدني لفترة» ٠

ولكن لم تكن لهذه الاسئلة وهذه الاجوبة الاهمية كما كان للنقاش الذي دار في مجلس العموم نتيجة لضرباتنا في الاول من اذار ٠

وتصف وكالة « رويتر » المناقشات في مجلس العموم قائلة :

«صرح ونستون تشرشل بغضب طالبا ان يعرف الوقت الذي ستستمر فيه هذه الحالة القريبة من حالة الحرب في فلسطين حتى يتخذوا قرارا حاسما في الموضوع» ٠

واجاب «كريتس جونز» : «ان الحكومة واعية تماما للوضع المتأزم في فلسطين وسوف تتخذ كل الخطوات اللازمة لوضع حد للوضع المأساوي باسرع وقت ممكن» ٠

لم يقتنع تشرشل بهذا الجواب ٠ بل استمر يصرخ متسائلا : «الى متى ستستمر هذه الحالة ؟ أليس هناك وسائل للاسراع في رفع هذه القضية الى الامم المتحدة ؟» ٠ فأجاب «كريتس جونز» : «ان ذلك مسألة اخرى ٠ ان الحكومة واعية للحاجة الملحة للامر ٠ ولقد اتخذت الخطوات المناسبة للنظر في امكانية الاسراع في القضية» ٠

ولم يكتف تشرشل بذلك بل استمر يسأل : «متى تستطيعون اعلامنا نتيجة هذا الاتصال بهيئة الامم للتعجيل بعرض القضية ؟» ٠

اجاب «جونز» : «لا استطيع ان اعطي جوابا في هذه اللحظة ، ولكني استطيع ان اؤكد له باننا نقوم باستقصاءاتنا في نيويورك باقصى سرعة ممكنة ٠ وآمل ان نتمكن من ذلك خلال اسبوع» ٠

وهكذا بدا واضحا ان هجمات «الارغون» المدروسة التي نفذت في

اول ابعام ١٩٤٧ حركت عجلة السياسة البريطانية والدولية وبدأت الصحف البريطانية تطالب بالتعجيل في رفع الامر الى هيئة الامم ٠ وفي الرابع من آذار اعلن في لندن ان الحكومة بعثت برسالة مستعجلة الى «تريجفي لي» تقترح فيها انشاء لجنة خاصة لدرس قضية فلسطين قبل الخريف المقبل الذي تعقد فيه هيئة الامم اجتماعها ٠

ولم يدع تشرشل الحكومة تستريح ٠ وحتى في مناقشة قضية الهند اثار قضية فلسطين ولاحق بها الحكومة ٠

وفي الوقت نفسه استمرت السلطات البريطانية في محاولة انقاذ سمعتها ٠ فاستمر الحكم العرفي في القدس ، ومنطقة تل ابيب ، وبتاح تكفا، لمدة خمسة عشر يوما ٠ وكانت الحكومة تهدف بعملها هذا الوصول الى هدف «اقصى» وهدف «ادنى» ٠ اما الهدف الاقصى فهو ان ترى زعماء العمل السري معلقين على اعواد المشانق وجنودهم معلقين في اللطرون ٠ اما الهدف الادنى فكان ان يثبتوا انهم باعمالهم هذه سيشلون العمل السري٠

ولذلك قررنا ان نبذل كل ما بوسعنا لاحباط خطة مونتغمري ٠

وواصلنا العمل في تلك الفترة بالذات مع منظمة «شتيرن» ، وكنا نقوم بالهجوم تلو الاخر ٠ ولم يتحدث «البريجادير دافيز» وحده عن هجماتنا على معسكر «شنللر» ، بل تحدثت جميع الصحف الاميركية والبريطانية عن تلك الهجمات ٠

٠ في تلك الايام العصيبة وبعد أية عملية كنا لا نسمح لرجالنا بالعودة الى بيوتهم ، بل كنا نطلب اليهم ان يتفرقوا جماعات صغيرة في الحقول والغابات ويهاجموا العدو في الاماكن التي يتوقعها ٠ ولذلك شعرنا بلذة الانتصار عندما عادت السلطات البريطانية مرة اخرى الى الاحكام العرفية٠

وبعد محادثات طويلة بين لندن وواشنطن ، ولايك ساكس ، وموسكو ، وباريس وشانكنج ، وفي اعقاب طلب بريطانيا من «تريجفي لي» التعجيل في عرض قضية فلسطين على هيئة الامم المتحدة ، وبعد معارضة روسيا ، ومصر ، وبعض الدول الاخرى التعيين الاعتباطي للجنة التحقيق ، طالبت بعقد جلسة خاصة لهيئة الامم لبحث هذه القضية العاجلة٠ ارسل «تريجفي لي» رسالة سريعة واعلن فيها ان هيئة الامم المتحدة ستبحث قضية ارض اسرائيل في جلسة خاصة يوم ٢٨ نيسان ١٩٤٧ بدلا من الدورة العادية في ايلول ٠

على عتبة التاريخ

هنا يجب التوقف لحظة · فنحن على عتبة تحول مصيرية في تاريخ ارض اسرائيل · ان اصرار «بيفن» العنيد انه لا يستطيع تصور الامم المتحدة قادرة على النظر في قضية فلسطين قبل ايلول لم يكن مجرد ملاحظة عابرة · لقد كان يناور ، واراد ان يكسب الوقت اذا كان ذلك ممكنا · بحيث تتاح له فرصة اجراء اتصالات مع الولايات المتحدة وحكومات اخرى · وقد يصل الى اتفاق مع الولايات المتحدة حول ارض اسرائيل اذا كان لديه الوقت الكافي · والاكثر من ذلك فان العرب يستطيعون في هذا الوقت ان يتسلحوا ويقووا انفسهم عددا وعتادا · فماذا يكون موقفنا في حال هجومهم؟

وقد يقال ايضا بان اليهود قد يستغلون الوقت ويزيدون من تسليحهم ويكثفون عملياتهم العسكرية · ولكني اعتقد ان لا اسس متينة لهذا الاعتقاد · فقد بقي زعماء اليهود يعتقدون حتى اللحظة الاخيرة ان القضية ستحل بسلام وان بريطانيا ستكون في صفنا · ان القادة اليهود لم يستيقظوا من احلام اليقظة والخيال · فقد اوهموا انفسهم بالاعتقاد بان التقسيم سوف يعمل به · وفي كانون الثاني عام ١٩٤٨ عندما كانت المعارك مشتعلة بين العرب واليهود اخبرني احد اعضاء الوكالة اليهودية البارزين: «لسنا متأكدين اذا كان البريطانيون معنا او ضدنا» · وفي ٢٢ ايار عام ١٩٤٧ ناقش بن غوريون في خطاب طويل المطلب باقامة دولة يهودية في جميع ارض اسرائيل الغربية قائلا : «ان المطلب باقامة دولة يهودية في جميع انحاء ارض اسرائيل الغربية هو مطلب غير عملي وبان لي انه يجب ان نطالب بدولة يهودية في قسم من ارض اسرائيل تاركين للانتداب القسم الثاني» · وهكذا ايضا غذى القادة اليهود وهما اخر هو ان قوة عالمية ستنتدبها الامم المتحدة لفرض التقسيم بالقوة · وقد ايدت الوكالة اليهودية في مذكرتها لمجلس الامن ،

الاقتراح القائل بتاليف لجنة من الامم المتحدة لتساعد على تنظيم قوة دولية لفرض قرار التقسيم ٠

وهكذا نرى ان القادة الرسميين تخبطوا في بحر من الاوهام ٠ لهذا لا يملك التكهن انه خلال سنة اضافية هل سيكون اليهود وهم تحت قيادة مضللة عمياء قادرين على القيام بالاستعدادات العسكرية اللازمة ؟ ٠ لقد استفاد العرب من فرصة الوقت كما فعلوا من تسليح الانكليز لهم في عمان وبغداد ودمشق وبيروت ٠ ان الاجيال القادمة سوف تعلم اننا احدثنا نقطة تحول في تاريخ شعبنا في يوم السبت المشرق في الاول من اذار ٠ لقد حرمنا العدو من الوقت الذي قد يفيد منه باستعداداته السرية ٠ لقد سبقنا الحوادث سنة كاملة ٠ ان الشعب اليهودي يدين بالعرفان وبالجميل لابنائنا في القوة الصدامية في منظمة «الارغون» الذين هاجموا في الاول من اذار استراحة في «القدس» ، وفي اليوم الثاني وجهوا الضربة القاسية في «بتاح تكفا» ، التي تردد صداها في لندن وواشنطن وموسكو وباريس ٠

- ٢ -

ما هي الحجة التي سيتسلح بها ممثلو البريطانيين عندما تبحث قضية فلسطين في هيئة الامم يوم ٢٨ نيسان؟

لقد كانت الحكومة فيحال استسلام كامل «للارهابيين» ٠ لقد اراد «بيفن» مناقشة المسألة في ايلول ، ولقد اجبرته «الارغون» ان يبدأ النقاش في نيسان ٠ فرض « مونتغمري » الاحكام العرفية فهزمت المنظمات السرية الجنرال «» مونتغمري » ٠ رفع « باركر » سوطه فجلد ضباطه فوضعت الحكومة البريطانية نفسها هدفا للسخرية واللوم والاحتقار ٠ ولقد تساءل الناس بلغاتهم المختلفة : «اي نوع من الحكومات هذه ؟ كيف تستطيع ان تحافظ على فلسطين؟» ٠

وماذا قال «كريتس جونز» نفسه ؟٠

لقد قال لمجلس العموم البريطاني عند رفع الحكم العرفي عن فلسطين : « لم نكن نتوقع ان نضع حدا للارهاب » ٠

وهكذا فقد قررت الحكومة البريطانية العمل ٠ لقد هزموا في المعركة ٠ ولكن المشانق لم تزل تحت امرتهم ٠ فقد قرروا ان ينقذوا هيبة نظامهم الممزقة بوساطة حبل الجلاد ٠ ففي صباح ١٧ نيسان ١٩٤٧ نفذوا حكم الاعدام برجال «الارغون» بسرعة محمومة ٠ لقد بات واضحا اليوم سبب سرعتهم تلك ولماذا راوغوا ، ولماذا اساءوا الى شعبهم وجعلوه ينتظر صدور حكم المحلفين في مجلس الشورى ؟ لم يكن لديهم الوقت ففي ٢٨ نيسان ستعقد الدورة الخاصة لهيئة الامم المتحدة ٠ لقد ارادت ان تقنع العالم ان يد الحكومة البريطانية لا تزال قوية ومؤثرة ٠

وهكذاعندما تنعقد الجلسة بعد عشرة ايام لن يقول احد ان بريطانيا استسلمت للارهابيين ٠ ولم يكن هؤلاء الاربعة هم الوحيدون فقد تقرر ان يتبعهم يوم ٢٥ نيسان اثنان اخران ٠ لقد نصبت المشانق لكي تحقق «سلطة العزم والثبات» كوسيلة وحيدة لفرض سياسة الحكومة ٠

ولكن في الرابع من ايار وفي الوقت الذي كانت هيئة الامم تبحث عما اذا كان من الممكن دعوة ممثلي اليهود للحضور ، افسدنا خطط «بيفن» ٠ اذ شقت قواتنا الصدامية طريقها الى قلعة عكا ٠

وقد اجمعت الصحف الداخلية والدولية ان هجومنا على هذه القلعة كان ضربة قاصمة للهيبة البريطانية بعد اعدام الشبان اليهود الرامي الى اظهار الحكومة بمظهر القوي المهاب ، وفي ٦ ايار قال مراسل صحيفة «هآراتس» في هيئة الامم : «ان هجومنا على قلعة عكا احدث ضجة هائلة في هيئة الامم» ٠

ولقد اصابت الفوضى الدوائر السياسية في لندن ٠ ففي مجلس العموم قام احد الاعضاء وهاجم بعنف : «لم يحدث مثل هذا الشيء في تاريخ الامبراطورية البريطانية» ٠ وفي ١٣ ايار نبه الجنرال «رونز» الحكومة البريطانية الى تهديدات «الارغون» ضد الجنود البريطانيين ـ كان يشير الى بياننا في ان اي جندي بريطاني يقع في ايدينا سوف يحاكم امام محكمة عسكرية ميدانية ـ فأجاب المتحدث الرسمي باسم وزارة الحرب بان السلطات الفلسطينية اعلمت وزارة الحربية بهذه التهديدات وفي الحال ناشد اليهود المساعدة ٠ وقال : «اني متأكد بان كل اليهود المسؤولين يرغبون في فصل

انفسهم تماما عن هذا التهديد ، ان اقوى الاجراءات سوف تتخذ لتقديم اي ارهابي للعدالة يحاول خطف جنود بريطانيين وقتلهم وهم يقومون بواجباتهم».

وفي الرابع من حزيران اكد مصدر بريطاني افلاس الحكم البريطاني في فلسطين . ففي ذلك اليوم نشر تقرير عن الهجوم الذي تم على قلعة عكا بوساطة المندوب السامي . وقد كتب الجنرال «كانغهام» يقول :

«لن تستطيع القوات الكثيرة ان تؤمن سلامة الابنية والجسور وطرق المواصلات وغيرها . ان الدفاع القائم في اي وقت وفي اي مكان عن هذه الامكنة كلها لن يفيدنا في الواقع بشيء» .

«ان وضع المتفجرات تحت الحائط والانسحاب تحت ستار الدخان خطة المانية نجح تنفيذها منذ سنة ١٩٤٠ ضد حصون اوروبا . ويستطيع اليهود ان يستعملوا هذه الطريقة بل ويستطيعون ان يكونوا اكثر نجاحا في حماية سكانها اليهود وفي عدم تمييز الارهابيين عنهم» .

«كما سبق واكدت فان قلم الاستخبارات يعمل تحت ظروف صعبة في فلسطين . وانا لا استطيع ان اقول ان قلم استخباراتنا قد فشل فشلا ذريعا، او اقارن الحال اليوم بحال البنغال منذ ثلاثين سنة . انما يجب التفكير دائما ان الارهابيين في فلسطين يتدربون على اعمال المقاومة التي قامت في اوروبا خلال الحرب العالمية الثانية» .

ومرة اخرى عادت الحكومة واستعملت حبل المشنقة لانقاذ هيبتها التي اقتربت من علامة الصفر . فقد حكم على ثلاثة من مهاجمي سجن عكا بالموت . لقد اراد «بيفن» ان يبرهن ان سلطة الحكومة ما تزال قائمة .وكما قالت صحيفة «ديلي تلغراف» : «سوف يحاولون بجميع الوسائل المتوفرة لديهم سحق الارهاب» .

ولكنهم فشلوا فشلا ذريعا . ولم يفطنوا الى ان مرساة الامل اصبحت فخا مميتا . ففي ٣٠ تموز ومع بدء تنفيذ انذاراتنا بالشنق المضاد اصاب الامبراطورية البريطانية الذعر . وعلت صرخة قوية في بريطانيا وسط اللعناة والشتائم على الارهابيين : «فلنخرج ! ... يجب ان نخرج من فلسطين ! اخرجوا جنودنا من فلسطين» .

وفي ١٢ ايلول اعلن وزير المستعمرات البريطاني انه اذا لم تجد الامم المتحدة حلا مقبولا يرضي الجانبين ، العرب واليهود ، فان البريطانيين سوف يجلون قواتهم عن فلسطين · وفي اليوم التالي افادت صحف العالم بان الاعلان عن الجلاء قوبل بارتياح بارز من قبل جميع فئات الشعب البريطاني ·

ولقد كان ذلك الاعلان مناورة جديدة · لقد كانت الحكومة تامل ان تؤثر على الولايات المتحدة وبلدان اخرى وعلى العرب واليهود · لماذا لا يكون هناك اتفاق على حل ؟ لماذا لا نحصل على مشاركة امريكا في المسؤولية ؟ ولكن المناورة فشلت · وبقيت كلمة «الجلاء» عالقة في الاذهان· ان القانونيين يعرفون مبدأ «قانون الحياة» في التشريع · اذ ان كل قانون هو ثمار افكار الانسان وجهده · ولكن ما ان يصدر القانون حتى ينقطع وينفصل عن صاحبه كما ينفصل الرجل الناضج عن والديه ، اذ يبدأ القانون فمع كونها وضعت لاهداف محددة ، الا انها تحرك قوى خفية لم يكن قائلوها وضعه صاحبه ·

ان هذا القانون بالذات ينطبق على التصريحات السياسية التاريخية · فمع كونها وضعت لاهداف محددة ، الا انها تحرك قوى خفية لم يكن قائلوها قد فكروا بها · وفي تقرير الجلاء عن فلسطين كان لبريطانيا اهداف كثيرة ، الا ان كلمة «الجلاء» نفسها بدأت تأخذ طابعا حياتيا منفصلا ، ولن يستطيعوا التراجع عنه بعد الان · ان روح السلطات البريطانية في ارض اسرائيل كانت متعبة ، متعبة جدا ، ولم تعد قادرة على تجديد لعبة الرعب في النهار والخوف في الليل ، والسجون ، والهجمات المفاجئة ، والجلد والشنق · ولقد تفشت فوضى الجلاء بين عشرات الالاف من الجنود في جيش الاحتلال بين عشية وضحاها ·

وعم الفرح الجنود البريطانيين لدى سماعهم اخبار الجلاء كما فعل الشعب البريطاني · ولكن وزارة الخارجية البريطانية استمرت بالمناورة ، مدعية ان امريكا قد غيرت رأيها عدة مرات ، ثم طلبوا جلسة ثانية لهيئة الامم المتحدة اقترحوا فيها « نظام الوصاية » بدل التقسيم · واقترحوا ان تكون

بريطانيا هي الدولة الوصية ٠

ولكن هذه المناورات لم تكن لتنقذ الموقف ٠ لقد كانت الحكومة تعلم انه مهما كان اسم الحكم فانه لن يقبل ٠ وان المنظمات السرية ستستمر في ضربه ٠

وفي ١٥ ايار عام ١٩٤٨ صعد المندوب السامي البريطاني الى ظهر سفينة حربية بريطانية بينما قام حرس الشرف باداء تحية السلاح له وللعلم الذي انزل عن السارية ، وغادر البلاد ٠

لقد انتصرت الثورة ! ٠

خطر جديد

ان انعقاد دورة الامم المتحدة في خريف ١٩٤٧ دفعنا لتحذير شعبنامن الخطة السرية الرامية للضغط على العرب لمهاجمة اليهود • ففي ذلك الوقت مال معظم اليهود وحتى خارج القيادة الرسمية الى الاعتقاد بان قرار التقسيم سينفذ بسلام وان هيئة الامم المتحدة ستنفذه اذا اقتضت الضرورة ذلك • اما نحن فقد كنا نرى بوضوح الاخطار الجسيمة لهذا التفاؤل الساذج • لم نكن نؤمن بحسن نية الحكومة البريطانية ولا بجيوش مستر «تريجفلي» • فعاشا في مخيلة الكثيرين من الرسميين وغير الرسميين اليهود فاديًا الى اخطر المحن والبلايا •

في تلك الفترة يصعب على المرء فهم سبب ايمان الناس بهذين السرابين (نية الحكومة وجيوش تريجفلي) • ولكن العجب لا يغير الحقيقة • والحقيقة هي اننا حاولنا جهدنا وبجميع الطرق، ان نرشد الناس الى الطريق الصحيح• لا يمكننا القول اننا بذلنا جهدنا عبثا ، ولكني لا استطيع الادعاء من جهة اخرى، باننا حققنا النجاح التام• ولم يغير هذا الايمان الضائع الا الحوادث المريرة نفسها التي اوضحت نظرة الناس الى الافق الذي بدأت حمرته تصطبغ بالنار والدم •

في اول تشرين الاول ١٩٤٧ حللنا ومن خلال «صوت صهيون المحارب» ـ اذاعة العمل السري ـ التصريح البريطاني بالجلاء واحتمال تأليف قوة دولية لتنفيذ التقسيم ، فقلنا :

«ان بريطانيا تعلم ان الامم المتحدة ليس لها قوة عسكرية تابعة لها • وان الجمعية العامة تستطيع على الاغلب التوصية باقامة نظام دولي وقـوة شرطة دولية ••• ولكن هناك شيئا واحدا واكيدا هو ان قرار الجمعية العامة

لا يمكن ان يتجاهل الاتحاد السوفياتي ولن تمنع روسيا من الاشتراك في القوة الدولية · ان الاتحاد السوفياتي بعد ان ابعد عن اللجنة الخاصة للامم المتحدة للنظر في قضية فلسطين . بقرار خادع ومموه ، بحيث تقرر انه لا تشترك اي من الدول الكبرى في اللجنة · وبكلمة اخرى لا يمكن قيام قوة دولية بدون اشتراك روسيا . ولن تؤلف الولايات المتحدة قوة دولية لا تشترك فيها روسيا ···» ·

وفي الثاني عشر من تشرين اول ارتفع صوتنا المحذر مرة ثانية من الاذاعة السرية يقول :

«ان مؤامرة الحكومة البريطانية واضحة حتى ليكاد يراها الجميع · وحتى الان يريد منا اعداؤنا الموافقة على خطة بيفن ··· ان جيش الاحتلال سيجلو عن المناطق القريبة من الحدود العربية . لكي تسمح لعصابات «كويسلبنج» ان تقوي اليد الحديدية ضد شعبنا ، بينما يستمر الحصارُ البحري» ·

وفي ١٦ تشرين ثاني اي بعد اسبوعين من قرار الامم المتحدة بتقسيم ارض اسرائيل عدنا الى قرع ناقوس الخطر من خلال اذاعة العمل السري :

«ان بين الجماهير ثلاث نزعات خلفها زعماؤهم : الاولى هي الاعتقاد بان التقسيم ، اذا اقر من قبل ثلثي اعضاء هيئة الامم . سينفذ بهدوء وسلام· والثانية هي الاعتقاد بانه اذا احدث عملاء الانكليز حربا ضدنا على اثر قرار التقسيم فان لجنة هيئة الامم المتحدة التي تتمركز في القدس ستوقفهم عند حدهم · والثالثة هي الاعتقاد انه اذا لم يستطع ممثلو هيئة الامم المتحدة ان يكونوا ملائكة سلام فان مجلس الامن سيوقف الحرب بامر يصدره ·

«كل هذه الاوهام خطرة جدا · وهذا التفاؤل الرسمي لا اساس له من الحقيقة · فهناك الخوف الاكبر من انه اذا نمنا على هذا التفاؤل فسيأتي اليوم الفاصل الذي نقف فيه عاجزين بلا استعداد من النواحي النفسية والتنظيمية والعسكرية » ·

«لذلك يجب ان ننسى هذه الاوهام ونعلن للشعب الحقيقة · لان على الشعب ان يعد نفسه للحرب وليس للهدوء والسكينة ، للمعارك والتضحيات وليس للمواكب والاحتفالات» ·

وليكن واضحا ان مشروع التقسيم ليس مشروعا للسلام ، بالرغم من التخلي الاساسي عن الاراضي ، ذلك التخلي الذي لا يمتلك الشرعية • ان اقامة مثل هذا «الغيتو» داخل وطننا سوف يقام وسط لهب النار وانهار الدماء •••» •

وبعد يومين قام «صوت العمل السري» بالتحذير مرة اخرى :

«حتى انه مثل هذه الدولة الكاركاتورية سوف يدفع ثمنها غاليا بارواح افضل ابنائنا • ومن المؤكد ان ثمن فرض مشروع التقسيم لن يكون اقل مما سندفعه لتحرير وطننا كاملا •••» •

وفي ٢٧ تشرين الثاني فصلنا مرة اخرى خطة الحكومة البريطانية فقلنا :

«١ ـ الحصار البحري سيستمر •

٢ ـ لن يسمح بدخول المهاجرين او الاعتدة الحربية •

٣ ـ ستفتح الحدود حتى يتدفق المتطوعون العرب بسلاحهم البريطاني الى فلسطين ليهاجموا قرانا ومدننا •

٤ ـ يستمر جيش الاحتلال في المحافظة على المناطق الاستراتيجية حتى يمنع اليهود من اخذها» •

وفي ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ اقرت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة الاقتراح الرامي الى انشاء دولة يهودية ودولة عربية في ارض اسرائيل على ان تندمج الدولتان في وحدة اقتصادية وتنفصلان عن « القدس الدولية » • وفرح شعبنا فرحا كبيرا ولكن الارغون ذكرته بأن الوطن قد قطعت اوصاله وحذرناهم بأن الحرب تدق على الابواب • وقد اكدنا بادئ ذي بدء عقيدة المقاتلين السريين :

« ان تقسيم الوطن غير شرعي ولن يعترف به • ان توقيع المؤسسات والافراد على اتفاق التقسيم هو غير شرعي ولن يقيد الشعب اليهودي • ان القدس كانت وستبقى الى الابد عاصمتنا • ان ارض اسرائيل سوف ترد الى شعب اسرائيل •• كل الارض •• وللابد » •

وتابعنا في ايضاح وجهة نظرنا :

« ان التقسيم لن يضمن السلام في ارضنا فمن وجهة نظر العرب هناك امكانيتان : فاما ان يصمموا على تحطيم الحكم اليهودي ويحطموه ، واما ان لا يفعلوا شيئا من ذلك · ففي الحال الاولى سيحاربون حتى الدولة اليهودية الصغيرة المعطاة الينا بالتقسيم ·

اما في الحال الثانية فلن يحاربوا الحكم اليهودي ولو امتد الى كل ارض اسرائيل ·

ولكننا نجزم انه في حال وقوع حرب ـ وبريطانيا مصممة على ان ترى ذلك ـ فانها ستكون في سبيل حياتها ومستقبلها · وفي تلك الحرب ستتوحد جميع القوى اليهودية · ان تلك الحرب ستغير كل شيء » ·

وفي تلك الليلة وزعنا منشورا الى جميع اعضاء « الارغون » قلنا فيه انه بالرغم من ابتهاج الشعب للنتيجة الفاشلة يجب ان نقف لنقول له ان دولتنا لم تقم بل مسخت وان اقامة دولة اليهود الكبرى على كل ارض اسرائيل انما هو حلم الجيل اليهودي الطالع ·

لقد زاد قرار هيئة الامم بالتقسيم التفاؤل في نفوس اليهود · فبالرغم من ان العرب قاموا في اليوم التالي بهجمات واسعة وعنيفة علينا بقي انذارنا بالحرب صوتا ضائعا ·

وفي كانون اول عام ١٩٤٧ اخبرنا قادة الوكالة اليهودية بانهم يعتقدون انه في الاول من شباط سوف يفتح ميناء لنا تبعا للتوصيات التي تضمنها القرار الصادر في ٢٩ تشرين ثاني · ولقد اقنعت الوكالة بكل براءة اننا من خلال هذا الميناء الذي سيكون تحت امرتنا بشكل تام ، سوف نستطيع ان نحضر كميات كبيرة من الاسلحة والتجهيزات · وناضلت الارغون بكل قواها لاقناعهم بان بريطانيا لا تريد ان تساعدنا ابدا · واوضحنا لهم بانه اذا فتح البريطانيون ميناء لنا فان ذلك يكون تقديم المساعدة المباشرة لنا في نضالنا ضد العرب · ولكنهم لم يقتنعوا · وكانت النتيجة انه خلال شهري كانون الاول وكانون الثاني ضاعت منا فرص كثيرة لجلب الاسلحة والذخيرة مع ان فرص الحصول على الاسلحة كانت كبيرة · لقدكانا شهرين ثمينين وكان الثمن الذي

دفعناه لاضاعتهما غاليا ٠ فقد صرح احد ممثلي المؤسسات الرسمية الذي كان في عاصمة اجنبية لممثل الارغون : « لقد كان هذا اهمالا فظيعا ، ويجب ان يحاكم الاشخاص المسؤولون عن هذا الاهمال» ٠

وفي اوائل كانون الاول اذعنا نداء الى الشعب والذي اعتبره اهم النداءات الصادرة عن «الارغون» ولقد كان عنوانه : «نحن نحذر» وفيه قلنا :

« ان اعظم الاخطار التي تواجهنا هو اننا لم نقدر حجم الاخطار التي نتعرض لها ٠ يجب ان يعلم الشعب الحقيقة لان هذه المعرفة هي التي يمكن ان تجنبنا المحنة » ٠

« ان الحصار البحري سوف يستمر لخمسة شهور اخرى وبعدها لن يسمح البريطانيون للتعزيزات ، لا الرجال ولا العتاد الحربي ٠ سوف يسفك الدم اليهودي ٠٠ وسوف ينزع السلاح وتستهلك الذخيرة ٠ وسوف يقبض على المقاتلين ٠ اقتصادنا اذا لم يدمر فسوف يقوض ٠ وسوف تعطل المواصلات ٠ وتستمر هذه الحال حتى الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ عندما تجلو القوات البريطانية وتسقط معها مراكز الحدود بين العرب ٠ ولن يحمي الحدود اي حرس من اليهود لان معظمها سيكون في المناطق التي خصصت بوساطة خطة التقسيم المدمرة للدول العربية ٠ ومن خلال هذه الحدود سيتدفق الاف القتلة وهم مزودون باسلحة بريطانية» ٠

«علينا ان نستعد ٠ وبدلا من ان ندافع يجب ان نهاجم ، نهاجم مراكز القتلة ٠ اما الخطة التي يجب ان نضعها فلن تكون محلية محدودة بل واسعة الاستراتيجية من اجل ان نتمكن من صد الهجمات ، ومن اجل تحضير جيش التحرير العبري الهجومي ٠ وان التحضيرات والتجهيزات يجب ان تتم في الخارج » ٠

« كل هذا تقوم به القوات الموحدة لاننا جميعا بدون استثناء سوف نواجه الاخطار نفسها ٠ ان الوضع خطير جدا ٠ ستكون الحرب صعبة وستكلف كثيرا من التضحيات ٠ ولكن يجب ان لا ينتابنا الخوف ٠ ولكننا اذا عرفنا ما يجب عمله استطعنا ان نحطم العدو » ٠

واتبعنا القول بالعمـــل ٠ فبعد اسبوعين مـن الهجمات العربية قامت « الارغون » بأول هجوم مضاد للقوات اليهودية ٠ ولثلاثة ايام متتالية من ١١ ١٣ ـ كانون الاول ظلت وحداتنا تدك معسكرات القتلـة وقواعدهم المهاجمة في « حيفا » و « يافا » و « الطيرة » و « الياجور » ، وهاجمنـا « القدس » مرة بعد اخرى ٠ ثم انتقلنا الى قرية « شعفاط » على طريق الجامعة العبرية٠ واخترقنا « اليهودية » وهاجمنا مركزا لعصابات القتلة وكانت خسائر العدو من القتلى والجرحى كبيرة ٠

ولقد قومت صحيفة « هاآرتس » هذه الهجمات بقولها :

« ان تحولا جذريا في الموقف قد حدث مع عمليات الارغون الواسعة»٠ بالطبع كان تحولا جذريا ٠ في السابق كانت كل القوات اليهودية بما فيهـا وحداتنا قد ثبتت في مواقع دفاعية ٠ يمكن للقوات ان تثبت في مواقع دفاعية دون ان تقهر ٠ ولكن المقاييس الدفاعية لا تمنـــع الاصابات ٠ انهـا تسمح للمعتدي ان يحتفظ بالمبادرة وتعرضنا لهجمات مفاجئة ٠ انها تعزز معنويات العدو وتضعف معنويات المدافعين ٠ ومما لا شك فيه ان الهجوم هو الوسيلة الوحيدة الناجحة للدفاع٠ ان « خط ماجينو » اثبت ذلك اكثر من جميع الكتب الاستراتيجية في العالم ٠ وقد ادى هجومنا المضاد الواسع والمركز الى رفع معنويات اليهود والى تراجع نسبي عند العرب ٠ ولقد علم الهجوم المراقبين الاجانب ان لا يستبقوا النتائج ويحكموا قبل الاوان على الضعف اليهودي ٠

لقد كان التحول جوهريا ٠ ففي اعقاب هجومنا المعاكس حذت القوات اليهودية حذونا بالانتقال من الدفاع الى الهجوم ضد قواعد العدو ٠ حتى ان « بن غوريون » نفسه امتدحنا دون ان يدري ٠ وبعد يوم من هجومنا الناجح على « الطيرة » قال لاحد الصحافيين : « أرأيتم شجاعة رجالنا » ، لقد كان يعتقد ان الهجوم قد تم بوساطة اعضاء من « الهاغاناه » ٠

وعندما رأينا ان الصدام الرئيسي مع العرب قد بدأ يقترب بسرعة ٠ بدأنا نعيد النظر في تكوين وحداتنا المقاتلة ، وبدانا في تحويل البناء السري لوحداتنا الى فرق عسكرية نظامية ٠ وفتحنا بـاب التطوع واندفع الالاف ٠ وانشأنا وحدة تخطيط برئاسة «جدي» ٠ واقمنــا اول مخيـم عسكري في بساتين برتقال « بتاح تكفا » و « رامـــات جان » وانتقلنا من تدريب حرب العصابات بوساطة وحدات صغيرة ، الى التدريب على المعـارك المكشوفة ٠

ومع هذه الاستعدادات صرفنا همنا في الحصول على السلاح ٠ فكل ما تجمع لدينا من مال حولناه الى اسلحة ٠ وبالكمية القليلة التي كانت بحوزتنا فقد واصلنا النضال لفترة سنين ٠ لقد كانت في حوزة المؤسسات اليهودية الرسمية مبالغ ضخمة تحت تصرفهم ٠ ففي آب ١٩٤٦ توقفت « الهاغاناه » بعد تسعة اشهر من النضال ٠ لقد كانت سني الثورة بالنسبة لهم فترة هدوء طويل ، انها سنوات التدريب على السلام والاستعداد له ٠ ولكن عندما جاء وقت الحساب فان هذه الاستعدادات قد تعرت ٠ ان « الهاغاناه » التي جندت الشعب اليهودي بأكمله ليكون مصدر مواردها المالية لتقويتها وتدريبها ، فقد تبين انها لم تكن تمتلك الاعددا قليلا من البنادق والرشاشات ودزينات قليلة من قذائف الموتر ٠ بالطبع فان اعضاء « الهاغاناه » مثل اعضاء « الارغون » و « شتيرن » قاتلوا بشجاعة ضد العرب ٠ ان الشبان اليهود المجهزين فقط بالاسلحة القليلة صمدوا امام الدبابات والمدافع ٠ ولكن اية ضريبة في الارواح كان يمكن ان تنقذ واية اجزاء قليلة من الارض يمكن ان تسترجع لو ارتضينا باستعدادات الاهمال العائدة الى النقص في الرؤيا السياسية الجديرة بالشفقة ٠

الاتفاقية

مع تأليف لجنة التحقيق استؤنفت محادثاتنا مع الوكالة اليهودية · اما الصعوبات العملية فلم تكن تقل خطرا عن الصعوبات التي تحدثها العوامل النفسية لقد كنا نرى امامنا جُبهتين لا جبهة واحدة · ان الهدف الاساسي لثورتنا الا وهو تصفية الحكم البريطاني واجلاء جيش الاحتلال على وشك التحقيق · لقد كنا نخشى رؤية الجنود البريطانيين يقفون مكتوفي الايدي دون ان يفعلوا شيئا امام الهجمات العربية · لذلك قررنا ان نستمر في سياسة رد الاعتداء كما رددنا على قتل المدنيين بالجملة في شارع بن يهودا · لقد رأينا خطرا كبيرا في امكانية الافتراض ان الجيش البريطاني في فترة خروجه من فلسطين لن يكون حازما امام الاعتداءات العربية · وبالتالي فاننا اصررنا على سياسة رد الاعتداء على جميع الجبهات ·

واتفقنا على ان يستمر رجالنا في تحصين مواقعهم الثابتة المحلية تحت قيادة ضابطهم المباشرة ، بينما تكون القيادة لضباط المناطق من «الهاغاناه» · ولكننا اعلنا اننا لن نوافق بأي شكل من الاشكال على تسليم اسلحتنا للانكليز اذا طلب منا ذلك كما فعلت « الهاغاناه » مرارا · وقد اتبعت « الهاغاناه » هذه السياسة في التخلي عن السلاح للبريطانيين لمدة ستة اشهر لان زعماءها كانوا يشعرون بعقدة «مركب النقص» امام البريطانيين · فمنذ الهجمات العربية حتى تصفية الحكم البريطاني اخذت مئات البنادق من رجال « الهاغاناه » ، وقد اخذ بعض الجنود البريطانيين السلاح من ثمانية يهود في « هايسوفك » قرب تل ابيب ومكنوا بذلك القوات الكبيرة للمهاجمين العرب من قتلهم جميعا دون ابطاء · وقد حصلت حوادث مماثلة في القدس وفي عدد من الاماكن الاخرى ·

وقد رفض رجالنا تسليم السلاح للبريطانيين وفي بعض الاحيان قام رجالنا بابعاد السلاح من اماكنه قبل حصول عملية البحث والتفتيش · وفي

احدى المرات ، قلب رجالنا الاية ، وانتزعوا عددا من البنادق والرشاشات من المجموعة البريطانية التي قدمت من اجل نزع سلاحهم • وكنا نعلم انه لو تأكدت السلطات البريطانية ان محاولاتها لنزع سلاحنا سنقابله بالرصاص وان عليها ان تدفع ثمن السلاح دماء ، لكانت تراجعت عن المقايضة غير المربحة • وكذلك طلبنا من «الهاغاناه» ان تغير سياستها وانتفعل مثلنا فتأمر اعضاءها علنا بالمقاومة • وقد تساءلنا عما حدث لمبدأ الهجوم الدفاعي •• ولكنها لم تصغ الينا ، ولم يكن هناك اي تحول او جواب حتى عشية الغزو العربي • اما نحن فقد اصررنا على ان تبقى «للارغون» حرية مقاومة ايه محاولة بريطانية لتجريدهم من السلاح • وقد طالبنا ان يسمح لنا بمصادرة الاسلحة البريطانية اينما وجدناها ، لاننا لم نكن لنستطيع ان نكبد انفسنا دفع الاموال الضرورية لاسباب اخرى ما دمنا نستطيع ان نحصل على السلاح من جنود بريطانيين • وقد كنا ندرك انه بتوقيع الاتفاق تتحول « الارغون » الى منظمة مقاتلة ومعترف بها •

ان مسالة النضال المشترك ضد العرب لم تخلق اية مشكلة داخلية بيننا • فبعد ان اعتنقت « الهاغاناه » ، مثلنا ، سياسة الهجوم الدفاعي بدأنا القيام بالعمليات الموحدة ضد الانكليز حيث نقدم خطط عملياتنا وننفذها بناء على موافقة قيادة الهاغاناه •

وبعد مناقشات مضنية وقعت اتفاقية سرية بين « الوكالة اليهودية » كموجهة للهاغاناه ، و«الارغون زفاي ليومي» • اما بنود هذه الاتفاقية السرية فكانت :

١ ـ ان مراكز الارغون الدفاعية تخضع لقائد القطاع المعين بوساطة الهاغاناه • وهذا القائد يصدر اوامره بوساطة ضابط تعينه الارغون •

٢ ـ ان خطط الهجوم على الجبهة « ع » (الجبهة العربية) وجبهة «ب» (جبهة البريطانيين) يجب ان يوافق عليها ممثل للهاغاناه • اما التفاصيل المتعلقة بالهدف والوقت فسوف تحدد في لقاءات الممثلين والخبراء الفنيين • وسوف تكون الارغون بالاضافة الى ذلك جاهزة لتنفيذ الخطط المرسومة لها •

٣ ـ يتقيد رجال الارغون بمبادىء المقاومة في محاولات نزع سلاحهم •

على انهم يجب ان يراعوا في بعض الاحيان موقف مراكز الهاغاناه القريبة منهـــم ٠

٤ ـ لا تنفذ اية عملية من اجل الاستيلاء على الاموال في المناطق التي يشرف عليها اليهود ٠ ومن جهة اخرى يسمح لمنظمة الارغون بجمع الاموال الحرة ، وان المؤسسة الوطنية سوف تؤكد في الوطن والمهجر ان للارغون نصيب من حملة التبرعات التي تقام من اجل متطلبات السلامة العامة ٠

٥ ـ يعمل بخطط الاستيلاء على الاسلحة عن طريق المشاورات المشتركة وتنفذ عن طريق اتفاق متبادل ٠

٦ ـ ان هذا الاتفاق يخضع للتوضيح بوساطة التفاصيل قبـل ان يوضع موضع التنفيذ ٠ وان الممثلين والخبراء هم الذين سوف يقومون بعملية التوضيح والتفاصيل ٠

وقد جندت شخصيات كبيرة بناء لنصيحة الجنرال مارشال بعدم اعلان الحكومة اليهودية وقبول الوصاية بدلا منها ٠ اما « بن غوريون » الذي كان يفضل اقامة حكومة يهودية فقد واجه صعوبات جمة حتى في حزبه «الماباي» ٠

ولقد قررنا ان نرمي بثقلنا في الميزان ٠ لم يكن يهمنا من سيراس الدولة اليهودية وكيف ستؤلف الحكومة ٠ لانه كان يهمنا ان تقوم الدولة وحسب ٠ وقد جاءني احد رجال « بن غوريون » في تلك الايام يقول : « بن غوريون يقدر كثيرا تمسككم بالدولة اليهودية ويطلب منكم اعـلان ذلك بقوة عـــلى النـــاس » ٠

نفذنا هذا الطلب بسرعة ٠ وبعد ايام اصدرنا البيان الآتي :

« ان الدولة اليهودية سوف تقوم وليس هناك مجال للشك ٠ فاذا اقامها الزعماء الرسميون سنؤيدهم نحـن بكـل قوانا ٠ ولكن اذا تقاعس هـؤلاء واستسلموا فان قوتنا وقوة اكثرية الشبان اليهود ستكون مؤيدة لتلك الحكومة التي ستخرج من اعماق العمل السري لتقود الشعب الى النصر في معركـة الحريـة » ٠

لقد نشر هذا البيان من جانب الارغون زفاي ليومي في كانون الثاني سنة ١٩٤٨ ٠

غزو يافا

في الشهور التي سبقت الغزو العربي ، وبينمـا كـانت الدول العربية الخمس (مصر ، العراق ، سوريا ، لبنان ، شرق الاردن) تقوم باستعداداتها لعدوان مدبر ، اكملنا نحن هجماتنا على الاحياء والمناطق العربية ،وفي الايام الاولى من عام ١٩٤٨ كنا نؤكد لرجالنا وضباطنا بان هذا ليس كافيا · ان هجمات مثل تلك ، والتي تقوم بهـا القوى اليهودية ، لهـا اهميتها النفسية الكبرى · ثم انها ، باجبارها العرب على الوقوف موقف الدفاع بدل الهجوم، ، تكون ذات اهمية لا تعوض بالنسبة لنا · ولكننا كنا نؤمن ان اشد الهجمات التي تقوم بها المنظمات اليهودية لن تقرر شيئا في قضيتنا · لقد كان املنا ان نبسط سيطرتنا على اراض اكثر ·

وفي نهاية كانون الثاني ١٩٤٨ ، وفي اجتماع القيادة العليا للارغون الذي اشتركت فيه فرقة التخطيط ، وضعنا امامنا اربعة اهداف استراتيجية :

١ ـــ القدس ·
٢ ـ يافـا ·
٣ ـ اللد والرملة ·
٤ ـ المثلث ·

وعند استعدادنا لهذه الاهداف كنا نعلم ان بلوغها يعتمد على عوامل كثيرة اهمها القوة في الرجال والسلاح · لذلك قررنا ان نعامل هذه الاهداف معاملة الافضلية اي اننا ننفذ ما نستطيعه منها · ومن هذه الاهداف الاربع لم نستطع انننفذ منها تنفيذا كاملا الاالهدف الثاني· اما في معارك الاهداف الاولى والثالثة فقد حققنا انجازات مهمة على ارض المعركة ولكننا لم نحصل على انتصارات حاسمة · اما بالنسبة للهدف الرابع فلم تسنح لنا الفرصة

حتى بالبدء بوضع الخطة موضع التنفيذ ، على كل حال ، فان احتلالنا ليافا له اهمية اساسية في النضال من اجل الاستقلال اليهودي ·

في ذلك الوقت الذي اعتمدنا فيه « استراتيجية الغزو » لم يكن لدينا من الذخيرة والسلاح ما يكفي لاية عملية استراتيجية · مع اننا كنا في شباط وآذار دون اية كمية من المتفجرات ، استطعنا في نيسان ان نصنع عددا من الاطنان من الصنف القوي · في آذار لم يكن لدينا الا عدد ضئيل من المدافع الرشاشة ، ولكننا في نيسان قمنا بعمليتين لمصادرة الاسلحة زادت كثيرا من الكميات التي كانت لدينا · فقد استطعنا ان نقوي ذخيرتنا من قذائف «المورتر» حتى ان قذائفنا زادت على القذائف الموجودة عند «الهاغاناه» ·

ففي الرابع من نيسان ١٩٤٨ قاد « جدي » وحدة صدامية تحت قيادته المباشرة الى المعسكر البريطاني رقم (٨٠) قرب « باردس حنا » حيث تعسكر فرقة مدفعية مضادة للدبابات ·

سيطرت المجموعة المتقدمة على الحراس المسلحين على ابواب المعسكر ، وفتحت الطريق للمهاجمين الذين تحميهم مصفحتان احداهما قد استولى عليها من الجيش البريطاني والثانية من الشرطة البريطانية · وباحدى المصفحتين سيطرنا على الجناح الايمن من المعسكر ، وبالاخرى على الجناح الايسر · وسرعان ما وقع المعسكر بين ايدينا ، ووقعت فرقة المدفعية اسيرة لدينا ·

وبدأ شحن الاسلحة بسرعة من بنادق واسلحة رشاشة ومدافع « برن » ومدافع مضادة للدبابات وغيرها من الذخيرة · ولكن فجأة شنت القوات المعادية الموجودة خارج المعسكر هجوما مضادا مدعومة بمصفحة كبيرة · ورأى رجالنا الخطر العظيم المحدق بهم ، ولكن احد الرجال الشجعان انقذ الموقف عندما اندفع نحو العربة المصفحة وفتح بابها بوساطة المتفجرات فقفز جميع من بداخلها ، واستولينا بذلك على تلك المركبة واضيفت الى غنائم « الارغون » من تلك العملية ·

ولكن نجدات العدو بدأت تزداد مدعمة بالاليات الثقيلة· ولكن اصابتهم كانت دائما تخطىء الهدف فاستطاع رجالنا ان يعطبوا دبابة « شيرمان » · وخسر الاعداء كولونيلا وسبعة ضباط قتلى بالاضافة الى عدد كبير من الجرحى · وبينما كانت المعركة مستمرة كانت عملية الشحن مستمرة وكانت

الغنيمة كبيرا جدا واكثرها من البنادق والرشاشات والذخيرة · وكانت هناك كميات قليلة من قنابل « بيات » المضادة للدروع والتي استعملناها كثيرا في تعطيل الدبابات في جبهة يافا ·

وبعد اسبوعين كررنا الزيارة للمنطقة نفسها · وفي هذه المرة كان هدف «جدي» قطار الذخيرة البريطاني على الطريق المؤدي من حيفا الى المثلث ، والمحمل بالاطنان من السلاح الثمين والذخيرة المتجهة الى زعيم العصابات العربية هناك ، القاوقجي · ولكن القطار لم يصل الى هدفه · فقد اوقف في الكيلومتر ٤١ بين « الخضيرة » و « بنيامينا » وافرغنا حمولته من السلاح والذخيرة التي قررت مصير يافا وغيرها ·

ولكنها لم تكن عملية سهلة · فعندما اقترب القطار من النقطة التي كانت وحدتنا الهجومية تنتظر فيها ، انفجر لغم صغير مهمته ايقاف القطار لا تحطيمه · ولقد كانت حساباتنا صحيحة · فقد اهتز القطار قليلا وتوقف ، ولكنه لم يتحطم · وتقدم رجالنا ·

لقد كان ايقاف القطار اسهل من الاستيلاء عليه · ففي اللحظات الاولى حطمت قذيفة « مورتر » سيارة اللاسلكي فجرحت سبعة من رجالنا ، وقطعت الاتصال مع المجموعات العاملة المتفرقة في تلك المنطقة · فرد رفاقنا على النار بالمثل ولكن ذلك لم يؤثر في اعدائنا ، لقد كانوا مختفين في مواقع عالية وراء الحديد ، بينما رجالنا يقفون معرضين تماما للرصاص على ارض سهلة ومكشوفة ·

ولكن «جدي» لم يكن ذلك الرجل الذي يتخلى عن قطار مملوء بالاسلحة والذخيرة · كيف يمكن لهذه الفرصة ان تضيع · وبينما كان يزحف بين الرجال وجد ان احدى المجموعات قد القت القبض على جندي بريطاني يبدو انه قفز من القطار عندما انفجر اللغم فوقع مباشرة في ايديهم · وبسرعة السهم مرت الفكرة بعقل «جدي» ، فبهذا الجندي البريطاني سوف نتمكن من الاستيلاء على القطار :

قال «جدي» للجندي البريطاني : اننا سنطلق سراحك · اذهب وقل لقائد حامية القطار ان وحدة قتالية تابعة لمنظمة الارغون قد احاطت بالقطار من جميع الجهات · واخبره اني اعطيه مهلة خمس دقائق للاستسلام · فاذا

استسلم لن يصيبه ورجاله اي سوء · ولكنه اذا رفض فسننسف القطار بمن فيه ·· ان لدينا اسلحة مضادة للدبابات » ·

وهرع الجندي البريطاني الى القطار ومرت دقائق ونحن ننتظر ·· ولا جواب · ولم يكن لدينا اية طريقة لنتجنب هذا الصمت ، لم يكن لدينا سلاح مضاد للدبابات ولا متفجرات ·

لم ينتظر «جدّي» حتى تنتهي مدة انذاره · فتقدم الى العربات المحملة معرضا نفسه للخطر · وفجأة رمى نفسه على الرمل عندما اطلق جندي بريطاني الرصاص عليه ، فمرت الرصاصة بجانب رأسه ، ولكنه عاد فاتخذ مركزا محميا ثم صرخ :

« اصغوا الي ·· ان قائد وحدة الارغون هو الذي يتحدث اليكم · انكم محاصرون من جميع الجهات · ان هدفنا الاستيلاء على سلاح القطار · وليس في نيتنا ان نؤذيكم · اخرجوا من العربات وارفعوا ايديكم · اذا استسلمتم يستطيع كل منكم ان يعود الى فرقته ولكنكم اذا قاومتم فلن يبقى احد منكم · انني سآمر بنسف القطار اذا لم تستسلموا · هذا هو انذاري الاخير » ·

لقد برهن السلاح النفسي فعاليته · فخرج الجنود والضباط من داخل القطار وتنفس «جدّي» الصعداء ·

ولكن ثلاثة من رجالنا كانوا قد ماتوا · ومرة اخرى دفعنا ثمن الحديد دمـا ·

وبدأ الرجال في تحميل الشاحنات التي احضروها الى الكيلومتر ٤١ بالاسلحة والذخيرة · لقد كان العمل طويلا والوقت قصيرا · لقد كان رجالنا يعملون بنشاط غير عادي · ولكنهم لم يستطيعوا شحن عدة اطنان من الاسلحة بالسرعة الكافية · فطلب «جدّي» مساعدة السجناء البريطانيين · فاتجه الى ضابط بريطاني وقال له : « ادع رجالك · اني بحاجة الى مساعدتهم» · وساله الضابط : «هل ستقتلهم ؟» ·· فقال «جدّي» : «لا تكن مجنونا ، اننا محاربون يهود ولسنا برابرة · نحن لا نقتل الاسرى · لقد وعدنا ان لا نؤذيكم ورجال الارغون زفاي ليومي يفون بوعودهم · انني احتاجهم للعمل فقط » ·

واستراح الضابط البريطاني · ومع انه رأى جنودنا يضمدون جراح جنوده ، الا انه كان يخشى ان نغير رأينا بين دقيقة واخرى ·

ولقد ساعد الجنود البريطانيون في عملية نقل الاسلحة الى شاحنات الارغون لمدة اربع ساعات · عملوا جنبا الى جنب مع رجال الارغون · لقد كان العمل صعبا وشاقا · فقد كـان عليهم نقـل حوالي العشرين طنا من الاسلحة · وقد كانت هناك فترة استراحة لمدة خمس دقائق كل ساعة حيث كان يوزع فيها البرتقال على الجنود الانكليز · لقد عملوا بجد واخلاص· صندوق بعد صندوق وشاحنة بعد شاحنة الى ان انتهى العمل ·

وانطلقت الشاحنات المحملة بالسلاح الى المكان المرسوم لها · ووجدت القذائف اقامة مؤقتة لها في تلك الليلة في مخازن النبيذ في «زخرون ياكوف» وانا اتساءل الان اذا كـان البارون النبيل « روتشيلد » قد حلم في يوم من الايام ان اليهود سيملأون مخازنه الحبيبة بالقذائف بدلا من النبيذ ؟ ·

واطلق سراح الجنود البريطانيين · وبعد ذلك مباشرة امتلأت المنطقة بالقوات البريطانية التي كانت تبحث عن الاسلحة المصادرة · ولكن حملـة التفتيش كانت غير مثمرة · واصبح سكان تلك المنطقة اليهودية يتساءلـون بقلق : «ماذا سيحدث الان ؟ وهل سيعلن نظام حظر التجول ؟ هل سيفرض عقاب جماعي ؟ »

ولقد وضعت هذه الاسئلة امام قائد القوات البريطانية المطاردة ، وكان جوابه من افضل ما عبرت عنه الروح البريطانية النبيلة : « لن يكون هنـاك اي عقاب · لقد كان قتالا عادلا وقانونيا » ·

- ٢ -

معسكر رقم ٨٠ ، وذخيرة القطار ، ومصنوعاتنا من الاسلحـة كانت العوامل التي جعلت البدء في الهجوم على يافا ممكنـا · ففي نيسان اعدت الخطة وانتخبت الوحدات التي ستقوم بالعملية ، وقبـل ثلاثة اسابيع من انشاء دولة اسرائيل تقدمنا لننقذ تل ابيب من التهديد والدمار ·

كانت خطتنا مهاجمة يافا في المكـان الضيق الذي يربط البلـدة بحي المنشية الذي يتجه شمالا كالرأس الى تل ابيب · وكان الهـدف التكتيكي هو كسر « عنق الزجاجة » والوصول الى البحر من اجل شطر المنشية عن يافا · اما الهدف الاستراتيجي فكان اخضاع يافا وتحرير تل ابيب من المسدسات المحشوة والموجهة نحو قلبها ·

وقبل الشروع بالهجوم مرت تل ابيب بعقاب قاس مـن يافا المستبدة وخاصة من منطقة المنشية · ففي الاشهر الاولى من الاضطرابات العربية قتل ما لا يقل عن الف يهودي في الهجمات الصادرة عن جامع حسن بك والاماكـن القريبة في منطقة المنشية · وقد استطاع العرب ان يتسللوا الى اماكن كثيرة وسط تل ابيب ويقتلوا اشخاصا معينين ولم تمنعهم الحراسة المشددة هناك من تنفيذ اعمالهم · لقـد كتبت الصحف الاجنبية عـن المعارك في طريق « روتشيلد » الشيء الكثير · كانت يافا تتحدى وتل ابيب لا تزال في حالة دفاع حتى قتل الاف من ابنائها وهم يدافعون فقط ·

وفي ليل ٢٥ نيسان انطلقنا لوضع حد للحال الشاذة والمخجلة · ففي معسكر « دوف » في « رامات جـان » جمعت الوحدات العسكرية والفرق الاحتياطية · وفي خلال ذلك اليوم كنا قد صادرنا حوالى مائة سيارة عـن الطريق الوحيد الذي سلكناه · ولم نكـن نحـن نسر لهذه المصادرة ولكن اصحاب السيارات كانوا يعرفون دائما اننا سنرجعها بعد ان ننتهي منها ، وندفع التعويض عن الخسائر في بعض الاحيان · وفوق ذلك كانوا يعلمون ان سياراتهم تؤخذ من اجل حرب ضرورية ، وكـان كثيرون منهم يقدمون شاحناتهم وسياراتهم بملء ارادتهم · لم تكن لدينا طريقة غيرها · لقد كانت هذه الطريقة هي الوحيدة الممكنة لنا ، لاننا لا يمكن ان نستخدم السيارات نفسها في كل العمليات · ثم اننا لم نكن نملك المـال اللازم لنشتري الكثير من السيارات ·

وفي تلك الليلة ــ ٢٥ نيسان ــ تجمع على طريق تل ابيب ــ رامات جان صف طويل من الشاحنات منها ما هو مصادر من الانكليز او اليهود ومنها ما هو مقدم من الاصدقاء · وعلى الطريق العام بالقرب من معسكر « دوف » كان الالاف من رجال الارغون بانتظار اشارة السير الى المعركة ·

ولكن الاشارة تأخرت

فعلى سطح احد البيوت الصغيرة حيث كان قد اقيم مقر قيادة المعسكر كان يعقد مؤتمر ، فقد جاءتنا الاخبار المزعجة ، ان « الهاغاناه » قد اعلنت حالة الاستنفار التام وهي تستعد لمنعنا من تنفيذ العملية • واقترح احدهم ان تؤجل العملية ليوم او يومين • وتشعب البحث واشتد ، واخيرا اتخذ القرار بالهجوم في تلك الليلة •

تحت الفناء كان هناك تظاهرة مسلحة ، انها اول استعراض عسكري لستمائة ضابط وجندي من الارغون • لقد جاء يوم المعارك المكشوفة وانتهى العمل السري • وقفوا هناك صفا واحدا ومعهم سياراتهم واسلحتهم وادواتهم الطبية • وفوق كل شيء ايمانهم • لقد كانت تلك اللحظات عظيمة •

وتقدمت الى الساحة مع «جدّي» والقيت في الشبان خطابا حماسيا فقلت لهم :

« يا رجال الارغون • نحن ذاهبون للاستيلاء على يافا • نحن ذاهبون الى احد المعارك الحاسمة من اجل استقلال اسرائيل • ضعوا نصب اعينكم من هم امامكم ومن تركتم وراءكم • فامامكم عدو صلب قام ليدمرنا • وراءكم اباؤكم ، اخوانكم ، اطفالكم ، اضربوا العدو بقسوة • صوبوا بدقة • وفروا ذخيرتكم • لا تظهروا اية شفقة على العدو اكثر مما يظهره لشعبنا • سوف يقودكم في المعركة الملازم اول «جدّي» ، امامكم طريق واحدة» • واضاف « جدعون » بعض التعليمات مؤكدا على ناحية توفير الذخيرة • ثم تقدم الرجال بصمت الى الشارع العام •

، تقدمت السيارات ناحية تل ابيب ثم اتجهت نحو يافا • وكانت الطرقات الضيقة المؤدية الى يافا مهجورة • وفي بناية مدرسة «الاليانس» المحطمة اتخذنا مركزا للقيادة • وفي مستشفى «فرويه» اقمنا المستشفى الميداني اما الرجال فقد تسللوا الى البيوت المجاورة •

لقد كانت خطتنا الاصلية البدء بالهجوم في تلك الليلة • ولكن المشاورات الضرورية في معسكر « دوف » اخذت وقتا كبيرا وهكذا لم نستطع ان نبدأ بالهجوم فور وصولنا • لقد كان امامنا اعمال كبيرة • يجب ان نتفقد الوحدات ، ونقيم الشبكة التلفونية • والاهم نصب مدافع «المورتر»•

كان لدينا مدفعا « مورتر » من عيار ۳ بوصة صادرناهما قبل سنتين

من المعسكرات البريطانية • ولم نستعملها من قبل لانه لم يكن لدينا القذائف من ذلك النوع •.اما الان وفي ٢٥ نيسان ، فلدينا الكثير • قبل اسبوع استولينا على قطار عسكري محمل قذائف •• قذائف •• قذائف ، ولذلك سنستعمل مدافع «المورتر» حتى اخر المعركة • لقد كان لدينا ثلاث رماة على جبهة يافا • ساعة بعد ساعة • ويوما بعد يوم استمروا في اطلاق القذائف وايديهم لم تعرف الراحة • فلا عجب ، اذن ان تطلب « الهاغاناه » مساعدتهم •

ففي اليوم الثالث من المعركة طلبت « الهاغاناه » ان نحول قذائف « المورتر » نحو « تل العريش » حتى نمكن فرقة « الهاغاناه » الضعيفة هناك من الانسحاب • وبعد معركة يافا اعرنا المدافع والرماة الى « الهاغاناه » من اجل تطهير قرية « سلامة » المجرمة التي سقطت في ايدي « الهاغاناه » دون خسائر تذكر •

من نافذة مبنى القيادة العامة كنت ارقب شباننا وهم ذاهبون الى المعركة • لقد كانوا ينشدون نشيد المعركة وهم يتحركون • وبينما كنت اراقب الشبان واسمع نشيدهم تلوت صلاة صامتة وتمنيت ان ينصرهم الله وان يرجعوا سالمين •

بدات قذائف مدافع « المورتر » التي وجهت الى مؤخرة العدو تحطم معنوياته • وفي « عنق الزجاجة » نفسها تحولت المعركة الى معركة مدافع رشاشة • واستعمل رجالنا مدافع « البرن » جيدا • ولكن لحنها لم يكن اللحن الوحيد في سيمفونية المعركة • لقد كان الاعداء يستعملون رشاشات « السبندوس » التي تفوق قوتها قوة « البرن »• ولم يظهر انالاعداء تنقصهم الذخيرة • وبدأ الاشتباك يفجر الاشتباك ولم تتوقف النيران لحظة واحدة • وفي « عنق الزجاجة » ـ اى المنشية ـ تعلمنا ما تعلمه الحلفاء في الحرب العالمة الثانية وهو انه لا يوجد اي مركز للدفاع افضل من صف الابنية المهدمة وفوق تلك الابنية المهدمة وفي داخلها تمركز الاعداء بسلاحهم وذخيرتهم الكثيرة العدد وهم مصممون على دحرنا • لقد كان خط يافا كثيفا وعميقا • ويبدو ان العرب كانوا يعملون تحت اشراف مدربين وخبراء بارعين • لقد كانت مواقعهم معززة بحنكة حيث اقاموا الحواجز القنفذية في العمق • وخلف خطهم الاول المؤلف من ثلاث وحدات او خمس لم تكن هناك قوات عراقية وعربية فحسب، بل كانت هناك قوات بريطانية ايضا بدباباتها ومدافعها الثقيلة التي ركزت لتمنع المهاجمين من الوصول الى البحر •

وبدات خساراتنا تتراىء • وبــدات الفرقة الطبية تعمـل بنشاط في خطوط النار •

ولم يستطع رجالنا الاختراق • وفي المحاولة الاولى ردنا الاعداء على اعقابنا خاسرين • لقد اخذنا مراكزا مهمة ولكننا لم نستطع التقدم لتحطيم « عنق الزجاجة » •

- ٣ -

في اجتماع للضباط فحصنا النتائج • لم ننجح • لقد فشلنا لاننا اخطانا فيتقدير امكانيات العدو • كانت المنطقة ضيقة ولذلك كانت الحركة محدودة، وسياراتنا المصفحة لـم تستطع الالتفاف حـول قوات الاعداء ومهاجمة مؤخرتها • كما لم يكن من المستطاع اختراق مقدمته بالـرغم من استعمال اكبر عد ممكن من الرجال • لقد كـان علينـا ان نسحب قواتنا الاساسية تاركين فقط القوات الضرورية للتمركز في المواقع المستولى عليها ، لنحضر لجولة اخرى •

ولم تكن الخطة الاخرى جديدة ، بل كانت خطـة الارغون الدائمة : فرقة للاختراق ، واخرى للتغطية • ان هذه الطريقة ستكون بطيئة • لقد كان لها الاثر الفعال في حرب العصابات ضد قوات الحكومة • فكـل ما كانت تحتاج اليه هو السيطرة الخاطفة الكافية لتدمير الهدف ثم الانسحاب • ولكن هنا على جبهة يافا فان الموقف يختلف تماما • لم يكن علينا ان نهاجم ونخرب فقط ، بل ان نحتل ونحتفظ بما نحتل • فهل تنجح خطتنا في هذه الظروف ؟

لم يكن هناك مجال للخيار • فاعاد «جدّي» ترتيب قواته وبعد فتـرة من الراحة ، بدا يستعد لتجديد الهجـوم • وفي الوقت نفسه كانت مدافعنا مستمرة في قصف يافا حتى اننا في نصف يوم رددنا ما اعطته تل ابيب في ثلاثة اشهر • وكانت خطتنا من وراء عملية القصف المتواصلة تمزيق خطوط مواصلات العدو واتصالاته مع الجبهة الداخلية •

وبعد الظهر استؤنفت المعركة بكثافة اكثر • وتقـدم بعض رجالنا يحملون الالغام متجهين صوب « عنق الزجاجـة » حيث المواقـع المتقدمة

المعززة تعزيزا قويا والتي تمنع رجالنا من التقـــدم ٠ فاذا استطاع خبراء الالغام نسفها فتحت امامنا ثغرة صغيرة وهــذه الثغرة ســوف يعمــل على اتساعها ٠

ولكن العدو كـــان يقظا ٠ فقـــد غطت الدبابات البربطانية وقذائف « السباندوس » العربية كل المنطقة ٠ كما ان البريطانيين استعملوا الاسلحة المضادة للدبابات وهي اسلحة كنا نفتقر اليها ٠ ولم يعد عنصر المفاجأة في جانبنا ٠ واصبح علينا ان نأخذ كـــل شبر مــن الارض بالدم حتى اننا في الخطوط الامامية اضطررنا ان نستعمل ايدينا ٠٠٠ وكان كل شيء يكلفنــا دماءنا ٠

ولقد اضيفت الى اصوات مدافع « المورتر » وجلجة الرشاشات اصوات الانفجارات القوية ٠ هل قام رجالنا بالنسف ؟ هــل دمرت مواقـــع العدو الرئيسية ؟ هل تحطمت بعض مراكز الاعداء؟ وهل احدثت ثغرة؟ وهل فتحت الطريق العام امام قواتنا المتقدمة ؟

لقد اتضح ان موقعــا واحدا للعــدو هو الذي دمر فقط ٠ وبقي المركز الرئيسي يسيطر على المنطقة بأكملها سالما دون ان يمس ٠ ولم تكن المتفجرات كافية لتدمير ذلك البناء الكبير المعزز ٠ لقد بذل اللغامون ما بوسعهم ، ولكنهم لم يستطيعوا التقدم بعدها ولا تحطيم المراكز القوية بالالغام ٠ ومرة اخرى صد هجومنا ٠

ودعي الضباط الى اجتمـــاع مشاورات ٠ جلسنا على مقاعد مدرسة «الاليانس» ، وبدأنا نلخص نتائج عمل اليوم ٠ ان قصف يافا كان فعالا ٠ لم يكن هناك اي شك في ذلك ٠ لقد ارسلنا القذائف بالمئات وافاد مراقبونا باصابات مباشرة وايقاع الفوضى في مواصلات العدو واتصالاته والفوضى بين قواته ٠ لكن هجومنا على الجبهة لم يعط النتائــج المتناسبة مع الجهود التي بذلناها ٠ لميكن هناك اي داع للقنوط او الكآبة٠ ان المعركة لا تزال في بدايتها ٠ حقا ان هجومنا الاول قد فشــل ٠ ولكننا سنحـــاول مرة اخرى وسننجح ٠ وسوف نعيد تنظيم قواتنا ٠ لقد كان الرجال بحاجة ماســة الى ليلة راحة ٠ وفي الصباح سوف نجدد الهجوم وسوف نستولي على مواقــع العدو ٠

لقد كانت تلك هي الفكرة العامة التي علا صوتها في تلـــك الليلة في اجتماع القيادة العامة · ولقد شرح «جدّي» ضرورة تعزيز مواقعنا الامامية وذلك بتحصينها باكياس الرمل · وكلما تقدمنا نعزز كل موقع جديد نستولي عليه · ان هـــذا يعطي الشبان على الاقل ادنى حمـــاية ضد نيران العدو وتساعدهم على التقدم الكافي بالقرب من قلعة الموت ·

انتهى الاجتماع ، واتخذ القرار ، وامتلأت قلوبنا بثقة جديدة · ونـام جنود الارغون ملء جفونهم · ولكن الضباط لم تغمض لهم عين · كل دقيقة من الليلة شغلت بالتخطيط لمعركة الغد ·

- ٤ -

ومع الفجر جاءت الصحف ·

اسودت الدنيا امام عيوننا عندما قرأناها · لقد افادت احدى الصحف بما اسمته بهجوم الارغون الفاشل علـى يافـــا · واخرى اعلنت ان هجوم الارغون على يافا استعراض عقيم· استعراضي، عقيم، كل هذه المصطلحات كانت متشابهة ومثيرة للعجب · ومن الواضح ان شخصا ما اعطى الصحف ارشادات رسمية ·

ولقد نشرت قيادة « الهاغاناه » بيانا صيغ بمصطلحات شبيهة تماما · وخطوا اكثر من ذلك ، لقد اخبروا مراسلي الصحف الاجنبية ان منظمـــة الارغون على يافا استعراض عقيم· استعراضي، عقيم، كل هذه المصطلحات شيء وزيادة على ذلك فان هذا يزود العدو بالمعلومات ·

اعدنا قراءة تصريح «الهاغاناه» واكتشفنا التهديد الظاهر في تفاصيله· « ان الهاغاناه لن تتحمل ولن تتسامح » الخ · لقد قرانا المقالات التي كتبت في الصحف لشرح المصطلحات وتبريرها : « استعراضي » و « عقيم » التي استعملت كعناوين رئيسية ، اكتأبت قلوبنا للفكرة المروعةفهم ــ اي الهاغاناه ــ كانوا يريدون فعلا انيقضى علينا· هناكاذا فيالمؤخرة كانيجلس صحفيون وقادة يهود ينتظرون وكلهم امل في انهزام الشبان اليهود · لقد عانت هذه

المدينة العظيمة ولمدة ستة اشهر من القصف والقتـل مما حدانا الى خـوض معركة الشعب اليهودي · هنا على الجبهة قد سفكت دماء رجالنا من اجل شعبنا ، من اجل خلاصه ومستقبله ·

تكلمت مع بعض الشبان الذين بدأوا بالاستعداد لمواصلـة المعركة · لقد قرأوا تصريح « الهاغاناه » وتقارير الصحف · ولكن الغريب في الامر انـه لـم تكـن هنـاك ايـة علامـات للغضب مـن جانبهـم · لقـد قبـل الرجال السائرون الى المعركة الشتائم كما لو كانت رسائل وديـة مفعمـة بالشعور الودي · والاثر الوحيد الذي تركته شتائمهم وتشويههم لسمعتنا هو تقوية ارادتهم بالنصر · كنت اكن التقدير في داخلي لهذه العائلة المقاتلـة العظيمة · لقد ذهبوا بملء ارادتهم الى « عنق الزجاجة » لقد كانوا يواجهون نيران العدو بصدورهم ، ويتلقون بظهورهـم الشتائم وتشويه السمعة مـن ابناء شعبهم · هل حارب اي جيش من الجيوش في التاريخ كله في مثل هذه الظروف ؟ ·

لقد اعتدنا على الهجوم المزدوج · الرصاص من جهة والشتائم من جهة اخرى · خلال سنوات الثورة تعرضنا للاهانـة والمعارضة مـن الادوات الرسمية ، ولكننا واصلنا النضال ·

وكان من الطبيعي ان يسأل الرجال رفاقهم وهم يواجهون حملة الشتائم هذه التي تثير الاشمئزاز · من اجل من نقوم بهذا ؟ لمن نقدم ارواحنا ؟ الم يكن بالامكان مواساتهم لو اجابوهم : ان هذا الشعب ليس اهلا للتضحية · دعوا اولئك الابطال يأتون من المؤخرة ويكشفون عن صدورهـم لرصـاص الاعداء · هل نقف امـام الرصاص العربي والقذائف البريطانيـة مكتوفي الايدي لكسب اللعنات اليهودية ؟

ولكن لم يسأل احد من الرجال هذه الاسئلة · لقد قرأوا صحف تل ابيب وابتسموا · لقد كانت ردة فعلهم الاستمرار في القتال ، بالرغم من العدو ، وبالرغم من الحاقدين اليهود القابعين في المؤخرة ·

في ذلك الصباح التراجيدي ٢٨نيسان ١٩٤٨ اظهرت الجماعة الصغيرة من مقاتلي « الارغون » الشجاعة والبسالة ، وروحا عظيمة لا تقهر · واني اجرؤ على القول انه لا توجد هناك روح تفوقها في جميع قصص الشجاعـة الانسانية ·

- ٥ -

وبينما كانت هذه الحوادث تتفاعل في تل ابيب ، جدد «جدّي» الهجوم على يافا · فلقد صبت مدافع « المورتر » القذائف بالمئات بعد تحديد المواقع على الخارطة وتسديد الرمي بكثير من الدقة وذلك بمساعدة مواقع مراقبة ثابتة · لقد اعطيت الاوامر للرماة بأن لا يتعمدوا ضرب المستشفيات والابنية التي ترتفع عليها اعلام الدول الاجنبية· فقد زار مقر قيادتنا في اليوم السابق القنصل الفرنسي وطلب منا الكف عن قصف المؤسسات الخيرية التي ترعاها فرنسا ، فوافقنا على شرط ان ترفع هذه المؤسسات الاعلام الفرنسية ·

وازدادت غزارة القصف وفعاليته · وبعد ذلك تقدمت وحداتنا ونسفت مواقع العدو في « عنق الزجاجة » · واستمر القتال ساعات متوالية حتى المساء · وتحت ضغطنا المتزايد بدأت قوات العدو تنسحب من اماكن كثيرة· واخيرا اخذوا يتراجعون بلا نظام ·

ومرة اخرى بدأت القوات البريطانية محاولة الانقاذ · ففي اليوم الاول طلب احد الضباط البريطانيين من بعض الدوائر اليهودية الضغط علينا حتى لا نهاجم القوات البريطانية الموجودة في يافا اي عند محطة السكة الحديدية ومنطقة الحماية · ثم وعد انهم سيقفون على الحياد اذا لم نهاجمهم · ولكنهم خلفوا بوعدهم منذ اليوم الاول · لقد كان « حيادا » من نوع خاص ، فقد اداروا دباباتهم واطلقوا نيران مدافعهم الرشاشة والثقيلة زارعين الموت الحيادي بين القوات اليهودية · وفي اليوم الثاني من المعركة اصبح هذا الحياد الغريب اكثر غرابة · لقد تقدم حاكم منطقة « اللد » (التي تتضمن يافا) الى رئيس بلدية تل ابيب قائلا : « ان الجيش البريطاني مصمم على منع الغزو وبالقوة.اذا ما دعت الضرورة الى ذلك · وانه اذا لم تضع المؤسسات اليهودية حدا لعملية الارغون الكبرى فان الجيش سيبدأ عمله ضد رجالنا » ·

الحقيقة ان القوات البريطانية لم تكن بحاجة للذهاب للعمل لانها لم تكن خارج العمل في يوم من الايام · اما التحول الوحيد الذي حصل

هو انه في اليوم الثاني زادت القوات البريطانية نشاطها ضدنا من اجل منع انهيار الجبهة العربية الوشيك · ومن اجل ان تحتفظ بيافا للخطة العامة ، حتى يحين موعد الجلاء وذلك في ١٥ ايار ·

ومرة اخرى عانينا كثيرا من الخسائر في الارواح · واصبحت المعركة اكثر صعوبة بالنسبة لنا · ولكن كان ضغطنا قويا مما دفع الاعداء الى بعض التراجع · ولكن قبل ان يستطيع شبابنا التقدم قامت القوات العربية والبريطانية بهجوم معاكس تساندها المدفعية واجبرتنا على التراجع · وعلى هذه الحال تبدلت الاحوال في تلك المعركة · وعدنا نخسر الكثير من الرجال· ولكننا كنا دائما نضع رجلا جديدا مكان المحارب الميت · وعدنا بعد هجوم شديد الى احتلال بعض مراكز العدو ، وعدنا الى التقدم · ولكننا لم نستطع الاختراق ·

وفجاة رأينا امام اعيننا ظاهرة عجيبة ··· الهرب الجماعي من يافا · وبدا المدنيون العرب وفريق من المحاربين يهربون تاركين المدينة وهم مذعورون·

والظاهر ان وراء هذا الهرب سببان · الاول اسم مهاجميهم المخيف والدعاية المرعبة التي احاطت بهذا الاسم · فقد ارسل مراسل «اليونايتدبرس» في بيروت يومها يقول « ان الهاربين الذين وصلوا الى بيروت قالوا ان الاخبار التي وصلتهم تفيد بان الارغون تقوم بالهجوم مما زرع الرعب في قلوبهم » · اما السبب الثاني فقد كان غزارة قصفنا · وانا لا اذكر عدد القذائف التي ارسلناها الى يافا ، ولكني اعرف ان المجموع كان لا باس به· لقد جعلت قذائفنا تحرك قوات العدو مستحيلا · وقطعت مصادر الكهرباء ، واتلفت خطوط الهاتف ، وحطمت انابيب المياه ، وسادت الفوضى في المدينة على اثر ذلك ، وتحطمت معنويات العدو، وبدا بالهرب عن طريق البحر والبر والسيارات والاقدام · بدا الهرب بالالاف ثم تزايد الى عشرات الالوف · ولقد افادت المصادر البريطانية ان خسائر كبيرة لحقت باهل المدينة · وان معسكرا للمتطوعين العراقيين قد اصيب اصابة مباشرة بقذائفنا وقتل من جراء ذلك اكثر من مائة منهم ·

فحاولت السلطات العسكرية البريطانية تهدئة العرب الخائفين · وكانت يافا في فوضى شاملة · وكانت الشوارع في طوفان والبيوت مفتوحة

ومتداعية . وسادت حال من السلب والنهب والقتل . ولم تكن هناك سلطة تستطيع ان تمنع الاخلاء التام للمدينة .

لم يقذف الهرب الرجال المدنيين من اهل يافا فقط بل بالمحاربين ايضا وليس من يافا وحدها بل من المناطق المحيطة بها . وبعد سقوط يافا وقعت منطقة « ابوالكبير » بأيدي اليهود بدون اطلاق رصاصة واحدة. ولقد اخبرني مؤخرا احد ضباط « الهاغاناه » ان « ابو الكبير » كـــانت محصنة ومعززة تعزيزا قويا بحيث يمكنها الصمود لمدة طويلة .

-٦-

عندما كانت معركة اليـــوم الثاني على اشدها ذهبت مع « ابراهام » لمقابلة ممثلي الوكالة اليهودية والهاغاناه . وفي هذا الاجتماع بحثت قضية يافا . ان الهجوم الذي بدأ بعاصفة من الشتائم والذم من الادارات الرسمية اصبح الان عملية رسمية « موافقا » عليها من جانب الهاغاناه . عدت الى مقر قيادتنا عندما كانت المعركة في اليوم الثاني على وشك الانتهاء . وكنـا قد استولينا على مراكـــز حصينة تمكننـا من محاولة الاختراق . واصبح ضباطنا ورجالنا يعرفون طرق العـدو وطبيعـة الارض . وتعلمـوا كيف يستفيدون من اخطاء اليوم السابق. ولكنهم لم يصلوا الى الهدف بعد . لم «يفتحوا يافا ، ويصلوا الى البحر ، ولم تتحطم للان «عنق الزجاجة» .

ودعوت الى اجتمـــاع الضباط واخبرتهـــم بمـا دار في اجتماعنا «بالهاغاناه» ثم اخبرتهم ان «الهاغاناه» توافـق على استمـــرار الهجوم اذا كان هناك فرصة لاختراق خطوط العدو في غضون ٢٤ ساعة . وقلت لهم : « ولكنني لا اعتقد انه يجب ان نستمر في قذف تلك المراكز القوية التي تدعمها الدبابات البريطانية . لقد قمنا بواجبنا في يومين وليس من العار ان نؤجل العملية في هذه الاحوال السيئة . سندافع عن المراكز التي وقعت في ايدينا ولكننا سنسحب القوات الاخرى » .

وساد الاجتماع سكون رهيب . وبقي «جدّي» صامتا مدة طويلـة .

اما الضباط الاخرون فقد عبروا عن رايهم باقتراحي فكان بعضهم مع الاقتراح وكثيرون كانوا ضده · واخيرا قررنا سحب معظم وحداتنا تاركين قوة محددة في مدرسة « الاليانس » · وهذا يعني تعليق الهجوم المباشر ·

وفي تلك الليلة حدث شيء غريب · ففي المرة الاولى في تاريخ « الارغون » يتمرد رجالها ويرفضون اطاعة الاوامر · وتكلموا باساليب مختلفة لمضمون واحد : اننا لن نهجر ارض المعركة ··· فلنجرب مرة اخرى ·· اننا سوف نهزمهم هذه المرة ·· لم نضعف ·· سوف نهزمهم» ·

عاد «جدي» من جولة تفتيشية للخطوط الامامية · لقد كان وجهه شاحب اللون · وقف امامي مغطى بالقذارة والغبار من جراء الزحف على يديه وركبتيه وقال :

« لقد اكتشفت بعض النقاط الضعيفة في مواقع العدو · انني متاكد من امكانية الاختراق » ·

ومن الجبهة وصلتني اصوات المدافع والرشاشات وانا جالس وحدي في غرفة الاجتماع ··· لقد كنت افكر في هذه المناقشة الحادة الصامتة بين القائد ورجاله · واخيرا انتهى النقاش ونجح عصيان الرجال · لن يكون هناك تراجع · وسوف يستأنف الهجوم ·

– ٧ –

كان الوقت متاخرا من الليل · والرجال نيام ياخذون قسطهم من الراحة ليستعيدوا نشاطهم للصباح الاتي · ولكن لم يكن هناك راحة في المعسكر تلك الليلة · وقوة جديدة سرت بأعجوبة في العضلات التي انهكت تماما · انحنى الضباط فوق خرائطهم يضعون تفاصيل الخطة · واستمرت الاستعدادات المحمومة حتى ساعات الصباح ولكن المعركة لم تبتدىء الا بعد الظهر حين بدأت مدافع المورتر تلعلع مرة اخرى وتقذف الحمم من جديد ، واتسعت المعركة الحاسمة وتوهجت حتى اصبحت متقدة كجهنم ·

ومن المراكز التي استولينا عليها والمعززة باكياس الرمل تقدمت وحداتنا بينما كانت الطريق تمهد امامهم بوساطة «المدفعية الحية» النسافون. وبين نيراننا ونيران العدو كانت تلك الفرقة النسافة تتقدم وتضع الغامها وتعود ، ثم تتقدم من جديد نحو هدف جديد . خطوة خطوة بدأ العدو يتراجع عن مراكزه .

وفي هذه المرة لم تستطع مساعدة البريطانيين ونيران دباباتهم من ايقاف التقدم . لقد امطروا خطوطنا بوابل من النيران ولكننا بقينا صامدين . واخيرا سقط في ايدينا مركز العدو القوي الذي كان يمنع تقدمنا نحو البحر لمدة يومين ... وانتقلت فرقة النسف من مكان الى آخر تقدم بعملها وتفتح طريق النصر لرفاقها .

ولمتفتح المتفجرات وحدها الطريق، فقد ادخل سلاح جديد الى المعركة. المعاول ، والقضبان الحديدية كانا هما السلاحان اللذان استعملا بوساطة الشبان ليفتحوا ممرات خلال الابنية المهدومة .

لقد كان «جدّي» يتبع النظرة الكلاسيكية للاستراتيجية الحديثة : احفر وعزز المواقع التي تستولي عليها .

وفجأة انتهى ما لدينا من اكياس الرمل . في تلك الليلة حدثت سرقات غير عادية في تل ابيب كسرت ابواب المخازن والدكاكين ولكن لم يؤخذ الذهب ولا الفضة لقد كان اللصوص غرباء . ولقد كانت الاشياء المسروقة هي اكياس ، اكياس . آلاف وآلاف الاكياس سرقت وذهبت الى جبهة يافا والذين قاموا بعملية السطو رجال الشرطة اليهود المدافعين عن القانون والنظام .

وهكذا امتدت حلقات النار والدم والجهد والرمل في معركة الانتصار لقد بدأت يوم الثلاثاء بعد الظهر وانتهت صباح الاربعاء خمس عشرة ساعة دون راحة وهي تتقدم بين جهد العقل والجسم والروح .

ولم تفقد العدو مراكزه الحصينة بل بدأ يتراجع نحو البحر بينما كانت مراكزه تنسف ويتقدم فوق انقاضها رجالنا الذين وضعوا نصب اعينهم شعارا واحدا : الى الامام حتى النصر .

وعندما وصلوا الى البحر شعروا بالفرح · فرقصوا وغنوا ولوحوا بايديهم وراحوا يطلقون النار في الهواء ·ان هذا الفرح مغتفر بعد ان تحملوا وعانوا وانتصروا · والان . « ركعت » يافا امامهم لا حول لها ولا قوة ·

ولكن «جدّي» كان الوحيد الذي لم يجرفه الفرح · لقد كان يقدر ايضا اننا وصلنا وتغلبنا وانتصرنا · ولكنه كان يعلم كونه قائد معركة ان خط العدو الاول قد تحطم ، ولكن المعركة لم تنته بعد . ويتوقع ان يقوم ـ العدو ـ بهجوم معاكس في اية لحظة ·

وجاء الهجوم المضاد الجديد طيلة يومين كاملين اذ لم يكتف الانكليز بمساندة العرب فقط ، بل بداوا يقذفوننا بنيران دباباتهم ومدافعهم الثقيلة ، ولم يتورعوا عن استخدام طائراتهم لكي يحولوا دون احتلال يافا ·

كما كان هذا الهجوم المضاد هجوما دفاعيا · ففي يوم الخميس وهو خامس يوم للمعركة من اجل يافا فتحت القوات البريطانية نيران مدافعها الثقيلة على مواقعنا فقتلوا الكثير من رجالنا وجرح الكثير · وبعد هذا القصف الشديد اصدرت الحكومة بيانا اوضحت فيه انها لم تكن تهدف مهاجمة تل ابيب بل تريد « منع اي تقدم لقوات الارغون نحو يافا» ومن وجهة النظر العسكرية فان يافا العربية سقطت في ايدي « الارغون » صباح يوم الثلاثاء ٢٧ نيسان · ولكن احتلالها في ذلك الحين منعته السلطات البريطانية بدباباتها ومدافعها وطائراتها وتهديداتها بتدمير تل ابيب · ولكن الاستيلاء اليهودي ليافا لا يمكن ان يمنع بعد الان لقد اصبح ابديا ·

ولكن القوات البريطانية ارادت اكثر من منع اي تقدم جديد ، فقد كانت تريد استرجاع المنشية لتكون تحت سيطرتها · فوقفنا في مراكزنا لمدة يومين آخرين ونحن نصد امواج بعدامواج منالهجمات المضادة التي قام بها العدو· ولم تتحطم خطوطنا ·

وخلال الهجوم المضاد هذا تقدم رجالنا نحو المنشية واحتلوا «مخفر شرطة المنشية» دون اطلاق اية رصاصة · وعند مسجد «حسن بك» قاومتهم فرقة صغيرة استطاعوا ان يتغلبوا عليها بسهولة ولم يصب المسجد بسوء · ثم رفعنا على مأذنته علمنا الذي رآه سكان تل ابيب صباح الاربعاء فوقفت الجماهير تمتع انظارها بهذا المنظر · فقد كان ذلك المكان يرجم اهل تل ابيب بالموت لمدة ستة اشهر · وقد استراحوا اليوم منه ·

خلال عملية التطهير هذه حصلت حادثة خطيرة • لقد رفع عدد من العرب ايديهم فوق رؤوسهم مستسلمين ، وعندما اقترب وحدتنا ، شهر احد العرب مسدسه • واطلق النار على قائد وحدتنا فارداه قتيلا • فقتل العرب جميعهم على الفور • لقد كان رجالنا يقتلون من الغضب • ولم يكن من السهل ضبطهم •

- ٨ -

وفي تلك الاثناء عقدنا مؤتمرا صحفيا في مركز القيادة الذي كانت تتساقط بجانبه القنابل والقذائف . وهو الاول بعد سنتين من الثورة والحرب•

وفي افتتاح المؤتمر لم اكن لاستطيع التحدث فقلت : «ايها السادة ، لقد دعوناكم لتروا بانفسكم نتائج الهجوم الرابع الذي قامت به منظمة «الارغون»•

وكانت تل ابيب في بهجة متواصلة • فلن تستطيع يافا بعد اليوم ان تهاجم تل ابيب ويستطيع آلاف المهاجرين الذين هربوا الى الازقة وتحت السلالم ان يعودوا الى بيوتهم • واعلنت القيادة البريطانية العليا ان هجوم الارغون‌زفاي ليومي على يافا ــ التي لم تعط لليهود بموجب التقسيم ــ قد غير الحال واخطر القيادة الى تقوية الجيش في تلك المنطقة• ثم اعلن راديو لندن ان القوات التي كانت قد انتقلت الى قبرص ، نقل اكثرها الى يافا ، لمنع سقوطها في ايدي اليهود • وقد كانت هذه الاذاعات تهدف الى تشجيع العرب ، واخافة اليهود ولكنها لم تثمر •

ورددنا على البريطانيين ببيان صغير طلبنا فيه ان يرحلوا بسلام • ثم نسفنا مخفر بوليس المنشية الذي طالب الانكليز به وحولناه الى حطام • ونسفنا كل البنايات التي تقع على الشارع العام فقطعنا بذلك الطريق الى تل ابيب • وتراجع الانكليز وقبلوا بالامر الواقع •

لقد انتهى امر يافا • وبعد ايام جاءت لجنة من الاهالي الذين بقوا في المدينة تطلب «شروطا» للبقاء • وفي اوائل ايار وفي يوم غزو الدول العربية الخمس وقعت تلك اللجنة على تسليم المدينة لليهود • وقد دخلت قوات «الهاغاناه» و«الارغون زفاي ليومي» معا •

- ٩ -

قد يلاحظ بعض الناس اهمية يافا بالنسبة الينا ، ولكنها من الناحية السياسية والتاريخية ذات اهمية قصوى • فان بريطانيا ارادت ان تحافظ على يافا لكي تخدم خطة الانتداب المبنية على «الخروج ثم الرجوع» • فقد كان على يافا ان ترهب تل ابيب خصوصا بعد ١٥ ايار فتشل بذلك عمـــل القوات اليهودية • لقد كانت يافا الاداة الرئيسية لاذلال اليهود ودفعهم الى طلب الحماية البريطانية • ولكننا افشلنا هذه الخطة في الوقت المناسب •

ففي اثناء الثلاثة اسابيع المتبقية على الغزو العربي كـان العـــرب يستطيعون ، بمساعدة بريطانيا ان يغرقوا يافا بالرجال والسلاح والقنابل لقصف تل ابيب • وفوق ذلك ، لم يكن رحيل البريطانيين مؤكدا في ١٥ ايار ، فقد بقوا في بعض المناطق الى منتصف تموز •

ولكن لنفترض ان الحكومة البريطانية ستترك يافا في ١٥ ايار • فاننا في ذلك لن نقابل عدوا قويا فحسب ، بل ستتغير الظروف ايضا • ففي صباح ١٥ ايار بدأت الطائرات المصرية تهاجم تل ابيب فعطلت المواصلات • ففي مثل هذه الحال لم نكن لنستطيع تحريك قواتنا ، ونجداتنا ، وذخائرنا الى اماكن القتال •

ثم ان يافا لا تبعد كثيرا عن غزة والقوات التي نزلت هناك كانت تستطيع ان تنزل في يافا • وفي ١٥ ايار لم يكن لدينا طائرات ولا بواخر حربية •

لقد انقذ احتلالنا ليافا شعبنا اليهودي من الدمار • لقد كان احتلال يافا حدثا عظيما في تاريخ حرب التحرير اليهودية •

الفجر

في ١٠ و١١ ايار ١٩٤٨ اخبرنا رئيس «الهاغاناه» ان غالبية المؤسسات اليهودية قد وافقت على اعلان الحكومة اليهودية المؤقتة فور انسحاب قوات الانتداب البريطاني عن البلاد • فقلت له : «اننا سنعترف بالحكومة المؤقتة ونؤيدها دون النظر الى تركيبها» • واضفت هذا التحذير «اذا اعلنت الحكومة يوم الجمعة ١٤ ايار فان طائرات العدو ستكون فوق تل ابيب صباح السبت» •

لقد كانت افكارنا مركزة على تطوير معركة الاستقلال ، والوجود على عدة جبهات ، كانت على وشك ان تفتح علينا ، في الشمال ، في الجنوب والشرق في البحر والجو • ومع هذا كان من المستحيل انلا نمعن النظر في الحادثة العظيمة والعجيبة التي تتراءى امامنا • ان النظام الذي كان قائما على مائة الف حربة قد انهار • ونهض على انقاضه نظام جديد • امة قديمة مرت في خطر زوال ولدت من جديد ، بعد الفي سنة من النفي ، ومن الاهانة ، والخراب ، عاد الشعب اليهودي الى ارضه • والان ومع الجيل الواحد والسبعين بعد النفي عاد هذا الشعب التائه الى وطنه • لقد انتهت الرحلة الدنيوية واقفلت دائرة الترحال والتجول ، وعادت الامة الى الوطن •

لقد قامت دولة اسرائيل !!

ليلة السبت ١٥ ايار ذهبت الى محطة الاذاعة السرية التابعة لمنظمة «الارغون زفاي ليومي» في وسط تل ابيب • لقد كنت بين اصدقائي وفي بيتي ولكن جلالة الساعة ارهبتني ••• ومن هناك القيت خطابي الى الشعب اليهودي فقلت :

«لقد قامت دولة اسرائيل بالدم والنار ، بالاكرام والتضحيات ولم تكن لتقوم بغير ذلك • ولكننا لم ننته بعد • يجب ان نحارب • ان نكمل قتالنا • لقد احتجنا الى العرق والدموع والمشانق لنصل الى مرحلتنا هذه حيث يعيش اليهود ويحكمون في جزء فقط من ارض كلها لهم • يجب ان نقوي انفسنا من الداخل ، والركن الاول لهذه السياسة هو ارجاع اليهود الى اسرائيل • يجب ان ندخل اكبر عدد ممكن ، ولا نقيد انفسنا بقوانين مجحفة ولا بكلام فارغ حول امكانيات البلاد في تأمين موارد رزق هؤلاء ••• احضروا الآلاف من المهاجرين ، وبسرعة ، فنحن الان في حرب حياة او موت ، بقاء او عدم ، بقاء ، وغدنا وغد اعدائنا متوقفان على كسب الوقت وتركيز الجهود •

«•• والان فان دولة اسرائيل قد قامت ، ولكن يجب ان نعلم ان دولتنا لم تتحرر بعد • ان المعركة مستمرة والسواعد اليهودية هي التي ستحدد حدود دولتنا وهكذا تقف الحقيقة الان ، وهكذا ستكون في المعركة المقبلة ••• ان بلادنا المعطاة لنا من الله هي وحدة لا تتجزأ وكل محاولة لتجزئة اسرائيل ليست جريمة فحسب ، بل هي كفر وخيانة • ان الذي لا يعترف بحقنا في بلادنا كاملة ليس منا ، وليس له الحق ان يعيش فى الجزء الذي نحكمه الان • اننا لن نتنازل عن حقنا الطبيعي هذا ، بل سنظل نعمل باستمرار في سبيل وحدة اسرائيل واستقلالها الكامل» •

انتهى الخطاب وخرجت الى شوارع تل ابيب • اخبرني احد رفاقي : «ان كل بيت فيه راديو قد استمع الى خطابي ، واكثر الشعب اعجب به» • لقد كان الظلام يحيط بنا من كل جانب ••• وسيبقى برهة كذلك ••• وستراق الدماء ••• ولكن خلف الاحزان والظلام سيبزغ فجر وردي ••• لقد خرجنا من العبودية الى الحرية ••• وفي الغد ستشرق الشمس ••• وسيضحك اطفال اليهود مرة اخرى •

ملحق

الانتخابات الاسرائيلية

اعداد

معين احمد محمود

- مقدمات ونتائج
- الاحزاب التي يتالف منها تكتل ليكود
- برنامج ليكود السياسي
- صدى الانتخابات :
  - اسرائيليا
  - عربيا
  - دوليا
- خطة عمل حكومة بيجن للسنوات الاربع القادمة
- مستقبل الضفة والقطاع في مشروع بيجن

مساء ١٢ آب من العام ١٩٤٤ ، ارسل حاخام اليهود الاكبر احـــد معاونيه حاملاً رسالة الى مناحيم ولفووتش بيجن رئيس منظمة «الارغـــون زفاي ليؤمي» كانت الرسالة تشيد بالعملية الضخمة التي نفذتها المنظمة في فنـــدق الملك داود بالقـدس · وتنتهي الى اطـلاق اسم «مناحيم صهيون» اي «عزاء الصهيونية» ، على بيجن الذي تسلم الرسالة وهو داخل الصندوق الخشبي الذي كان يختبىء فيه منذ اربعة ايام ، اي منذ يوم الثامن من الشهر المذكور تاريخ الانفجار الذي اودى بحياة ٢٠٠ ضحية ·

منذ ذلك التاريـخ ، وحتى الاسبـوع الـذي اصبـح فيـه منـاحيـم بيجن زعيما لاسرائيل ، مرت الدولة الصهيونية بمراحل كثيرة ، فيما اثبت بيجن انه تفوق على مشاهير الارهابيين في التاريخ ، فهو اعطى للعنف بعدا فكريا ، فتفوق على كروتبكين الفوضوي وباكونين الفيلسوف الدموي ، وحتى على فلادمير جابوتنسكي المخطط الارهابي الصهيوني ·

واذا كان كل الارهابيين في العالم هم عناصر يلفظها المجتمع وينفـر منها الناس ، فان طريق السلطة في (اسرائيل) مفروشة بالارهاب ، بمعنـى ان المجتمع الصهيوني يمشي اليوم وراء قائد حفل تاريخه بالاعمال الارهابية المنكرة · والواقع ان ظاهرة بيجن في تاريخ الحركة الصهيونية ليست شيئا متفردا اذ ان الحركة المذكورة عرفت قبله ارهابيين كثيرين ، كما عرفت بعده عددا من هؤلاء ، ولكن الظاهرة التي يعتبرها البعض مفاجئة ، هي ذلك الموقف العنيف الذي وقفه المجتمع الصهيوني باختياره بيجـن زعيمـا للبـلاد ، في وقت هو بالنسبة الى كثيرين حتى من «الاسرائيليين» ، وقت التسوية والحلول السلمية ، او بمعنى آخر وقت التناقض الكلي مع العنف والارهاب · من هنا

فان الحديث عن موقف المجتمع الاسرائيلي والناخب الاسرائيلي يأخذ حجما واهمية ، اكبر من حجم واهمية الحديث عن بيجن القادم الى السلطة من صندوق خشبي كان يختبىء فيه قبل ٣٣ سنة ٠

لقد كان واضحاً منذ حلول نهاية ١٩٧٣ ، ان الوقت والديموغرافيا في اسرائيل يعملان لصالح اليمين المتطرف الذي تقوده «ليكود» التي تضم حزب «حيروت» ، وهو الحزب الذي يرأسه بيجن ، والذي يشكل الامتداد السياسي، لما كان يعرف في السابق باسم منظمة «ارغون زفاي ليؤمي» الارهابية ، او المنظمة العسكرية الوطنية ٠

وبغض النظر عن التيارات المتعارضة داخل المجتمع الاسرائيلي ، فان الاهم من هذا ، هو ان الانتخابات الاسرائيلية الاخيرة ، اكدت حقيقة لا مجال لتجاهلها ، وهي احساس الصهاينة بالحصار المضروب حولهم اقليميا ودوليا٠ وفي هذا النطاق يقول احد الدبلوماسيين العرب : «ان المواطن الاسرائيلي يحس اليوم بان العالم قد تخلى عن تأييده السابق والمطلق لاسرائيل ، فمنذ حرب ١٩٧٣ حتى اليوم ، توفرت مجموعة من الحقائق والمواقف التي خلقت في اعماق الاسرائيلي احساسا بان شرعية الدولة التي يحمل هويتها ، هي شرعية تتاكل يوما بعد يوم ، وبان ٢٩ سنة من حكم حزب العمل قادت اسرائيل الى هذه المواقع الحرجة ،ولهذا فان الاسرائيليين صوتوا الى جانب بيجن الذي يشكل بالنسبة الى ضميرهم السياسي مدرسة تمثل القوة والعنف، وهما عاملان تحتاجهما النفسية الاسرائيلية اليوم وهي تواجه مآزق السلام كما لم تواجهه من قبل» ٠

وبغض النظر عن المشاكل الاقتصادية التي واجهت الناخب الاسرائيلي في عهد حزب «العمل» وعن سلسلة الفضائح التي تورط فيها قادة الحزب المذكور ، وهي عوامل مؤثرة في الخيارات الانتخابية ، الا ان نجاح كتلة «ليكود» في الانتخابات ، يشكل الرد النفساني على حالة الحصار التي يحس بها الاسرائيليون ٠ وفي اختيار بيجن وهو رمز العنف ، هو بالمعنى اليهودي اغراق في التعلق بالصهيونية ، التي هي في الاساس عقيدة تمارس كايديولوجية لحل المشكلة اليهودية ٠

ولكي لا يغرق الانسان في التحليلات ، فان الشيء الثابت والحقيقي هو ان الحديث عن التطورات السياسية في اسرائيل ، كنتائج الانتخابات

الاخيرة مثلا ، يتميز عن الحديث عن اية تطورات مشابهة في اي بلـد مـن البلدان ، ذلك ان المعهود في المجتمعات السياسية ان الاحداث هي التي تفرز النتائج ، بينما النتائج المخططة سلفا والاهداف الموضوعة من قبل ، هي التي تصنع «الاحداث» في اسرائيل · وليس ثمة من شك في ان الصهيونية العالمية التي تضع وتدعم استراتيجيـة الكيان الاسرائيلي ، هي التي تحرك الاحداث فوق سطح الدولة الاسرائيلية ، بما يتناسب مع هذه الاستراتيجية، ومن ثم فان سقوط شمعون بيريز ، ونجاح بيجن ، وقبل ذلك احتراق اسحق رابين ، وانهيار ابا ايبان ، ما هي الا نتائج محددة سلفا من قبل الصهونية ·

ويستشهد الذين يؤكدون هذا الواقع ، بما حصل مع اسحق رابين · لقد بقي الرجل الذي اختاره كيسنجر (الصهيوني) نظيفا وصالحا وقائدا ، الى ان حان الوقت الذي اصبح بقاؤه في السلطة يشكل عامـل احـراج لاستراتيجية اسرائيل ، اي لاستراتيجية رفض السلام ، وعندها فتح ملفه المصرفي تمهيدا لتبرير اقصائه عن السلطة ، امام الرأي العام الاسرائيلي اولا ، والدولي ثانيا · وملف رابين المصرفي لم يكن شيئا جديدا اكتشفتـه السلطات فجاة، وانما كان موجودا ومحفوظا بانتظار انيحين وقت استعماله·

واكثر من هذا ، فان الذين تخصصوا بدراسة الصهيونية كنظريـة وممارسة ، يقولون ان اسحق رابين نفسه كان يعرف ان عليه ان يحترق ، وان شمعون بيريز كذلك كان يدرك انه سيفشل ، وان بيجن عرف انه سيصيب النجـاح ·

ولعل افضل تشبيه للعبة السلطة في اسرائيل هو القول ان اسرائيل اشبه ما تكون بالسيارة · فالسائق هو الصهيونية والدواليب هم القادة في تل ابيب ، وكل دولاب يقطع مرحلة معينة ، والمهم ان تحافظ السيـارة على اندفاعها ·

نتائج الانتخابات الاسرائيلية :

كانت نتائج الانتخابات في الكنيست التاسعة كما اعلنها المسؤولــون لصهاينة على النحو التالي :

اسم الحزب	عــام ١٩٧٣	عام ١٩٧٧
١ ـ تكتل ليكود	٣٩ مقعدا	٤٣ مقعدا
٢ ـ تجمع العمل	٥١ مقعدا	٣٢ مقعدا
٣ ـ الحركة الديمقراطية للتغيير (داش)	لم تكن موجودة	١٥ مقعدا
٤ ـ الحزب الديني (المفدال)	١٠ مقاعد	١٢ مقعدا
٥ ـ راكاح	٤ مقاعد	٥ مقاعد
٦ ـ اغودات اسرائيل (جبهة التوراة)	١٠ مقاعد	٤ مقاعد
٧ ـ حركة الجنرال شارون	لم تكن موجودة	مقعدان
٨ ـ حركة شلي	لم تكن موجودة	مقعدان
٩ ـ قائمة فلاتو شاردن (ملوب للعدالة الفرنسية)	لم تكن موجودة	مقعد واحد
١٠ ـ القائمة العربية الموحدة		مقعد واحد
١١ ـ حركة حقوق المواطن	٤ مقاعد	مقعد واحد
١٢ ـ الاحرار المستقلون	٤ مقاعد	مقعد واحد
١٣ ـ عمال جبهة التوراة (اغودات اسرائيل)	٥ مقاعد	مقعد واحد

الاحزاب التي يتالف منها تكتل ليكود :

يتالف تجمع الليكود حاليا من ثلاث حركات هي :

١ ـ **حركة حيروت** وتعني (الحرية!) ويراسها الارهابي مناحيم بيجن وقد تشكلت هذه الحركة من اندماج حركة الارغون الارهابية مع عصابة شتيرن بحيث توحدتا معا بعد قيام الدولة الصهيونية تحت اسم حركة حيروت التي تحولت فيما بعد الى حزب سياسي ٠ لعبت كلا الحركتين دورا ارهابيا كبيرا في عهد الانتداب وفي حرب ١٩٤٨ وكان يشرف على توجيهها في ذلك الوقت مناحيم بيجن ٠ وقد اقترف رجال حيروت وزعماؤها الحاليون المذابح العديدة ضد المواطنين الفلسطينيين العزل من السلاح واشهر تلك المذابح التي قام بها بيجن وعصابته مذبحة قرية دير ياسين المعروفة التي ذهب ضحيتها اكثر من ٩٠٠ شهيد من سكان القرية الصغيرة ٠

٢ـ **حزب الاحرار** : ويرّأسه سيمحا ايرلخ السكرتير العام لتكتل ليكود ٠ واهم مبادىء هذا الحزب اقامة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات وتهويد جميع المناطق المحتلة باعتبارها ارض (اسرائيلية) محررة ٠

٣ ـ **كتلة لاعام**: ويتزعمها يغال هروفيتش وكتلة احدوت هافودا ٠ وهما حركتان دينيتان تؤمنان بنفس الاهداف السابقة ومتعصبتان لكل ما هو يهودي باعتبار ان اليهود هم شعب الله المختار ٠

٤ ـ **حركة غوش ايمونيم** : وهذه حركة استيطانية تؤمن بتهويد كافة الاراضي المحتلة باعتبارها (ارض اسرائيل الكاملة) ورغم انها اعلنت انه ليست لها اهداف سياسية وليست مرتبطة بأي حزب سياسي ٠ الا انها تنفذ المخطط الذي يتبناه تكتل ليكود باعتبار الاراضي المحتلة اراض محررة وجزءا لا يتجزأ من ارض اسرائيل التاريخية ٠

برنامج الليكود السياسي :

خاض تكتل ليكود معركة الانتخابات ضد حزب العمل المنافس الرئيسي له على اساس برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي يختلف عن البرنامج

الذي تبناه حزب العمل · وقاد حملة شرسة ضد حزب العمل وقيادته التـي اوصلت المجتمع الصهيوني الى الضعف والانحلال على حد تعبير قادة ليكود وكان السلاح الرئيسي في معركتـه حملته على السياسة الداخليـة وخاصة القضايا الاقتصادية كالتضخم والعجز المتواصل في الميزانية وكذلك الفضائح والاختلاسات المالية المتكررة التي ظهرت في اعلى مراتب السلطة في عهـد حزب العمل ، مما اثر تاثيرا مباشرا في الحاق الهزيمة بحزب العمل ·

وما يهمنا من البرنامج الذي تبناه حزب ليكود هو ما يتعلق بالسياسة الخارجية والقضية الفلسطينية بصورة خاصة · فقد تبنى في المؤتمر الاخير الذي عقد على ابواب الانتخابات المواقف التالية : (هآرتس ٢٣ـ١٢ـ١٩٧٦ بقلم سيمحا ايرليخ السكرتير العام لحزب ليكود) ·

١ ـ « ان ليكود يرفض ـ من جديد ـ تقسيم (ارض اسرائيل الغربية) اي الضفة الغربية ، ويطالب بأن لا يتخذ اي قرار بهذا الشأن في المفاوضات السلمية التي قد تجري ، بل يتم حسم ذلك من خـلال استفتاء عام شامل · ورأي ليكود هو ان الشعب يجب ان يحسم هذه المسالـة حتى عندما يكون الليكود في الحكم » ·

٢ ـ ان (ارض اسرائيل المعروفة باسم فلسطين سابقا) «لا تمتد فقط بين نهر الاردن والبحر المتوسط بل انها تضم كذلـك شرق الاردن البالغـة مساحتها اكثر من ثلثي ارض فلسطين حاليا » ، وعـرب اسرائيل قدماء او لاجئون يشكلون فيها غالبية حاسمة ، وفي هذه الارض (أي شرق الاردن) يجب اعطاؤهم حق التمثيل المستقل واسكان كافة عرب اسرائيل والموزعين الان في انحاء العالم العربي في شرق الاردن · وعليه فان يهودا والسامرة (اي الضفة الغربية لن تسلم الى اي حكم اجنبي ، وان المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط ونهر الاردن حـق للشعب اليهـودي) وتخضـع للسيادة الاسرائيلية ·

كما عارض البرنامج السياسي اية مفاوضات مع منظمـة التحريـر الفلسطينية حتى لو اعترفت بحق اسرائيل في الوجود وبهذا الخصوص رد مناحيم بيجن على برنامج حزب العمل الذي اعلن عن استعداده لانسحابات اقليمية من بعض المناطق المحتلة بما فيها الضفة الغربية شرط عدم الاعتـراف بمنظمة التحرير او القبول باقامة دولة فلسطينية مستقلة بقوله : :ان مـن

يعارض اقامة دولة فلسطينية يتوجب عليه ان لا يسلم اي قطعة من (ارض اسرائيل المحررة) ، ومن يعلن استعداده لتسليم مناطق في الضفة الغربية لحكم اجنبي فانه عمليا يقيم الدولة الفلسطينية» • واستطرد قائلا : « اننا نستطيع القول ان سياسة الليكود هي السياسة الوحيدة التي تستطيع منع اقامة دولة فلسطينية في ارض اسرائيل التي يجب عدم تسليم اي شبر منها للعدو وذلك لمنع حدوث كارثة تاريخية لاسرائيل في المستقبل» •

صدى الانتخابات الاسرائيلية

الصحف الصهيونية :

وصفت عناوين مقالات صحيفة «دافار» الموالية لحكومة العمل وصحيفة «هاارتس» المستقلة نتيجة الانتخابات بانها زلزال كبير •

وترى صحيفة « دافار » بالنسبة لجهة حزب العمل ان الاوان قد آن لمحاسبة النفس بشكل متعمق بشأن جميع التطورات التي ادت الى هذه الهزيمة • واضافت الصحيفة قائلة : ان الناخبين الذين كانوا يساندون حزب العمل حتى الان اضطروا جزئيا الى تغيير اصواتهم نظرا للاتجاهات الجديدة التي قررتها سياسة واشنطن ولكنه ليس السبب الوحيد ويجب ان تبحث المسألة من زوايا اكثر اتساعا •

واشارت صحيفة «هاارتس» الى ان الليلة التي شهدت فرز اصوات الناخبين لن تمحى من ذاكرة الاسرائيليين •

اولا : لان فرز الاصوات كان نفيا لكل الاستفتاءات والتكهنات فقد حصل المنتصرون على نصر اكبر من الذي كانوا يأملونه ومني الخاسرون بهزيمة ساحقة لم يدر في خلدهم انها يمكن ان تصل الى هذا الحد •

واضافت صحيفة «هاارتس» قائلة : ومنذ هذه الليلة تبدأ حقبة سياسية جديدة حافلة بتطورات لا يمكن التكهن بها وذلك في فترة تعد اقل الفترات ملاءمة لحدوث تغيير في نظام الحكم وسوف نبدأ دون ادنى شك من القلقلة ولم يتوفر لدينا بعد اي دليل على ان كتلة ليكود تستطيع تشكيل حكومة وعلى اية حال من الاحوال فان الحالة الصحية لزعيمها مناحيم بيجن الذي

اصيب مؤخرا بأزمة قلبية تدعو الى التساؤل عما اذا كان سيمكنه النهوض بهذا العبء الثقيل • ومن المؤكد ان جبهة حزب العمل لن تدخر جهدا للحيلولة دون تشكيل حكومة يمينية •

وقالت صحيفة «هآرتس» في ختام مقالها : ومجمل القول يمكننا ان نتوقع سلسلة من الهزات الداخلية العنيفة تواجه اسرائيل مشكلات صعبة تتعلق بالسياسة الخارجية والامن وقد بدأت اسرائيل تجتاز اوقاتا عصيبة •

وقالت صحيفة «يديعوت احرونوت» : ان ما قام به الناخبون اكثر من تغيير فهو ثورة حقيقية ولكن ثورة هادئة جرت في جو هادىء واستطردت تقول : انها ليست ثورة سياسية فحسب بل تاريخية ايضا ثورة تمت دون اية مقدمات حيث لم يتكهن بها اي من استطلاعات الرأي التي اجريت •

وقالت صحيفة «معاريف» : ان الناخبين اقروا هذا التعبير في هدوء تام وجو من الفرح واحساس تام بالمسؤولية • وقد دفع حزب العمل ثمن اخطائه • واذا كان حزب العمل مهتما حقا بمصالح البلاد فيتعين عليه قبول اقتراحات كتلة ليكود من اجل تشكيل حكومة اتحاد وطني • آخذا في اعتباره جميع احتمالات تآلف اليمين •

وقد اعترف شمعون بيريز بأن حزبه اصيب بضربة قاسية•

أما «ابا ايبان» فقد نفى بصورة قاطعة تشكيل حكومة ما وصفه بيجن «ائتلاف وطني» وقال من المستحيل على حزب العمل التعاون مع ليكود •

وقال «يادين» انه لن يقبل الاشتراك الا في حكومة تقبل الاحزاب التي تشكلها تأييد مبادئها الاساسية وخاصة تغيير النظام الانتخابي واصلاح الهياكل الحكومية واجراء تنازلات بالنسبة لاراضي الضفة الغربية •

وقال «مناحيم بيجن» في معرض رده على مستقبل الاراضي المحتلة : انها في الواقع اراض محررة وسوف تظل كذلك •

صدى الانتخابات الاسرائيلية عربيا :

في سوريا :

وصف راديو دمشق ، فوز تجمع حزب ليكود اليميني في الانتخابات

الاسرائيلية الاخيرة بأنه «فرز الجماعة الاكثر ارهابا وتطرفا وتعنتا وعداء للسلام» ٠٠

وعقبت جريدة «تشرين» الحكومية في عددها الصادر يوم ١٨ ـ ٥ على الانتخابات الاسرائيلية فقالت : «ان نتائج هذه الانتخابات لا يمكن ان تكون عاملا حاسما لمصلحة مساعي السلام » ٠ ومضت الجريدة تقول :

«ان ساسة اسرائيل لا يملكون اي تصور للسلام ، وكل ما يطرحونه من حلول للمسائل الاساسية في ازمة المنطقة تتعارض مع الاسس التي وضعها الامم المتحدة في قرارها لاي حل في الشرق الاوسط» ٠

وقالت : «ان الحديث عن الحمائم والصقور في اسرائيل هو في واقعه صراع بين الاحزاب والتكتلات الاسرائيلية حول التمادي في التطرف والعدوان والتوسع ، لا حول مدى الاقتراب من السلام» ٠

ومضت قائلة : «ان جميع الاحزاب الصهيونية متفقة على مبدأ ضم الاراضي بالقوة وتعارض العودة الى حدود ١٩٦٧ ، وتنكر الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني» ٠

وقالت جريدة «البعث» :انه من الخطورة بمكان ان يستسلم العرب لوهم مؤتمر جنيف الخاص بالسلام في الشرق الاوسط ، فالتحضير العسكري الذي يسبق المؤتمر ويرافقه وجوبا ، هو الذي يحدد نتائجه بالضرورة ، ويبقى صحيحا ، دائما ، ان حوار القوة اكثر حسما وفاعلية من قوة الحوار » ٠

ومضت الجريدة تقول : «حتى ولو انعقد مؤتمر جنيف فلن تستجيب اسرائيل لمقتضيات السلام العادل وللارادة الدولية بهذه السهولة الموهومة ، ولن يكون مؤتمر جنيف سوى بداية الطريق ونهايته غير مرئية» ٠

وقالت الجريدة في ختام تعليقها : «ان تحرك سوريا الدولي باتجاه انعقاد مؤتمر جنيف يفضح عدوانية اسرائيل ومطاردتها سياسيا، لان سوريا تدرك ان اسرائيل كيان يرفض السلام ويتناقض معه ، ولم يكن مؤتمر جنيف في اية حال هدفا ولن يكون ، انما هو احدى القنوات التي تتحرك سوريا من خلالها لتحقيق اهدافها القومية في تحرير الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني» ٠

الصحف الاردنية :

كان اهم ما استخلصته الصحف الاردنية من نتائج الانتخابات الاسرائيلية ··· ان اسرائيل لن تنسحب من الاراضي التي احتلتها في عام ١٩٦٧ ·

وترى صحيفة «الاخبار» : ان هذا الانتصار غير المنتظر لكتلة ليكود يشكل جزءا من الاستراتيجية الاسرائيلية التي تهدف الى كسب الوقت · وترى ان اسرائيل لن تتفاوض على الاطلاق حول موضوع انسحابها من الاراضي العربية التي احتلتها ·

وتلفت صحيفة «الدستور» النظر الى ان «جميع التنظيمات السياسية الاسرائيلية تعمل ، معا ، لبقاء الاراضي العربية تحت الاحتلال الاسرائيلي» ·
واضافت الصحيفة : «ان الموقف لن يتغير سواء اكان الفائز كتلة ليكود او حزب العمل وعلى واشنطن ان تعمل الان حتى لا توضع العقبات في طريق السلام» ·

وفي القاهرة :

قالت صحيفة «الاخبار» : «ان نجاح الليكود المفاجيء يدخل ضمن الاستراتيجية الاسرائيلية التي تهدف الى كسب الوقت ، واسرائيل ، الان غير مستعدة للبحث في قضية انسحابها من الاراضي المحتلة ·

صدى الانتخابات الاسرائيلية دوليا :

سدني ــ واشطن :

لاذت المصادر الاميركية الرسمية بالصمت ، الا انها اعربت في محافلها الخاصة عن الصدمة والاستياء ، ويبدو ان هذا ما دفع بيجن الى القول :
«ان حكومة كارتر ليس لها ان تعلق لتغيير النظام في اسرائيل» ·

الصحف الباريسية :

في باريس ، علقت صحيفتان باريسيتان على نتائج الانتخابات

الاسرائيلية التي انتهت بفوز كتلة ليكود اليمينية على حزب العمل · فكتبت صحيفة «لورور» اليمينية الراديكالية بهذا الصدد تقول :

«ان منطق هذا التطور الذي يدخل اول تغيير على نظام الدولة اليهودية منذ قيامها عام ١٩٤٨ ، يمكن ان يتضح اذا ما فكرنا في استنزاف حـزب ، وضرورة التشدد في السياسة الاسرائيلية في مواجهة الاخطار التي يتعرض لها هذا البلد الصغير ، والفضائح المختلفـة المتعلقـة بحسابـات مختلف الشخصيات الاسرائيلية ، كما يرى جزء كبير من الرأي العـام ان الاثـار الدولية لهذا التغيير سوف تظهر قريبا ، سواء كان ذلك من الجانب العربي او الجانب السوفياتي ، حيث لم يعد الحوار في اتجاه تحقيق تسويات سلمية ·

وقالت «الفيغارو» اليمينية المعتدلة ، في تعليق لها بعد اربعين دقيقة فقط من اغلاق مكاتب الاقتراع ، «كان الحزب الذي فـرض سيطرتـه على اسرائيل ، لمدة ثلاثين عاما ، يخسر بسرعة للمرة الاولى في تاريخ الدولـة اليهودية ، وكان هناك احتمـال حقيقي لتشكيـل حكومـة يمينيـة لا تضـم الاشتراكيين ·

الصحف البريطانية :

وفي لندن ترى الصحـــف البريطانية في تعليقها على النتائج الاولية للانتخابات الاسرائيلية فوز حزب ليكود سوف لن يسمح باجراء تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط ·

فكتبت صحيفة « التايمز » المستقلة تقول : « ان هذه النتيجة تشير الى نهاية عصر الحياة السياسية في اسرائيل ، وتطرح بشكل يثير القلق مشكلة الشرق الاوسط في مجموعها » ·

واكدت الصحيفة البريطانية : « ان الحكومة المقبلة ستتخذ بالتاكيد ، موقفا متشددا من مشكلة السلام والحدود » ·

واشارت صحيفة « ديلي اكسبرس » اليمينية الوطنية ، الى « ان الفوز المذهل لكتلة ليكود يعد بمثابة نكسة لمبادرة الســلام الاخيرة التي يقوم بهـا الرئيس جيمي كارتر في الشرق الاوسط » ·

وترى صحيفـــة « ديلي تلغراف » المحافظة ، ان « قدوم مناحيم بيجن زعيم حزب ليكود الى الحكم ستكون له اثار عصيبة على جهود السلام التي

يقوم بها « الرئيس كارتر » الذي ترى الصحيفة انه يمكنه منذ الان ان يلغي مبادرة السلام التي كان يعتزم القيام بها » ٠

البرافدا :

وذكرت صحيفة البرافدا الناطقة باسم الحزب الشيوعي السوفياتي في اول تعليق لها على نتائج الانتخابات الاسرائيليةان برنامج ليكود « برنامج توسعي سافر واكثر تشددا من برامج من سبقه في الحكم ولن يمهد لايجاد تسوية في الشرق الاوسط ٠

وذكرت وكالة « تاس » التي اذاعت نص تعليق صحيفة البرافدا : ٠٠٠ ان الانتخابات الاسرائيلية التي اجريت في ١٧ ايار الماضي قد دلت بصفة خاصة « على خيبة الامل العميقة التي يشعر بها الناخبون تجاه سياسة زعمائهم وان كتلة ليكود والاحزاب الاشد يمينية قد استغلت هذه الظروف الى حد كبير » ٠

وذكرت الصحيفة ان هذه الاحزاب استغلت انتقادات الناخبين للحكومة ونجحت في اكتساب مزيد من المؤيدين بفضل برنامجها الديماغوجي ولكن هذه الكتلة الرجعية ليست بالقادرة على حل المشكلات الحيوية التي تثير قلق الاسرائيليين ٠

يوغسلافيا :

قال متحدث باسم الحكومة اليوغسلافية ان يوغسلافيا ترى ان نتائج الانتخابات الاسرائيلية تأتي بتهديدات واخطار ومزيد من عدم الاستقرار فيما يتعلقباحتمالات التسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط والمشكلة الفلسطينية٠

واضاف المتحدث ان اية محاولة لتاخير تسوية الازمة او لفرض تسوية معينة لا يمكن الا ان تزيد من خطورة الموقف وتوسيع نطاق نزاع مسلح جديد في الشرق الاوسط له عواقب ضارة بالنسبة للمنطقة ولغيرها من مناطق العالم ٠

تشيكوسلوفاكيا :

واعربت صحيفة « رودو برافو » التشيكوسلوفاكية عن اعتقادها بأن نتائج الانتخابات الاسرائيلية تنذر بالخطر بالنسبة لاحتمالات التوصل الى تسوية سلمية لنزاع الشرق الاوسط ٠

وترى الصحيفة الناطقة باسم الحـزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ان نظرية اسرائيل التي تدعو اليها كتلة ليكود نظرية خطيرة · وقالت الصحيفة ايضا ان باقي برنامج حزب بيجن لا يتفق مطلقا مع حـل مشكلات اسرائيل الداخلية ·

وركزت الصحيفة بعد ذلك على النجاح الذيحققه راكاح في الانتخابات بالرغم من الظروف الصعبة التي نجمت عـن التطرف في القومية ومناهضة الشيوعية ·

واختتمت صحيفة « رودو برافو » مقالها قائلة : ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي هو وحده قدم خطة مسؤولة وواقعية لتسوية النزاع مع الاخذ في الاعتبار المصالح المشروعة لجميع بلدان ودول هذه المنطقة ·

خطة عمل حكومة بيجن

للسنوات الاربعة القادمة

اقدم فيما ياتي للقارىء العربي النص الكامـــل للبيان الوزاري الذي قدمه مناحيم بيجن لدى الاعلان عن اسماء وزارته في العشرين من حزيران ١٩٧٧ وحصل بموجبه على ثقة الكنيست باغلبية ٦٣ صوتا ٠

ولسنا بحاجة الى التأكيد هنا ان البنود الستة والعشرين التي يتضمنها هذا البيان تشكل الاساس الجوهري لعمـــل حكومة بيجن خـــلال السنوات الاربع القادمة كما انه يشكل الدستور الذي سيلتزم بيجن بتنفيذه رغم اية تصريحات اخرى مغايرة قد يدلي بها خلال الايام القادمة ٠

وفيما ياتي بنود هذا البيان :

١ ــ الاعتراف بوحدة الشعب اليهودي في ارض اسرائيل والمهجـــر وبالمصير المشترك لهذا الشعب ٠

٢ ــ الاعتراف بالحق التاريخي للشعب اليهودي في ارض اسرائيـــل الى الابد ، ارض الاباء والاجداد ، اعترافا غير قابل للنقض ٠

٣ ــ ستخطط الحكومة لتشجيع الاستيطان واقامة المزيد من المستوطنات على اختلاف انواعها في ارض الوطن ٠

٤ ــ ستعمـــل الحكومة على تشجيع الهجرة باعتبارهـــا على رأس الاولويات ٠

٥ ــ تضع الحكومة الرغبة في الســـلام على رأس اهتماماتها وسوف تعمل باستمرار من اجل التوصل الى سلام دائم في المنطقة ٠

٦ ــ تدعو الحكومة الاسرائيلية الـــدول العربية المجاورة منفردة او مجتمعة لاجراء مفاوضات مباشرة او بوساطة دول صديقة من اجل التوقيع

على اتفاقية سلام دون شروط مسبقة او حلول مفروضة من الخارج ٠

٧ ـ تعلن الحكومة الاسرائيلية عن رغبتها في الاشتراك بمؤتمر جنيف حين تدعى من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وعلى اساس قراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ ٠

٨ ـ تواصل الحكومة الاسرائيلية الاستعداد لمؤتمر جنيف كما تعلن عن رغبتها في التوصل الى سلام صادق وعملي يعـــود بالحياة الطبيعية الى المنطقة ٠

٩ ـ تلتزم مختلف الاطراف بالاتفاقيات التي وقعت من قبل الحكومات السابقة لحين التوصل الى اتفاقية سلام شامل ٠

١٠ ـ تعطي الكنيست الحكومة صلاحية تطبيق القوانين الاسرائيلية والانظمة والادارة والقضاء على كـــل ارض اسرائيل وذلك وفق الاعتبارات التي تراها الحكومة مناسبة ويقوم الكنيست باجراء مناقشة حـول هـذا الموضوع للتصديق على الاجراءات التي تتخذها الحكومة ٠

١١ ـ الالتزام بالمساواة بين جميع السكان في الحقوق بغض النظر عن الديانة او القومية او العرق ٠

١٢ ـ تتعهد الحكومة بحماية حرية الفـرد وتشجيع المبادرات الفردية والمساواة في الفرص والعمل على تقدم الفرد ورخائه ٠

١٣ ـ تتعهد الحكومة ببذل جهودها المتواصلة من اجل هجرة جميـع يهود الاتحاد السوفياتي ويهود سوريا والدول العربية ٠

١٤ ـ العمل من اجل وضع حد للتضخم المالي وتحقيق استقرار العملة وتحقيق مستوى حياة لائق لجميع السكان ٠

١٥ ـ العمل من اجل القضاء على الفقر وتقديم المساعـدة للعائـلات كثيرة الاولاد في مجالي السكن والتعليم خاصة ٠

١٦ ـ بذل المساعي المتواصلة لزيادة استثمـــار الاموال من الخارج وتنشيط الانماء الاقتصادي واقامة المزيد من المساكن للايجار ٠

١٧ ـ تحرص الحكومة على تامين مرافق العمـل وتهيئة فرص العمل لجميع العمال ٠

١٨ ـ تعمل الحكومة من اجل رفع الانتاج وزيادة التصدير وتحسين الدخل القومي الاجمالي •

١٩ ـ تعمل الحكومة من اجل تحسين علاقات العمل واقرار تشريع قانون التطبيب الالزامي في العمل •

٢٠ ـ تعمل الحكومة لتشجيع الزراعة وتوسيع رقعة الاراضي المزروعة •

٢١ ـ ستقوم الحكومة باتخاذ اجراءات صارمة لمنع الهجرة من اسرائيل واعادة اليهود الذين تركوا البلاد وزيادة الاستيعاب من المهاجرين الجدد •

٢٢ ـ العمل على نشر احترام القانون والقضاء على العنف والجريمة •

٢٣ ـ اتباع نظام اليوم الدراسي المطول وتخطيط التعليم وفقا للقيم اليهودية والصهيونية الداعية لحب اسرائيل وحب ارض اسرائيل •

٢٤ ـ تكفل الحكومة حرية التدين والاعتقاد لكل مواطن ، كما تحمي الحكومة الحاجات الدينية للمواطنين بمافي ذلك حرية التعليم الديني لابنائهم •

٢٥ ـ تحافظ الحكومة على الاوضاع الدينية الراهنة في البلاد

٢٦ ـ تحترم الحكومة الاتفاقيات الدولية التي وقعتها الحكومات الاسرائيلية السابقة •

مستقبل الضفة والقطاع

في مشروع بيجن

فيما يأتي النص الكامل للخطاب الـذي القاه مناحيم بيجن في جلسة الكنيست الصهيوني يوم ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٩٧٧ وعرض فيه مشروعه المتعلـق بالضفة الغربية وقطاع غزة ٠

وكان بيجن قد عرض هذا المشروع على الرئيس السادات اثناء لقائه معه في الاسماعيلية يوم ٢٦ـ١٢ـ١٩٧٧، ورفضه السادات وقال ان مشروعه يعتمد على المبادىء التالية :

● اولا ـ الغاء الحكم العسكري في هذه المناطق ٠

● ثانيا ـ اقامة حكم ذاتي لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة من قبل هؤلاء السكان ومن اجلهم ٠

● ثالثا ـ قيام سكان المناطق المذكورة بانتخاب مجلس اداري قوامه احد عشر عضوا يعمل على اساس المبادىء التالية :

أ ـ منح حق الانتخاب لكل مواطن يبلغ الثامنة عشرة وما فوق ذلك ٠

ب ـ منح حق الترشيح لعضوية المجلس لكل مواطن في هذه المناطق يبلغ من العمر الخامسة والعشرين فما فوق ٠

جـ ـ انتخاب المجلس الاداري في اقتراع شخصي وسري على اساس المساواة التامة ٠

د ـ تكون فترة انتداب هذا المجلس اربع سنوات ٠

وقال بيجن في بيانه ان المشروع ينص على ان يتخـذ المجلس مدينة بيت لحم مقرا له ويتولى ادارة شؤون التعليم والاديان والمالية والمواصلات والبناء والاسكان والتجارة والصناعة والسياحة والزراعة والصحة والعمل

والرفاه الاجتماعي واعادة تأهيل اللاجئين والشؤون القضائية وشؤون الشرطة المحلية ٠

اما الامن والنظام العام فسيعهد بالحفاظ عليهما الى السلطات الاسرائيلية وسيقوم المجلس الاداري المقترح بانتخاب رئيس له وسيعقد اولى جلساته بعد ثلاثين يوما من تاريخ نشر نتائج الانتخابات ٠

الجنسية الاسرائيلية

او الجنسية الاردنية

واضاف بيجن ان سكان الضفة والقطاع سيمنحون حق الاختيار بين الجنسية الاسرائيلية والجنسية الاردنية لكل من يرغب فيها وفقا للقوانين المعمول بها في اسرائيل ، وكذلك سيحق لسكان المناطق المذكورة الذين اختاروا الجنسية الاسرائيلية انتخاب اعضاء الكنيست وترشيح انفسهم لعضوية الكنيست ٠

اما سكان المناطق من ذوي الجنسية الاردنية ـ بالاضافة الى اولئك الذين سيختارون هذه الجنسية في المستقبل فسيمكنهم الاشتراك في الانتخابات للمجالس التشريعية الاردنية وترشيح انفسهم لعضوية هذه المجالس ٠

ومضى بيجن يقول ان المسائل المتعلقة بالجنسية وحق الاقتراع فتعالج من خلال مفاوضات بين اسرائيل والاردن وستشكل لجنتان لتقصي شئون التشريع في الضفة الغربية وقطاع غزة لتحدد ما يجب الغاؤه من القوانين المعمول بها حاليا وما يمكن ابقاؤه وستتخذ قرارات هذه اللجنة بالاجماع ٠

حقوق الاستيطان والهجرة

واكد بيجن ان سكان اسرائيل سيحق لهم الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة ، كما سيحق لسكان هذه المناطق الذين يختارون الجنسية الاسرائيلية الاستيطان في اي مكان في اسرائيل ٠ والسماح لعدد معقول من اللاجئين بالهجرة الى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وستتخذ قرارات هذه

اللجنة بالاجماع ايضا وسيمنح سكان المناطق حرية التنقــل بين مناطقهم واسرائيل وحرية ممارســة النشاطــات الاقتصاديــة في اسرائيل والمناطق الاخرى ٠

اصرار على السيــادة الاسرائيلية

واردف بيجن يقول : ان المشروع الاسرائيلي يقضي بتعيين احداعضاء المجلس الاداري ممثلا للمجلس لدىحكومة اسرائيل وتعينعضوا اخر لتمثيل المجلس لدى الحكومة الاردنية ٠ وقال ان اسرائيل مصرة على حقها بالسيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة غير انها تعلــم ان هناك مواقف اخرى ، ولذلك فهي تقترح ابقاء هذه المسالة مفتوحة ٠

مشروع خاص للاماكن المقدسة

وقال بيجن ان اسرائيل ستقوم باعداد مشروع خاص للاماكن المقدسة في القدس يحرص على ضمان حرية الوصول الى هذه الاماكن لابناء جميع الديانات ، ثم سيكون بالامكان اعادة النظــر في قضية القدس بعد خمس سنوات ٠

الامن الداخلي

البند الحادي عشر !

ولفت بيجن انظار اعضاء الكنيست الى البند الحادي عشر من مشروع السلام الاسرائيلي الذي ينص على ان السلطـــات الاسرائيليــة هي التي ستتولى الحفاظ على الامن والنظام في المناطق المذكورة فأكــد ان المشروع الاسرائيلي عديم القيمة بدون هذا البند وقال ان البند الحادي عشر يتضمن مرابطة قوات جيش الدفاع الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة وانه لا يخطر لنا ببال لو عرض علينا ذلك ان نوافق على اجلاء القوات الاسرائيلية من هذه المناطق والسماح لمنظمة التحريــر الفلسطينيــة بالسيطــرة على المناطق ٠

واضاف : وان هذه المنظمة تفتخر بانها هي التي قتلت المرحوم حمدي القاضي من موظفي دائرة المعارف في الضفة الغربية ٠

ومضى يقول ان منظمة التحرير الفلسطينية لن يسمح لها باي حال من الاحوال بالسيطرة على الضفة وقطاع غزة وان كــل من يريد التوصل الى

اتفاق معنا يجب ان يتقبل اعلاننا ان قوات جيش الدفاع الاسرائيلي سترابط في هذه المناطق وان ترتيبات امنية اضافية ستتخذ لضمان امن جميع السكان ٠

هذه هي ارضنا ؟!

وتطرق بيجن الى البند الرابع والعشرين من مشروع السلام الاسرائيلي الذي ينص على ان اسرائيل مصرة على حقها ومطالبتها بالسيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة علما منها بأن هناك مطالب اخرى لاطراف اخرى وقال ان الرئيس الاميركي جيمي كارتر والرئيس انور السادات قد ابلغا بذلك كله ، واكد « **ان هذه هي ارضنا ولنا الحق الكامل في ملكيتها** » غير اننا نريد السلام ونعلم ان هناك مالا يقل عن موقفين اخرين يختلفان عن موقفنا واذا ظلت المواقف المتناقضة دون حل فلن يكون هناك اتفاق ٠ واذا اريد الاتفاق والسلام فمن الواجب ان يتخذ قرار متفق عليه يقضي بالابقاء على هذه القضية مفتوحة والاهتمام بشؤون السكان والشعوب في الوقت الحاضر ٠

الحكم الذاتي والحاجات الامنية

واضاف بيجن يقول ان الحل الامثل في الظروف الراهنة هو ان يمنح سكان المناطق الحكم الذاتي ويمنح سكان اسرائيل الامن ٠ واعاد بيجن الى اذهان اعضاء الكنيست انه قد توجه بمقترحات اخرى حول تنظيم العلاقات بين اسرائيل ومصر عن طريق التوقيع على معاهدة سلام توجه بها الى الولايات المتحدة واوضح لرئيسها ان القواعد التي تعتمد عليها هذه العلاقات هي : ـ

● اولا : ـ التجريد عن السلاح بحيث لا يتجاوز الجيش المصري خط ممري الجدي والمتلا ٠

● **ثانيا :ـ ابقاء المستوطنات الاسرائيلية في سيناء في اماكنها وتولي قوات اسرائيلية الدفاع عنها ثم الاتفاق على فترة انتقالية تستمر بضع سنوات يرابط خلالها جيش الدفاع الاسرائيلي في خطوط دفاعية في اواسط سيناء**

الى حين انسحاب القوات الاسرائيلية الى الحدود الدولية بينها وبين مصر ٠

● ثالثا : ـ ضمان حريه الملاحه في مضـانق تيـران بحيث تكـون مفتوحة بوجه ملاحة كل الدول والسفن وستتولى قوات من الامم المتحـدة حماية هذه المناطق ولن يكون بالامكان اخراجها من المنطقة الا بموافقة جميع الاطراف المعنية ٠

وقال بيجن ان هناك اقتراحا بديلا لذلك يقضي بحماية مضايق تيران من قبل قوات مشتركة اسرائيلية ومصريه ٠

وبعد ان عرض بيجن مشروع السلام الاسرائيلي على اعضاء الكنيست قال ان الرئيس الاميركي قد اعرب في محادثات شخصية معه عن تقييمـه الايجابي للمقترحات الاسرائيلية ٠ وقد اعلن في الاجتماع الختامي الـذي عرض مع بيجن خلال زيارته الاخيره لواسنطن ان المشـروع الاسـرائيلي يشكل اساسا عادلا للمفاوضات وان المشروع يعتبر ايجابيا وقـد شـاطر الرئيس الاميركي رايه هذا كل من والتر مونديـل نائب الرئيس الاميـركي وسايروس فانس وزير الخارجية الاميركي والبروفسور زبيغنيو برجنسكي مستشار الرئيس الاميركي لشؤون الامن القومي واعضاء مجلس الشيـوخ الاميركي كل من جاكسون وهيث وجافتس وهامفلد وتوم ، كما ايد المشروع الرئيس الاميركي السابق جيرالد فورد ووزير خارجيتـه هنـري كيسنجـر والحاخام الكسندر شندلر زعيم الجاليات اليهودية في الولايات المتحدة حيث اعلنوا جميعا ان المشروع الاسرائيلي عادل في اساسه ٠

واضاف بيجن ان رئيس الحكومة البريطانية جيمس كالاهان ووزير خارجيته ديفيد اوين نظرا الى المشروع الاسرائيلي نظرة ايجابية هما ايضا، وقد وصف كالاهان مشروع السلام الاسرائيلي بانه مشروع بناء جدا ، كما ان تفاصيل المشروع الاسرائيلي قد ابلغت الى جون فرانسوا بونسيه المبعوث الشخصي للرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان ٠

وتحدث بيجن عن زيارته للاسماعيلية فقال انه سبق واتفق مع الرئيس انور السادات خلال زيارته للقدس على ان الاسماعيلية ستكون مقرا للاجتماع القادم بينهما ٠ واضاف انه قد تمكن في الاسماعيلية خلال الدقائق الخمس الاولى من الاتفاق معه على مواصلة المفاوضات من اجل التوصل الى معاهدة سلام بدلا من اتفاق سلمي كان مقترحا فيما سبق ٠

عن تشكيل اللجنتين السياسية والعسكرية

وقال بيجن ان المفاوضات التي تقرر اجراؤها ستجري على مستوى عال ومستوى وزراء الخارجية والدفاع وان اللجنة السياسية التي تم تشكيلها ستبحث شؤون القرى الاسرائيلية المدنية في سيناء بالاضافة الى قضية عرب الديار المقدسة ٠

اما اللجنة العسكرية فستعالج المشاكل العسكرية المتعلقة بسيناء ٠ وستكون مباحثات اللجنة اول مفاوضات مباشرة بين مندوبي اسرائيل ومصر منذ ثلاثين عاما ، ولن يتولى طرف ثالث رئاسة اللجنتين ، اذ ان الوزراء من البلدين سيتناوبون في رئاسة اللجنتين واكد بيجن ان مناقشات اللجنتين ستكون جوهرية ومفصلة وان تشكيل اللجنتين له مغزاه الخاص بعد اربع حروب وبعد الدعوات من جهات مختلفة طيلة ثلاثين عاما للقضاء على اسرائيل ٠

وتمنى بيجن ان تكون مباحثات اللجنتين ناجحة وان يكون بالامكان اعتبار نتائجها اساسا لمعاهدة السلام التي ستوقع من قبل مندوبي اسرائيل ومصر ٠

بيان لم ينشر

وقال ان الجانبين المصري والاسرائيلي في الاسماعيلية اتفقا على بيان مشترك غير ان هذا البيان لم ينشر لوجود خلافات بين الجانبين حول القضية التي تسميها اسرائيل «قضية الشعب الفلسطيني» ٠ولقد كانت هناك محاولات لايجاد صيغة مشتركة غيرانه تبين في اليوم الاول من المباحثات ان ذلك متعذر، ولذلك قرر الجانبان العودة الى الاجتماع في اليوم التالي في محاولة اخرى لايجاد مخرج متفق عليه ، وكانت النتيجة فعلاً أن وجد هذا المخرج وقد تمثل في الاتفاق على الصيغة المشتركة التي تنص على قيام كل طرف بتحديد موقفه واستعمال عباراته الخاصة به ٠ وقد كان البيان الذي تلاه السادات في المؤتمر الصحفي الذي عقده ذا جزئين ٠

لن نرضخ للضغوط

واوضح بيجن انه لم يتم نشر البيان المشترك الذي كان قد اتفق عليه

من قبل الطرفين دون اي تحفظ لان مصر لم ترغب في التوقيع على هذا البيان لانه يتضمن مواقف لا توافق عليها ٠

وقال بيجن ان اسرائيل قد قدمت ما كان مطلوبا منها خلال لقاء الاسماعيلية وان المطلوب من مصر ان تقدم هي الان ما هو مطلوب منها ، اذ اننا نعمل من اجل السلام ومن اجل التوقيع على معاهدة السلام ٠٠ وقد اخذنا على عاتقنا مسئوليات ضخمة ومخاطر كبيرة وخير دليل على ذلك هو النقاش والجدال المؤلم الذي يجري في اسرائيل حاليا بين الحكومة وبيني بالذات وبين عدد من اصدقائه في كتلة التكتل ـ الليكود ـ ٠

واكد بيجن انه اذا كتب عليه اجراء هذا الجدال فسيفعل ذلك بكل حزم لانه ملتزم بتحمل مسؤولية لا يمكن بدونها البت في الشؤون السياسية وقال انه مقتنع بان الطريق التي يسير عليها هي الطريق الصحيحة التي يمكن ان تؤدي الى التوقيع على معاهدة سلام وان اقتناعه هذا نابع من فحص كافة الطرق البديلة ٠

وتطرق بيجن الى الموقف المصري من المقترحات الاسرائيلية فقال ان هناك بعض الاشخاص في وزارة الخارجية المصرية من ذوي التفكير الروتيني وهم يقترحون بامكان ممارسة الضغوط الدولية على اسرائيل لتقبل بمواقف لا يمكننا قبولها ، واوضح انه حتى لو تمت مثل هذه الضغوط فانها ستكون عديمة الجدوى لاننا تعودنا على مجابهة الضغوط وعدم الرضوخ لها واوضح بيجن انه لن يساوره شك بان اسرائيل لن تواجه ضغوطا دولية ٠ لان الشخصيات التي اعربت عن تقييمها الايجابي لمشروع السلام الاسرائيلي هي شخصيات دولية لا يستهان بها ٠

مؤلفات الأستاذ

معين أحمد محمود

١ ـ الطريق الى فلسطين		١٩٦٥
٢ ـ قضية فلسطين : قضية العرب اجمعين		١٩٦٦
٣ ـ اسرار العسكرية الاسرائيلية الطبعةالاولى	دار الصادق	١٩٦٨
الطبعة الثانية	دار الصادق	١٩٦٩
الطبعة الثالثة	دار عويدات	١٩٧٢
الطبعة الرابعة	دار المسيرة	١٩٧٨
٤ ـ العمل الفدائي : ومراحل حرب التحرير الشعبية	المكتب التجاري	١٩٦٩
٥ـ بيت المقدس : مدينة كل الاديان	دار الصادق	١٩٧٠
٦ ـ الصهيونية والنازية	المكتب التجاري	١٩٧١
٧ ـ فتح والثورة الفلسطينية (من الرصاصة الاولى الى مشاريع التصفية)	دار الكاتب العربي	١٩٧١
٨ ـ الجديد في العسكرية الاسرائيلية	دار عويدات	١٩٧٢
٩ ـ الفلسطينيون في لبنان (الواقع الاجتماعي)	دار ابن خلدون	١٩٧٣
١٠ ـ بالدم نكتب لفلسطين	الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين	١٩٧٧
١١ ـ صناعة الاسلحة في اسرائيل	دار المسيرة	١٩٧٧

مع الباعة وفي المكتبات :

صناعة الاسلحة في اسرائيل

تاليف

معين احمد محمود

* هذا الكتاب هو حلقة مكملة لكتب الاستاذ معين محمود السابقة عن العسكرية الاسرائيلية · وهو يهدف الى تزويد الرأي العام العربي بمرجع عن محاولات العدو بناء اسلحة عسكرية متطورة ·

* يتناول الكتاب بالتفصيل : ملامح التقدم العلمي والتكنولوجي في اسرائيل ، العلم والتعليم العالي ، الصناعات الحربية الاسرائيلية ، الخفيفة والثقيلة ، المناطق الصناعية ، والمحاولات الصهيونية لانتاج السلاح الذري والاسلحة الكيميائية والبيولوجية ·

* ويلفت الانظار الى الابحاث السرية الخطيرة التي يجريها العدو بهدف تطوير الصناعة العسكرية ·

*واثارة هذا الموضوع لا يعني الخوف ابدا ، وانما هو دليل الرغبة الكامنة في طوايا النفس لمجابهة التحدي الصهيوني بتحد مثله ·

* انه كتاب جدير بالقراءة في هذه المرحلة الخطرة والحاسمة من تاريخ امتنا ·

مع الباعة وفي المكتبات :

اسرار العسكرية الاسرائيلية

تأليف

معين احمد محمود

هذا الكتاب ينبغي ان تقرأه لتعرف الكثير من اسرار معاركنا مع العدو :

* نشوء الجيش الصهيوني وتطوره ، عدد قواته ، تسليحه ، تنظيمه ، تجهيزه ، اساليب قتاله ، معنوياته ، نقاط ضعفه ، نقاط قوته ٠

* الطيران ، البحرية ، القوات البرية ، الدفاع المدني ، الجيش النسائي ، المخابرات ، الحرب النفسية ٠

* اسلحة التدمير الشامل : الاسلحة النووية ، الاسلحة الكيميائية ، الاسلحة الجرثومية ، صناعة الاسلحة الذرية ٠

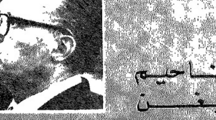
* خصائص وتمييز كافة صنوف الاسلحة : الطيران ، البحرية ، المدفعية ، الصواريخ ، المدرعات ٠

* كافة شعارات المؤسسات العسكرية الصهيونية التي تنشر لاول مرة٠

* مع وفرة من الموضوعات التي تضيف الكثير الى معلوماتك عن العدو ٠

فهرست

صفحة



مناحيم بيغن

※ « عراب العنف » في الكيان الصهيوني ، ومؤسس منظمة الارغون الارهابية . وتلميذ المنظر الصهيوني المتطرف « فيلاديمير جابوتنسكي » .
من مقولاته التي تعبر اصدق تعبير عن نزعة عدوانية لا انسانية قوله «انا احارب اذن انا موجود» .

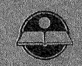
※ مخطط عمليات القتل والابادة في دير ياسين . يافا ، قبية ، نحالين .

※ الداعي الى اقامة المستوطنات العنصرية على كل فلسطين .

※ لم تقتصر نشاطاته الارهابية على فلسطين فقط ، بل وفي كل مجالات عمله حيث يتطلب الظرف منه ذلك . بل انسحب بها على اليهود انفسهم لارغامهم على الهجرة الى فلسطين .

※ تعتبر يومياته سجلا حافلا بالوثائق التي سطرها بيده لتلقي ضوءا على الخلفية الذهنية التي تحكم تصرفات الرجل خارج الحكم وداخله ، في ماضيه الارهابي ، ومستقبله الاشد ارهابا ، كرئيس لدولة قامت اصلا على العنصرية والارهاب .

※ نقدم يوميات الارهابي بيجن من اجل ان يعرف العرب « الجريمة التي تمشي على قدمين » .



دار المسيرة